

المط

المطبعة

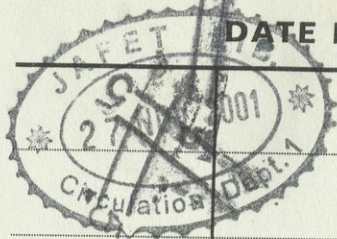
297
J2
C.

297.8:J25uA

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر
العثمانية •

297.8

J25uA



DATE DUE



11
FEB 1974



297.8
J25u A
C.I

بتحقيق وشرح
عبد الله محمد هادي

مكتبة الجاهليين
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الثالث

العثمانية

١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م

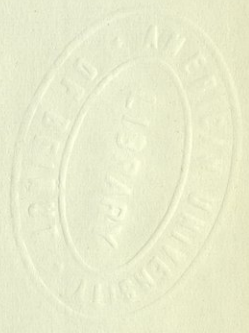
مطبعة
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حسني النسياني

فصل فی بیان
تاریخ و احوال
شاهان و سلاطین
و ملوک و حاکمان
و امرا و بزرگان
و اعیان و اشراف
و اعیان و اشراف

فصل فی بیان
تاریخ و احوال
شاهان و سلاطین
و ملوک و حاکمان
و امرا و بزرگان
و اعیان و اشراف
و اعیان و اشراف

فصل فی بیان
تاریخ و احوال
شاهان و سلاطین
و ملوک و حاکمان
و امرا و بزرگان
و اعیان و اشراف
و اعیان و اشراف

فصل فی بیان
تاریخ و احوال
شاهان و سلاطین
و ملوک و حاکمان
و امرا و بزرگان
و اعیان و اشراف
و اعیان و اشراف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة العُجب كما نعوذ بك من فتنة الأثر ،
ونعوذ بك من شر الحاسد كما نعوذ بك من ريب الصاحب ، وقديماً
ما تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ كَيْدِهِمَا ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ فِي السَّلَامَةِ مِنْهُمَا . قَالَ اللَّهُ
جَلَّ وَعَزَّ : « وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » ، وَقَالَ حَكِيمٌ : « اللَّهُمَّ اكْفِنِي
شَرَّ أَصْدِقَائِي ، أَمَا أَعْدَائِي فَقَدْ عَرَفْتُهُمْ » .

سألتني - أيديك الله - أن أبعث لك فيما أبعث - كتاب
أبي عثمان في « العثمانية » ، وقلت : إنه كتابٌ نادر الأصل ، عزيز
النصيب ، وأنت كنت لم تسمع به من قبل ، وأنَّ غيرك من الناس
كثير لم يعلموا به ولم يقرع لهم سمما ، إلّا ما ظهر لهم أخيراً في مفاضة
الإسكافي له ، وذلك في جهرة من رسائل بَعْثِهَا أديب كريم فيما يبعث
الناس من هذا النتاج العربي الخالد .

وقد كنتُ على أن أسرع في إجابة طلبتك ، وأن أبذر إلى تلبية
هذه الرغبة ، فقد زعمتُ لك من قبل أنني نصبت نفسي لهذا الصنيع ،
ودعوت الله أن ينسأ في الأجل عسى أن أبذل لأبي عثمان من الوفاء كفاء
ما بذله هو للإنسانية من وفاء بها وبرٍّ عظيم .

وكان ما صنع الله من عون في بعث كتابي « الحيوان » و « البيان »
على وجهٍ أراه قد أرضى جمهوراً صالحاً من المنصفين ، وأسخط قلة نادرة
من الشناة الحاسدين .

وقد حال دون مبادرتي لإسماعفك ما يحول بين المرء وأمانيه الجسام ،
من حادث الدهر وعوادي أيامه . وقد كنت أخشى أن يستبدّ بك الجزع
بعد هذه الماطلة ، ولكنك صبرتَ وصبرت ، فجزيتك في نفسى خيرا ،
حتى شاء الله أن يتم هذا الكتاب — وهو كتابٌ عجَب — بعد لأيٍ
شديد ، ومصاربة طال بها الأمد .

وعسى أن تغفر لى — حفظك الله — ما زلّ به القلم ، أو أخطأ
القلب ، وهو ما لم أتعصده إن شاء الله ، فإنك بالغفران حرى ،
وبالصفح جدير .

تقديم

العثمانية :

× هم أنصار عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والمحتجون لفضله ، المناضلون عنه ، الدافعون مطاعن الخلفين فيه من الشيعة والزيدية وأضرابهم . عرفوا قديماً بهذا الاسم ، وهم فرع من « العمريّة » أصحاب عمر بن الخطاب ، كما تدل على ذلك إشارة الجاحظ في قوله : « ثم أوصى إليه عثمان بن عفان ، وهو أصل العمريّة والعثمانية » ، وكما قرن بين الطائفتين ابن النديم في أثناء أخبار الجهمي : « ووقع بينه وبين قوم من العمريين والعثمانيين شر » . وقال الجاحظ في حكاية قول العثمانية : « ولا نقول فيه إذ كنّا عثمانية وعمرية ، قولكم في عمر وعثمان » .

× وكانت العثمانية أشد الفرق الإسلامية السياسية خلافاً على عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، كما كانت الشيعة أشدّ الناس لهم عداوة .

وكان اتجاه الشيعة في طعنهم على عثمان أن يطعنوا في أسلافه : أبي بكر وعمر ، وتشدد حملتهم على أبي بكر خاصة ، لأنه أعلى الثلاثة الخلفاء الراشدين شأنًا وأظهرهم مناقب . ولهذا السبب نفسه فيما أرى اتجهت أفكار العثمانية إلى أن تعلى من شأن أبي بكر وتلمس له من المناقب ما ترى فيه انتصاراً على الشيعة وإخاماً لهم . فيقولون^(١) :

« إن أفضل هذه الأمة وأولاها بالإمامة أبو بكر بن أبي قحافة ... وكان أول ما دلهم عند أنفسهم على فضيلته وخاصة منزلته وشدة استحقاقه إسلامه على الوجه الذى لم يسلم عليه أحدٌ في عالمه وفي عصره » .

ويذهبون إلى الموازنة بين فضائله وفضائل علي :

فصحية أبي بكر للرسول في الغار أظهر فضلا من مبيت علي في الفراش^(١). وقد ظفر من النبي بقلب الصدّيق ، وهو ما لم يظفر بمثله علي^(٢). وهو كذلك قد انفرد بالرسول في العريش^(٣) ، وقدّمه النبي في الحديدية^(٤) وسائر الرسول وحده يوم فتح مكة^(٥) ، وأنزل فيه من القرآن ما لم ينزل في أحد من الصحابة^(٦). وقد نال فضلا عظيما بإمامته الناس في مرض النبي صلى الله عليه وسلم^(٧) وكان هو إماما لملي^(٨). وكان المحكم في موضع دفن الرسول^(٩). وهو الذي تدارك الأمة بحزمه بعد وفاة الرسول^(١٠).

وأما الشيعة فيجعلون إسلام علي فوق إسلام أبي بكر^(١١). وعلى كان أقره من أبي بكر^(١٢). وكان علي يتصدق وهو في الصلاة^(١٣). وفيه وفي ابنه أنزلت سورة كاملة من القرآن^(١٤). وله يقول الرسول : « أنت مني كهارون من موسى^(١٥) » . وقد كان علي مواخيا للرسول^(١٦). وقد أسر إليه بعلم ما كان وما سيكون^(١٧). ويقولون : نحن نطعن في صلاة أبي بكر بالناس^(١٨). وخلافة أبي بكر كانت بغير إجماع^(١٩). ويقولون يكفر من أنكر إمامة علي^(٢٠). ويقولون : كان بلال وعمار ابن ياسر يطعمان علي أبي بكر وعمر^(٢١). ويرمون أبا بكر وعثمان بالجبن^(٢٢). والمفاخر التي يدعيها العثمانية لأبي بكر مدحوضة كاذبة^(٢٣). وأما مطاعن العثمانية في علي فإنها واهية مردودة^(٢٤).

(٢) ص ١٢٣ ، ١٢٨ .

(٤) ص ٧٠ .

(٦) ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٥ .

(٨) ص ١٢٩ .

(١٠) ص ١٨٤ ، ١٩٩ .

(١٢) ص ٨٤ .

(١٤) ص ١١٦ .

(١٦) ص ١٦١ .

(١٨) ص ١٧٠ .

(٢٠) ص ٢٢٥ .

(٢٢) ص ٢٤٢ .

(٢٤) ص ٢٣٩ .

(١) العثمانية ٤٢ .

(٣) ص ٣٥ .

(٥) ص ٧٢ .

(٧) ص ١٣٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٩) ص ٨٣ .

(١١) ص ١٨ ، ٢٠ .

(١٣) ص ١١٩ .

(١٥) ص ١٥٣ ، ١٥٨ .

(١٧) ص ٢٤٣ .

(١٩) ص ١٧٢ .

(٢١) ص ١٨٠ ، ١٨٢ .

(٢٣) ص ٢٣٨ .

see
١٤ ٢١ ١٠

وقد جمل الجاحظ نفسه حكماً بين هذه المطاعن والمناقضات ، ولم يستطع أن
يكتّم ما في نفسه من التحامل على الشيعة ، كما لم يستطع أن يكذب على التاريخ فيسلب
عليّاً رضوان الله عليه جمهور مناقبه العالية ، بل هو يجهر بتمجيده لعلّ كرم الله
وجهه ، ويحمل شيعة على تبعة هذه المهارات ، فيقول :

« وليس أنه — أي على — لم يكن في طبعه النجدة والشهامة ، وفي غريزته
الدفع والحماية ^(١) » .

« ولم ترد بهذا الكلام تنقّص على رحمة الله ، ولا إخراج من الغناء واحتمال
المكروه ^(٢) » .

« والعجب إن كان كما تزعمون ، كيف لم يبصق على أبي موسى فيجذمه ، أو على
جيش صفين فيهزمه ؟ ! بل كان على أظهر سلباً ، وأرجح حلاً وأشدّ ورعاً ،
وأكثر فقهاً وأبين فضلاً ، من أن يدعى هذا وشبهه ^(٣) » .

ومدار الكلام في هذا كله على « الإمامة » ، فالنزاع بين الفريقين يطوّف ما يطوّف
ثم يأوى إلى هذا المعنى الديني السيامي .

وفي ذلك يقول الجاحظ ^(٤) : « ولكن كتابي هذا لم يوضع إلا في الإمامة .
ولربما ذكرت من المقالة والملة والنحلة التي تعرّض في الإمامة صدراً ، طلباً للتمام
وتعريفاً لوجوه الإمامة وما دخل فيها » .

متى ألف الجاحظ كتاب العثمانية :

نستطيع أن نجعل حدّاً لتأليف هذا الكتاب قبل سنة ٢٤٠ ، وهي السنة التي
توفي فيها أبو جعفر الإسكافي ^(٥) . فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أن
أبا جعفر الإسكافي نقض كتاب العثمانية على أبي عثمان الجاحظ (في حياته) . وذكر

(٢) ص ٤٨ .

(١) العثمانية ص ٣٠ .

(٤) ص ٢٠٦ .

(٣) ص ١٥٣ .

(٥) تاريخ بغداد ٥ : ٤١٦ وروج الذهب ٣ : ٢٥٤ وابن أبي الحديد ٤ : ١٥٩ .

أيضاً أن الجاحظ دخل سوق الوراقين ببغداد فقال : من هذا الغلام السّواديّ الذي بلغني أنه تمرّض لنقض كتابي ؟ وأبو جعفر جالسٌ ، فاختمني منه حتى لم يره .
وقد ألف كتابه هذا قبل كتاب « العباسية » ، قال في العثمانية^(١) : « وسنخبر عن مقالة العباسية ووجوه احتجاجهم بعد فراغنا من مقالة العثمانية » .
وألّفه كذلك قبل كتاب المعرفة^(٢) ، وقبل كتاب الحيوان ، فهو يقول في مقدمة الحيوان^(٣) : « وعبّتي بحكاية قول العثمانية والضرارية^(٤) » ، وأنت تسمعي أقول في أوّل كتابي : وقالت العثمانية والضرارية ، كما سمعتني أقول : قالت الرافضة والزيدية ، فحكمت عليّ بالنصب لحكايتي قول العثمانية ، فهلاًّ حكمت عليّ بالتشيع لحكايتي قول الرافضة » .

تحقيق اسم الكتاب :

إن نسخة الأصل لم يثبت على ظاهرها عنوان خاص ، ولكنها تحمل في ظاهرها خاتم مكتبة كوبرلي ورقم ٨١٥ وسمّاها المفهرسون : « جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية » اقتباساً من عبارة وردت في أواخر هذه النسخة (ص ٢٨٩ س ٦) .

والحق أن اسم هذا الكتاب هو « كتاب العثمانية » عرفه بذلك ابن أبي الحديد^(٥) .

(٢) ص ٢٦١ .

(١) ص ١٨٧ .

(٣) الحيوان ١ : ١١٠ .

(٤) هؤلاء أتباع ضرار بن عمرو صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية . وكان في أول أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلي ، ثم خالفه في خلق الأعمال ، وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازي ٦٩ والفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبي بن كعب ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل ١ : ١١٥ . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضي ، فأمر بضرب عنقه فهرب . وقيل إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه . لسان الميزان ٣ : ٢٠٣ . ومن الواضح أن حكاية قول الضرارية كان في كتاب آخر غير كتاب العثمانية .

(٥) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ / ٤ : ١٥٩ .

وعلى هذه التسمية صنع أبو جعفر الإسكافي كتابه الذى سماه « نقض
العثمانية ^(١) » .

ويقول المسمودى فى مروج الذهب ^(٢) :

« وقد صنف أيضاً كتاباً استقصى فيه الحجاج عند نفسه وأيده بالبراهين ،
وعضده بالأدلة فيما تصوّره من عقله ، ترجمه بكتاب العثمانية ، يحل (؟) فيه عند
نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ، ويحتجّ فيه لغيره ، طلباً لإماتة الحق ،
ومضادةً لأهله . والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

ثم يقول : « ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى أعقبه
بتصنيف كتاب آخر فى إمامة الروانبة وأقوال شيعتهم ؛ ورأيتُه مترجماً بكتاب
إمامة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان فى الانتصار له من على بن أبى طالب رضى
عنه وشيعة الرافضة ، يذكر فيه رجال الروانبة ، ويؤيد فيه إمامة بنى أمية وغيرهم » .
ويقول بعد ذلك : « ثم صنف كتاباً آخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية ، يذكر
فيه ما فاتته ذكره ونقضه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه
فما ذكرنا » .

والراجح أن كلمة « العثمانية » فى النص الأخير محرفة عن « العباسية » ؛ وذلك
لأن « مسائل العباسية » هو الكتاب الذى وعد به الجاحظ فى أثناء كتاب
العثمانية وفى ختامه .

يقول فى الموضع الأول ^(٣) : « وسنخبر عن مقالة العباسية ووجوه احتجاجهم
بعد فراغنا من مقالة العثمانية » .

وفى الموضع الثانى ^(٤) : « ونحن مبتدئون فى كتاب المسائل » يعنى بذلك
« مسائل العباسية » .

(١) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ (التى وردت خطأ مطبعياً بعد ص ٢٥٦) .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٥٣ .

(٣) ص ٢٨٠ .

(٤) ص ١٨٧ .

قدر الكتاب :

لو لم يكن من قدر هذا الكتاب إلا أنك تقرأ من قلم الجاحظ ثمانين صفحة ومائتين لكفى ذلك فضلاً له ، فإن ما كتبه الجاحظ في كتابيه « الحيوان » و « البيان والتبيين » يعدُّ بالنسبة إلى النصوص والنقول التي حشدها في ذينك الكتابين شيئاً ليس بالغالب . وأما العثمانية فهي صوغٌ كريم للجاحظ ، ومتاعٌ لدارس المسائل الدينية ، والقضايا التاريخية والسياسية التي نجمت في فجر الإسلام وأوائل الدول الإسلامية . وهو كذلك معرض كبير للجدال والحجاج الفكري في عصر من أزهى العصور الإسلامية الأولى .

نقض العثمانية :

ظهر كتاب العثمانية في زمان كثر فيه الجدل والنزاع حول المصيبة الدينية والسياسية ، وكان المعتزلة في أوج قوتهم ونشاطهم . ويبدو كذلك أن الحرية الفكرية لم تكن تلقى من القيود ما يكفكف من غريها . فالجاحظ نفسه يقول في العثمانية^(١) معبراً عن زوال التقية وانطلاق الفكر بقوله :

« ولو لم أكن على ثقة من ظهور الحق على الباطل لم استحل كتابه مع زوال التقية ، وصلاح الدهر ، وإنصاف القيم » .

لذلك وجدنا العثمانية تلقى من ينقضها في حياة الجاحظ . ومن العجب أن الذي ينقض العثمانية وهو شيخ من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم ، وأهل الزهد والديانة منهم ، ممن يذهب إلى تفضيل على عليه السلام ، وإلى القول بإمامة المفضول كما يقول المسعودي^(٢) ، وذلك الناقض هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي .

وقد عدّه قاضي القضاة^(٣) في الطبقة السابعة من المعتزلة ، مع عباد بن سليمان الصيمري ،

(١) العثمانية ص ١٥٤ .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٣) هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الاسترأبادي . كان شيخ المعتزلة في عصره ، وهم يلقبونه قاضي القضاة ، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره . ومات بالري سنة ٤١٥ . تاريخ بغداد ١١ : ١١٣ والرسالة المستطرفة ١٢٠ .

وزرقان ، وعيسى بن الهيثم . كما جعل أول هذه الطبقة ثمانية بن أمّرس ، ثم أباه عثمان الجاحظ ، ثم أباه موسى عيسى بن صبيح المردار ، ثم أباه عمران يونس ابن عمران ، ثم محمد بن إسماعيل العسكري ، ثم عبد الكريم بن روح العسكري ، ثم يوسف بن عبد الله الشحام ، ثم أباه الحسين الصالحى ، ثم صالح قبة ، ثم الجعفران : جعفر بن جرير ، وجعفر بن ميسر ، ثم أباه عمران بن النقاش ، ثم أباه سميد أحمد ابن سميد الأسدي ، ثم عباد بن سليمان ، ثم أباه جعفر الإسكافي هذا .

وقال : كان أبو جعفر فاضلاً عالماً ، وصنف (سبعين كتاباً) فى علم الكلام . وهو الذى نقض كتاب العثمانية على أبى عثمان الجاحظ (فى حياته) . ودخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال : من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنه تعرض لنقض كتابى ؟ ! وأبو جعفر جالس ، فاخفى منه حتى لم يره .

وكان أبو جعفر يقول (بالفضل) على قاعدة معتزلة ببغداد ويبالغ فى ذلك . وكان علوى الراى محققاً منصفاً قليل العصبية^(١) .

ولتوضيح هذا النص الأخير نورد ما ذكره ابن أبى الحديد فى صدر كلامه فى شرح نهج البلاغة ، إذ يقول^(٢) .

« القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعتزلة فى الإمامة ، والفضل ، والبقاء ، والحوارج :

اتفق شيوخنا كافة — رحمهم الله — المتقدمون منهم والمتأخرون ، والبصريون والبغداديون ، على أنبيعة أبى بكر الصديق صحيحة شرعية ، وأنها لم تكن عن نص ، وإنما كانت بالاختيار ، الذى ثبت بالإجماع وبغير الإجماع كونه طريقاً إلى الإمامة . واختلفوا فى (الفضل) ، فقال قدماء البصريين كأبى عثمان عمرو بن عبّيد ، وأبى إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، وأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وأبى مّمن

(١) ابن أبى الحديد ٤ : ١٥٩ .

(٢) ابن أبى الحديد ١ : ٣ .

ثمامة بن أنرس ، وأبي محمد هشام بن عمرو الفوطي ، وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وجماعة غيرهم ، أن أبا بكر أفضل من علي عليه السلام ، وهؤلاء يجعلون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة .

وقال البغداديون قاطبةً قدماؤهم ومتأخروهم كأبي سهل بشر بن المعتمر ، وأبي موسى عيسى بن صبيح ، وأبي عبد الله جعفر بن مبشر ، وأبي جعفر الإسكافي ، وأبي الحسين الخياط ، وأبي القاسم عبد الله بن محمود الباهلي وتلامذته ، أن علياً عليه السلام أفضل من أبي بكر . وإلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي أخيراً . وكان من قبل من المتوقفين ، كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به ، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته . وقال في كثير من تصانيفه : إن صح خبر الطائر ^(١) فعلي أفضل .

ثم إن قاضي القضاة رضي الله عنه ذكر في شرح المقالات لأبي القاسم البلخي أن أبا علي ^(٢) رضي الله عنه ، يوم مات ، استدنى ابنه هاشم إليه ، وكان قد ضعف عن رفع الصوت ، فألقى إليه أشياء ، من جملتها القول بتفضيل علي عليه السلام . ومن ذهب من البصريين إلى تفضيله عليه السلام الشيخ أبو عبد الله الحسين ابن علي البصري رضي الله عنه ، كان متحققاً بتفضيله ، ومبالغاً في ذلك ، وصنف فيه كتاباً مفرداً .

ومن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رضي الله عنه . ذكر ابن متويه عنه ، في كتاب الكفاية في علم الكلام ، أنه كان من المتوقفين بين علي عليه السلام وأبي بكر ، ثم قطع على تفضيل علي عليه السلام ، بكامل المنزلة .

ومن البصريين الذاهبين إلى تفضيله عليه السلام أبو محمد الحسن بن متويه صاحب

(١) انظر العثمانية ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(٢) يعني أبا علي محمد بن الوهاب الجبائي .

التذكرة ، نصّ في كتاب الكفاية على تفضيله عليه السلام على أبي بكر ، واحتجّ لذلك وأطال في الاحتجاج .

فهذان المذهبان كما عرفت . وذهب كثير من الشيوخ رحمهم الله إلى التوقف فيهما ، وهو قول أبي حنيفة واصل بن عطاء ، وأبي الهذيل محمد بن الهذيل الملاف من المتقدمين . وهما وإن ذهبا إلى الوقف بينه عليه السلام وبين أبي بكر وعمر ، قاطعان على تفضيله على عثمان .

ومن الذاهبين إلى الوقف الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي رحمهما الله ، والشيخ أبو الحسن محمد بن علي بن الطيب البصري رضى الله عنه .

وأما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله عليه السلام . وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل ؟ وهل المراد به الأكثر ثواباً أم الأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة ؟ وبيننا أنه عليه السلام أفضل ، على التفسيرين معاً » .

فهذه الوثيقة النادرة تبين لنا مدى العلاقة بين التشيع والاعتزال ، وتعلّل لنا بعض الدوافع التي حثت بالجاحظ أن يصنع كتاب العثمانية .

وكتب « نقض العثمانية » من الكتب التي انقرضت ، ولم يبق منه إلا نصوص متناثرة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد^(١) ، الذي طبع للمرة الأولى في طهران سنة ١٢٧٠ ثم في مصر سنة ١٢٩٠ ، ١٣٢٩ .

وقد أفرد الأستاذ حسن السندوني هذه النصوص في كتابه « رسائل الجاحظ » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٥٢ وجاء بها على ترتيبها الذي وجدت عليه في شرح نهج البلاغة ، بعد أن أفرد نصوص العثمانية التي نقضها أبو جعفر الإسكافي على ترتيبها في ذلك الشرح .

(١) هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي ، الفقيه الشاعر . ولد سنة ٥٧٦ وتوفي سنة ٦٥٥ . فوات الوفيات .

وذلك أن ابن أبي الحديد يسوق النص من العثمانية ثم يعقب عليه بمناقضة أبي عثمان نصاً بنص . ولكن الأستاذ السندوبى أفرد الأولى جميعها ، ثم أفرد الأخرى جميعها كذلك .

وقد وجدت أن النصوص التي أوردها ابن أبي الحديد من العثمانية تدور حول مواضع لا تتجاوز اثنتين وستين صفحة من صدر العثمانية فحسب^(١) ، ووجدت أن التعقيب عليها في أسفل الصفحات بمناقضات أبي جعفر يُخل بالوضع الذي يجب أن يخرج عليه الكتاب ، فوضعتُ إشارات بالنجوم في الأصل وأشرت في الحواشي إلى أرقام المناقضات التي تقابلها والتي أفردتها وحدها بعد نهاية نص العثمانية . ولم أشأ أن أعتمد على النسخة المطبوعة المتداولة من شرح ابن أبي الحديد ، وهي طبعة سنة ١٣٢٩ فرجعت إلى المخطوطة الكاملة المودعة برقم ٥٧٦ أدب ، وقابلت نصّها بنصّ النسخة المطبوعة ، التي أشرت إليها بالرمز « ط » .

وقد لحظت أن النصوص التي يوردها ابن أبي الحديد من العثمانية لا تطابق الأصل مطابقةً تامة ، بل يتصرّف فيها بالاختصار^(٢) ، مع أن ابن أبي الحديد

(١) علل ذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ بما يلي :
« وينبغي أن يذكر في هذا الموضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو عثمان الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب العثمانية في تفضيل إسلام أبي بكر على إسلام علي عليه السلام ، لأن هذا الموضع يقتضيه ، لقوله عليه السلام حكاية عن قريش لما صدق رسول الله صلى الله عليه وآله : وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا ! لأنهم استصغروا سنه فاستحققوا أمر محمد صلى الله عليه وآله ، حيث لم يصدق في دعواه إلا غلام صغير السن . وشبهة العثمانية التي قررها الجاحظ من هذه الشبهة نشأت ، ومن هذه الكلمة تفرعت ، لأن خلاصتها أن أبا بكر أسلم وهو ابن أربعين سنة ، وعلى أسلم ولم يبلغ الحلم ، فكان إسلام أبي بكر أفضل . ثم نذكر ما اعترض به شيخنا أبو جعفر الإسكافي على الجاحظ في كتابه المعروف بنقض العثمانية . وينشعب الكلام بينهما حتى يخرج عن البحث في الإسلاميين إلى البحث في أفضلية الرجلين وخصائصهما فإن ذلك لا يخلو عن فائدة جلية ، ونسكتة لطيفة ، لا يلبق أن يخلو كتابنا هذا عنهما ، ولأن كلامهما بالرسائل والخطابة أشبه ، وفي الكتابة أقصد وأدخل . وكتابنا هذا موضوع لذكر ذلك وأمثاله » .

(٢) بلغ أن أوجزت صفتان منه في نحو ثلاثة أسطر . قابل بين ص ٢٧ — ٣ س ٦ وأصل المناقضة رثم ٦ في ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٧ .

نفسه ينمى على الذين يصنعون ذلك فى اقتباس النصوص . قال يعيب المرتضى فى ذلك (١) :

« المرتضى رحمه الله لا يورد كلام قاضى القضاة بنصه ، وإنما يختصره ويورده مبتوراً ، ويومئ إلى المعانى إيماء لطيفاً ، وغرضه الإيجاز . ولو أورد كلام قاضى القضاة بنصه لكان أليق ، وكان أبعد عن الظنة ، وأدفع لقول قائل من خصومه : إنه يحرف كلام قاضى القضاة ويذكره على غير وجهه . ألا ترى أن من نصب نفسه لاختصار كلام فقد ضمن على نفسه أنه قد فهم معانى ذلك الكلام حتى يصح منه اختصاره ، ومن الجأز أن يظن أنه قد فهم بعض المواضع ولم يكن قد فهمه على الحقيقة ، فيختصر ما فى نفسه لا ما فى تصنيف ذلك الشخص . وأما من يورد كلام الناس بنصه فقد استراح من هذه التبعة ، وعرض عقله غيره وعقل نفسه على الناظرين والسامعين » .

لكن الذى يهون من هذا الأمر أن ابن أبى الحديد نفسه يذكر فى صراحة أنه إنما يسوق ملخصاً لكلام الجاحظ ، قال (٢) : « وينبغى أن يذكر فى هذا الموضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو عثمان الجاحظ فى كتابه المعروف بكتاب العثمانية » . ولهذا السبب لم أر داعياً لذكر النص الذى نقله ابن أبى الحديد من العثمانية ، وإنما استعنت به فى تحقيق نص الكتاب ، ورمزت له بالرمز « ح » .

ومما هو جدير بالذكر أن تلك المناقضات قد وردت عند ابن أبى الحديد غير مرتبة وغير مسارة لمجرى الكتاب ، فترتيبها هناك على هذا النسق : المناقضات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٨ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(١) شرح نهج البلاغة ٤ : ١٧٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ التى وقعت خطأ بعد ص ٢٥٦ .

لكني غيرت هنا نسقها الذي وردت عليه لتساير نصوص العثمانية على ترتيبها المطرد .

أصول كتاب العثمانية :

لم يكن هذا الكتاب معروفاً ، عُرف معرفةً تاريخيةً لحسب ، ولم تنشر المطبعة إلا الفصول التي أوردها ابن أبي الحديد ، وما إن علمت بأن معهد المخطوطات للجامعة العربية قد اجتلب صورة منه ، حتى بادرت إلى طلب صورة منها ، تمهيداً لنشره في « مكتبة الجاحظ » التي بدأت العمل في تحقيقها سنة ١٣٥٧ .

وأصل هذه النسخة مودع في مكتبة كوبريلي بتركيا برقم ٨١٥ . وهي نسخة مجهولة التاريخ توشك أن تكون من مخطوطات القرن السادس الهجري . ومع جودة خطها هي كثيرة التحريف ، ومع هذا التحريف نجد منهج كتابتها خاضعا لمنهج الأقدمين من وضع علامات لاهمال الحروف مثل (٧) أو تقييدها وضبطها مثل (ح) و (ع) . وكثيراً ما يترك الناسخ إعجام بعض الحروف مثل (ري) و (بدا) ثقة بذعن القارئ أو مطاوعة لأصل نسخته .

وهذه النسخة هي التي عبرت عنها في الحواشي بكلمة (الأصل) .

أما النسخة الثانية فهي مقتطفات من « العثمانية » وردت في مجموعة عناونها « مختارات فصول الجاحظ » من اختيار عبید الله بن حسان . كتبت هذه النسخة سنة ١٢٩٤ باسم خزانة مسيو كريم النمساوي .

وأصل هذه المجموعة محفوظ في مكتبة المتحف البريطاني برقم ١١٢٩ ، وصورتها مودعة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٦٩ . ويبدأ الاختيار فيها من العثمانية في الورقة ١٦١ .

وهذه الفصول المختارة من العثمانية لم ترد في المختارات المطبوعة في مصر بهامش كامل المبرد .

وقد تضمنت هذه الفصول أربعة اختيارات .
الأول يبدأ من أول العثمانية وينتهي إلى س ٤ من ص ١٨ .
والثاني من س ١٦ ص ٣٥ إلى س ٧ من ص ٣٧ .
والثالث من س ١٢ ص ٣٩ إلى س ٣ من ص ٤١ .
والرابع من س ٨ ص ٢٥٠ إلى س ٩ من ص ٢٥٧ .
وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ب) .
وعلى هاتين النسختين اعتمدت في تحقيق نص الكتاب مستعينا بشقي المراجع ،
ولا سيما التاريخية والأدبية .
وأرجو أن أكون بهذا الجهد قد قاربت الصواب ، ودانيت الحق
ولله الحمد على ما أنعم بـ

عبد السلام هارون

مصر الجديدة في ٢٠ رمضان ١٣٧٤

مراجع التحقيق

- أسماء جبال تهامة ، لمرام بن الأصبغ ، تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٣٧٣ .
الإصابة ، في أسماء الصحابة ، لابن حجر . طبع السعادة ١٣٢٣ .
إمتاع الأسماع ، للمقرئ . تحقيق محمود شاكر . لجنة التأليف ١٣٦٠ .
الإنباء على قبائل الرواة ، لابن عبد البر . السعادة ١٣٥٠ .
أنساب الأشراف للبلاذري . بيت المقدس ١٩٣٦ م .
البيان والنبين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٦٩ .
تاريخ الإسلام ، للذهبي . طبع القدسي ١٣٦٧ .
تاريخ الأمم والملوك ، للطبري . الحسينية ١٣٢٦ .
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . القاهرة ١٣٤٩ .
تحقيق النصوص ونشرها ، لعبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٤ .
تفسير أبي حيان . السعادة ١٣٢٨ .
تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٢٥ .
جمهرة أشعار العرب ، للقرشي . بولاق ١٣٠٨ .
جمهرة الأنساب ، لابن حزم . تحقيق بروفسال . طبع دار المعارف ١٣٦٨ .
الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٤ .
دائرة المعارف الإسلامية . النسخة العربية من سنة ١٣٥٢ .
ديوان حسان . الرحمانية ١٣٤٧ .
« المجاج . ليبسك ١٩٠٢ م .
« أبي محجن الثقفي . الأزهار بالقاهرة .
الروض الأنف ، للسهيلى . الجمالية ١٣٢٢ .
الرياض النضرة ، للمحب الطبري . الحسينية ١٣٢٧ .
زهر الآداب ، للحصري . الرحمانية ١٩٢٥ .
سيرة ابن هشام . جونجن ١٨٥٩ .
شرح الحماسة للمرزوقي . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٣ .

- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد . الحلبي ١٣٢٩ .
 صفة الصفوة ، لابن الجوزي . حيدر آباد ١٣٥٦ .
 الطبقات الكبير ، لابن سعد . ليدن ١٣٢٣ .
 العقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٧٠ .
 العمدة ، لابن رشيق . هندية ١٣٤٤ .
 عيون الأثر ، لابن سيد الناس . القدس ١٣٥٦ .
 فتح الباري ، لابن حجر . بولاق ١٣٠١ .
 فصل الخطاب ، للطبرسي . طبع إيران .
 الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية .
 فوات الوفيات ، لابن شاكر . بولاق ١٣٨٢ .
 الكامل ، لابن الأثير . محمد منير ١٣٤٨ .
 الكامل ، المبرد . ليبسك ١٨٦٤ م .
 لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٣٠ .
 مروج الذهب ، للمسعودي . السعادة ١٣٦٧ .
 المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣ .
 معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣ .
 المعجم الفارسي الإنجليزي ، لاستينجاس . لندن ١٩٣٠ م .
 المعمرين ، للسجستاني . السعادة ١٣٢٣ .
 مغازي الواقدي . السعادة ١٣٦٧ .
 مقاتل الطالبين ، لأبي الفرج الأصبهاني . تحقيق السيد صقر . الحلبي ١٣٦٨ .
 الملل والنحل للشهرستاني . الأدبية ١٣١٧ .
 الميسر والأزلام ، لعبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢ .
 نسب قریش ، للمصعب الزيري . دار المعارف ١٣٧٢ .
 وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠ .
 وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٥ .

العثمانية

المذهب [جانباً^(١)] ، ونَضْرِبُ عنه صفحاً ، اقتداراً على الحجّة ، وثقةً
بالفَلَجِ والقوّة ، ونقتصرُ على أدنى منازل أبي بكر ، ونزل على حكم الخصم
مع سرفهٍ ومِيطه^(٢) فنقول :

لما وجدنا مَنْ يزعم أن خبّاباً وزيداً أسلما قبله فأوسطُ الأمور وأعدلها
وأقربها من محبة الجميع ورضا المجادل^(٣) أن نجعل إسلامهم كان معاً ؛ إذ ادَّعوا
أن الأخبار في ذلك متكافئة ، والآثار متدافعة ، [وليس في الأشعار دلالة ،
ولا في الأمثال حُجّة^(٤)] ، ولم يجدوا إحدى القضيتين أولى في حجة
العقل من الأخرى^(٥) .

(١) التكملة من ح .

(٢) كلمة « سرفه » غير واضحة في الأصل ، وتبينها من ب . والميط : الكذب . ١٠

(٣) ب ، ح : « المخالف » .

(٤) التكملة من ب .

(٥) بعد هذا الكلام في شرح ابن الحديد : « ثم نستدل على إمامة أبي بكر بما ورد فيه
من الحديث ، وبما أبانه به الرسول صلى الله عليه وسلم من غيره .

قالوا : فما روى من تقدم إسلامه ما حدث به أبو داود وابن مهدي عن شعبة ، وابن
عينة عن الجريري عن أبي هريرة ، قال أبو بكر : أنا أحقكم بهذا الأمر — يعني الخلافة —
أأست أول من صلى . ١٥

وروى عباد بن صهيب عن يحيى بن عمير عن محمد بن المنكدر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وآله قال : إن الله بعثنى بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة . فقالوا : كذبت ،
وقال أبو بكر : صدقت . ٢٠

وروى يعلى بن عبيد قال : جاء رجل إلى ابن عباس فسأله : من كان أول الناس لإسلاما ؟
قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
الثاني التالى الحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا
وقال أبو محجن :

سبقت إلى الإسلام والله شاهد وكنت حبيباً بالعريش مشهرا =

فصل (١) : وقالوا : فإن قال قائل : فما بالسكم لم تذكروا علياً في هذه الطبقة وقد تعلمون كثرة مقدميه والرواية فيه ؟

قلنا : لأننا قد علمنا بالوجه الصحيح ؛ والشهادة القائمة أنه أسلم وهو حدث ✓
 غرير ، و غلام صغير ، فلم نكذب الناقلين ، ولم نستطع أن ننزل (٢) أن ✓
 إسلامه كان لاحقاً بإسلام البالغين ؛ لأن المقلل زعم أنه أسلم وهو ابن ٥ ✓
 خمس سنين ، والمكثر زعم أنه أسلم وهو ابن تسع سنين ، والقياس أن ✓
 يؤخذ بأوسط الروايتين ، وبالأمر بين الأمرين ، وإنما تعرف [حق (٣)] ✓

= وقال كعب بن مالك :

سبقت أبا تيم إلى دين أحمد وكنت لدى الفيران في الكهف صاحبا
 وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن إدريس ووكيع عن شعبة عن عمرو بن مرة قال : ١٠
 قال النخعي : أبو بكر أول من أسلم .

وروى هيثم عن يعلى بن عطاء عن عمرو بن عنبسة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو بعكاظ فقلت : من يابحك على هذا الأمر ؟ فقال : يابعن حر وعبد ! فلقد رأيتني يومئذ
 وأنا رابع الإسلام .

قال بعض أصحاب الحديث : يعني بالحر أبا بكر ، وبالعبد بلالا .
 وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال : حدثني
 عمرو بن عنبسة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعكاظ فقال له : من تبعك ؟ قال :
 تبعني حر وعبد : أبو بكر وبلال .

وروى عمرو بن إبراهيم الهاشمي عن عبد الملك بن عمير عن أسيد بن صفوان صاحب النبي
 صلى الله عليه وسلم قال : لما قبض أبو بكر جاء علي بن أبي طالب فقال : رحمك الله أبا بكر ،
 كنت أول الناس إسلاما . ٢٠

وروى عباد عن الحسن بن دينار عن بشر بن أبي زينب عن عكرمة مولى ابن عباس قال :
 إذا لقيت الهاشميين قالوا علي بن أبي طالب أول من أسلم ، وإذا لقيت الذين يعلمون قالوا :
 أبو بكر أول من أسلم .

(١) هذه الكلمة لا وجود لها في ب ولا في ح ، ولسكننا آثرنا إثباتها حرصاً على أداء
 النسخة ، مع ميلنا إلى الاعتقاد بأنها ليست من صنع الجاحظ .

(٢) ب : « أن نزع » .

(٣) هذه من ب .

ذلك من باطله بأن تُحصى سِنِيهِ التي ولى فيها ، وسِنِي عُثْمَانَ ، وسِنِي عمر
وسنِي أَبِي بكر ، وسنِي الهجرة ، ومُقامِ النبي صلى الله عليه بِمَكَّةَ بعد أن دعا
إلى الله وإلى رسالته إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم تنظرَ في أقاويل الناس
في عُمره ، وفي قول المُكَلَّل والمَكْثَر ، فتأخذ أوسطها وهو أعدُّها ، وتطرح
٥ قول المُقَصِّر والغالى ، ثم تطرح ما حصل في يديك من أوسط ما رُوى من
عُمره [و] سِنِيهِ ، وسِنِي عُثْمَانَ وسنِي عمر وسنِي أَبِي بكر ، والهجرة ومُقامِ
النبي صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ إلى وقت إسلامه ، فإذا فعلتَ ذلك وجدتَ
الأمر على ما قلنا وعلى ما فسرنا .

وهذه التَّاريخات والأعمار معروفةٌ لا يستطيع أحدٌ جهلها والخلاف
١٠ عليها ؛ لأنَّ الذين نقلوا التاريخ لم يعتمدوا^(١) تفصيل بعض على بعض ،
وليس يمكن ذلك مع اختلاف عللهم وأسبابهم ، فإذا ثبت عندك بالذى
أوضحنا وشرحنا أنه كان يومئذ ابن سبع سنين أقلَّ بسنة أو أكثر
بسنة ، علمت بذلك أنه لو كان أيضاً ابن أكثر من ذلك بسنتين وثلاث
وأربع لا يكون إسلامه إسلام المكلف العارف بفضيلة ما دخل فيه ، ونقصان
١٥ ما خرج منه .

٥ — والتاريخُ المجمع عليه أنَّ علياً قُتِلَ سنة أربعين في شهر رمضان* .
وقالوا :^(*) فإن قالوا فلملَّه وهو ابن سبع سنين وثمان^(٢) سنين قد بلغ من
فِطنته وذكائه وصحَّة لُبِّه وصدق حسِّه وانكشاف العواقب له وإن لم يكن

(١) هذا ما في ب . وفي الأصل : « إن الذين نقلوا التاريخ لم يعتمدوا » .

٢٠ (*) الكلام من مبدأ الكتاب إلى هنا موضع مناقضة للاسكافي . انظر الرد رقم (١)
في ملحقات الكتاب .

(٢) ح : « أو ثمان » .

جَرَّبَ الأمور ، ولا فَنَحَ الرَّجَال ، ولا نازع الخصوم ، ما يعرف جميع ما يجب على البالغ معرفته والإقرار به .

قلنا : إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ على ظاهر الأحكام وما شاهدنا عليه طباع الأطفال .
 وَجَدْنَا حكم ابن سبع سنين ، وثمان سنين وتسع سنين ، حيث قرأناه^(١) وبلغنا خبره — ما لم يُعَلِّم مغيب أمره ، وخاصة طباعه — حُكْمُ الأطفال ،
 وليس لنا أن نُزِيلَ^(٢) ظاهر حكمه والذي نعرف من شكله^(٣) بلعلَّ وعسى ؛ لأننا كنا لا ندرى لعلَّه قد كان ذا فضيلة في الفطنة ، فلعله أن يكون ذا نقص فيها . أجب منهم بهذا الجواب من يجوز أن يكون على في المغيب قد أسلم إسلام البالغ المختار ، غير أن الحكم فيه عنده على تجري أمثاله وأشكاله الذين إذا أساموا وهم في مثل سنه كان إسلامهم ١٠ على تربية الحاضن ، وتلقين القيم ، ورياضة السائس .

فصل^(٤) : فَأَمَّا علماء (العثمانية) ومتكلموهم ، وأهل القَدَم والرياسة منهم ، فإنهم قالوا : إنَّ عليًّا لو كان وهو ابنُ ستِّ سنين وسبع سنين ، وثمان سنين وتسع سنين ، يعرف فصل ما بين الأنبياء والكهنة ، وفرق ما بين الرسل والسحرة وفرق ما بين خبر المنجم^(٥) والنبي ، وحتى يعرف الحجة من الحيلة^(٦) ، وقهر ١٥

(١) ب : « رأيناه » .

(٢) في الأصل : « أن نتكلم نزيل » ، وكلمة « نتكلم » مقحمة ، كما يفهم من ب ، ح .

(٣) ح : « والذي نعرف من حال أبناء جنسه » .

(٤) كلمة « فصل » ليست في ب ، كما سبق التنبيه .

(٥) في الأصل : « المنجمين » ووجهه من ب ، ح .

(٦) في الأصل : « من أجله » ، صوابه في ب .

الغلبة من قهر المعرفة ، ويعرف كيد المريب وبُعد غور التنبي ، وكيف
يلبس على العقلاء ، ويستميل عقول الدهماء^(١) ، ويعرف الممكن في الطبائع
من الممتنع فيها ، وما يحدث بالاتفاق وما يحدث^(٢) بالأسباب ، ويعرف
أقدار القوى في مبلغ الحيلة ومُنتهى البطش ، وما لا يحتمل إحداثه إلا
الخالق ، وما يجوز على الله ممّا لا يجوز في توحيدهِ وعدله ، وكيف التحفظ
من الهوى ، وكيف الاحتراس من تقدّم الخادع في الحيلة — كان كونه
بهذه الحال وعلى هذه الصّفة مع فرط الصّبا والحدّاءة ، وقِلّة التجارب
والممارسة ، خروجاً من نشوء العادة ، والمعروفِ مما عليه تركيبُ الأمة^(٣) .
ولو كان على هذه الصّفة ومعه هذه الخاصيّة ، كان حجةً على العامّة ،
وآية تدلّ على المباينة . ولم يكن الله ليخصّه بمثل هذه الآية وبمثل هذه
الأعجوبة إلاّ وهو يريد أن يحتجّ بها له ، ويخبر بها عنه ، ويجعلها
قاطعةً لعذر الشّاهد ، وحجةً على الغائب ، ولا يضيعها هدرًا ، ولا
يكتمها^(٤) باطلاً .

ولو أراد الاحتجاج بها شهر أمرها وكشف قناعها ، وحمل النفوس
على معرفتها ، وسخر الألسنة لنقلها ، والأسماع لإدراكها ، لثلاً يكون
لغواً ساقطاً ، ونسياً منسياً ، لأنّ الله لا يبتدع أعجوبةً ولا يخترع آيةً
ولا ينقض العادة إلاّ للتعريف والإعذار ، والمصلحة والاستنبصار^(٥) . ولولا

(١) دهماء الناس : جماعتهم وكثرتهم . وفي الأصل : « الدهم » ، صوابه في ب ، ح .

(٢) ب ، ح : « مما يحدث » .

(٣) هذا ما في ب ، ح . وفي الأصل : « تركبت الأمة » .

(٤) ب : « ولا يكتمها » .

(٥) هذا ما في ب ، وهو الأشبه بلغة الجاحظ . وفي الأصل : « الاستنفاذ » .

ذلك لم يكن لفعليها معنى ، ولا لرسالته حجة^(١) . والله يتعالى^(٢) أن يترك
الأمور سُدى ، والتدبير نَشراً . ولا يصلُّ أحد إلى معرفة صدق نبيِّ
وكذب متنبئٍ حتَّى تجتمع له هذه المعارف التي ذكرنا ، وهذه الأسباب
التي فصلنا .

ولولا أن الله سبحانه خبرَ عن يحيى بن زكريا أنه^(٣) آتاه الحكم
صبياً ، وأنه أنطقَ عيسى في المهدي رضيعاً ، ما كانا في الحكم ولا في الغيب
إلا كسائر الرُّسل ، وما عليه طبع البشر^(٤) .

فإذ^(٥) لم ينطقْ لعلِّي بذلك قرآن ، ولا جاء الخبرُ به مجيءَ الحجة
القاطعة ، والشهادة الصادقة ، فالمعلومُ عندنا في الحكم وفي الغيب جميعاً
أنَّ طباعه كطباع عمِّه حمزة والعباس^(٥) وهما أَمَسُّ بمعدنِ جماعِ الخير
منه ، وكطباع جعفرٍ وعقيلٍ أخويه ، وكطباع أبويه ورجال عصره
وسادة رهنه . ولو أنَّ إنساناً ادَّعى مثل ذلك لأخيه جعفرٍ أو لعمه
حمزة أو لعمه العباس — وهو حلِيمٌ قريش — ما كان عندنا في أمره
إلا مثلُ ما عندنا فيه^(*) .

فصل (٦) : (* ولو لم تعرف الروافضُ ومن ذهب مذهبها في هذا باطل ١٥

(١) ب : « تبارك اسمه وتعالى » .

(٢) في الأصل : « إذ » صوابه في ب ، ح .

(٣) وما عليه طبع البشر ، ساقط من ب . وفي ح : « وما عليه جميع البشر » .

(٤) في الأصل ، ح : « فإذا » ، ووجهه من ب .

(٥) كذا في ح ، ب . وفي الأصل : « طباع حمزة والعباس عميه » .

(*) السلام من « فإن قالوا » ص ٦ س ١٧ إلى هنا موضع رد للاستكافي . انظر
رقم (٢) من نصوصه الملحقه بالكتاب .

(٦) ليست في ب .

هذه الدعوى ، وفساد هذا المعنى إذا صدقت أنفسها ولم تقلد رجالها ، وتحفظت من الهوى وآثرت التقوى ، [إلا بترك^(١)] على ذكر ذلك لنفسه والاحتجاج به على خصمه وأهل دهره ، منذ نازع الرجال ، وخاصم^(٢) الأكفاء ، وجامع أهل الشورى وولى وولى عليه ، والناس بين معانيد يحتاج إلى التقرير ، ومراد^(٣) يحتاج إلى الإرشاد ، وولى يحتاج إلى المائدة ، وغفل يحتاج إلى أن يُكثر له من الحجة ، ويتابع له بين الأمارات والدلالات^(٤) مع حاجة القرن الثانى إلى معرفة الحق ومعدن الأمر ، لأن الحجة إذا لم تصح لعل في نفسه ، ولم يقو على أهل دهره ، فهى عن ولده أعجز ، وعنهم أضعف .

ثم لم ينقل ناقل واحد أن علياً احتج بذلك فى موقف ، ولا ذكره فى مجلس ، ولا قام به خطيباً ، ولا أدلى به واثقاً ، ولا همس به إلى موافق ، ولا احتج به على مخالف .

فصل^(٥) : وقد ذكر فضائله وفخر بقرابته وسابقته ، وكأثر بحاسنه ومواقفه ، منذ جامع الشورى وناضلهم ، إلى أن ابتلى بمساورة معاوية له ، وطعمه فيه ، وجلس أكثر أصحاب رسول الله عن عونه ، والشدة على عضده ، كما قال عامر الشعبي : لقد وقعت الفتنة وبالمدينة عشرون ألفاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما خف فيها منهم

(١) التكملة من ب .

(٢) هذا ما فى ب . وفى الأصل : « وخاير » .

(٣) ب : « ومرتاد » .

(٤) هذا ما فى ب . وفى الأصل : « والدلالة » .

(٥) هذه الكلمة ليست فى ب .

عشرون . ومن زعم أنه شهد الجمل ممن شهد بدرًا أكثر من أربعة فقد كذب . كان عليٌّ وعمّار في شقٍّ ، وطلحة والزبير في شقٍّ .

وكيف يجوز عليه ترك الاحتجاج على المخالف وتشجيع الموارف وقد نصب نفسه للخاصة والعامة ، وللخاذل والمعادى ^(١) ، ومن لا يحل ^(٢) له في دينه ترك الإعذار إليهم ، إذ كان يرى أن قتالهم كان واجبًا ، وقد نصبه ^٥ الرسول مفزعًا ومعلمًا ، ونصّ عليه قائمًا ، وجعله للناس إمامًا ، وأوجب طاعته ، وجعله حجة في الناس يقوم مقامه .

فصل ^(٣) : وأعجب من ذلك أنه لم يدّع هذا له أحد في دهره كما لم يدّع لنفسه ، مع عظيم ما قالوا فيه في عسكره وبعد وفاته ، حتّى يقول إنسان واحد إن الدليل على إمامته أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه ^{١٠} إلى الإسلام ، فكلف التصديق ^(٤) قبل بلوغه وإدراكه ، ليكون ذلك آية له في عصره ، وحجة له ولولده على من بعده . وقد كان عليٌّ أعلم بالأمور من أن يدّع ذكرًا أكبر حججه والذي بان به من شككه ، ويذكر أصغر حججه والذي يشاركه فيه غيره ، وقد كان في عسكره من لا يألوا في الإفراط ، ومن يحسب أن الإفراط زيادة في القدر . ^{١٥}

والعجب له ، إن كان الأمر كما ذكرتم ، كيف لم يقف يوم الجمل ويوم صفين أو يوم النهي في موقف يكون من عدوّه بمرأى ومسمع ،

(١) ب : « والمولى والمعادى » .

(٢) في الأصل : « ولا يحل » صوابه في ب .

(٣) ليست في ب .

(٤) في الأصل : « وكفه التصديق » ، صوابه في ب .

فيقول : « تَبَّأَ لَكُمْ وَتَعَسَّأَ ، كيف تقاتلونني وتجددون فضلي^(١) » وقد خَصِصَتْ بِآيَةٍ حَتَّى كُنْتُ كَيْحِي بَنَ زَكْرِيَا وَعِيسَى بَنَ مَرْيَمَ « ولا يمتنع النَّاسُ مِنْ أَنْ يَقُولُوا وَيَمْجُوا ؛ فَإِذَا مَاجُوا تَكَلَّمُوا عَلَى أَقْدَارِ عِلَّاهُمْ ، وَعِلَّاهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلَا يَنْشَبُ أَمْرُهُمْ أَنْ يَعُودَ إِلَى فُرْقَةٍ ، فَمِنْ ذَاكَ قَدْ كَانَ نَاسِيًا ، وَمِنْ نَازِعٍ قَدْ كَانَ مُصِرًّا ، وَكَمْ مَتَرَنَجٍ قَدْ كَانَ غَالِطًا ، ٥ مع مَا كَانَ يَشِيعُ^(٢) مِنَ الْحُجَّةِ فِي الْآفَاقِ ، وَيَسْتَفِيزُ فِي الْأَطْرَافِ ، وَيَحْتَمِلُهُ الرُّكْبَانُ وَيُتَهَادَى فِي الْمَجَالِسِ .

فهذا كان أَشَدَّ عَلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَعَائِشَةَ* وَمَعَاوِيَةَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ ، مِنْ مِائَةِ أَلْفِ سَنَانٍ طَرِيرٍ ، وَسَيْفٍ مَشْهُورٍ .

١٠ فصل^(٣) : وَمَعْلُومٌ عِنْدَ ذَوِي التَّجَرُّبَةِ وَالْعَارِفِينَ بِطَبَائِعِ الْأَنْبِيَاءِ^(٤) ، وَعِلَلِ الْأَجْنَادِ ، أَنَّ الْعَسَاكِرَ تَنْتَقِضُ مَرَاثُهَا وَيَنْتَشِرُ أَمْرُهَا ، وَتَنْقَلِبُ عَلَى قَادَتِهَا^(٥) بِأَيْسَرٍ مِنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ ، وَأَخْفَى مِنْ هَذِهِ الشَّهَادَةِ .

فصل : وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا صَنَعَتِ الْمَصَاحِفُ فِي طَبَائِعِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، حِينَ رَفَعَهَا عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ أَشَدَّ مَا كَانَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ اسْتَبْصَارًا فِي قِتَالِهِمْ ،

١٥ (١) ب : « فضيلتي » .

(*) السَّكَّامُ مِنْ قَوْلِهِ « وَلَوْ لَمْ تَعْرِفِ الرِّوَاغِضَ » س ١٥ مِنْ ص ٩ إِلَى هُنَا مَوْضِعُ مُنَاقَضَةِ لِلسَّكَّامِ سِتَائِي بِرَقْمِ (٣) . وَقَدْ نَقَلَ الْإِسْكَافِيُّ عِبَارَةَ الْجَاهِظِ مُوجَزَةً مُتَصَرِّفًا فِيهَا . انْظُرْ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ ٣ : ٢٦٣ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَسْمَعُ » .

(٣) هَذِهِ السَّكَّامَةُ لَيْسَتْ فِي ب . ٢٠

(٤) فِي الْأَصْلِ : « بِصَنَائِعِ الْأَنْبِيَاءِ » ، صَوَابُهُ فِي ب .

(٥) ب : « قَائِدُهَا » .

ثم لم ينتقض على عليٍّ من أصحابه إلاَّ أهلُ الجِدِّ والنَّجْدَةِ ، وأصحاب
البرانس والبصيرة^(١) .

وكما علمتم من تحوُّل شطر عسكر عبد الله بن وهبٍ حين اعزلوا مع
فروة بن نوفل ، لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب كانت تدلُّ عندهم
على ضعف الاستبصار والوهن^(٢) في اليقين .

وهذا الباب أكثر من أن يحتاج مع ظهوره ومعرفة النَّاس به إلى
أن نحشو به كتابنا .

فصل^(٣) : فأما إسلامه وهو حدثٌ غريرٌ وغلَامٌ صغيرٌ ، فهذا مالا
ندفعه ، غير أنه إسلام تلقينٍ وتأديبٍ وتربيةٍ . وبين إسلام التَّكليف
والامتحان وبين التلقين والتربية فرقٌ عظيمٌ ، ومحجَّةٌ واضحة .

وقالت (العثمانية) : إن قالت الشَّيْع : إنَّ الأمور ليس كما حكيتُم ،
ولا كما هيأتموه لأنفسكم ، بل زعم أنَّه قد كانت هناك^(٤) في أيَّام صباه
وحدائثه فضيلةٌ فطنيةٌ ، ومزيةٌ^(٥) ذكاء ، ولم يبلغ الأمرُ قدرَ
الأعجوبة والآية .

قلنا : إنَّ الذي ذهبتم إليه أيضا لا بدُّ فيه من أحد وجهين :
إمَّا أن يكون قد كان لا يزال يُوجد في الصِّبيان مثله في الفطنة

(١) انظر العقد ٤ : ٣٥١ لجنة التأليف . ب « المراس » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « والوهم » ووجهه من ب .

(٣) هذه الكلمة ليست في ب .

(٤) ب : « هناك » .

(٥) ب : « ومزيد » .

والذكاء وإن كان ذلك عزيزاً قليلاً ، أو كان وجود ذلك ممتنعاً ، ومن العادة خارجاً . فإذا^(١) كان قد كان يُوجد مثله على عزّته وقلته فما كان إلاّ كبعض مَنْ رى اليوم ممن يُتَعَجَّب من حسّه وفطنته ، وحفظه وحكايته وسُرعة قبوله على صغر سنّه وقلة تجربيّه^(٢) . وإن كانت حاله هذه الحال ، وطبيعته على هذا المثال ، فإنّا^(٣) لم نجد صبيّاً قطّ وإن أفرط كَيْسَه وحُسْنُ فطنته وأعجب [به^(٤)] أهله يحتمل ولاية الله سبحانه وعداوته ، والتمييز بين الأمور التي ذكرنا . مع أنّه ما جاءنا ولا صحّ عند أحدٍ منا بخبرٍ صادق ، ولا كتاب ناطق ، أنّه كان لعلّ خاصّةً دون قريشٍ عامّةً في صباه من إتقان الأمور وصحّة المعارف وجودة المخارج ، ما لم يكن لأحدٍ من إخوته وأعمامه وآبائه .

وإن كان القدر الذي كان عليه على من الذكاء والمعرفة القدر الذي لم نجد له [فيه^(٤)] مثلاً ، ولا رأينا له شِكْلاً — وهذا هو البديع الذي به يُحتجُّ على المنكرين ، ويُفلج^(٥) على المعارضين ، ويُبَيِّن للمسترشدين — فهذا بابٌ قد فرغنا منه مرّة .

✓ ١٥ فصل : ولو كان الأمر في عليّ على ما يقولون^(٦) لكانت في ذلك حُجّةٌ للرسول في رسالته ، ولعلّ في إمامته . والآية إذا كانت للرسول وخليفة

(١) في الأصل : « وإن » ، والوجه من ب .

(٢) ب : « تجربيته » .

(٣) في الأصل : « ولنا » ، صوابه في ب .

(٤) التكملة من ب .

(٥) فليج غيره وفليج عليه وأفليج : فاز وظفر . وفي النسختين : « يفلج » ، تحريف .

(٦) ب : « كما يقولون » .

الرسول كان أشهرَ لها ؛ لأن وضوح أمر الرسول يزيد^(١) على ما للإمام
وزيده إشرافاً واستنارة^(٢) وبياناً . ولا يجوز أن يكون الله قد عرفَ أهلَ
عصرها ذلك ، وهم الشَّهداءُ على مَنْ بعدهم من القرون ثم يسقط^(٣)
حجته ؛ فلا تخلو تلك الحجةُ وتلك الشهادةُ من ضربين : إمّا أن تكون
ضاعت وضلت ، وإمّا أن تكون قد قامت وظهرت .

٥

فإن كانت قد ضاعت فعملٌ كثيراً من حُجَجِ الرسول صلى الله عليه وسلم
قد ضاع معها ، وما جعلَ الباقي منها أولى بالتمام من السَّاقط ، والساقط
من شكل الثَّابت . على أن مع الساقط خاصّةٌ ليست مع الثابت ، لأنّه
حجة على شيئين ، والثابت حجة على شيء . ولا يخلو أمرُ السَّاقط من
ضربين : إمّا أن يكون الله لم يُردِّ تمامه ، أو يكون قد أراده .

١٠

وأىّ ذينِ [كان^(٤)] ففسّاده واضحٌ عند قارى الكتاب .

وإن كانت الآية قد تمت إذ كانت الشهادة قد قامت علينا بها كما كانت
شهادة العيان قائمةً عليهم^(٥) [فيها^(٦)] فليس في الأرض عثمانى إلاّ وهو
يكابر عقله ويحجّد علمه .

ولعمري إنّنا لنجد في الصّبيان من لو لقنّته وسدّدته أو كتبت له
أغمضَ الممانى وألطفها ، وأغوصَ الحجيح وأبعدّها ، وأكثرها لفظاً

١٥

(١) ب : « يرى » .

(٢) في الأصل : « استنارة » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « أسقط » .

(٤) التكملة من ب .

(٥) في الأصل : « عليها » صوابه في ب .

(٦) التكملة من ب .

٢٠

وألطفها ، وأطولها ، ثم أخذته بدرسها وحفظه لحفظه عجباً ، ولهذا
 هذاً ذليلاً^(١) . فأمّا معرفته صحيحة من سقيمه ، وحقه من باطله ،
 وفصل ما بين المقرّب والدليل ، والاحتباس من حيث يؤتى المخدوعون ،
 والتحفظ من مكر الخادعين ، وتأتى^(٢) المجرب ، ورفق الساحر ، وخلاصة
 المتنبي ، وزجر الكاهن^(٣) ، وإخبار المنجمين ، وفرق ما بين نظم القرآن
 وتأليفه ونظم سائر الكلام وتأليفه — فليس يعرف فروق النظر واختلاف
 البحث^(٤) ، إلاّ من عرف القصيدة من الزجر^(٥) ، والخمس من الأسجاع ،
 والمزاج من المنشور ، والخطب من الرسائل ، وحتى يعرف العجز العارض
 الذى يجوز ارتفاعه من العجز الذى هو صفة فى الذات .

فإذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام ،
 ثم لم يكتف بذلك حتى يعرف عجزه وعجز أمثاله عن مثله ، وأن
 حكم البشر حكم واحد فى العجز الطبيعى وإن تفاوتوا فى العجز العارض .
 وهذا ما لا يوجد عند صبيّ ابن سبع سنين وثمان سنين وتسع سنين
 أبداً ، عرف ذلك عارف أو جهله جاهل . ولا يجوز أن يعرف عارف
 معنى الرسالة إلاّ بعد الفراغ من هذه الوجوه ، إلاّ أن يجعل جاعلاً

(١) الذليق : الفصيح . وفى النسختين : « لهذه هدا » ، تحريف . يقال هذا القرآن
 والحديث هذا : سرده . وفى حديث ابن عباس ، قال له رجل : قرأت الفصل الليلة . فقال :
 أهذا كهذا الشعر .

(٢) فى الأصل : « مانى » بإهمال أوله ، وفى ب « ويأتى » ووجهها ، ما أثبت . قال
 الأصمعي : تأتى فلان لحاجته ، إذا تفرق لها وأتاها من وجهها .

(٣) ب : « السكهان »

(٤) ب : « فروق النظم واختلاف البحث والنثر » .

(٥) الزجر ، واضحة فى النسختين . يعنى زجر الكاهن . انظر طرفاً منه فى صدر سيرة
 ابن هشام . والزجر يلتبس على من لم يعرفه بالشعر .

التقليد والنشوء والإلف لما عليه الآباء وتعظيم الكبراء ، معرفةً وبقيناً .
وليس ييقن ما اضطرب ودخله الخلاج عند ورود معاني لعلّ وعسى ، وما
لا يُمكن^(١) في العقول إلاّ بحجة تُخرج القلب إلى اليقين عن التجويز .
ولقد أعيانا أن نجد هذه المعرفة إلاّ في الخاصّ من الرّجال وأهل
السّكّال في الأدب ، فكيف بالطفل الصغير والحدث الغرير ؟ ! مع أنّك ٥
لو أدّرت^(٢) معاني بعض ما وصفتُ لك على أذكى صبيّ في الأرض
وأسرعه قبولاً وأحسنه حكايةً وبياناً^(٣) ، وقد سَوّيته [له^(٤)] ودلّته ،
وقربته [منه] وكفّيته مؤونة الرّوية ووحشة^(٥) الفكرة ، لم يعرف
قدره ولا فصل بين حقّه من باطله ، ولا فرق بين الدّلالة وشبيه
الدّلالة ، فكيف له بأن يكون هو المتولّى لتجربته^(٦) وحلّ عقده ، ١٠
وتخليص مُتشابهه ، واستشارته من معدنه ؟ !

وكلّ كلام خرج من التّعارف فهو رجيحٌ بهرج ، ولغوٌ ساقط .
فصل^(٧) : وقد نجد الصبيّ الذّكيّ يعرف من العروض وجهاً ، ومن النحو
صدراً ، ومن الفرائض أبواباً ، ومن الغناء أصواتاً ، فأما العلمُ بأصول ١٥
الأديان ومخارج الملل ، وتأويل الدّين ، والتحفّظ من البدع ، وقبّل ذلك
الكلام في حُجج العقول ، والتّعديل والتّجوير ، والعلمُ بالأخبار وتقدير

(١) هذا الصواب من ب . وفي الأصل : « ومما لا ينكر » .

(٢) في الأصل ، ب : « أدّرت » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الكلمة مبهمة في الأصل ، وتوضيحها من ب .

(٤) التّسكّلة من ب .

(٥) في الأصل : « وحبّيته » صوابه في ب .

(٦) في الأصل : « حرّته » وصوابه في ب .

(٧) ليست في ب .

الأشكال^(١) فليس هذا موجوداً إلا عند العلماء . فأما الحشوة والطعام^(٢) فإنما هم أداة للقادة ، وجوارح للسادة . وإنما يعرف شدة الكلام في أصول الأديان من قد صلى به وعجمه ، وسلك^(٣) في مضايقه ، وجأتى الأضداد^(٤) ، ونازع الأكفاء^(٥) .

فإن قالت (الشيع) : الدليل على أن إسلام علي كان اختياراً ولم يكن تلقيناً ، أن علياً^(٦) أسلم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له ، وفي ذكر الدعاء والإقرار به دليل على أن الإجابة اختيار ، لأن المسلم بالدعاء مجيب للدعاء . ولا نعم الدعاء يكون من حكيم لدعوى^(٧) لا يختار ولا تحتل فطرته تميز الأمور وفصل ما بين ما دعا إليه وبين ما دعا إليه غيره . وليس بين قول القائل : دعا النبي صلى الله عليه وسلم فلاناً إلى الإسلام^(٨) وبين قوله : كلف النبي صلى الله عليه وسلم فلاناً الإسلام فرق . وقول المسلمين : دعا النبي صلى الله عليه وسلم علياً كقولهم :^(٩) دعا جميع العرب فمن مجيب طائع كعلی ، ومن ممتنع عاص كفلان وفلان .

(١) في الأصل : « وتقرير الشكل » ، صوابه في ب .

(٢) حشوة الناس ، بالضم : رذالتهم ، ومثله الطعام ، بالفتح .

(٣) ب : « وسال » .

(٤) في الأصل ، ب : « وحائى » ، تحريف . جاءه : جلس معه على ركبته للخصومة .

(٥) إلى هنا ينتهى الاختيار الأول في نسخة ب وتنفرد نسخة الأصل إلى حيث نذبه

فما بعد . ٢٠

(٦) في الأصل : « أن الإمامة أن علياً » .

(٧) في الأصل : « يدعو » .

(٨) بعده في الأصل : كلمة « فرق » ، وهى مقحمة .

(٩) في الأصل : « وقوله المسلمين ... كقوله لهم » تحريف .

قالت (العُثمانيّة) عند ذلك : قد عرَفْنَا أَنَّ بَعْضَهُمْ قد نَقَلَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ، وقد نَقَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ . وبين قولِ القائلِ أَسْلَمَ فَلَانَّ أَوَّلَ النَّاسِ وبين أَنَّ يَقُولُ أَسْلَمَ في أوائلِ الناسِ فرقٌ . فَأَمَّا أَنَّ يَكُونُ واحدٌ من جميعِ الصَّنَافِينِ من البعضِ والجميعِ فَسَرَّ مع رِوَايَتِهِ ومَخْرَجِ خبره كيف كان إسلامُهُ ، أَعْلَى وجهِ الدُّعَاءِ ٥ والتَّكْلِيفِ أم على وجهِ التَّلَقُّينِ والتَّربِيَةِ ، فلم نَرِ أحداً منهم مِيزَ ذلك ولا فَرَقَهُ في مَخْرَجِ الخبرِ . ونحنُ لم نَدَّعِ أَنَّ إسلامَهُ كان إسلامَ تلقينٍ مِنْ قَبْلِ تَفْسِيرِ النَّاقِلِينَ وتمييزِ المحدثينَ ، ولكنَّا نَظَرْنَا في التاريخِ فَعَرَفْنَا عُمرَهُ وابنَ كَمْ كان يَوْمَ تَوَفَّى ، وعَرَفْنَا مَوْضِعَ اخْتِلَافِهِمْ واجتماعِهِمْ ، فَأَخَذْنَا أَوْسَطَهُ إِذْ كان أَعْدَلُ ما فيه ، وَأَسْقَطْنَا قولَ مَنْ كَثُرَ وَقَلَّ ، ١٠ ثم أَلْقَيْنَا مِنْهُ سِنِيهِ إلى عامِ إسلامِهِ فَوَجَدْنَا ذلك يوجبُ أَنَّهُ كان ابنَ سبعٍ . ولو أَخَذْنَا أَيْضاً بقولِ المَكْثَرِ فجَعَلْنَاهُ ابنَ تسعٍ ، وترَكْنَا قولَ مَنْ قَلَّ وقولَ المَقْتَصِدِ ، عَلِمْنَا بِذلك أَيْضاً أَنَّ إسلامَهُ كان إسلامَ تَرْبِيَةٍ وتَأْدِيبٍ وتلقينٍ ، كما أَخَذَ اللهُ على المسلمينَ أَنْ يَأْخُذُوا بِهِ أَوْلَادَهُمْ .

وقالت (العُثمانيّة) للعُلُوِيَّةِ : إنا لم نَدَّعِ أَنَّهُ أَسْلَمَ وهو ابنُ سبعٍ ١٥ فَإِنَّا وَجَدْنَا ذلك قائماً في خبرِهِمْ مُفَسَّراً في شهادَتِهِمْ ، ولكنَّهُ عِلْمٌ مُسْتَنْبِطٌ من أخبارِهِمْ ، ومُسْتَخَرَجٌ من آثارِهِمْ عِنْدَ المُقَابَلَةِ والموازنةِ . ومثُلُ ذلك لو أَنَّ رجلاً قالَ لرجلٍ : خُذْ عَشْرَةَ في عشرةٍ ، كان ذلك في المعنى كقولِهِ : « خُذْ مائة » ، وإن لم يكن سَمَّاها له ولا ذَكَرَها بلسانِهِ .

وقالوا : ولولا أَنَّ مِنْ شَأْنِنَا الْأَخْذَ بِالْقِسْطِ ، والحَكْمَ بِالْعَدْلِ لَأَخَذْنَا ٢٠ الشَّيْعَ بقولِهِمْ في عُمرِهِ وبِقَوْلِ وَلَدِهِ ، فَإِنَّ أَحَدَهُمَا يَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا تَوَفَّى وهو ابنُ سبعٍ وخمسين . وقال الآخرونَ : بل تَوَفَّى وهو ابنُ ثمان

وخمسين . ولو كان^(١) كما تقول الرافضة وولده ما كان أسلم إلا وهو ابن خمس أو ابن ست ، وهم لا يألون ، ما نقصوا من عمره وصنّروا من سنّه لكي يجعلوا إسلامه آية له وحجة على إمامته .

ولعمري لو كان الذين نقلوا أنّه كان أول من أسلم نقلوا مع خبرهم أنّه أسلم بالدعاء والتكليف ، لقد كان مذهبهم إليه مذهبا ، وما اعتصم به متعلقا ، ولكن ما في الأرض كلّها حامل خبر^(٢) ولا صاحب أثر كان في خبره أنّه أسلم بدعاء ، ولا أنّه أسلم بتلقين ، وإنما هذا مستخرج من الأخبار .

فإن قالت (الروافض) : بل الدليل على أن إسلامه كان طاعة ولم يكن تلقينا قول جميع الأمة إن عليا كان من أول من أسلم ، فنفس قولهم أسلم هو كقولهم أطاع واختار ، وكذلك قولهم إذا قالوا : كفر فلان ، فهو كقولهم : عصا واختار ، وإن لم يفسموا . وليس بين قولهم أسلم فلان وكفر فلان فرق ، لأنّ الخبر الصادق إذا قال كفر فلان حكمه عند السامع البداهة والبراءة . ولو قال^(٣) أسلم فلان كان حكمه المحبة والولاية : فإذا كانوا كلّهم قد قالوا : أسلم علي ، وحكم « أسلم » يثبت الاختيار وإجابة الولاية ، قبل أن يجمعوا على أنّه كان على التلقين والتربية ، فعلى علي هذا القياس مطيع في إسلامه ، مختار له على غيره . وكذلك لو قالوا : كفر فلان ، كان حكمه حكم العاصي المختار حتى

(١) لعلها : « ولو كان الأمر » .

(٢) في الأصل : « خبره » .

(٣) في الأصل : « قالوا » .

يُجْمَعُوا أَنْ كَفَرَهُ كَانَ عَنْ إِكْرَاهٍ أَوْ غَلَطٍ أَوْ هَيْجٍ مَرَّةً ، أَوْ هَجَرَ النَّأَمِ^(١) ، أَوْ تَلْقَيْنَ الْمُؤَدَّبَ . فَلَمَّا كَانَ هَذَا قِيَاسًا مُوجِبًا صَحِيحًا ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْعَلَ إِسْلَامَ عَلَى إِسْلَامٍ تَلْقَيْنٍ إِلَّا بِمِثْلِ الْحُجَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا بِهَا مُسْلِمًا ، لِأَنَّهُمْ قَدْ أَطَبَقُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى إِسْلَامِهِ وَاخْتَلَفُوا فِي السَّنَةِ . فَيَجِبُ إِلَّا نَزِيلَ حُكْمِ « أَسْلَمَ » إِلَّا بِإِجْمَاعٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ عَنْ تَلْقَيْنٍ وَتَرْبِيَةٍ .

قلنا لهم : لعمري لو لم يكن ها هنا إجماعٌ يُخْبِرُ أَنْ إِسْلَامَهُ كَانَ إِسْلَامَ تَلْقَيْنٍ وَنَشُوءٍ ، كَانَ حُكْمُ قَوْلِهِمْ أَسْلَمَ عَلَى عَلِيٍّ عَلَى مَا قُلْتُمْ ، لَا تُجْعَدُونَ حُكْمَهُ وَلَا تُظَلَمُونَ مَعْنَاكُمْ فِيهِ ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ تَوَقَّى وَهُوَ ابْنُ كَذَا وَكَذَا فَأَخَذْنَا بِأَوْسَطِهَا نَقَصُوا^(٢) مِنْ سِنِيهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَسْلَمَ ١٠ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ . وَلَوْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ الْمَكْثَرِ وَبَحَسْنَا الْقِيَاسَ حَظَّهُ كَانَ أَيْضًا إِسْلَامُهُ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِسْلَامَ تَلْقَيْنٍ . فَبِهِمْ عَرَفْنَا تَقْدُّمَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَبِهِمْ عَرَفْنَا صِغَرَ سَنَتِهِ وَحِدَائَتَهُ ، إِذْ كَانَ الصَّبِيُّ إِذَا كَانَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ لَا يُسْتَتَابُ إِنْ كَفَرَ ، وَلَا يُلَامُ إِنْ جَهِلَ ، وَلَا يَمْدَبُ إِنْ ضَيَّعَ . فَإِذَا كَانُوا بِأَجْمَعِهِمْ قَدْ قَالُوا إِنَّهُ أَسْلَمَ ١٥ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ أَوْ سِتٍّ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ سَبْعٍ ، فَقَدْ قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِنَّهُ أَسْلَمَ إِسْلَامَ تَلْقَيْنٍ وَإِنْ لَمْ يَقُولُوا بِأَفْوَاهِهِمْ ، كَمَا قُلْتُمْ إِنْ قَوْلُ الْقَائِلِ كَفَرَ فَلَانٌ وَأَسْلَمَ فَلَانٌ — وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ — [حُكْمُهُ^(٣)] بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ .

قلنا : فَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ رَجُلٌ أَسْلَمَ فَلَانٌ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ

(١) هَجَرَ النَّأَمِ هَجَرَ : حَلَمَ وَهَذَى .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « نَفَلُوا » .

(٣) لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ ، وَبِمِثْلِهَا يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ .

أو تسع ، فقد قال إنَّ إسلامه كان إسلام تلقين وإن لم يذكره ولم يتفوه به كما قلتم ، حَدَّوْ القُدَّةَ بالقُدَّةَ ، والنَّعْلَ بالنَّعْلِ . فإذا ثبت أن إسلامَ عليٍّ إسلامُ تلقين في ذلك الدَّهر فإسلامُ زيدٍ وخبَّابٍ أفضلُ من إسلامه . ولو أن عليًّا كان أيضًا بالغًا كان إسلامُ زيدٍ وخبَّابٍ أفضلَ من إسلامه ، لأنَّ إسلامَ المقتَضِبِ ^(١) الذي لم يُغْدَ به ^(٢) ولم يُعوِّدْهُ ولم يُمرِّنْ عليه ، أفضلُ من إسلام النَّاشِئِ الذي قد رَبَّى فيه ونشأ عليه وخبَّبَ إليه ؛ لأنَّ خبَّابًا وزيدًا يمانيان من الفكر ويتخلَّصان إلى أمور ، وصاحب التَّربية يبلغ حين يبلغ وقد أسقطَ إلفه عنه مؤونة الرويَّةِ ، والخطار بالجهالة ، وقد أورثه الإلفُ الشُّكُونَ ، وكفاهُ اختلاجُ الشَّكِّ ^(٣) ، واضطرابُ النَّفْسِ وجَوْلانُ القَلْبِ . ١٠

فصل : ^(*) ولو كان عليٌّ أيضًا بالغًا وكان مقتَضِبًا ^(٤) كزيدٍ وخبَّابٍ لم يكن إسلامُهُ لِيَبْلُغَ قَدْرَ إسلامِهِمَا ، لأنَّ إسلامَ التَّربيةِ يكفي مؤونَتَيْنِ : إحداها الخطار والتَّغْيِيرُ ، والأُخْرَى شِدَّةُ فراقِ الإلفِ ومكابدةُ العادة ، ونِزاعُ الطَّبيعةِ ، مع أنَّ من كان بِحَضْرَةِ الأعلامِ وفي منزلِ الوحي ، وفي رِحالِ الرُّسُلِ فالأعلامُ له أشدُّ انكشافًا ، والخواطرُ على قَلْبِهِ أَقْلُ ١٥ اعتلاجًا . وعلى قَدْرِ الكُفَّةِ في دَفْعِ الشُّبْهَةِ والإقرارِ بخلافِ الإلفِ والعادة ، والمخاطرةِ باعتمادِ الجهالةِ ، يعظمُ الفَضْلُ ، ويكثرُ الأجرُ ^(*) .

(١) المقتَضِبُ : هُوَ المتهَيِّءُ المَعْدُّ لِلشَّيْءِ .

(٢) لم يَنْقُطْ مِنْ هَاتَيْنِ السَّكْمَتَيْنِ فِي الْأَصْلِ إِلَّا الْغَيْنُ فَقَطْ .

(٣) الاختلاجُ : الاضطرابُ . وفي الْأَصْلِ : « الخلاجُ الشك » وفي ح « علاج القلب » . ٢٠

(٤) انظر ما مضى في الحاشية الأولى .

(*) الكلام من « ولو كان علي » إلى هنا موضع مناقضة للاسكافي ستأتي برفق (٤) .

ولو كان أيضاً على أسلم بالغاً مدركاً ، وكان مع إدراكه وبُلوغه كهلاً ، وكان مع كهولته مُقتَضِباً كان إسلامُ زيدٍ وخبَّابٍ أفضلَ من إسلامه ، لأنَّ مَنْ أسلمَ وهو يعلم أنَّ له ظهراً كَأبي طالبٍ ، وردِّءاً كبنى هاشمٍ ، ومَوْضِعاً في بنى عبد المطلب ، ليس كالحليف ولا المولى ، والنزِيل والتَّابِع والعسيف ، وكالرجل من عُرْضِ قريش^(١) وقاطِئِي مكة . [أ] وما علمت أن قريشاً خاصَّةً وأهل مكة عامَّةً لم يقدرُوا على أذى النبي صلى الله عليه ما كان أبو طالب حياً قائماً ؟ ! ولقد منع أبو طالب أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميَّ لأنه كان ابن أخته ، فما قدَّرت بنو مخزومٍ مع خيلائها^(٢) وعُرامِ شبابها ، ومع عزِّها وشدةِ عداوتها أن تحضَّ منه شعرة^(٣) ولا تسمعه كلمة حتَّى مشت إليه بأجمعها ، ١٠ لِلَّذِي^(٤) تَرى له في أنفُسها ، فكان من قولهم له : هذا ابنُ أخيك قد فرَّق جماعتنا وسفَّهَ أحلامنا وشمَّ آلهتنا وقد منعته منا ، فما بال صاحبنا^(٥) ؟ قال : من لم يمنع ابن أخته لم يمنع ابن أخيه !

فإذا كانت قريشٌ وأهلُ مكة لا يقدرُون على ابن أخيه وابن أخته معه فهم عن ابنه أعجز ، وعنه أقعد ، وله أعفى^(٦) ، وهو لابنه أحضَرُ ١٥ نَصراً وأشدُّ غضباً ، وأحجى أنفاً ، وليس الممنوع كالخندول ، ولا الضَّعيف

(١) من عرضهم ، أي من معظمهم وجهورهم ، ليس في موضع رئاسة .

(٢) الخيلاء : السكبر . وبنو مخزوم معروفون بالسكبر والتهب . انظر الحيوان ٦ : ٧٠ ،

٧٢ . وفي الأصل : « حملاتها » بإهمال الحرفين الأولين .

(٣) حمن الشعر : أذهبهُ أو حلقه .

(٤) في الأصل : « الذي » .

(٥) في الأصل : « ها بال صاحبنا » . وفي السيرة ٢٤٤ : « فمالك واصاحبنا تمنعه منا » .

(٦) رسمها في الأصل « اعفا » .

كالقوى ، ولا الآمن كالخائف . فإذا كان إسلام زيد وخبّاب أفضل من إسلامه في ذلك الدهر كما عدّنا من الطبقات ، وربّنا من المنازل ، ونزلنا من الحالات ، فإسلام أبي بكر أفضل من إسلامهما ، فقد سقطت المنازعة ، وارتفعت الخصومة عند من فهم كتابنا ولم يمنع نفسه الحظّ بصحبتنا ، لفرط التباين وعظم الفرق .

فصل : والدليل على أن إسلام أبي بكر كان أفضل من إسلام زيد وخبّاب أن زيدا كان رجلاً غير مذكور بعلم ، ولا مزيّن^(١) بمال ، ولا مغشّى المجلس ، ولا مزور الرّحل ، وكذلك كان خبّاب . وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلم العرب بالعرب كلّهم ، وأرواها لمناقبها ومثالبها ، وأعرفها بخيرها وشرّها ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان مع سين حسان وعلمه وتحاكم الشعراء إليه ، حيث أمره النبي عليه السلام أن يهجو أبا سفيان بن الحارث ، وحيث قال له : « اهجهم ومعك روح القدس » . وحيث قال له : هيج الغطاريف على بني عبد مناف — في قتل أبي أزيهر^(٢) — والقي أبا بكر فإنه أعلم الناس بهم .

(١) في اللسان : « قال اللحياني : أزنّته بمال ويعلم ويخير ، أي ظنّته » .
(٢) الغطاريف : السادة الأشراف . وفي رواية بعض نسخ البيان (١ : ٢٧٣) : « اهج الغطاريف من بني عبد مناف » وفي بعضها وهي نسخة (هـ) مطابق لما هنا . والذي في العمدة ١ : ١٢ « وقال لحسان بن ثابت : اهجهم — يعني قريشاً — فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام . اهجهم ومعك جبريل روح القدس ، والقي أبا بكر يعلمك تلك الهنات » .

وأما ما كان من أمر أبي أزيهر الدوسي ، فإن الوليد بن المغيرة كان قد تزوج ابنته ، ثم أمسكها أبو أزيهر عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان الوليد قد أوصى ولده قبل أن يموت أن يطلبوا أبا أزيهر بعقره — والمقر : دية الفرج المصوب — وكانت بنته قد تزوجها أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فمدا هشام بن الوليد بن المغيرة على =

فصل : ولذلك كان جُبَيْر بن مُطْعِمَ أَعْلَمَ قريش بالعرب بعد أبي بكر ،
لأنه كان المتولَّى لتأديبه وتثقيفه ، وقد كان أبو بكر قد سمَّى عائشة له (١) ،
للذى رأى من حُسْن أثره عليه .

(*) وكان أبو بكر ، مع علمه بالناس وحُسْن معرفته ، ذا مالٍ كثير
ووجه عريض (٢) ، وتجارة واسعة ، وكان جميلاً عتيقاً (٣) ، ومزوراً مغيثاً ،
ومحبباً أديباً صاحب ضيافات (٤) ، ويُعِين في الحَمَالَات ، ويَجْتَمِع إلى مجلسه
كُبراء أهل مكة ، لما يجِدُون عنده من طريف الحديث وغريب الشعر ،
حتى كان مثلُ عُبَيْة وشَيْبة (٥) يجلسان إليه ، ويُعَجِّبان بحديثه ، ثم يتخذ
لهم ما يتحدثون عليه ويطول مجلسهم به ، من شراب العسل والزبيب

١٠ — أبو أزيهر وهو بسوق ذي الحجاز فقتله . السيرة ٢٧٣ — ٢٧٥ . وكان يزيد بن أبي سفيان
قد خرج فجمع بني هاشم ليثأر لأبي أزيهر جار أبيه ، ففنه أبو سفيان وضربه ، فمير بذلك ،
وكان نهزة لحسان بن ثابت يمرض في دم أبي أزيهر ويعير أبا سفيان خفرتة وتجبينه فقال :
غدا أهل ضوحي ذي الحجاز كلهما وجار ابن حرب بالغمس ما يغدو
كماك هشام بن الوليد ثيابه فأبل وأخلق مثلها جدداً بعد
١٥ قضي وطراً منه فأصبح ماجداً وأصبحت رخواً ما تحب وما تعدو
فلو أن أشياخاً بيدر تشاهدوا لبلى نعال القوم معتبط ورد
وانظر كتاب نسب قريش ٣٢٣ .

(١) أى سماها لتسكون زوجة له ، وعده بذلك . وفي الإصابة ٧٠١ قسم النساء :
« كانت تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له » و « قال أبو بكر : كنت أعطيها مطعماً
لابنه جبير » .

(٢) الوجه : الجاه . ويقال رجل موجه ووجهه : ذو جاه .

(٣) العتيق : الكريم الرائع من كل شيء .

(٤) في الأصل : « صافات » تحريف .

(٥) عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . أما عتبة فقتل يوم بدر ، قتله
همزة . وأما شيبة فقتله عبيدة بن الحارث . وذُفِن عليه حمزة وعلي . غازي الواقدى ١١٣ .

واللبن^(١) ، فكانت قريشٌ بعد إسلام أبي بكر وكثرة مستجبيه بمكة تريد
تفجير عتبة بن ربيعة من مجلسه وإيحاشه منه ، مخافة أن يستميله بحسن
دعائه ، وتأتيه ورفقه ، ورقة دموعه وشدة خشوعه فتقول له : أما إنك
ما تأتي ابن أبي قحافة إلا لطيب عسله وإلا لمدقته^(٢) ، وإنما نفروه
بهذا وشبهه لأنه كان ذا عيالٍ مُملقاً ثقیل المؤونة ، خفيف ذات اليد ،
مع سنه وسؤدده وحلمه ورأيه .

ولا سوا إسلام ذي اليسر والمال الدثر ، المنفق حريرة كسبه وعقيلة
ملكه ، والمفرق عنه جمعه والموحش منه أنيسه ، الخارج من عز الغنى
وكثرة الصديق ، إلى ذل القلة وعجز الفاقة ، وإسلام من لا حراك به
ولا جدًا عنده ، تابع غير متبوع ، ومستجد غير مُجدٍ ؛ لأن من أشدَّ
ما يُبتلى به الكريمُ السبُّ بعد التحية ، والضربُ بعد الهيبة ، والعسرُ بعد اليسر .
ولا سوا إسلام العالم الأديب الأريب ، ذي الرأى السديد ،
وإسلام غيره .

ثم كان داعيةً من دعاة الرسول مقبول القول ، متبوع الرأى . ومن
كان في صفة أبي بكرٍ فالحوفُ عليه أشدَّ ، والمكروه إليه أسرع ، لأنه
لم يكن على ظهرها عدوٌّ للنبي صلى الله عليه وسلم إلا وأبو بكرٍ يتلوه
عنده في العداوة .

ولا سوا إسلام من أسلم على أن يمؤن ويكلف ، وإسلام من كان
يُمانُ قبل إسلامه ويكلف بعد إسلامه .

(١) في الأصل : « واللبن » . وانظر الحاشية التالية .

(٢) المذقة : الطائفة من الابن المذيق ، وهو المزوج بالماء .

ولا سوا الإسلام الكهل النبىء الذى يحسُن عند قريش مطالبته ، ولا يستجى من طلب الثأر عنده ، وإسلامُ الحدث الذى لا يفى بعداوة الجلمة ، ولا تستجيز مجازاته العلية* .

ثم كان الذى يلتقى أبو بكر فى الله ورسوله بيطن مكة ، وعلى خلى الروع^(١) ، آمن السرب رضى البال ، كما لقى يوم دعا طلحة إلى الإسلام ٥ فأسلم ومضى به إلى النبى صلى عليه وسلم وخذلتها تيمم ، وأخذها نوفل بن خويلد بن أسد^(٢) — فأما ابن إسحاق^(٣) فزعم أنه كان من شياطين قريش . وأما الواقدي^(٤) وغيره فزعموا أنه كان يلقب أسد^(٥) قريش ،

(*) الكلام من « وكان أبو بكر مع علمه » ص ٢٥ س ٤ إلى هنا موضع رد للاسكافى سيأتى برقم (٥) . وقد تصرف الإسكافى فى كلام الجاحظ بالإيجاز الشديد . انظر ١٠ ابن أبى الحديد ٣ : ٢٦٦ .

(١) الروع : القلب والعقل والبال . فى الأصل : « الذرع » تحريف .
(٢) نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى . وفيه يقول أبو طالب :
كما قد لقينا من سبيم ونوفل وكل تولى معرضا لم يجامل
السيرة ١٧٥ — ١٧٧ . وقد قتل مشركا فى وقعة بدر ، قتله على بن أبى طالب . ١٥
السيرة ٥٠٨ ومغازى الواقدي ١١٤ . وقال ابن حزم فى الجمهرة ١١١ : « قتله ابن أخيه الزبير بن العوام » .

(٣) هو محمد بن إسحاق شيخ أهل المغازى ، المتوفى سنة ١٥١ . تهذيب التهذيب وعيون الأثر لابن سيد الناس ١ : ٨ — ١٧ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي . ولد سنة ١٣٠ وولاه المأمون ٢٠ القضاء بالعسكر ، وتوفى سنة ٢٠٧ تهذيب التهذيب ، وعيون الأثر ١ : ١٧ — ٢١ .
(٥) لم يظهر من هذه الكلمة فى الأصل إلا الألف وإحدى أسنان السين ، وإنباتها من جملة أنساب العرب لابن حزم ١١١ ، قال : « وكان يقال لنوفل بن خويلد : أسد قريش ، وأسد المطيبين . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : اللهم اكفنا ابن العدوية ! يعنى نوفلا » .

وهو الذى يقال له ابن القدوة — فقرنهما فى جبل ، وفتنهما عن دينهما وعذبهما ، فلذلك سُمى أبو بكر وطلحة « القريين » .

وأبو بكر الذى قام دون النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وقد اعتوره المشركون حين قال : « أما والله لقد جئتكم بالذبح ! ! »^(١) قال أبو بكر ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! فصعدوا فودى رأسه .

^(*) ثم الذى لقي فى مسجده الذى كان بناه على بابيه فى بنى مَجَج ، وحيث ردّ الجوار وقال : لا أريد جاراً سوى الله . وقد كان بنى مسجداً يصلى فيه ويدعو الناس إلى الإسلام ، وله صوت رقيق ووجه عتيق ، فكان إذا قرأ وبكى ، وقعت عليه^(٢) المارة والنساء والصبيان والعبيد ، فلما أودى فى الله حتى بلغ جهده استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فأذن له ، فأقبل يريد المدينة فتلقاه الكنانى سيد الأحابيش^(٣) ، فعقد له

(١) إنذار بالعذاب والهلاك . جاء فى السيرة ١٨٣ فى رواية عبد الله بن عمرو بن العاص : « فأقبل بمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول . قال : فمرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فمرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : أسمعون يا معشر قريش ، أما الذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح ! قال : فأخذت الفوم كلته حتى ما منهم رجل إلا أسكنما على رأسه طير واقع » .

وفى عيون الأثر ١ : ١٠٤ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال بعد ذلك فى خطابه للمؤمنين : « أبشروا فإن الله عز وجل مظهر دينه ، وتم كلته ، وناصر نبيه . إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بأيديكم عاجلاً » . قال عثمان بن عفان : « ثم انصرفنا إلى بيوتنا ، فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله بأيدينا » .

(٢) فى الأصل : « ووقعت » .
(٣) الكنانى هو مالك بن الدغنة ، أحد بنى الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . والأحابيش ، هم بنو الحارث بن بكر بن عبد مناة ، والهون بن خزيمة بن مدركة ، وبنو =

جواراً وقال : والله لا أدع مثلك يخرج من بين أخشبي مكة . فرجع وقد عقد له الكِنَانِيَّ جواراً ، كل ذلك رغبةً في قُرب النبي صلى الله عليه ، فلما رجع إلى مكة عاد إلى مسجده وصنيعه ، فمشت قريش إلى جاره وعظموا الأمر عنده وأجلبوا عليه فقالوا : قد أفسد أحداثنا ، وعبيدنا وإماءنا ونساءنا ، في منازلنا !! فمضى إليه الكِنَانِيُّ وقال : ليس على هذا أعطيتك ٥ الجوار ، ادخل بيتك واصنع فيه ما بدا لك ** ! قال له أبو بكر : أو أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ فلما قطع الجوار وترادّا العهد وتباريا (١) لقي أبو بكر رضى الله عنه من الأذى والدُّلَّ والضرب والاستخفاف ما بلغك ، وهو أمرٌ موجود في جميع السَّير . وليس المفتون كالوادع ، قال الله سبحانه : « والفتنة أشدُّ من القتل » . وذلك أنَّ المشركين كانوا قد صاروا إلى أن يفتنوا النَّاسَ عن دينهم بالتعذيب ، والمسلمون نفرُّ يسير ، قد خذلهم عشائهم ، وأسلمتهم أهالهم ، فألقوا خبائلاً على الرِّضف (٢) حتَّى ذهب ماء مَنته . وكان أبو ذرٍّ حليفاً مستضعفاً فكان يدخل بالنهار في خلل أستار السكبة ويخرج بالليل مستخفياً ، وكانت بنو مخزوم تعذب عمَّاراً وأباه وأمه برمضاء مكة ، فيهرُّ بهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم فيقول : ١٥

== المصطلق من خزاعة . السيرة ٢٤٥ والروض الأنف ١ : ٢٣١ .

وفي العرب آخر يسمى « ابن الدغنة » وهو ربيعة بن ربيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع . السيرة ٨٥٢ .

(*) السلام من « ثم الذي لقي في مسجده » ص ٢٨ س ٦ إلى هنا موضع رد للاسكافي سيأتي برقم (٧) .

٢٠

(١) تباريا : صنع كل منهما مثل صاحبه ، وقد تكون مسهل « تبارعا » .

(٢) الرضف : الحجارة التي أحميت بالشمس أو النار ، واحدها رضفة .

« صبراً آل ياسر ، فإنَّ موعدَكم الجنة ! » فذكر عمار عند ذلك عياد
أبي بكر لبلال حين أعتقه من العذاب فيمن أعتق ، فقال :

جزى الله خيراً عن بلال ودينه عتيقاً وأخزى فاكها وأبا جهل^(١)

وقال سعيد بن جبير : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون

يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه من العذاب ما يُعذَّرون به

في ترك دينهم ؟ قال : والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويُعطشونه حتَّى

لا يقدر أن يستوى جالساً من الجهد ، حتَّى إن كان أحدهم ليعطيهم الذي

سألوه ، من الفتنة ، وحتَّى يقال له : اللات والعزى إلهك من دُون الله ؟

فيقول : نعم . وحتَّى إنَّ الجمل ليمرُّ بهم فيقال^(٢) له : هذا إلهك ؟

١٠ فيقول : نعم .

فلو كان عليُّ بن أبي طالبٍ قد ساوى أبا بكر في الإسلام لقد كان

فضله أبو بكر بأنَّ أعتق من المفدَّين المفتونين بمكة ، وحتَّى [لو^(٣)] لم يكن

غير ذلك لكان لحاقه عسيراً^(٤) ، ولو كان ذلك يوماً واحداً لكان عظيماً ،

فكيف وكان بين ظهور النبي عليه السلام ودعائه إلى أن هاجر إلى المدينة

١٥ ثلاث عشرة سنة ، في كلِّ ذلك أبو بكر وخبَّابٌ وأصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم يتجرَّعون المرارَ وعلى وادع رافه ، غير طالبٍ ولا مطلوب

وليس أنَّه لم يكن في طباعه^(٥) النجدة والشهامة ، وفي غريزته الدِّفع والحماية ،

(١) في الأصل : « وأخرى » ، تحريف . وعتيق : لقب أبي بكر .

(٢) في الأصل : « فيقول » .

(٣) ليست في الأصل .

(٤) ابن أبي الحديد : « ولو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيراً وبلوغ منزلته

شديداً » .

(٥) في الأصل : « لمن يكون في طباع » صوابه عند ابن أبي الحديد ٢ : ٢٦٧ .

ومن أكرم عنصرٍ وأطيب مفرسٍ ، ولكن لم تكن تمت له أدانته ، ولم تستجمع له قواه ولم تتكامل آدابه ، لأنَّ العقل وإن اشتدَّ مفرزه وثبتت أواخيه وجاد نَحْتُهُ^(١) فإنه لا يبلغ بنفسه درك الغاية ، دون كثرة السَّماع والتَّجربة ، ولأنَّ رجال الطَّلَب وأصحاب الثَّار وأهل السِّنِّ والقَدَر يَغْمِطُونَ ذا الحداثة ، ويُزْرُونَ على [ذى^(٢)] الصَّبَا والفرارة إلى أن يلحق بالرجال ٥ ويصير من الأَكْفَاء* . (** حتى كان آخر^(٣)) ما لقي هو وأهله في أمر الغار ، وقد طلبته قریش وجعلت فيه مائة بعير كما جعلت في النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقى أبو جهل أسماء بنت أبي بكر — وهى ذات النطاقين — مُنْصَرَفَهَا من الغار ، فسألها فكتمته فلطمها ، فقالت أسماء : لقد لطمنى لطمَةً أندرَ منها قُرطًا كان فى أذنى^(*) .

١٠

فصل : (***) ثم الذى كان من دعائه إلى الإسلام وحسن احتجاجه حتى أسلم على يديه طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وعثمان ، لأنَّه ساعة ما أسلم دعا إلى الله ورسوله^(*) ، وكان مألُفًا ، لأدريه وعِلمه ورُحْب عِلمه .
 وقالت أسماء : « ما عرفتُ أبى إلَّا وهو يدين بالدين ، ولقد رجع إلينا يوم أسلم فدعانا إلى الإسلام فما رِمْنَا حتى أسلمنا وأسلم أكثر ١٥ جلسائه » ، ولذلك قالوا : لَمَنْ أسلم بدعاء أبى بكر أكثرُ ممَّن أسلم

(١) النحت : الأصل .

(٢) ليست فى الأصل . وعند ابن أبى الحديد : « ويزدرون بذى الصبا » .

(*) الكلام من « ثم الذى كان يلقي أبو بكر » إلى هنا مع الإيجاز وإفراد بعض العبارات

٢٠

بالرد رقم (٧) موضع رد الإسكافي سيأتى فى رقم (٦) .

(٣) فى الأصل « حتى أن أحر » ، صوابه فى ح .

(**) انظر رد الإسكافي رقم (٨) .

(***) انظر رد الإسكافي رقم (٩) .

بالسيف . ولم يذهبوا من قولهم إلى العدد بل عتوا الكثرة في القدر ، لأن من أسلم على يده خمسة من الشورى ، كلهم يفي بالخلافة ، وهم أكفاء على ومنازعوه الرئاسة والإمامة ، فقد أسلم على يده أكثر ممن أسلم بالسيف ، لأن هؤلاء أكثر من جميع الناس^(*) .

٥ — فصل : وممن أسلم على يده بلال ، وهو الذي يقول فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « بلالٌ سيّدنا ومولى سيّدنا » . ورووا أنه قال : « أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلالٌ سابق الحبش ، وبلال « مولى أبى بكر » ثلاث مرات . أسلم على يده فأعتقه من رق الكفر ، وأعتقه من رق العذاب حيث كان يُفتن في الله ورسوله ، وأعتقه من رق العبودية . ١٠

وكان من قصة بلال أنه كان عبداً لبني جحج وكانت دارُ أبى بكر ومسجده في حيّ جحج ، ولم يكن يبطن مكة مسجده سواه ، فلما سمع دُعاء أبى بكر أسلم وحده^(١) فلما سمع^(٢) أمية بن خلف فكان يخرج به إذا حيت الظهيرة فيطرخه على ظهره ببطحاء مكة ، ثم يضع صخرة على صدره ، ثم يحلف بالله لا ينزعها عن صدره أو يكفر بمحمد وإلهه ويؤمن باللات والعزى ! وبلال يابى وهو يقول : أحدٌ أحد ! وكان يمرُّ به ورقة بن نوفل فيقول : نعم يا بلال ، أحد أحد ! ! فرَّ به أبو بكر وهو يريد داره في بنى جحج ، فرأى أمية وما يصنع ببلال ، فقال : ألا تتق الله ؟

**** الكلام من « وقالت أسماء » إلى هنا موضوع رد الإسكافي رقم (١٠) .

٢٠ (١) في الأصل : « واحدة » .

(٢) لعلها « وسمع » .

إلى متى تعذب هذا المسكين ؟ ! قال : أنت أفسدتَه ! يعني أنت دعوتَه حتَّى أسلم — فأنقذه ! قال أبو بكر : عندي غلامٌ أسود جلدُه ، على دينك ، أعطيكَه وأخذه . فأعتقه . فهو عتيقه ثلاثَ مرَّات (١) .

(*) ثم أعتق بعد ذلك من المذنبين في الله ستَّ رقاب ، منهم عامر بن فهيرة ، شهد بدرًا وهاجر مع رسول الله عليه السلام وأبى بكر ، لأنَّه كان في موضع الثقة ، حيثُ خرجا إلى الفار هاريين من المشركين متوجَّهين إلى المدينة . واستشهدَ يوم بئر معونة .

وأعتق زينة (٢) ثلاثَ مرَّات ، فلمَّا اشتراها وأعتقها ذهبَ بصرُها ، وكانت تُعذب في الله فيمن يُعذب بمكة ، فقال المشركون : ما أذهبَ بصرَها إلَّا اللَّاتُ والعزَّى ! قالت : كذبوا ما يضرَّان ولا ينفعان ! فرد الله عليها ١٠ بصرَها . فزعم الزُّهري (٣) أنَّ موليين لابن الغيطلة (٤) أسلما حين ردَّ الله عليها بصرَها . وقالوا : هذا بلا شك (٥) من إله محمدٍ وابن أبي قحافة !

ثم أعتق النّهديّة وابنتها وقد كانتا تعذبان في الله ، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار ، ومَرَّ بهما أبو بكر وقد بعثت العبدية (٦) معهما بطحينٍ وهي

(١) إشارة إلى ما سبق من أنه أعتقه من رق الكفر ، ومن رق العذاب ، ومن رق العبودية . انظر ما سبق في ص ٣٢ س ٩ — ١٠ .

(٢) زينة ، بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة ، كما ضبط الحافظ في الفتح ٣٦٣ قسم النساء ، والسهيلي في الروض الأنف ١ : ٢٠٣ . وكانت رومية .

(٣) في الأصل : « الزهري » .

(٤) كان ابن الغيطلة من أشد أعداء الرسول — والقيظة أمه ، كانت كاهنة من بني سهم في الجاهلية — واسمه الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم السهمي . انظر إمتاع الأسماع ١ : ٢٢ وحواشيه .

(٥) في الأصل : « هذا بك شك » .

(٦) هي مولاتهما ، نسبة إلى بني عبد الدار .

تقول : والله لا أعتقكما أبداً . قال أبو بكر : حلاً^(١) يا أمّ فلان ؟ قالت : حلاً ! أنت أفسدتهم فأعتقهم . قال : فبكأن هما^(٢) يا أمّ فلان ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : فقد أخذتهما ، وهما حرّتان ، أرجما إليها طحينها . قالت : أو نفرغ منه يا أبا بكر^(٣) ؟ قال : وذلك إن شئتما .

٥ ومرّ بجارية بنى مؤمل — حى من بنى عدى بن كعب — وعمر بن الخطّاب يعذبها لتترك الإسلام ، وهو يضربها فإذا ملّ قال : أعتذر إليك إننى لم أتركك إلاّ ملّالة^(٤) ! فابتاعها فأعتقها . وأعتق أمّ عبّيس^(٥) .

١٠ فقال له أبو قحافة : أى بُنىّ ، أراك تعتق رقاباً ضمافاً ، فلو أنّك إذ فعلت أعتقت رجلاً جُلداً^(٦) منعوك وقاموا دونك ؟! قال : يا أبتِ

(١) فى السيرة ٢٠٦ جوتنجن وهامش الروض ١ : ٢٠٣ : « حل » بالرفع فى الموضعين
ولسكل وجه . حلاً ، أى تحللى من يمينك . انظر الرياض النضرة ١ : ٨٩ .

(٢) أى بكم ها . وفى السيرة : « فبكم ها » . قال ابن هشام فى المغنى عند الكلام على « كآين » : « لا تقع مجرورة ، خلافاً لابن قتيبة وابن عصفور ، أجازا : بكآين تبّيع هذا النوب » . فإورد الجاحظ شاهد لمذهبهما . ١٥

(٣) فى السيرة : « أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم زرده إليها » ، كأنهما أرادتا أن تتخففا من ثقل الحمل .

(٤) بعده فى السيرة : « فنقول : كذلك فعل الله بك !! » .

(٥) فى الأصل : « أم عبّيس » تحريف ، صوابه فى السيرة ولمتاع الأسباع ١٩ . ويقال فيها أيضاً « أم عبس » وكانت فتاة من بنى تيم بن مرة ، وهى أم عبّيس بن كرز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس بن مناف . ٢٠

(٦) الجلد ، بالتحريك : الشدة والقوة ، وهو جلد وجليد ، من أجلاذ وجللاء وجلاد وجلد .

- إِنَّمَا أُعْتِقُ الْمُعَذِّبِينَ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « أَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ^(١) . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » إلى قوله : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ^(*) » . فَتَفَهُمُ معنى قوله : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى » وَتَفَهُمُ معنى قوله : « وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .
- وقد سمعت قول الله سبحانه حيثُ خاطب جماعة المسلمين وذكر
- الأموال وعظم قدرها في عُيُونِهِمْ ، وشدة إخراجها عليهم ، وأنه لو كلفهم ذلك لأخرجهم ثَقُلَ التَّكْلِيفُ إلى غاية البُخْلِ بها والشَّحِّ عليها ، والإِثَارَ لحبسها فقال : « لَا تَهِنُوا ^(٣) وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ . إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُو ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ » ثم قال : « وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ . إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا ١٠
- فِيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ » . فَتَفَهُمُ معنى هذا الكلام وأنَّ الله لم يُنْزِلْهُ عِبَاً ^(٤) . ثم قال : « هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ » . أَلَا تَرَاهُ خَاطَبَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ فقال : « وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ ^(٥) » . ١٥
- ^(*) ثم قد علمتم ما قد صنع أبو بكرٍ بماله ^(٦) ، وكان المَالُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا

(١) التلاوة : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى » وحذف الواو والفاء ونحوهما في مواضع الاقتباس من القرآن الكريم جائز . انظر ما كتبت في حواشي الجِوَان ٤ : ٥٧ .

(*) الكلام مع إيجاز شديد من قوله « ثم أعتق بعد ذلك من المعذِّبِينَ » ص ٣٣ س ٤ إلى هنا موضع رد للاسكافي ، وسيأتى برقم (١١) .

(٣) التلاوة : « فَلَا تَهِنُوا » . سورة محمد ٣٥ . وانظر التنبيه السابق رقم (١) .

(٤) في الأصل : « عتبا » .

(٥) بعده يبدأ الاختيار الثاني من نسخة المتحف البريطاني المرموز إليها بالرمز (ب) .

(٦) ب : « في ماله » .

فأنفقته على نوائب الإسلام وحقوقه ، ولم يكن ماله ميراثاً لم يكده فيه فهو
غزير^(١) لا يشعر بعُسّر اجتماعه^(٢) وامتناع رجوعه ، ولا كان هبة ملك
فيكون أسمع لطبيعته وأخرق في إنفاقه ، بل كان ثمرة كده وكسب
جولانه وتعرّضه . ثم لم يكن خفيف الظّهر قليل النّسل قليل العيال ،
فيكون قد جمع اليسارين ؛ [لأن المثل الصحيح السائر : قلّة العيال أحد
اليسارين^(٣) !] بل كان ذا بنين وبناتٍ وزوجة وخدم وأحشام^(٤) ، يعول
مع ذلك أبويه وما ولدا ، ولم يكن فتى حدّثاً فتهزّه أريحية الشّباب
وغرارة الحداثة ، ولم يكن بهذا إنفاقه طمع يدعو ، ولا رغبة تحدوه ،
ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك عنده يدٌ مشهورة فيخاف العار
في ترك مواساته^(٥) وإنفاقه عليه ، ولا كان من رهطه دُنياً^(٦) فيُسبّب
بترك مكانفته ومعاونته وإرفاقه . فكان [إنفاقه^(٧)] على الوجه الذي
لا نجد أبلغ في غاية الفضل منه^(٨) ، ولا أدلّ على غاية الصدق والبصيرة منه .

(١) في النسختين : « عزيز » .

(٢) في الأصل : « احتماله » ، صوابه في ب .

(٣) التكملة من ب .

(٤) أحشام : جمع حشم ، وهم خاصة المرء الذين يفضبون له من عبيد أو أهل أو جيرة .

ب : « وحشم » .

(٥) هذا ما في ب . وفي الأصل : « مواساته كعلى » . والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٦) يقال هو ابن عمه دنيا ، بكسر الدال مع التنوين وعدمه ، وبضمها مع ترك الإجراء .

إذا كان ابن عمه لحا لاصق النسب .

(٧) التكملة من ب .

(٨) السلام من « ثم قد علمتم ما قد صنع » ص ٣٥ س ١٦ إلى هنا موضوع

الرد رقم (١٢) .

* وقد تعلمون ما كان يلقي أصحاب النبي عليه السلام بيطن مكة من المشركين ، وقد تعلمون حسن صنيع كثير منهم ، كصنيع حمزة حين ضرب أبا جهل بقوسه ، فبلغ في هامته ، في نصرته النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو جهل يومئذ أمنع البطحاء ، وهو رأس الكفر .

ثم صنيع عمر حيث يقول يوم أسلم : « والله لا يُعبد (١) الله سراً بعد اليوم ! » حتى قال بعد موته عبد الله بن مسعود : « ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر (٢) » .

ثم كان الذي لقي في ذلك اليوم بعينه من المشركين ، ثم مضيه من فوره حتى يقرع على أبي جهل الباب ، فلما حس به أبو جهل خرج إليه وهو يقول : مرحباً بابن أختنا — وكانت أمه حنتمة بنت هاشم ذى الرقبة .
ابن المغيرة — قال : أتدرى ما صرتُ بعدك يا أبا الحكم ! قال : خير ، فليكن . قال : إنه خير ، إني آمنت بالله وبرسوله وخلعت الأنداد ، وجعلت (٣) اللات والعزى ، وصدقت محمداً . قال : فلا قرب الله قرابتك !!
ألا ترى إلى قوة (٤) شهامته وجلده ، وصدق نيته في كشف القناع ، والمبادأة لرأس الكفر وسيد البطحاء عند نفسه ورهطه .

وقوله بعد ذلك لجميع المشركين : أما والله لو قد صرنا مائة لتركتموها لنا أو تركناها لكم — يعنى مكة .

(١) ب : « لا نعبد » بالنون .

(٢) إلى هنا ينتهى هذا الاختيار في ب الذى بدأ في ص ٣٥ من ١٦ .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في الأصل : « قوله » .

(٥) في الأصل : « لقد » .

ثم صنيع [الزبير ^(١)] في سلّه السيف شاداً به مستقبل المشركين ، يريد خبط من لقيه منهم ، فتلقاه النبي صلى الله عليه مقبلاً فقال : مالك يا زبير ؟ ! قال : بأبي أنت وأمي ، سمعت قائلاً يقول : قد أخذ محمد وأوذى ! فكان أول من شهر سيفاً في الإسلام .

ثم صنيع سعد ^(٢) وضربه عظيماً من عظمهم على أم رأسه بلحى بعير ، فكان أول من أراق دمًا في الإسلام . وهو الذي يقول لرسل على حين أتوه يدعونه إلى بيعته : ثكلتني أمي ، لن كنت مع رسول الله صلى الله عليه سادس ستة ^(٣) ما لنا طعام إلا ورق البشام ، ثم جاءني أعراب الأوس تعلمني دين الله ؟ !

وإنما ذكرت لك هذا لتعلم أقدار القوم والذي لقوا من الجهد والخوف والذل والتطراد والضرب . ولم نسمع لعل في جميع ذلك ذكراً .

ولم يكن ذلك المكروه سنة ولا سنتين ، ولكن ثلاث عشرة سنة ، وهذا أمر لا يلحق ولا يدرك الفائت منه ، كما قال الله : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى ^(٤) » .

(١) تكملة يقتضيه السياق . وانظر الإصابة ٢٧٨٣ .

(٢) هو سعد بن أبي وقاص ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتاً ، وأحد الستة أهل الشورى . الإصابة ٣١٨٧ . وفيها : « فبينما سعد في شعب من شعاب مكة في قعر من الصحابة إذ ظهر عليهم المشركون فنافروهم وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم . فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحى جل فشجه » . وذكر في السيرة ١٦٦ أنهم كانوا يصلون حينئذ .

(٣) في الإصابة : وقع في صحيح البخارى عنه أنه قال : « لقد مكثت سبعة أيام ولاني

لثالث الإسلام » . وانظر فتح البارى ٧ : ٦٦ — ٦٧ .

(٤) الآية ١٠ من سورة الحديد .

فإذا كانَ مَنْ أنْفَقَ وقاتل قبل الفتح أعظمَ درجةً ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا هجرة بعد الفتح » ، فما ظنُّكَ بمن قاتَلَ وأنْفَقَ قبل الهجرة . ومن لدن^(١) مبعث النبي صلى الله عليه إلى الهجرة أعظمُ من القيام بأمر الإسلام بعد الهجرة ، [و] أفضلُ من القيام بأمر الإسلام بعد الفتح .

فإن قالوا : قد عرفنا أنَّ أبا بكرٍ قد أنْفَقَ قبل الهجرة ولا نعرفه قاتَلَ قبل الهجرة ، فقتالُ عليٍّ بعد الهجرة أفضلُ من إنفاق أبي بكر قبل الهجرة .

* قلنا : إنَّ أبا بكرٍ وإن لم يقاتل قبل الهجرة فقد قتلَ مراراً وإن لم يمت قبل الهجرة ، ولأنَّه لو أُجمع جميعُ المكروه الذي لقيَ أبو بكر ثلاث عشرة سنة لكان أكثر من عشرين قتلة^(٢) .

ولو كان في ذلك الزمان القتالُ ممكنًا والوثوب مُطمعاً لقاتَلَ أبو بكرٍ ونهض كما نهض في الردّة . وإنما قاتَلَ عليٌّ في الزّمان الذي [قد^(٣)] أقرن [فيه^(٣)] أهلُ الإسلام لأهل الشرك^(٤) ، فطمعوا أن تكون الحربُ

- ١٥ (١) في الأصل : « وبين إذن » ، صوابه في ح ٣ : ٢٧٥ .
 * بعده في ح : « وإلى بعد الهجرة » . والكلام من أول قوله : « وقد تعلمون ما كان يلقي » في ص ٣٧ س ١ إلى هنا موضع الرد رقم (١٣) .
 (٢) يبدأ بعده اقتباس جديد في نسخة (ب) سننبيه على نهايته .
 (٣) التكملة من ب .
 (٤) يقال أقرن له ، أى أطافه وقدر عليه ، وأقرنت فلاناً ، أى صرت له قرناً .
 ٢٠ وفي ح : « في الزمان الذي استوى فيه أهل الإسلام وأهل الشرك » . والنصوص التي في ح يكثر فيها التصرف .

سجالات ، وقد أعلمهم الله أن العاقبة للمتقين ، وأبو بكر مقتون مفرد^(١) [ومطروود مشرّد ، ومضروب معذب^(٢)] ، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة . ولذلك قال أبو بكر بعد أن استفاض الإسلام وضرب بجرانه وظهر أمره : « طوبى لمن مات في نأنة الإسلام » ، يقول : في أيام ضعفه وقتلته* ، حيث كانت الطاعة أعظم ، لفرط الاحتمال ، والبلاء أغلظ ، لشدة الجهد ، لأن الاحتمال كلما كان أشد وأدوم كانت الطاعة أفضل ، والعزم فيه أقوى .

ولا سوا مقتون مشرّد لا حيلة عنده ، ومضروب معذب لا انتصار به ولا دفع عنده ، ومبّاطش مقرر^(٣) [يشقى غيظه ويروى غليله ، وله مقدم يكنفه ويشجّعه .

ولا سوا مقهور^(٤)] لا يغاث^(٥) ، ولم ينزل القرآن بعد بظفّره ،

(١) في الأصل : « مقتول » صوابه في ب . وبدل « مفرد » في ب « معذب » .

(٢) التكملة من ب . و « معذب » هي في أصلها هنا « ومغرب » .

(٣) ساق الإسكافي الكلام من « قلنا إن أبا بكر » ص ٣٩ س ٩ إلى هنا على هذا الوجه : « قال الجاحظ : ولأبي بكر مراتب لا يشركه فيها على ولا غيره وذلك قبل الهجرة فقد علم الناس أن علياً عليه السلام إنما ظهر فضله وانتشر صيته وامتحن ولقي المشاق منذ يوم بدر ، وأنه إنما قاتل في الزمان الذي استوى فيه أهل الإسلام وأهل الشرك وطمعوا في أن تكون الحرب بينهم سجالات ، وأعلمهم الله تعالى أن العاقبة للمتقين . وأبو بكر كان قبل الهجرة معذباً ومطرووداً مشرّداً ، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة ، ولذلك قال أبو بكر في خلافته : طوبى لمن مات في نأنة الإسلام . يقول : في ضعفه » . ثم عقب عليه بالرد رقم (١٤) في ملحقات الكتاب .

(٤) المباطشة : مفاعلة من البطش وهو السطوة والأخذ بالعنف . والمقرر : المطبق

القادر . ب : « مفرق » .

(٥) التكملة من ب .

(٥) في الأصل : « لا يعاب » صوابه في ب .

وقد هتك اليأس لَطُول ما لِقَى حِجَابَ قلبه ، ونَقَضَ قَوَى طمعه حتَّى
بقي وليس معه إلَّا احتسابه ، ومقاتِلُهُ في عسكرٍ معه عِزُّ الرَّجَاءِ ^(١) وقوَّة
الطمع ، وطيبَ نَفْسُ الآمِلِ ^(٢) .

- فليس لعلَّ موقفٌ من المواقف إلَّا ولأبى بكرٍ أَفْضَلُ منه إمَّا في ذلك
الموقف وإمَّا في غيره . ولأبى بكرٍ مواقف لا يَشْرَكَ فيها على ولا غيره . ٥
وإنَّما مُحْصَى على وامتَحِنَ من لدنْ يوم بدر إلى آخر غَزَوَاتِ النبي
صلى الله عليه وسلم ^{*} وبينَ الحِمْيَةِ في الدَّهْرِ الذي كان أصحابُ النبي صلى الله
عليه وسلم فيه مُقَرَّبِينَ لأهل مَكَّةَ ومشركي العرب ومعهم أهل يثرب أصحاب
النَّخِيلِ والآطام ، والإرْبَ والإقْدَام ، والصَّبْرَ والموَاسَاة ، والإيثار والحِمْيَةَ ،
والعدد الدَّثْرَ والفعل الجَزْلَ ، وبينَ الدهر الذي كانوا فيه بِمَكَّةَ يُفْتَنُونَ ١٠
ويُشْتَمُونَ ويُضَرَّبُونَ ويشَرَّدُونَ ، ويجوَّعون ويعطَّشون ، مقهورين لا حَرَكَ
بهم ، وأذِلَّاء لا دَفْعَ عندهم ، وفقراء لا مال لهم ، ومغَيَّظِينَ
لا يُمْكِنُهُم السَّفَهَاءُ ^(٣) ، ومُسْتَخْفِينَ لا يُمْكِنُهُم اللَّقَاءُ ^(٤) — فرقُ بَيْنَ .
ولقد كانوا في حالٍ أخرجت لوطاً — وهو نبيٌّ ، والنبيُّ خيرٌ من
جميع الناس — إلى أن قال لقومِهِ حينَ لَقِيَ منهم مَالِقُ : « لو أَنَّ لِي بِكُمْ ١٥
قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » . [وقال النبي صلى الله عليه وآله :
« عَجِبْتُ مِنْ أَخِي لُوطٍ كَيْفَ قَالَ : أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ^(٥)] وهو يَأْوِي
إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ !

(١) في الأصل : « غير الرجا » ، وفي ب : « عز الرجال » ووجههما ما أثبت .

(٢) هذا نهاية الاختيار الذي بدأ في ص ٣٩ س ١٢ . ٢٠

(٣) كذا . ولعل قبلها كلمة ساقطة .

(٤) عثد ابن أبي الحديد : « لا يُمْكِنُهُم إظهار دعوتهم » .

(٥) التكملة من ح .

ثم لم يكن ذلك يوماً ولا يومين ، ولا شهراً ولا شهرين ، ولا عاماً ولا عامين ، ولكن السنين بعد السنين .

— وكان أغلظ القوم محنةً وأشدّهم احتمالاً بعد رسول الله صلى الله عليه

— أبو بكر الصديق ، لأنه أقام ما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،

وذلك ثلاث عشرة سنة . وإنما قلنا ذلك من أجل أن الناس اختلفوا

في مقدار مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى هجرته ، فقال قائل : خمس

عشرة سنة ، وقال آخرون : ثلاث عشرة سنة ، وقال قوم : عشر سنين ،

فكان أعدل الأمور وأقسطها طرح الطرفين ، والأخذ بأوسط الروايات* ،

كما صنعنا في عمر علي بن أبي طالب ، حيث وجدنا ولده جعفر بن محمد

١٠ [و] هو دونَه ، يخبر أن علياً استشهد وهو ابن سبع وخمسين . وقالت

(علماء الرافضة) : نحن أعلم به من ولده إلا الأئمة منهم . ولم يقل هذا

القول إمامٌ منهم قطُّ ، ولكن علياً استشهد وهو ابن ثمان وخمسين سنة ،

ثم روى الناس بعدُ أنه استشهد وهو ابن ستين وابن ثلاث وستين

وابن أربع وستين ، أخذنا بأوسط ما قالوا فطرحنا سنيه وسني عمر وعثمان

١٥ وأبي بكر والهجرة ومقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ؛ فحصل العدد الذي أثبتناه

في صدر ذكرنا القضية .

دور —*) فإن قالوا : قد صنع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة أفضل

من جميع ما ذكرتم ، ولقي أشدّ مما لقي أفضلهم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه

وسلم أبأته في مضجعه وعلى فراشه والمشركون يرصدونه ، وقد سقط إليهم

٢٠ أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد المدينة ، فقد تحزّموا واجتمعوا وقلّبوا

• الكلام من « وبين المحنة » ص ٤١ س ٧ إلى هنا موضع الرد رقم (١٥) .

الرأى فرأوا أن يبيتوه على فراشه إن لم يظهر لهم . فقال لعلى : « نتم على فراشى وتغش ببرد الحضرى ، فإنهم إن رأوا حجمك فوق الفراش ودون البرد لم يستريبوا ، وخفى لهم ^(١) أمرى ، ولم يتبعوا أثرى » . فنام على فراشه ينتظر وقع السيوف ، ويتوقع رضح الحجارة ، باذلاً نفسه مصطبراً .
 وليس فوق بذل النفس درجة يلتبسها صابر ، ولا يبلغها طالب .

وإن كان أبو بكر قد أحسن في خروجه وهجرته وصحبته ، وهربه مع النبى صلى الله عليه وسلم ، واستخفائه في الغار ، فإن ذلك لن يبلغ من الاحتمال والخطار والخوف ، قدر ما كان فيه على رضى الله عنه ، لأن طمع النجاة في أحدهما أقوى ، والنفس له أرجى .

قيل لهم : لو كان الأمر كما تقولون في هذين الخوفين لم يقم صرف ١٠ ما بينهما ^(٢) بقدر عشر ما لى أبو بكر من جميع ما وصفنا وما صنع أبو بكر في ثلاث عشرة سنة ، من كثرة الإنفاق ، وإيثار الفقر على الغنى ، والوحدة على الأنسة ، والهوان بعد الكرامة ، والخوف بعد الأمن ، والضرب والافتتان بعد الإكرام والتعظيم ، مع عتق المذنبين وكثرة المستجيبين ، ومع صرف وزن ما بين الطاعتين ؛ لأن طاعة الشاب الغرير أو الحدث الصغير ، الذى فى عز صاحبه عزّه ، ليس كطاعة الحكيم المحتنك الأريب ، الذى لا يرجع تسويده لمن سوّده [و] إلى رهطه ^(*) .

(١) فى الأصل : « لى » .

(٢) صرف ما بينهما ، أى فضل ما بينهما . يقال : بين الدرهمين صرف ، أى فضل ،

لجودة فضة أحدهما .

(*) الكلام من « فإن قالوا قد صنع » ص ٤٢ س ١٧ إلى هنا موضع رد الاسكافى سياأتى برقم (١٦) .

(*) وفرق آخر : أن أمر الغار وقصة أبي بكر وصحبته مع النبي صلى الله عليه وسلم وكونه معه فيه ، نطق [به] القرآن وصح به الإجماع ، كالصلوات الخمس ، والزكاة المفروضة ، والغسل من الجنابة ، حتى إن من أنكر ذلك عند الأمة مجنون أو كافر . وأمر علي ونومه على الفراش إنما جاء بحجى الحديث ، وكما تجيء روايات السير وأشعارها . وهذا لا يوازن ذا ولا يكايله (*) .

وأول مراتب العالم أن يعرف المعارضة والمقابلة ، والنقص والمتساوى . ولو أن رجلاً من أوساط الناس أظهر شكاً في قصة علي ومبيته ، وقال : قد سمعت ذلك ولعلّه ، ولكنى مشفق للذى^(١) أعرف من ١٠ أكاذيب الشيعة ، وتوليد محال السير ، لم يكن عليه بأس من الإمام . ولو قال رجل لك ، وهو رجل من أوسط الناس : والله ما أدري والله ، لعل الله إنما عني بقوله : « ثانی اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي الْغَارِ » على بن أبي طالب ، لوجد عند الإمام غاية النكير .

(*) وفرق آخر : أنه لو كان مبيت علي على فراش النبي صلى الله عليه وسلم جاء بحجى كون أبي بكر في الغار مع النبي ، لم يكن في ذلك كبير طاعة ، فضلاً عن أن يساوى أبا بكر أو يبرز عليه ، لأن الذين نقلوا — كاذبين كانوا أو صادقين — أن النبي صلى الله عليه وسلم أبات علياً على فراشه ، هم الذين نقلوا أن النبي عليه السلام قال : « تَغَشَّ بِرُدى ،

(*) الكلام من « وفرق آخر أن أمر الغار » في أول هذه الصفحة إلى هنا موضوع الرد رقم (١٧) .
(١) في الأصل : « الذى » .

ونم في مضجعي ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه » ؛ وهكذا لفظُ هذا الحديث ، لا يشكُّ في ذلك أحد . ولم يُنقل إلينا أنَّ النبي صلى الله عليه قال لأبي بكر : أنفق واحتمل ، ولن تعطب ولن يصل إليك مكروه* .

(*) فإن قالوا : إنَّ علياً وإن كان حدثاً — كما تزعمون — أيام مكة فإنه قد لحق السابق له ثمَّ برز عليه بصنيعه يوم بدرٍ وأحد والخندق ، ويوم خيبر ، وفي حروب النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى أن قبضه الله سبحانه إلى جنبه ، لجمع أمرين : كثرة التعرض للمنايا ، وعظم الغناء بقتل الأقران والفرسان ، والقادة والسادة ، لأنَّ من له من قتل الأنجاد والأجناد ما ليس لغيره ، فله من التعرُّض والاحتمال والصبر والاحتساب ما ليس لغيره .

قلنا : إنَّ كثرة القتل وكثرة المشي بالسيف لو كان أشدَّ المحن ١٠ وأعظم الغناء ، وأدلَّ على الرياسة ، كان ينبغي أن يكون لعلی والزبير ، وأبي دُجانة^(١) ، ومحمد بن مسلمة ، وابن عَفْرَاء^(٢) ، والبراء بن مالك من عظم الغناء واحتمال المكروه بالقدَّر العظيم ما ليس للنبي صلى الله عليه وسلم ،

* السلام من قوله « وفرق آخر أنه لو كان » ص ٤٤ س ١٤ إلى هنا موضع

الرد رقم (١٨) .

١٥

(١) بضم الدال . واسمه سماك بن خرشة . الإصابة ٣٧١ من قسم السكني .

(٢) لم يذكر لنا الجاحظ من يعنيه بابن عَفْرَاء ، وهم ثلاثة : عوف ، ومعاذ ، ومعوذ ، بنو الحارث بن رفاعه ، وأُمهم عَفْرَاء بنت عبید بن ثعلبة . السيرة ٥٠٣ . وكلهم شهد بدرًا ، واستشهد منهم فيها عوف ومعوذ ابنا عَفْرَاء . السيرة ٥٠٧ . الإصابة ٦٠٨٧ ، ٨١٥٧ وإمتاع الأسماع ٩١ . وشهد العقبة منهم معاذ . الإصابة ٨٠٣٤ ، وأظهرهم شجاعة في تلك الحروب هو عوف ، قال ابن إسحاق : « وحدثنني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث وهو ابن عَفْرَاء قال : يا رسول الله ، ما يضحك الرب من عبده ؟ قال : غمسه يده في العدو حاسراً . ففرع درعاً كانت عليه ففقدتها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل » . السيرة ٤٤٥ .

٣٠

لأنَّ النبيَّ لم يقتل بيده إلاَّ رجلاً واحداً^(١) ، وقد علمنا أنَّه ليس أحدٌ أشدَّ احتمالاً ولا أعظمَ غناءً ، ولا أظهر فضلاً منه صلى الله عليه .

وقد تجد الرجلَ يقتل الأقرانَ والفرسانَ وهو لا يستطيع أن يرفع طرفه في ذلك العسكر إلى رجلٍ آخر ليس فيه من قتل الأقران قليلٌ ولا كثير ، لعمري هي عندهم أكثر من مشي ذلك المقاتل بسيفه ، وقتله لقرنه .

وإذا ثبت أنَّ رئيس العسكر وأشباهه قد ثبتت لهم الرئاسة واستحقوا التقديم بغير التقدم والمباشرة ، ثبت أنَّ قتل الأقران ليس بدليل على الفضيلة والرئاسة . أو ما تعلم أنَّ مع الرئيس من الاكتراث والاهتمام وشغل البال ، والعناية والتفقد ، ما ليس لغيره ، لأنَّه المخصوص بالمطالبة ، وعليه مدار الأمر ، وبه يستنصر المقاتل وباسمه ينهزم العدو ، وبتعبيته ورايته ومعرفة يفلَّ الحدَّ ، ولأنَّ اختيار الحكيم دليل على احتمال طبيعته واستقلال نفسه ، ولأنَّ فرته أو عرته أعظم في المأثم والعار من عردة غيره وفرته غيره^(٢) . [و] لو لم يكن من بليته وشدة ما مُحَصَّ به^(٣) إلاَّ أنَّ القوم لو ضيعوا

١٥ (١) هذا الرجل هو أبي بن خلف . قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد . السيرة ٥٧٥ ، وعيون الأثر ٢ : ١٤ — ١٥ ولمتاع الأسماع ١٣٩ ، وأما أبو عزة الجمحي فلم يقتله بيده ، بل أمر عاصم بن ثابت أن يقتله ، فضرب عنقه وقتله صبراً . لمتاع الأسماع ١٦٠ (٢) في الأصل : « ولأنَّ قره أو عورته أعظم من المأثم والعار من عورة غيره وقره غيره » . والعردة : اسم المرة من عرد الرجل ، إذا هرب . اللسان (عرد ٢٧٩) . (٣) التمهيس : الابتلاء . قال ابن عرفة : ليمحص الله الذين آمنوا ، أي ليبثليهم . اللسان ٢٠ (محص) . والكلماتان قبلها مهملتان في الأصل .

جميعاً وحَفِظَ ما أُضيفت الهزيمةُ إِلَّا إِلَيْهِ^(١) ، ولا كان المطلوبُ غَيْرَهُ ، ولا كان الدَّلِيلُ المهانُ غَيْرَهُ . ولهذا وأشباهه يكون الرئيسُ أعظمَ غناءً ، وأشدَّ احتمالاً ، لأنَّك [لو] قذفتَ فَضْلَ صَبْرِ المقاتل الواحد في خِصاله لم تجد له أثراً ولم تُحِسَّ له حِسّاً^(١) .

- ٥ * واعلم أنَّ المشى إلى القرن بالسيف ليس هو على ما يتوهمه الغمر من الشدة والفضل وإن كان شديداً فاضلاً . ولو كان كما يظنون ويتوهمون ما انقادت النفس ولا استصعبت للقتال ،^(٢) لأنَّ النفس المستطبعة المختارة التي قتالها طاعة وفرارها معصية قد عُدَّتْ كاليزان في استقامة لسانه وكِفَّتِيهِ ، فإذا لم يكن بمخذاء سيفه إلى السيف ومكروه ما يأتي به ، ما يُمادله ويوازنه لم يمكن النَّفْسُ أن تختار الإقدام على الكف ، ولكنَّ معه في وقت مشيه إلى القرن أمور تنفحه مشجعة^(٣) ، وإن لم يُبصرها الناس وقصوا على ظاهر ما أبصروا من إقدام . والسبب المشجع ربما كان الغضب ، وربما كان الشراب^(٤) ، وربما كان الغرارة والحدائث ، وربما كان الإحراج ، وربما كان الغيرة ، وربما كان الحمية وحُبُّ الأحدث^(٥) ، وربما كان طباعا كطباع القاسي والرحيم ، والسَّخَى^(٦) والبخيل ، والجزوع من وقع السوط
- ١٥

(١) بعده في ح : « فضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد على عليه السلام ذلك اليوم وقتله الأبطال » . والكلام من « فإن قالوا إن علياً » س ٥ ، ٤ إلى هنا هو موضوع الرد (١٩) .

(١) يعني بذلك أن الصبر أضعف الحِصَال عند المقاتل . وكلمة « قذفت » مهملة في الأصل .

(٢) تنفحه : تدفعه . ولم يعجم من تلك الكلمة في الأصل إلا الغاء . وكلمة « مشجعة » رسمت في أصلها « مسجج » . وانظر سياق الكلام .

(٣) كذا جاءت الكلمة واضحة في الأصل .

(٤) ح ٣ : ٢٧٨ : « وربما كان لحبة النفع والأحدث » .

(٥) الكلام من « واعلم أنَّ المشى » س ٤ إلى هنا موضع الرد رقم (٢٠) .

مدرسة

والصَّبْر ، وربما كان السَّبَبُ الدِّينَ ، ولكن لا يَبْلُغُ الرَّجُلُ بِقُوَّةِ الدِّينِ في قلبه ما لم يَشِيعَهُ بعضُ ما ذكرناه أن يمشى إلى السَّيْفِ ؛ لأنَّ الدِّينَ مكتسَبٌ مجتَلَبٌ ، وليس بأصليٍّ ولا طبعيٍّ ، ولأنَّ ثَوَابَهُ مُؤَجَّلٌ ، والحِصَالُ التي ذكرناها طبعيَّةٌ أصليَّةٌ ، وثوابها معجَّلٌ .

٥ وقد يكون مع الإنسان أسباب محدِّرةٌ مجبِّنةٌ ، فيكون رُكُونُهُ ^(١) وجلوسُهُ طِبَاعاً لا يمتنع منه . وربما كانت الأسباب من المشجِّعات والمجبنات سواءً ، فيكون جلوسُهُ عن الحرب وقتالُهُ فيها اختياراً . وربما فضلت قُوَى مشجِّعته حتَّى يكون إقدامُهُ أشراً ومرحاً ، واهتزازاً وطِبَاعاً ، ولا يكون ذلك طاعةً وإن كان في الحكم طاعة . وكذلك الجُبْنُ إذا أفرطَ على صاحبه حتَّى يكون فرارُهُ ^{**} طِبَاعاً لا يكون معصيةً وإن كان في الحكم معصية .

١٥ ولم نردِّ بهذا الكلام تنقُّصَ على رحمة الله ولا إخراجَهُ من الفناء واحتمال المَكْرُوهِ ، كما لم نردِّ تنقُّصَ الزُّبَيْرِ وأبى دُجَانَةَ وابنَ عَفْرَاءَ ومحمد ابن مسleme ، ولكن هكذا صفةُ المستطيع المكلف ، والمطيع والعاصي . وإذا كان مع صاحب الإقدام من الأمور المشجِّعة أمورٌ فاضلة على أسباب جُبْنِهِ وجلوسه ، كان عند الله غيرَ مأجور وإن كان في الحكم الظَّاهر مأجوراً .

(١) في الأصل : « ركوبه » ، تحريف .

٢٠ (**) أوجز الإسكافي هذه العبارة وما ورد في صفحة ٤٧ س ٧ من قوله « لأن النفس المستطاعة » على هذه الصورة ، كما ورد عند ابن أبي الحديد ٣ : ٢٧٨ — ٢٧٩ : « قال الجاحظ : فصاحب النفس المختارة المعتدلة يكون قتاله طاعة وفراره معصية ، لأن نفسه معتدلة كالميزان في استقامة لسانه وكفتيه ، فإذا لم يكن كذلك كان إقدامه طِبَاعاً وفراره طِبَاعاً » . ثم رد عليها بالرد رقم (٢١) .

وإن كانت الأسباب المشجعة في وزن الأسباب المجبنة كان مطيعاً ولم يكن حيثُ وضعه القوم ، لأنهم توهموا مع مشيه بالسيف إلى القرن احتمال المكروه كله ، ورفعوا من أوهامهم الأسباب التي لولاها لم يمكنه المشي إلى القرن بالسيف ^(١) .

° ووجه آخر : أن علياً لو كان كما يقول شيعته ، ما كان له بكثرة المشي إلى القرن بالسيف وبقتله له كثير طاعة ، ولا احتمال مشقة ؛ لأن الشيعة [تزعم ^(٢)] أن رسول الله صلى الله عليه قال لعلي : « إنك ستقاتل من بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين » . والناس كثون : طلحة والزبير وأصحابهما ، والقاسطون معاوية وأصحابه ، والمارقون : عبد الله بن وهب وأصحابه .

١٠

فإن كانوا قد [صدقوا وما ^(٣)] كذبوا فما عسى أن يبلغ من احتمال من هو من البقاء والسلامة على ثقة . فالزبير وطلحة وأبو دجانة وابن عفرأ ومحمد بن مسلمة أعظم طاعة منه ، لأنهم أشد احتمالاً منه ، لأنهم يقدمون المنايا شاعة وهم يرجون ويخافون ، وعلى على ثقة من أمره ، ويقين من بقائه وسلامته . إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا القول إلا قبيل وفاته . ولا سبيل لهم إلى علم ذلك . فيقال لهم : فكذلك خصومكم يمكنهم أن يقولوا لكم : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمة بعيد إسلامه ، وإذا لم يكن في قولكم إن النبي صلى الله عليه وسلم قالها له قبيل وفاته دليل ، ولا في قول خصومكم إن

٢٠

(١) في الأصل : « المشي إلى السيف » . وانظر س ٦ .
(٢) تكملة يقتضيها السياق ، وبوضعها في الأصل علامة لحاق .
(٣) بمثلها يستقيم الكلام .

النبي قالها بُعِيدَ إسلامه دليل ، فأعدلُ الأمور وأنصفُها بينكم وبينهم أن تجعلوا الخبر في النصف ممّا بين إسلامه إلى وفاة النبي صلى الله عليه . فإذا كان ذلك كذلك فقد صار الزبير وطلحة وأبو دُجانة ومحمد بن مسلمة وابن عفراء أفضل منه* ، لأنّ الفضل في احتمال المكروه .

٥ وقد لزمكم أن تزعموا أنّ النبي صلى الله عليه قال هذا الكلام لعلّ قبل وقعة بدر ، وأنتم إنّما تفخرون بوقعة بدر وقاتله بعد ذلك ، فما عسى يبلغ من قتال رجل قد وثق بالسلامة والبقاء إلى أن يقاتل الناكثين والفاستين والمارقين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدهر .

فإذا كان رئيسُ الجيش أعظم غناءً وأشدّ احتمالاً ، للذي وصفنا ، فأشبهه ١٠ القوم حالاً به أعظم غناءً وأشدّهم احتمالاً ، على قياس في الرئيس والكبير المشي بالسيف . ولا أحد أشبهُ بالرئيس ممّن اختاره الرئيس وزيراً وصاحباً ، ومُكانيفاً ومُعِيناً ، لأنّ الرجل إذا كان في رأى العين صاحبَ أمر الرئيس والتولّى على الخاصّة والقربة منه في ظعنه ومُقامه ، وخلواته ، وهربه واستخفائه ، وكان هو المبتدئ بالكلام عنده ، والمفرّع في الحوائج بعده ١٥ والثاني في الدّعاء إلى الله ودينه ، ولا نعلم هذه الخصال اجتمعت في غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لأنّه صاحبُه في كتاب الله سبحانه ،

(* الكلام من قوله « ووجه آخر » في ص ٤٩ س ٥ إلى هنا قد أوجزه الإسكافي على هذا الوجه عند ابن أبي الحديد (٣ : ٢٧٩) : « قال الجاحظ : ووجه آخر أن علياً لو كان كما يزعم شيعته ما كان له بقتل الأفران كبير فضيلة ولا عظيم طاعة ، لأنه قد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال له : ستقاتل بعدى الناكثين والفاستين والمارقين . فإذا كان قد وعده بالبقاء بعده فقد وثق بالسلامة من الأفران ، وعلم أنه منصور عليهم وقاتلهم ، فعلى هذا يكون جهاد طلحة والزبير أعظم طاعة منه » . ورد عليه بالرد رقم (٢٢) .

قال الله عزَّ وجلَّ : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ؛
 فسمَّاهُ الله صاحباً في كتابه ثم سمَّاهُ النبي صلى الله عليه صديقه من بين
 خلق الله ، حتَّى غلب على اسمه واسم أبيه ولقبه ونسبه ، حتَّى كان النَّاسُ
 أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ وبعدَ وفاته يقولون : قال عليٌّ وفعل عليٌّ ، وقال عثمانُ
 وفعل عثمانُ ، وقال عمرُ وفعل عمرُ ، وقال طلحةُ وفعل طلحةُ ، وقال
 الزُّبَيْرُ وفعل ، وجميع العشرة الذين هم في الجنة ، حتَّى إذا صاروا إليه
 قالوا : قال الصَّدِّيقُ وقال أبو بكرٍ الصَّدِّيقُ ، وفعل أبو بكرٍ الصَّدِّيقُ .
 ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، وهو القول الذي كان يُعيدُه
 في كلِّ دارٍ ومنزل : « ما أحمَدُ أَمَنَّا علينا بصُحبته وماله من أبي بكرٍ » ١٠
 وفي قوله : « ما أحمَدُ أَمَنَّا علينا بصُحبته وماله من أبي بكرٍ » معانٍ
 كثيرةٌ ، فهمه الناس أم ذهبوا عنه . فهذا هذا .

ثمَّ كان النبي عليه السلام بمكة ثلاثَ عشرةَ سنةً ، في كلِّ يومٍ
 ذرَّ شارقه يأتي منزلَ أبي بكرٍ إمَّا صباحاً وإمَّا مساءً ، حتَّى كان اليومُ الذي
 أذنَ الله سبحانه له في الهجرة . وإنَّه أتاه مهجراً^(١) فقال له أبو بكرٍ :
 ١٥ بأبي أنت وأُمِّي ، كيف جئتَ اليومَ في هذا الوقت ؟ ! ونزل عن سريره
 وجلسَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وجلسَ أبو بكرٌ بين يديه ، قال النبيُّ :
 هل عندك أحد ؟ قال : لا ، يا رسول الله ، إلَّا أسماءُ وعائشةُ . قال :
 « فإنَّ ربِّي قد أذنَ لي في الهجرة » . فصانَ صُحبته من خلقِ الله غيره .
 ثم لم يُعلمْ بخُروجه غيرَ ابنتيه أسماءَ وعائشةَ ، وغير ابنه عبدِ الله
 ٢٠ ابنِ أبي بكرٍ قتيلاً يومَ الطائف ، وكان هو الذي يتجسَّسُ لهما الأخبارُ
 ويأتِي بها إليهما في الغار ، لأنَّهما استخفيا في الغار ثلاثاً ولم يُطلعا على

(١) التهجير : السير في الهجرة ، وهي نصف النهار عند زوال الشمس .

أمرها غير عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، بدرى استشهد يوم بدر معونة ، فإنه كان يؤنسهما ويحدثهما ويخدمهما في تلك السفرة كلها . وكانت أسماء هي التي تأتيهم بأقواتهم في الغار ، فكان صاحبها في الغار ، وبمكة في طريقه إلى المدينة ، وعلى ظهره ركب النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) ، والنفائي أجيره ^(٢) ، وعامر بن فهيرة خادم النبي صلى الله عليه وسلم ومؤنسه عتيقه ثلاث مرات ^(٣) ومولاه ، والظهر ظهره ، والمؤونة مؤونته ، وصحبة النبي صلى الله عليه وسلم مقصورة عليه ، محبوسة له ، مصنونة عن سواه ، يُطلبان معاً ، وتجعل فيهما قريش شيئاً سواً .

وقالت الأنصار : لما سمعنا بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقُدومه كنّا نخرج إلى ظاهر حرّتنا ننتظره ، حتّى إذا لم نجد ظلّاً دخلنا ، وذلك في أيام حارة ، حتّى إذا كان في اليوم الذي قدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم فعلنا ذلك ثم دخلنا منازلنا ، فكان أول من أبصره رجل من يهود ، فصاح : يا بني قيلة ^(٤) !! فخرجنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) كان لأبي بكر راحلتان أعدهما للهجرة ، ركب إحداها رسول الله . قال ابن إسحاق : « فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال له : اركب ، فذاك أبي وأمي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بغيراً ليس لي . قال : فهمي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي . قال : لا ، ولكن بالثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : أخذتها به . قال : هي لك يا رسول الله . » السيرة ٣٢٩ .

(٢) النفائي : نسبة إلى نفاعة بن عدى بن الديل بن بكر . واسمه عبد الله بن أريقط ، وكان مشركاً يدلّهما على الطريق . قال ابن حجر في الإصابة ٤٥١٧ : « ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد . وقد جزم ابن عبد الغني المقدسي في السيرة له بأنه لم يعرف له إسلاماً » .

(٣) انظر ما سبق في ص ٣٢ س ٩ — ١٠ وص ٣٣ س ٣ .

(٤) قيلة هي أم الأوس والخزرج ، وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . السيرة ١٤٠ . وفي السيرة ٣٣٤ : « يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء » . وفي إمتاع الأسماع ٤٥ : « هذا جدكم الذي تنتظرون » .

وسلم وهو في ظلّ نخلة ، ومعه أبو بكر ، في مثل سنّته وهيئته ،
وأكثرنا لم يكن رآه ، وركبهُ الناس وما نعرفه من أبي بكر حتّى
زال الظلّ عن النبيّ عليه السلام ، فقام أبو بكر فأطلّه بردائه ، فعرفناه
عند ذلك . فهذا هذا .

ثمّ لما كان بعد ذلك في يوم بدر . وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم
لما عزم على محاربة قريش قال له سعد : يا نبيّ الله ، لنبنّ لك عريشاً
فتكون فيه وتقاتل بين يديك . فأذن لهم فبنّوه له ، فعُدّل إليه بعد
أن عبّاهم وأقامهم على مصافّهم وعلى مراتبهم ، فدخله وأدخل معه أبا بكر
وحدّه ، فلما استقرّ في العريش قال له أبو بكر : بعض مناشدتك
يا رسول الله^(١) فإن الله منجز لك ما وعدك . تخفّق النبيّ صلى الله عليه
عليه خفقةً في العريش فالتبّه وهو يقول : أبشّر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ،
هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثيابه النّقع^(٢) !

فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من بين يديه خلق الله
في العريش ، والناس موقوفون على مراتبهم ، فكانت هذه مرتبة أبي بكر .
ورتب لسعد بن معاذ بعد أن كان قائماً على رأسه على باب العريش متوشّحاً
السيف في نفر من الأنصار يحرسون العريش ومن فيه مخافة كرم
العدوّ والجولة .

فإذا كان النبيّ صلى الله عليه في ذلك اليوم في العريش ، وغير ماشر

(١) في السيرة ٤٤٤ : « بعض مناشدتك ربك » .

(٢) النقع : الغبار . وفي الروض الأنف ٢ : ٦٩ : « وفي حديث آخر أنه قال : رأيته
على فرس له شقراء وعليه عمامة حمراء ، وقد عصم بثنيته الغبار » .

إلى السيف ومعه صاحبه وصديقه ، وسيّد الأنصار وأفضلهم على باب العريش ، عُرِفَ أَنَّ عِظَمَ الْغَنَاءِ وَشِدَّةَ الْإِحْتِمَالِ وَالسَّبَبَ الدَّالَّ عَلَى الرِّيَاسَةِ غَيْرُ الَّذِي خَصَّهُ الْقَوْمُ وَجَعَلُوهُ دَلِيلًا . فَمَنْ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ أَشْبَهُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِظَمِ الْغَنَاءِ وَاحْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ ، وَالْحَالِ الرَّفِيعَةِ ، مِمَّنْ كَانَ ثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي التَّقَدُّمِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي كَثْرَةِ الْمُسْتَجِيبِينَ وَالْأَتْبَاعِ ، وَثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ ، وَثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي الْهَجْرَةِ ، وَثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي الْعَرِيشِ ، وَفِي أَشْبَاهِ لِهَذَا كَثِيرَةٌ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ وَقَتْلِ عَلِيٍّ الْأَقْرَانَ وَفَضْلِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ بِذَلِكَ ، فَقَدْ قَلْنَا فِي ذَلِكَ بِمَا قَدْ سَمِعْتُمْ . ١٠

وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ وَجْهًا آخَرَ لِيَزِيدَ فِي الْحُجَّةِ وَيَكْشِفَ مِنَ الدَّلَالَةِ .
تَزَعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مِنْ لَهُ ^(١)]
مِثْلُ غَنَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَنَبَاهَتِهِ وَكَرَمِ مَوْضِعِهِ ، لِأَنَّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِثْلَ الزُّبَيْرِ ، وَطَلْحَةَ ، وَسَعْدٍ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَعُمَانَ ، وَبِلَالٍ ، وَمِسْطَحٍ
ابْنِ أُنَاثَةَ ، وَعَامِرِ بْنِ فَهيرة . وَكَانَ فِي الْعَرِيشِ ، فَلَا أَحَدَ يَعْدِلُهُ ١٥
فِي النَّبَاهَةِ ، وَلَا فِي الْغَنَاءِ وَالرَّفْعَةِ ، وَالْإِحْتِمَالِ لَقَدْرُ الْخِلَافَةِ ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ عَدَدْنَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : رَجُلٌ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ وَبَدُّعَانَهُ وَشَرَّحَهُ فَهُوَ سَبَبُ حُضُورِهِ وَحُسْنِ بِلَائِهِ ، وَرَجُلٌ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ وَأَعْتَقَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ رِقِّ الْعَذَابِ وَرِقِّ الْعُبُودِيَّةِ وَشَهِدَ بَدْرًا وَقَبِلَ ذَلِكَ بِمَوْتِهِ وَكُلْفَتِهِ ، وَإِمَامًا رَيْبٌ

- ونسبُ وابن خالٍ كسطح بن أثاثه ، فقد كان ربيبَه وابنَ خالته^(١) وعلى يده أسلم ، وبه استبصر ، ولم يزل في مؤونته قبل بدر وبعد ذلك وفي أيامه ، إلا ما كان من يمينه أيام حلف ألا يقربَه ولا يُنفقَ عليه ولا يطأَ رحله ، للذى كان كبر^(٢) على عائشة مع حسان بن ثابت ، حتى أنزل الله سبحانه على رسوله براءة عائشة ، وأمر أبا بكرٍ بالإففاق على مسطح^٥ وعياله ، وبالعفو عنه ، وأن يعيده إلى رحله ومحت جناحه ، فأُنزل الله في محكم كتابه على نبيه يريد أبا بكر — وبين أن^(٣) يُفردُ الله الآي ويخصه بمخاطبته وبين أن يريدَه في الجمهور فرقٌ عظيم ، كما أثني على جملة المهاجرين والأنصار — فقال الله وهو يريد أبا بكر : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » . قال أبو بكر : بلى يارب . فردّه إلى رحله وعفا عنه كما أمره الله ، وأجرى عليه وعلى عياله مثل الذى كان يُجرّيه .
- وإنما ذكر الله في هذه الآية القُربى لأنّه كان ابنَ خالته^(٤) ، وجعلَ أهله وعياله مساكينَ أبى بكر ، وهو أحد بنى المطلب بن عبد مناف^(٥) ، وشأنه عظيم .

(١) التحقيق أنه ابن بنت خالته . الإصابة ٧٩٢٩ والسيرة ٧٣٣ وإمتاع الأسماع ٢٠٧ . ومسطح لقب له ، واسمه عوف .

(٢) كبر من الكبر بالكسر ، وهو الإثم . وفي الكتاب الكريم : « والذى تولى كبره » ، قيل الكبر الإثم . وفي الحديث أيضا : « أن حسان كان ممن كبر عابها » . اللسان (كبر) في الأصل : « كان كثر » .

(٣) في الأصل : « وبين مؤمن » .

(٤) انظر ما سبق في الحاشية الأولى .

(٥) في الأصل : « بنى عبد مناف » ، تحريف . انظر المعارف ٣٣ والإنباه على قبائل

وكان أوَّل مَنْ حَثَّ عَلَى قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ بِيَدِهِ وَتَكَلَّمَ فِيهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ .

فَإِذَا شَهِدَ بِنَفْسِهِ وَرَأْيِهِ وَمَالِهِ وَمُسْتَجِيبِيهِ وَأَتْبَاعِهِ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ ضِدِّهِ عِنْدَكُمْ ، مَعَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ اخْتَارَ عَلَيْهِ وَهُوَ عُثْمَانُ ، وَالْبَاقُونَ لَمْ يَخَارِهِمْ وَيُؤَاوِزُوا[نَهُمْ] فَيُعْرِفُ مَوْضِعَ أَفْضَلِهِمْ ، وَقَدْ فُخِرَ عَلَيْهِ سَعْدٌ فَلَمْ يِعَارِضْهُ ، فَأَيْنَ مَبْلَغُ مَا ذَكَرْتُمْ مِمَّا ذَكَرْنَا ، إِذَا كَانَ ^(١) مِثْلُ سَعْدٍ مِنْ مُسْتَجِيبِيهِ — وَهُوَ الْمُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَرَأَقَ دَمًا فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَلَهُ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » ، فَجُمِعَ لَهُ أَبُويهِ وَلَمْ يَجْمَعْهُمَا لِأَحَدٍ قَبْلَهُ . وَفِيهِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا خَالِي أَبَاهِي فِيهِ فُلْيَاتُ كُلِّ أَمْرٍ بِخَالِهِ ^(٢) » . وَهُوَ أَزَالَ كَسْرِي عَنْ قَصْرِهِ وَمُلْكِهِ وَعَنْ مُسْتَقَرِّهِ — وَمِثْلُ حَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنِ عَمَّتِهِ ^(٣) ، مَعَ فَرُوسِيَّتِهِ وَشِدَّةِ بَأْسِهِ وَالَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ شَأْنِهِ بِيَدِهِ حِينَ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي زَيْتِهِ ، عَلَيْهَا عَمَائِمُ صُفْرِ .

١٥ ثُمَّ الَّذِي كَانَ مِنْهُ بِيَدِهِ حِينَ أَتَى الْخَبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قُرَيْشٍ بِمُسِيرِهِمْ ، فَاسْتَشَارَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَامَ أَبُو بَكْرٍ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَإِذَا كَانَ » .

(٢) فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ : « هَذَا خَالِي فَلْيَرِنِي أَمْرُ خَالِهِ » . الْإِصَابَةُ ٣١٨٧ فِي تَرْجَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاسٍ . وَوَجْهُ خَوْوَلَتِهِ أَنَّهُ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ وَهَبٍ بْنِ عَبْدِ مَنَّانِ بْنِ زُهْرَةَ ، وَأُمُّ الرُّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْنَةٌ بِنْتُ وَهَبٍ بْنِ عَبْدِ مَنَّانِ بْنِ زُهْرَةَ . قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ ٥٧ : « وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِأَمْنَةَ أَخٌ فَيَكُونُ خَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ بَنِي زُهْرَةَ يَقُولُونَ : نَحْنُ أَخْوَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّ أَمْنَةَ مِنْهُمْ » . (٣) يَعْنِي الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ ، أُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ . الْإِصَابَةُ ٢٧٨٣ .

فَتَكَلَّمَتْ وَحَتْ عَلَى الْجِهَادِ وَالنُّصْرَةِ ، ثُمَّ قَامَ عَمْرُ ، ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ ^(١) فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ، فَوَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ
لِمُوسَى : « أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ » ، وَلَكِنْ أَذْهَبَ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ . فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَنْ لَوْ سَرَتْ
بِنَا إِلَى بَرِّكَ ذَاتِ الْغِمَادِ ^(٢) لَجَالَدْنَا مَنْ دُونَهُ حَتَّى نَبْلُغَهُ .

فَإِنْ قَالُوا : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يُشْهَدْ [لَهُ] اِحْتِمَالٌ كاحْتِمَالِ عَلِيٍّ ، لِأَنَّ
عَلِيًّا كَانَ يَمْشِي إِلَى السَّيْفِ وَأَبُو بَكْرٍ وَاذَعُ رَافِعُهُ فِي الْعَرِيشِ ، وَدُونَهُ
الْحُرْسُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَصْحَابُهُ ، وَالرَّكَّابُ لَهُ مُنَاقَاةٌ .

قُلْنَا : قَدْ طَعَنْتُمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الشَّانَ لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُونَ
لَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَادِعًا وَكَانَ عَلِيٌّ مُحْتِمِلًا صَابِرًا . وَهَذَا كَلَامٌ قَدْ
فَرَّغْنَا مِنْهُ مَرَّةً ^(٣) .

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ صَاحِبَ اللِّوَاءِ وَإِنْ كَانَ لَا يُبَارِزُ وَلَا يَمْشِي بِالسَّيْفِ
أَنَّهُ يَحْتَاجُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَرْبِ وَعَوْرَتِهَا ، وَإِقْبَالِ أَمْرِهَا وَإِدْبَارِهَا ، وَيَحْتَاجُ
مَعَ اجْتِمَاعِ الْقَلْبِ وَالْيَقَظَةِ وَقِلَّةِ الْخَيْرَةِ ، وَالثَّبَاتِ عِنْدَ الْجَوْلَةِ ، وَالْعِلْمِ

(١) السيرة ٣٣٤ . وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك ، تبناه الأسود بن عبد يغوث
الزهرى فنسب إليه فقيل المقداد بن الأسود ، فلما نزلت : « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ » قيل له المقداد بن
عمرو . الإصابة ٨١٧٩ .

(٢) في الأصل : « برك ذات الغماد » ، تحريف . وبرك بفتح الباء في الأكثر وكسرهما بعضهم .
والغماد بكسر الغين في الأكثر وضهما بعضهم . وكلمة « ذات » و « ذو » تزداد كثيرا في
أعلام البلدان ، كما قالوا : ذو أثيل ، وذو حسم ، وذو العرجاء ، وذات العلندي ، وذات
الإصاد . انظر كتاب أسماء جبال تهامة ٣١ . وبرك الغماد : موضع في أقصى هجر . والبرك :
حجارة مثل حجارة الحرة خشنة يصعب المسلك عليها وعرة ، كما ذكر ياقوت .

(٣) انظر ما سبق في ص ٤٥ — ٤٦ .

بموضع الشدة والانحياز^(١) إلى أكثر مما يحتاج إليه المبارز ، لأن حفظ الجميع أشد من حفظ الواحد ، ولأن كل العدو يطالبه ويريد خنقه ، وكل ذلك يعلمه وعينه ؛ لأن خطاه وضعفه أقرب إلى هلكة الجميع من ضعف المبارز وخطئه .

٥ ولو كان الأمر كما تقولون ما كان أحد أسقط في الحرب ولا أصغر حظاً ولا أقل أجراً ومكاناً من الإمام الأكبر والرئيس الأعظم^(٢) لبعد ما بين بلاد عدوه من بلاده ، ولكن عامله أفضل منه .

١٠ * مع أنكم تريدون في كثرة القتلى وتعظمون شأنهم لتعظموا به من شأن علي ، كصنيعكم في أمر علي ومرحبه ، حيث فخمتموه بالأشعار ونفختموه^(٣) بالبلاغات ، وسكتم عن قتيل الزبير في ذلك اليوم . ومرحبه ويأسر أخوان شهدا الواقعة ، والتباهة لياسر^(٤) . فقصدتم إلى الأمل فرفعتموه وشهرتموه إذ كان قتيل علي ، وقصدتم إلى الأرفع فأخلمتموه^(٥) وأخفيتموه ، إذ كان قتيل الزبير . أو ما علمت أن الزبير ويأسر التقياً فاضطربا بأسيا فهما فلم يُغنيا شيئاً مراراً ، حتى لحجاً في موضع^(٦) واعتضت

١٥ (١) في الأصل : « الانحياز » ، تحريف . والانحياز : أن يعدل عن المكان ويتركه إلى آخر . وفي اللسان : « يقال للأولياء انجازوا عن العدو وحاصوا ، وللأعداء انهزموا وولوا مدبرين » .

(٢) بعده في الأصل : « أقل أجراً وأصغر حظاً » ، وهو تكرار .

(٣) في الأصل : « نفختموه » .

٢٠ (٤) مرحب اليهودي وأخوه ياسر ، قتلا في غزوة خيبر . السيرة ٧٦٠ - ٧٦١ .

وقد ذكر ابن إسحاق أن الذي قتل مرحباً هو محمد بن سلمة . قال ابن سيد الناس ١٣٤ : « هذه رواية ابن إسحاق في قتل مرحب . وروينا في الصحيح من حديث سلمة بن الأكوع أن علي بن أبي طالب قتله » .

(٥) في الأصل : « فاحتملموه » .

٢٥ (٦) لحج في موضع : نشب فيه ولزمه .

بينهما شجرة ، فحذباها^(١) ضرباً وخبطاً ، ثم جمع الزُّبَيْر نفسه ومكن سيفه فضرب رأس ياسرِ ضربةً قد منها البيضةَ ومرَّ السيفُ حتَّى عَضَّ ثَنِيَّتَيْهِ ، فقيل له : يا أبا عبد الله ، ما أجودَ سيفك ! فغضب^(٢) .

وقصدتم إلى عمرو بن عبد ودّ ، فتركتموه أشدّ من عامر بن الطفيل ، وعُتْبِيَّة بن الحارث ، وبسطام بن قيس .

وقد سمعنا بأحداث حروب الفجار ، والذي كان بين المطيئين والأحلاف ، وما كان بين قريش ودؤس وأمر خُزاعة وحلف الفضول ، وجميع أمر قريش من خيرٍ وشرٍّ ، فما سمعنا لعمرو بن عبد ودّ في شيء من ذلك ذكرًا* .

(**) وكذا قتيل^(٣) على الوليد بن عُتْبَةَ يوم بدر ، وما علمنا الوليدَ حَضَرَ ١٠ حرباً قطُّ قبلها ولا بعدها ، ولا ذَكَرَ فيها بطائل** .

فلو ذهبتم إلى أن عليّاً قد بارز وقتل ، وأبلى واحتمل ، كان ذلك

(١) جذب المي . وجذمه : قطعه .

(٢) في السيرة ٧٦١ : « كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذٍ لصارماً عضياً ، قال : والله ما كان صارماً ولكني أكرهته » .

١٥ (*) أوجز الإسكافي — على ما أورده ابن أبي الحديد في ٤ : ٢٧٩ — عبارة الجاحظ من قوله « مع أنكم تزيدون في كثرة القتلى » في ص ٥٨ س ٨ إلى هنا على هذه الصورة « قال الجاحظ : ثم قصد الناصرون أعلى والقائلون بتفضيله إلى الأقران الذين قتلهم فأطروهم وغلوا فيهم وليسوا هناك . فنهزم عمرو بن عبد ود ، زكوه أشجع من عامر بن الطفيل ، وعُتْبِيَّة ابن الحارث ، وبسطام بن قيس . وقد سمعنا بأحداث حروب الفجار وما كان بين قريش ودؤس وحلف الفضول فاسمعت لعمرو بن عبد ود ذكرًا في ذلك » . ورد عليه بالمناقضة رقم (٢٣) . (٣) في الأصل : « ولو قيل » بالإهمال . وعند ابن أبي الحديد ٤ : ٢٨١ : « وقد أكثروا

في الوليد بن عتبة بن ربيعة قتيله يوم بدر » .

(**) هذه الفقرة موضع الرد رقم (٢٤) .

جَيْلاً ، وكان قصداً مقبولا ، ولكنتكم أخرجتموه من حدّ الشجاعة ، وظننتم أنّ السَّرَفَ أمثلُ وأجلّ .

وزعمتم أنّ الذي ^(١) مَنَعَ العربَ وقريشاً أن تجعله الخليفةَ بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه كان قَتَلَ أبنائها وإخوتها وأعمامها ، وما يُعْلَمُ موضعُ رجلٍ واحدٍ يومَ تُوَفِّيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم تَسْمَعُ له الخاصّةُ والعامةُ وترى له طاعةً ، قَتَلَ علىّ أباه أو ابنه أو أخاه ، غير أبي سفيان بن حرب ، فقد كان علىّ قَتَلَ ابنه حنظلة ، وما كان أحدٌ من عليّة قريشٍ والعربِ أقربَ إلى أن يُخَالِفَهُ في الحقِّ والباطل في ذلك الدَّهْرَ من أبي سفيان ، وقد كان أكرهَ النَّاسِ لأبي بكرٍ حينَ قال لبني هاشمٍ وبني أميّة : « رضيتُم معشرَ بني عبد مناف أن يُلَى أمورَكم رجلٌ من بني تيم » . فإذا كان الذي قَتَلَ علىّ ابنه هو الذي أظهر كراهيةَ أبي بكرٍ من بين الناس فكيف حوّلتم القضيّة وقلّبتُم المعنى ؟ !

فإن ذكروا أبا حذيفةَ بنَ عتبةَ لأنَّ عليّاً قَتَلَ أخاه ، قيل : أيكونُ أبو حذيفةَ ممّن أبى عليّاً بهذه العلة ، وأبو حذيفةَ شهد بدرًا فقاتلَ أباه وأخاه وعمّه ، واحتملت نفسهُ وعزُمهُ وصحّةُ إسلامه هذا الصنيعَ ثمَّ يجزُعُ من أقلِّ منه بعدَ الزيادة في الاستبصار ، وبعد طول الدَّهْرِ وموت الأحقاد ؟ ! وهذا ما لا يُشْبِهُه ولا يجوز . وكيف يجوزُ ذلك عليه وهو من المهاجرين الأوّلين ، والسابقين الأوّلين ، وشهد بدرًا والمُشَاهِدَ كُلَّهَا ، وقُبِضَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وهو عنه راضٍ ، واستشهدَ يومَ اليمامةِ ولواء المهاجرين في يده .

(١) في الأصل : « النبي » تحريف .

وكيف يُظَنُّ هذا بأبي حذيفة ولم يُرو عنه في كراهية عليٍّ حُرْفٌ
قطُّ ، ولا قبضٌ لذلك وجهاً ولا أظهرَ تعجباً ؟ !

وكيف يُظَنُّ هذا بالبدرين والمهاجرين الأولين ومنعُ عليٍّ القيام
بأمر الناس على هذا الوجه وعلى هذا المعنى كفرٌ بالله ورسوله . وكيف
يَضْطَفِنُ امرؤٌ على عليٍّ ويُسلمَ قلبه لرسول الله صلى الله عليه ؟ ! لأنه إن
كان يعتدُّ صنيعَ عليٍّ ذنباً حتَّى يولِّدَ له حقداً والذي تفرد^(١) على بذلك
أعظم ذنباً وأجدرُ أن يولِّدَ حقداً . وهذا أخش قُبْحاً ، وأبين خطأً
من أن يُمحورَ جَنّا إلى^(٢) كشفه وتبيينه .

وكيف يجوز هذا على أبي حذيفة ولا نعلم رجلاً في الأرض أبعدَ من
حمية الجاهلية منه ، ولا أسمحَ نفساً بما وافق كتاب الله منه . ولقد بلغ
من إخلاصه ورسوخ الإسلام في قلبه ، وحُبِّه عليه وبِغضته فيه أن طرَحَ
كلَّ ما سواه ، وأخرجه ذلك إلى أن زوَّجَ أخته فاطمة بنتَ عتبة
ابن عبد شمس^(٣) ، بن سالم مولى أبي حذيفة ، وقال له : والله إنِّي
لأزوِّجُكِها وأعلم أنَّك خيرٌ منها !! فعاتبه على ذلك بعضُ من نكَّره
ذِكْرَه فقال : أفي سالمٍ تعاتبني وقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ يَحِبُّ اللهَ بِكُلِّ قَلْبِهِ فَلْيَنْظُرْ
إِلَى سَالِمٍ .

(١) كذا وردت هذه العبارة .

(٢) في الأصل : « على » .

(٣) هذا اختصار في النسب ، وإنما هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . على أن
في الكلام خطأ تاريخياً ، فإن أبا حذيفة إنما زوج سالماً ابنة أخيه فاطمة الوليد بن عتبة ، كما
في ترجمة سالم في الإصابة ٣٠٤٦ و ترجمة فاطمة في الإصابة ٨٥٢ من قسم النساء . وكان
أبو حذيفة قد تبني سالماً يرى أنه ابنه . وأما فاطمة بنت عتبة أخت أبي حذيفة بن عتبة فهي عمته .

(*) مع أن لأبي بكر من حُسن الأثر في حروب النبي صلى الله عليه ومن احتمال المكروه وتجزُّع المُرار مالميس لأحدٍ .

(*) من ذلك أن أبا بكر خرج إلى ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر ليبارزه يوم أحد ، لأنَّ عبد الرحمن طلع يوم أحد على فرس وهو مُكفَّر في السَّلاح لا يرى منه إلَّا عيناه وهو يقول : [هل (١)] من مبارز !! ثلاثاً ، كلَّ ذلك يقول : أنا عبد الرحمن بن عتيق . فنهض أبو بكر يسعى إليه بسيفه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى غضبه وحِدته ، وعرف الذي عليه من الشدَّة في قتل ابنه : « رِثْمُ سيفك وارِجِع إلى مكانك ومتَّعنا بِنَفْسك » .

(**) وإنما يمكن أبا بكرٍ بذلُ الجهد ، فإذا فعل ذلك فلا حال أفضل من حاله (٢٠) .

فاجتمع له في ذلك أمران : أحدهما الثَّواب على شدَّة الاحتمال ، والثاني صيانة النبي صلى الله عليه وإشفاقه عليه .

(*) نقل ابن أبي الحديد في ٣ : ٢٨١ نصاً من العثمانية لعل موقعه قبل هذا . وهو : ١٥ « قال الجاحظ : وقد ثبت أبو بكر يوم أحد كما ثبت على ، فلا نغر لأحدهما على صاحبه في ذلك اليوم » .

ثم رد عليه بالرد رقم (٢٥) .

(١) التكملة من ابن أبي الحديد ٣ : ٢٨١ .

(*) شام سيفه يشيمه : رده إلى قرابه . وانظر رد الإسكافي على هذه الفقرة في ٢٠ رقم (٢٦) .

(**) أورد الإسكافي هذه العبارة بهذه الصورة كما نقل ابن أبي الحديد ٣ : ٢٨١ . « قال الجاحظ : على أن أبا بكر وإن لم تكن آثاره في الحرب كما ثار غيره فقد بذل الجهد وفعل ما يستطيعه وتبلغه قوته . وإذا بذل المجهود فلا حال أشرف من حاله » . ثم رد عليها بالرد رقم (٢٧) .

وقوله « ارجع إلى مكانك ومتعنا بنفسك » ، فليس في الأرض معني شريف فاضل من معاني الدين والدنيا إلا وهو في هذه الكلمة .

وأبو بكر الذي لما رُمي النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أحد أقبل يسعى وإذا إنسانٌ قِبَلَ المشرق يطير طيراناً ، فلما رآه أبو بكر قال : اللهم اجمله طلحة ! فلما توافيا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا هو أبو عبيدة ابن الجراح ، فبدره أبو عبيدة وقال : أسألك بالله يا أبا بكرٍ إلا تركتني فوليتني نزعها — يعني حدائد الزرد اللواتي نشبن في وجهه [و] جبينه من المغفر — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم صاحبكم ! يعني طلحة .

وثرم أبو عبيدة يومئذٍ من نزع حلقة امتنعت عليه .

ولصنيع طلحة وأبي بكر وموقفهما قالوا : « يوم أحد لبني تيم ! » ؛ لأن ١٠ الذين صبروا مع النبي صلى الله عليه من المهاجرين والأنصار سبعة : أبو بكر وطلحة من تيم ، وعبد الرحمن بن عوف من بني زهرة ، وعلى من بني هاشم ، والزبير من بني أسد ، وأبو عبيدة من بني عامر . وإنما قالوا « يوم أحد لبني تيم » لأنه لم يكن من كل قبيلة إلا رجل واحد من المهاجرين ، وكان فيه رجлан من بني تيم كما ذكرنا .

١٥

وكان من الأنصار سبعة : الحباب بن المنذر بن الجحوح ، وأبودجانة ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، والحارث بن الصمة ، وسهل بن حنيف وأسيّد بن حضير ، وسعد بن معاذ .

— وأبو بكر أول من تكلم يوم بدرٍ وحث الناس على الجهاد .

— وأبو بكر الذي لما قال النبي صلى الله عليه يوم الحديبية : « كيف ترون ٢٠

يا معشر المسلمين في هؤلاء الذين قد^(١)... إلينا من أطاعهم ليصدّونا عن المسجد الحرام» قام أولّ الناس فقال : نرى — والله ورسوله أعلم — أن نمضى لوجهنا ، فمن صدّنا عن البيت الحرام قتلناه .

وأبو بكر الذي لما أتى بُدَيْل بن ورقاء الخزاعيّ يوم الحديبية في نفر من أصحابه ، فأقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، لقد اغتررت بقتال قومك وإنّ قريشاً ستقاتلنكم عن ذراريهم وأموالهم ، قد استنفروا الأحابيش وخرجوا إلى بلدح^(٢) ، معهم العوذ المطافيل ، والله ما أرى معك أحداً له وجه ، مع أنّي أراكم قوماً لا سلاح لكم ، ولو قد عضّ هؤلاء الحديد لقد أسلموكم . قال أبو بكر : عضضت ببظر اللات ، أنحن نسلمه ؟ !
قال له بُدَيْل : أما والله لولا يدك عندى لأجبتك ، والله إني وقوى لنحب أن يظهر محمد !

وأقبل عروة بن مسعود في نفر من قومه حتّى أناخ راحلته عند النبي صلى الله عليه وسلم وقال : إني تركتُ كعباً وعامراً على أعداد الحديبية^(٣) معهم العوذ المطافيل ، وما أرى معك أحداً أعرف وجهه ونسبه ، وإنهم لخلقاه أن يخذلوك — والقوم سُكوت — فغضب أبو بكر وقال : امصص ببظر اللات^(٤) ، أنحن نخذه ؟ ! قال عروة : أما والله لولا يدك عندى

(١) كذا ورد في الأصل .

(٢) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب . وانظر إمتاع الأسماع ٣٧٩ — ٢٨٠ .

(٣) أعداد : جمع عد بالكسر . وفي اللسان : « وفي الحديث : نزلوا أعداد مياه

الحديبية ، أي ذوات المسادة كالعيون والآبار » . في الأصل : « عداد » تحريف .

(٤) في السيرة ٧٤٢ وعاون الأثر ٢ : ١١٦ : « بظر اللات » .

لأجبتك ! وكان عروة قد استعان في حماة ، فكان الرجل يُعينه بالفريضتين والثلاث ، فشى إلى أبي بكرٍ فأعطاه عشر فرائض^(١) .

ألا ترى كثرة أياديه ونبله وامنعاً^(٢) ، وحدّه وشهامته ورياسته !
فهذا وأشباهه يعرف قدر الرجل بمكة وفي قومه ، وعند النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة أصحابه .

٥

ولو لم يُعلم من شدة قلبه وصواب رأيه وقوة عزمه وقلة وحشته ويُمن بركته إلا أن كبار المهاجرين دخلوا عليه ، منهم عمر وعثمان وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في جمعٍ كثيفٍ من المهاجرين ، فقالوا بأجمعهم : يا خليفة رسول الله ، إن العرب قد انتقضت عليك ، وإنك لن تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً ، ١٠
اجعلهم عُدّة لأهل الرّدة ترى بهم نُحورهم ، وأخرى أنا لا نأمن على المدينة أن يُفارَ عليها وفيها الدّرايُّ والنّساء ، فلو استأنيت بغزو الرّوم حتّى يَضربَ الإسلامُ بجرانه ويعودَ أهلُ الرّدة إلى ما خرجوا منه [أ] وَ يَفْنِيَهُمُ السَّيْفُ ، ثم تبعثَ أسامةَ حينئذٍ ، فتكونَ قد أنفذتَ الجيشَ كما أمرَ النبي صلى الله عليه وسلم وقد دفعتَ بهم أهلَ الرّدة ، ولأنّا نخاف ١٥
الرّومَ أن تزحفَ إلينا يومنا هذا .

فلما استوعبَ أبو بكرٍ كلامهم قال : هل منكم أحدٌ يريد أن يقول شيئاً ؟ قالوا : قد سمعتَ مقاتلنا . قال : والذي نفسى بيده لو ظننتُ أن السّباعَ تأكلُنِي لأنفذتُ هذا البعثَ ، ولا بدأتُ بأوّلِي منه ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينزلُ عليه الوحى من السّماء وهو يقول : أنفذوا جيشَ أسامة . ٢٠

(١) أصل الفريضة البعير المأخوذ في الزكاة ، ثم اتسع فيه فسمى كل بعير فريضة .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة .

فلما رأى إبطاءهم عن ذلك وتلكؤهم خرج وحده مغضباً نحو أهل الردة حتى لحقه المهاجرون والأنصار في المسلمين ، فقالوا : تكفى يا خليفة رسول الله ، وننفذ لأمرك ، والصواب ما رأيت .

فلو لم تعلم من شدة قلبه واجتماع رأيه وقلة وحشته إلا هذا كان كافياً . ٥

وأبو بكر الذي ولّاه النبي صلى الله عليه يوم حنين ميمته ، وولّى عمرَ ميسرته . فلم يكن النبي صلى الله عليه ليستكفهما أهمّ المواضع إليه وهما لا يكفياه .

ولقد انكشف الناس وثبتا في مواضعهما ، وكان أقرب القوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ — إذ كان لا بدّ لصاحب الميمنة والميسرة من أن يكون أبعد ممّن يكون في القلب — أبو سفيان بن الحارث ، والعبّاس بن عبد المطلب ، والفضل بن عباس ، وربيعة بن الحارث ، وأيمن بن عبّيد^(١) أخو أسامة بن زيد لأمه . وصبر مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء مائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين ، وسبعة وستون من الأنصار . ١٥

ومما نعرف به شدة شكيمته وصدق وصرامة رأيه قوله للمسلمين يوم توفى النبي صلى الله عليه وسلم حيث قام خطيباً بالمدينة منافقون لا يألونهم خبالاً يعضّون عليهم الأنامل من الغيظ ، وقد انتقض ما حول المدينة ، فكان ممّا قال في خطبته :

٢٠ (١) في الأصل : « أيمن بن عبد الله » ، صوابه في السيرة ٨٤٥ والإصابة ٣٩١ وإمتاع الأسماع ٤٠٧ . ويسمى أيضاً « أيمن بن أم أيمن » .

- مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوت ، فليعبده . وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ
مُحَمَّدًا أَوْ يَرَاهُ إِلَّا هَا فَقَدْ هَلَكَ إِلَهُهُ . فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاعْتَصِمُوا
بِدِينِكُمْ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ دِينَ اللَّهَ قَائِمٌ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ قَائِمَةٌ ،
وَاللَّهُ نَاصِرٌ مَنْ نَصَرَهُ ، وَمَعِزٌّ دِينَهُ . وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ،
وَهُوَ النُّورُ وَالشِّفَاءُ ، وَبِهِ هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا ، وَفِيهِ حَلَالُ اللَّهِ وَحَرَامُهُ . ٥
- ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا نُبَالِي مَنْ أَجْلَبَ عَلَيْنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ . إِنَّ سَيُوفَ
اللَّهِ الْمُسْلُومَةَ مَا وَضَعْنَاهَا عَنْ عَوَاتِقِنَا ، وَلَنُجَاهِدَنَّ مَنْ خَالَفَنَا ، فَقَدْ جَاهَدْنَا
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَلَا يُبْقِيَنَّ مُبْقٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ .
- وإِنَّمَا قَالَ : « مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا أَوْ يَرَاهُ فَقَدْ هَلَكَ إِلَهُهُ » لِأَنَّهُ
كَانَ سَمِعَ مِنْ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي ذَلِكَ كَلَامًا قَبِيحًا ١٠
حَتَّى مَاجَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ وَقَالُوا : وَاللَّهِ مَامَات ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَفَعَهُ كَمَا رَفَعَ
عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، فِي كَلَامٍ سَنَذْكُرُهُ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(١) .
- وَمَا يَدُلُّ عَلَى خَاصَّةٍ مَكَانِهِ وَتَقْدِيمِ النَّاسِ لَهُ ، وَمَعْرِفَةِ الْجَمِيعِ لِفَضْلِهِ ،
الَّذِي كَانَ مِنْ صَنِيعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ صَنِيعِ جَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَمِنْ صَنِيعِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ بِهِ ، حَيْثُ فَرِغَتْ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ أُسَارَى ١٥
بَدْرٍ دُونَ غَيْرِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا حُيِسُوا بِيَدْرِ وَاقْتَرَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ طَمِعُوا
فِي الْحَيَاةِ ؛ فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : لَوْ بَعَثْنَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ قُرَيْشٍ
لَأَرْحَمُنَا ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا آثَرَ عِنْدَ مُحَمَّدٍ مِنْهُ ! فَبَعَثُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَأَتَاهُمْ
فَقَالُوا : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ فِينَا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، وَالْإِخْوَانَ وَالْعُمُومَةَ ، وَبَنِي
الْعَمِّ ، وَأَبْعَدُنَا قَرِيبَ ، فَكَلِّمْ صَاحِبَكِ يَمُنُّ عَلَيْنَا أَوْ يُفَادِينَا . قَالَ : نَعَمْ ٢٠
لَا أَلُوْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَيْرًا ! ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

فقالوا : ولو بعثنا إلى عمر ، فإننا لا نأمن أن يُفسد علينا ، فلعلّه أن يكفّ عنا شرّه ! فأرسلوا إليه فجاءهم ، فقالوا مثل قولهم لأبي بكر ، فقال : لا آلوكم إن شاء الله شرّاً ! ثم انصرف إلى النبيّ صلى الله عليه ، وإذا الناسُ حول النبيّ ، وأبو بكر يفثوّه^(١) ويلينه وهو يقول : يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ، قومك فيهم الآباء والأبناء ، والعمومة والإخوان ، وبنو العم ، وأبعدهم منك قريب ، فامنّ عليهم من الله عليك ، أو فادّهم يستنقذهم الله بك من النار ، فما أخذت منهم فهو قوّة للمسلمين ، ولعلّ الله أن يقبل بقلوبهم !! ثمّ قام فتنحّى ناحيةً وسكت النبيّ صلى الله عليه وجاء عمرُ فجلسَ مجلسَ أبي بكر فقال : يا نبيّ الله ، هم أعداء الله كذبوك وقاتلوك وأخرجوك ، اضرب أعناقهم فإنهم رهوس الكفر ، وأئمة الضلالة ، يعزّ الله بذلك الإسلام ويدلّ الشّرك !! فسكت النبيّ صلى الله عليه وسلم وعاد أبو بكر إلى مجلسه وإلى مثل ذلك الكلام ، ثمّ تنحّى وقام عمرُ فجلسَ مجلسه وأعاد مثل الكلام الأوّل ، ثمّ تنحّى عمر وجلس أبو بكر ، ثلاث مرّات . فسكت النبيّ عليه السلام ، ثمّ قام فدخلَ قببته فمكث ساعةً وخرجَ والناسُ يخوضون ، يقول بعضهم : القول ما قال أبو بكر ، وبعضهم يقول : القول ما قال عمر . فخرجَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : ما تقولون في صاحبكم ؟ دعوها فإنّ لهما مثلاً : مثلُ أبي بكر في الملائكة مثلُ ميكايل ينزل بالرضا والعفو ، ومثله في الأنبياء مثلُ إبراهيم كان ألينَ على قومه من العسل ، أوقد له قومه النار فطرحوه فيها ، فما زاد على أن قال : « أف لكم

(١) يفثوّه : يسكن غضبه . ورسمت في الأصل « مفاؤه » .

وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وقال : « فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . ومثله كمثله عيسى إذ يقول : « إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَعَفَّرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » . ومثله عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالسُّحُوط من الله والنقمة . ومثله في الأنبياء مثل نوح كان أشدَّ على قومه من الحجارة إذ يقول : ٥ « رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا » . فدعاه عليهم دعوة أغرق الله بها الأرض جميعا . ومثله مثل موسى إذ يقول : « رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » . فهذا يدلُّ على أَنَّهُ كَانَ الْمَفْزَعَ وَالشَّفِيعَ ، وَالْخَاصَّةَ وَالنَّقْمَةَ وموضع الفضيلة .

١٠

وقبل ذلك لما قصَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على أهل مَكَّة كيف أُسْرِيَ به ، قالت قريشٌ على التكذيب له صلى الله عليه : والله إنَّ العيرَ لتَطْرُدُ شهراً من مَكَّة إلى الشام ثمَّ يكون إقبالها شهراً^(١) ، وزعم محمد أَنَّهُ مضى إلى بيت المقدس ورجع من ليلته !! فأتوا بأجمعهم أبا بكرٍ ليحتجُّوا بذلك عليه وليعرفوه خطأً في اتِّباعه عند أنفسهم ، وظنُّوا أنَّ ١٥ الجواب في ذلك يمتنعُ إذ كان قد امتنعَ عليهم . فأتوا أبا بكرٍ فقالوا : هَلْكَ صَاحِبُكَ ! - أَلَا تَرَى أَنَّهُ الْمَذْكُورُ بِالصُّحْبَةِ ، وَمَوْضِعُ الْحَاجَةِ ، وَأَنَّهُ الْمُبْتَدَأُ وَالْمَفْزَعُ - زَعَمَ أَنَّهُ أَنَّى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي لَيْلَةٍ وَغَدَاً عَلَيْنَا !! قال أبو بكرٍ : إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ ، وَلَئِنْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ ، فَمَا تَعْجَبُونَ مِنْ ذَلِكَ ؟ ! فواللهِ إِنَّهُ لَيُخْبِرُنَا أَنَّ الْخَبَرَ يَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ ٢٠

(١) في السيرة ٢٦٤ : « إنَّ العيرَ لتطردُ شهراً من مَكَّة إلى الشام مدبرةً وشهراً مقبلةً » .

إلى الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار فأصدقه . فهذا أبعد من مصر ^(١) .
ثم نهض أبو بكرٍ إلى النبي صلى الله عليه ليسأله عن القضية ، فأقبل
النبي صلى الله عليه وسلم يصف له وهو يقول : صدقت صدقت ! أشهد
أنك رسول الله ! قال النبي صلى الله عليه : وأنت الصديق ! وقد كان
أبو بكرٍ الصديق أنى الشام وعرف طرقها وأمورها ، وقلبها وعرف
جميع ما فيها .

ثم الذي كان من تقديم النبي صلى الله عليه له والمسلمين في قضية
الحديبية . وذلك أنهم كتبوا كتاباً :

هذا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو . اصطاحا على
١٠ وضع الحرب عشرَ حجج يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .
على أنه لا إسلال ولا إغلال ^(٢) ، وعلى أن من أحب أن يدخل في عقد
محمد وعهده فعل ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها فعل ،
وعلى أنه من أتى منهم محمداً بغير إذنٍ رده ، ومن أتى قريشاً من أصحاب محمد
لم رده ، وعلى أن محمداً يرجع عامه هذا بأصحابه ، ويدخل عليهم قابلاً ^(٣)
١٥ في أصحابه فيقيم ثلاثاً ، لا يدخل علينا السلاح إلا سلاح المسافر ، السيوف
في القرب . شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ،
وأبو عبيدة بن الجراح ، ومحمد بن مسلمة ^(٤) . وشهد خويطب بن عبد العزى
وميكرز بن حفص بن الأخيف .

(١) في الأصل : « أنفذ من مصر » . وفي السيرة : « أبعد مما تعجبون منه » .

(٢) الإسلال : الفارة الظاهرة بسل السيوف . والإغلال : الخيانة والغدر .

(٣) أى في العام القابل .

(٤) وكذا في إمتاع الأسماع ٢٩٨ . وفي السيرة ٧٤٩ وعيون الأثر ٢ : ١٢٠ محمود

ابن مسلمة . وهما أخوان .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ شَاهِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ ، وَالنَّاسِ كُلُّهُمْ بَعْدَهُ .

وَنَحَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَمَلَ عَنْ سَبْعَةٍ^(١) . فَأَوَّلَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَى أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ . فَهَذَا هَذَا .

ثُمَّ لَمَّا تَحَاجَزَ النَّاسُ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَرَادَ أَبُو سَفْيَانَ الْإِنْصِرَافَ أَقْبَلَ ٥
يَسِيرَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَنْتَنِي قَدْ أَشْرَفَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي عُرْضِ
الْجَبَلِ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ أَيْنَ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ يَوْمَ بِيَوْمِ بَدْرٍ .
أَلَا إِنَّ الْإِيَّامَ دَوْلٌ وَالْحَرْبَ سِجَالٌ ، وَحَنْظَلَةٌ بِحَنْظَلَةٍ !!^(٢) قَالَ عُمَرُ :
أَلَا أَجِيبُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : أَعْلَى هُبَيْلٍ^(٣) ! ١٥
قَالَ عُمَرُ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌّ . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : لَنَا عُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ !
قَالَ عُمَرُ : اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ .

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ أَفْضَلَ مَنْ شَهِدَ أَحَدًا وَأَنْبَهَ ، أَوْ أَعْيَظَ لِأَبِي سَفْيَانَ
وَالْمُشْرِكِينَ ، مَا جَعَلَهُ أَبُو سَفْيَانَ — وَهُوَ رَئِيسُ الْقَوْمِ — ثَانِيًا ، وَالَّذِي
يَتْلُو النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي النَّدَاءِ وَالْمُخَاطَبَةِ ، حِينَ يَقُولُ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ ١٥
ثُمَّ يَقُولُ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ . فَهَذَا هَذَا .

(١) هذا الجمل هو جمل أبي جهل ، كان قد غنمه يوم بدر . إمتاع الأسماع ٢٧٥ ،
٢٩٩ — ٣٠٠ والسيرة ٧٤٩ وعبون الأثر ٢ : ١٢١ .

(٢) يشير إلى ما كان من مقتل ولده حنظلة بن أبي سفيان في وقعة بدر ، ومصرع حنظلة
ابن أبي عامر غسل الملائكة حين لقيه في غزاة أحد ، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر لمح شدداد ٢٠
ابن الأسود فضربه شدداد فقتله . فهو يذكر ثأره لولده . انظر السيرة ٥٠٧ ، ٥٦٧ .
— ٥٦٨ وإمتاع الأسماع ١٥٨ ، ١٤٩ .

(٣) هبل : صنم مشهور . أعل هبل ، أى أظهر دينك . السيرة ٥٨٢ والميسر والأزلام
لمحقق العثمانية ص ٦٨ .

وفي نزول أبي بكر قبر حمزة قبل كل نازلٍ بأمر رسول الله صلى الله عليه ،
دليلٌ على الفضيلة والنباهة ، والقدر والوزارة .

ولمّا دخل أبو سفيان المدينة أتى النبي صلى الله عليه وقال : يا محمد ،
إني كنت غائباً في صلح الحديبية فاشدّد العهد وزدنا في المدة . قال .
أو لذلك قدمت يا أبا سفيان ؟ قال : نعم . قال : فهل كان فيكم من حدّث ؟
قال : معاذ الله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فنحن على مدّتنا وصلّحنا ،
لا نبذل ولا نعدّر . فلما خرج من عنده بدأ بأبي بكر ^(١) فقال له : هل لك
إلى أن تجير بين الناس ؟ قال أبو بكر : جوارى في جوار رسول الله .
ثم خرج من عنده فأتى عمر فكلّمه بمثل ذلك ، قال عمر : إنني لو وجدت
الذرّ تقايلكم لأعنتها عليكم ! قال أبو سفيان : جرّيت من ذى رحمٍ شراً !
ثم أتى عثمان ، ثم أتى فاطمة ، ثم أتى عليّاً .

ألا ترى كيف جعلوه المقصّد والمعتمد قبل الناس وبعد رسول الله
صلى الله عليه . ولو لم يكن حالٌ عند أبي سفيان من النبي صلى الله عليه
فوق كلّ حالٍ ما بدأ به قبل جميع من نزع إليه . فهذا هذا .

ثم الذي كان من تقرب النبي صلى الله عليه السلام ، وإكرامه له يوم فتح
مكة ، وهي الدار التي خرج منها هاربن معاً ثم رجعا إليها آمنين معاً ،
يتسايران ويتحدّثان ، حيث طلع النبي صلى الله عليه وسلم على العباس
وأبي سفيان ، والنبي صلى الله عليه السلام بين أبي بكر وأسيّد بن خضير ، أبو بكر
عن يمينه . وقبل ذلك في الطريق كان بين أبي بكر وعمر ، أبو بكر عن يمينه

(١) كان قد دخل قبل ذلك على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلما ذهب ليجلس على فراش الرسول طوته دونه . لمتاع الأسماع ٣٥٨ . وفي السيرة ٨٠٧ .
أنه دخل أول الأمر على ابنته ، ثم أتى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بأبي بكر .

وعمر عن يساره . فلما صارت الخيلُ بذِي طُوًى بين الخندمة إلى الحجُّون ،
مرَّ النبي صلى الله عليه وأبو بكر يساريه وَحَدَهُ ، وإذا بناتُ أبي أحيحة
قد نَشَرْنَ شعورهنَّ يَلَطْمْنَ وجوهَ الخيل بالْحُمْر ، فنظر النبي صلى الله عليه
إلى أبي بكر وتبسَّم وقال : كيف كان قال حسان :

* يَلَطْمُهُنَّ بِالْحُمْرِ النِّسَاءُ *

قال أبو بكر :

* تَظَلُّ جِيادُنا مَتمَطَّراتِ *

فهذه حاله وخاصَّته ومكانه وارتفاعُ قدره . ألا تَراها خرجا من مَكَّةَ
هاربينِ مستخفيين مصطحبين ، ثمَّ رجعا آمِنين ظافرين مُعلَّنين مصطحبين .
وصعد أبو قُحافةَ الجبلَ بصُغرى بناته وهو يومئذٍ مكفوف ، فبكت ١٠
بنته فقال لها : لا تخافي فإنَّ أخاك عتيقاً أكبر النَّاسِ عَفْده ! فلما دخلوا
مَكَّةَ أقبل أبو بكر بأبيه وهو يومئذٍ شيخٌ مكفوف له غَدِرتان ، كانَّ
رأسه ثَغَامَةً ^(١) حتَّى هَجَمَ به على النبي صلى الله عليه وقال : أتيتك بأبي
يا رسولَ الله ليُسَلِّمَ . قال النبي صلى الله عليه : هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ في رحلِهِ
حتَّى آتِيَهُ . فمَسَحَ النبيُّ صلى الله عليه يَدَهُ على صدره ، ودعاه إلى ١٥
الإسلام فأسلم .

وهذا كُلُّهُ يدلُّ على تقديم النبي صلى الله عليه له .
كما نَقَلَ الفقهاء أنَّ النبي صلى الله عليه أتى بِعُسٍّ من لبنٍ وهو
في أصحابه ، وأبو بكر عن يساره ورجلٌ من الأعراب عن يمينه ، وأصحابه
قد أحَبُّوا سُورَهُ ^(٢) ، فشرَّب النبيُّ وأهوى بالقَدَحِ نحو الأعرابي . قال عمر : ٢٠

(١) الغديرة : الدَّوَابَّة . والثغام ، بالفتح : نبت أبيض يشبه به الشيب .

(٢) رُسِمَتْ في الأصل : « قد أحبو سورة » .

أبو بكر يارسول الله ! قال النبي صلى الله عليه : الأيمن فالأيمن^(١) .
ولم ينقلوا هذا الحديث ليخبروا عن فضيلة أبي بكر ولا عن قرب
مقدمه ولا عن تقديم عمر له ، ولا أن عادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت
التقديم له ، ولا قال عمر ذلك على التذكير له ، وإنما أرادوا أن يخبروا
عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الشرب ، وعن فضيلة اليمين على
اليسار ، وعن التعريف لحزمة المجلس .

ولو كان هذا الخبر في علي وعثمان ما كان الأمر إلا كما أخبروا أنهم
لم يقصدوا في الحديث إلا تفضيل اليمين على اليسار .

فإن قالوا : فإن علياً كان أفقه من أبي بكر وأعلم بالحرام والحلال
منه . والدليل على ذلك أن كثرة ما نقلوا إلينا من اختياراته وأقواله
في الحوادث ، من الحلال والحرام ، وأبواب الفقه والفتيا والتأويل ، مع
كثرة الرواية المسندة ، وكان يسأل ولا يسأل ، ولم يرجع عن شيء قط
وليس أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا وله رجعة^{١٠} وأكثر
من ذلك ، ولم يسمع لأبي بكر بفتيا كثير ولا كثير رواية ، ورأس
الدين الفقه فيه والملم به . فلما كان أبو بكر وعلي بن أبي طالب على
ما وصفنا وذكرنا ، علمنا أن أفقهما أفضل فضلاً وأولى بالإمامة ، لأن
عمل الفقه أفضل من غيره ، لأن أولى الناس بالمسلمين أعلمهم بدينهم ،
لأن من علم الدين لم يجهل أمر الدنيا ، لأن أمور الدنيا ميسرة أو شبيهة
بعلم المياسرة ، وعلم الدين مستنبط ، وتأويله غامض .

٢٠ قالت (العثمانية) عند ذلك : أمّا العدل والقسط فإن نظر يوم توفى
النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعلي حيّان ظاهر^{١٠} أمرهما ، معروف قدرهما

(١) روى من حديث أنس بن مالك في صحيح البخارى فتح البارى ١٠ : ٦٦ ، ٧٥ .

واحتملها للعلم والعمل . فلمعمرى لئن كان لعلّ من طول الصُّحبة وكثرة السَّماع ومفاوضة الرّسول الأ [مر] ، والمعرفة ، وكثرة الإرشاد للأمة وصحة الرأى وكثرة الصّواب ، وكان النّاسُ إليه أشدَّ فزعاً ، [و] ظَهَرَ من روايته وحاجة الناس إلى فقهه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام وفاته وأيام أبي بكر ، أَكْثَرُ ممّا ظهر من أبي بكر في ذلك الدهر ، إِنَّهُ ٥ لَأَفْقَهُ مِنْهُ فِي الدِّينِ وَأَعْلَمَ بِأَبْوَابِ الدُّنْيَا .

[و] لئن كان إنّما كثر ممّا نقل النّاسُ عنه لآلِه عَاشِ وَالْحَادِثَاتُ تُحَدِّثُ ، وَبَقِيَ حَتَّى كَانَ يُسْتَفْتَى وَيُقْتَى وَيُسْأَلُ وَيُجِيبُ ، وَيَرَوَى عَنْهُ فِي الزَّمَانِ الَّذِي كَانَ يُسْتَفْتَى فِيهِ مِثْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَابْنِ عُمرَ ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ أَيَّامُ أَبِي بَكْرٍ وَهِيَ سِنَتَانِ ، وَأَيَّامُ عُمرَ ١٠ وَهِيَ عَشْرُ سِنِينَ ، وَأَيَّامُ عُثْمَانَ وَهِيَ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً ، وَأَيَّامُ نَفْسِهِ وَهِيَ خَمْسُ سِنِينَ ، فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ حُجَّةٌ وَلَا دَلِيلٌ ؛ لِأَنَّكَ تُحْصِي مَا يَقُولُ الرَّجُلُ فِي الدَّهْرِ الطَّوِيلِ مَعَ كَثْرَةِ الْحَادِثَاتِ ، وَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ فِي الدَّهْرِ الْقَصِيرِ مَعَ قَلَّةِ الْحَادِثَاتِ ؛ وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْظُرَ يَوْمَ تَوَفَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ أَفْضَلَ الْمُسْلِمِينَ وَأَفْقَهُ فِي الدِّينِ ، وَأَعْرَفَ بِالْأُمُورِ ، وَأَصُوبَ ١٥ رَأْيًا وَأَشَدَّ احْتِمَالًا ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي اخْتِيرَ فِيهِ لِلخِلَافَةِ . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ عَلِيًّا لَوْ عَاشَ إِلَى دَهْرِ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ لَكَانَ قَدْ أَزْدَادَ فَقْهًا وَعِلْمًا وَتَجَرِبَةً عَلَى قَدَرِهِ يَوْمَ اسْتَشْهَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقْدِّرَ الرَّجُلَ بِقَدَرٍ ^(١) طُولَ الزَّمَانِ وَكَثْرَةَ الْحَادِثَاتِ ، وَبِقَدَرٍ قِصَرِ الزَّمَانِ وَقَلَّةِ الْحَادِثَاتِ . فَلِئِنْ صَحَّ ^(٢) عِنْدُنَا وَعِنْدَكُمْ أَنَّ أُمُورًا ٢٠

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَإِنَّمَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ الرَّجُلَ بَعْدَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فَلَيْسَ صَحَّ » .

حدثت ، وبلايا نزلت في زمن أبي بكر وأيام وفاة النبي صلى الله عليه ،
 من حلالٍ وحرامٍ أو سياسةٍ جندٍ أو سدٍّ ثغرٍ أو تدبير حرب ، أو استصلاح
 عوامٍ ، أو ترتيب خواصٍّ ، فظهر فيه من رأى على وصوابه وحسن
 نظره وإرشاده ما لم يظهر من أبي بكر — فقد أفلح من زعم أن عليًّا كان
 ٥ أفاقه منه فقهاً ، وأصوب رأياً ، وأشدَّ للأُمور احتمالاً ! مع أنا قد نجد
 عنده من دقائق الفتيا وغامضه وعويصه ^(١) ما لم يُبتَلَّ به أحدٌ ولا يبتلى به
 أحدٌ أبداً . ولعلَّ ذلك لا يُصاب عند الإمام إلّا في مُجْلة الأُمور وأصولها ،
 ثمَّ لو دهم النَّاسَ عدوٌّ ، أو خزبهم أمرٌ ، أو أعزلَّ بهم ملمٌّ من فائقٍ
 يختطب المملك بتأويلٍ قد زخرَّفه ، ومن انتشارٍ ^(٢) جُنْدٍ أو اضطراب
 ١٠ عوامٍ ، أو بدعةٍ شاملةٍ ، لم يكن عنده من الغناء والاحتمال والمعرفة
 بعلاج أدوائها والتأني لاستصلاحها قليل وكثير . وإنما مدار الأُمور على
 أصالة الرأى ، واتساع الصدر ، وقوَّة العزم .

فإن كنا لم نجد لعلٍّ ممَّا ذكرنا شيئاً يفضل به أبا بكرٍ في ذلك
 الدهر فإننا نستدلُّ على صواب رأيه واتساع صدره ، وأنه كان المَفْزَعُ
 ١٥ والمُرْشَدُ بعد رسول الله في المعضلات وعند الشُّبُهات والحادثات ، والنَّاسُ
 في ذلك الدهر بين مستمعٍ مرشِدٍ وبين مستمعٍ مسلمٍ ، وبين مُطْرَقٍ واجمٍ
 وبين خائضٍ قد رنَّجه ^(٣) الحادثات ، واستبهم عليه وجهُ الصَّواب ، كالذى
 كان من المسلمين لما اصطلحوا على القضية يوم الحديبية ، لأنهم لما
 صاروا إلى الكتاب وتراضى النبيُّ صلى الله عليه وسلم وسُهَيْلُ بن عمرو

٣٠

(١) أى غامض ذلك وعويصه .

(٢) أى تفرقهم وخروجهم على القواد ؛ وأصله فى الإبل والغنم أن تتفرق عن عزة من راعيها . فى الأصل : « انتشار » تحريف ، وانظر ص ٦٥ س ١٠ .
 (٣) الكلمة خالية من النقط فى الأصل . رنحته : دارت به وميلته .

على أن يُكْتَبَ في الكتاب : « وعلى [أن] من أتى قريشاً ممن كان على دين محمد بغير إذنٍ لم تُردّه إليه » ، فبلغ من أمر الناس والذي دخل عليهم أن اضطربت قلوبهم ، حتّى إنَّ النبيَّ صلى الله عليه قال لأصحابه بعد انصراف سهيل بن عمرو : « قوموا فانحروا وأحلّوا واحلّقوا » ، يقولها ثلاثاً ، كلّ ذلك ينظرون في وجهه ويسمعون قوله ولا يُطيعون ٥ أمره ، حتّى غضب النبيُّ صلى الله عليه وسلم فدخل على أمّ سَلَمَة فأخبرها بذلك متعجباً ، وكانت معه في تلك السّفرة ، قالت أمّ سَلَمَة : « انطلق أنت يا رسول الله إلى الهدى فانحره ، فإنهم سيقتدون بك » . فكان أوّل مَنْ وثبَ عند الكتاب عُمرُ وهو يقول :
 يا رسول الله ، ألسنا بالمسلمين ؟ قال النبيُّ صلى الله عليه : بلى . قال : ١٠
 فعلامَ نُعطى الدّنيةَ في ديننا ؟ قال النبيُّ عليه السلام : أنا عبدُ الله ورسوله ، ولن أخالف أمره . فأقبل أبو بكرٍ على عمر فقال : يا عمر ، الزم غرزهُ^(١) فإنّي أشهد أنّه رسول الله ، وأن الحقّ ما أمر [به^(٢)] ، ولن يضيّعه الله !

ثمَّ إنَّ عمر بن الخطاب عاد إلى أبي بكرٍ فسأله فقال أبو بكر : سلم ١٥
 لله ورسوله وأنهم رأيتك .

وقال أبو عبيدة : لا نُعطى الدّنيةَ أبداً ! فقال أبو بكر ، يا عمّ إنّها ليست بدّنية ، ولو كانت دنيةً ما أعطّاها النبيُّ صلى الله عليه وتأبّاها أنت ، وما كان الله ليرضى بذلك .

(١) يقول : اعتلق به وأمسكه واتبع قوله وفعله ، ولا تخالفه . وأصل الفرز للجمل مثل ٢٠
 الركاب للفرس .

(٢) التكملة من إمتاع الأسماع ٢٩٣ .

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَمِيعِ أَشَدُّ فِي ذَلِكَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؟! وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ كَانَ كَاتِبَ كِتَابِ الْقَضِيَّةِ ،
فَلَمَّا كَتَبَ : « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » قَالَ الْمَشْرُكُونَ :
لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُهُ مَا حَارَبْنَاكَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ : « مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » ،
فَقَالَ النَّبِيُّ لِعَلِيِّ : ائْتِنِي بِأَبِي . فَقَالَ عَلِيٌّ : وَاللَّهِ لَا تَحْوَنُهَا أَبَدًا ! قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرِنِي مَكَانَهَا . فَأَرَاهَا فَرَحَاهَا وَكَتَبَ « مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا أَبِی أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا كُلَّهُ
حَدَبٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَغَضَبٌ لَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَطْلَعُوا مِنَ الْأُمُورِ
مَا تَطْلَعُهُ الرُّسُلُ . فَهَذَا مَوْقِفٌ لِأَبِي بَكْرٍ مَشْهُورٌ .

١٠ وَإِنَّمَا عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا
لَا يَشْكُونَ فِي الْفَتْحِ ، لَرُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ خَلَقَ رَأْسَهُ وَدَخَلَ
الْبَيْتَ وَأَخَذَ مِفْتَاحَ الْكِعْبَةِ وَعَرَّفَ مَعَ الْمُرَفِّينَ ^(١) ، ثُمَّ تَجَهَّزَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ
وَهُوَ يَرِيدُ مَكَّةَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ كَانَ تَلَا عَلَيْهِمْ : « لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ » الْآيَةَ . فَلَمَّا رَأَوْا الصُّلْحَ وَالشَّرْطَ ،
١٥ وَعَايَنُوا الرُّجُوعَ اضْطَرَبُوا لِذَلِكَ ، مَعَ الَّذِي كَانَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ قَوْلِهِ :
« إِنْ أَتَى قَرِيشًا أَحَدٌ مِّنْ كَانَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ لَمْ تَرُدَّهُ ، وَمَنْ أَتَى مُحَمَّدًا
مِّنْ هُوَ عَلَى دِينِ قَرِيشٍ رَدَّهُ » . فَأَخْرَجَهُمْ مَا ذَكَرْتُ لَكَ إِلَى مَا ذَكَرْتُ قَبْلَ .
وَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَيْسَ قَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ وَتَلَا عَلَيْنَا الْقُرْآنَ : « لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
٢٠ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ » ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَعَمْ .

(١) التعريف : الوقوف بعرفات .

قال عمر : فما باله رجّع بنا ولم ندخلها ؟ قال له أبو بكر : وهل قال لك متى ؟ إنما قال : لتدخلنَّ ؛ وأنتم داخلوها لا محالة . وإنما كان لك مقالاً لو ضرب لك أجلاً فرأيتَ خلافه . واعلم أن الحق ما قال وصنع .

فلم يُبقِ في قلبٍ مخلصٍ جهلاً بموضع الحجّة في ذلك ، ولا في قلبٍ مستريبٍ دخله الشك شيئاً إلا أصلحه . فهذا وشبهه نعرف إخلاص الرّجل وقدره ، وسعة صدره ، وكثرة علمه .

ثم أخرى ، أنقذ الله به من الضلالة ، والناسُ بين ساكتٍ لا غناء عنده ، أو خائضٍ مستريبٍ يحتاج إلى التعريف ، أو موقنٍ يحتاج إلى المادّة وتلقين الحجّة .

من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفّي اقتحم الناس عليه ١٠ في منزل عائشة ، فلما نظروا إليه مسجّجٍ دخلهم أمر عظيم أذهلهم وحيرَ عايتهم ، حتّى قالوا : لم يمت ، وكيف يموتُ وهو شهيدٌ علينا ونحنُ شهداء على الناس ؟! وكيف يموت وقد قال الله : « لِيُظْهَرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » ولم يُظْهَر بعد ؟!

وكان عثمان بن عفّان وعمر بن الخطاب يردّدان هذه الآيات ، وتوعّدا ١٥ أصحاب النبي صلى الله عليه عليه : مَنْ قال إنّه مات . وثاروا في حُجرة عائشة وعلى الباب : لم يمت !

وكان أوّل مَنْ رآه مسجّجاً فأنكرَ موته عثمان ، وقال : إنّه والله ما مات ، ولكنّ الله رفعه إليه كما رفع عيسى بن مريم ! والله لا نسمع أحداً يقول مات إلا قطعنا لسانه !

٢٠

واضطرب النَّاسُ وماجؤا وقام عمر في الناس خطيباً فقال :

لا أسمعَنَّ أحداً يقول إنَّ محمداً مات ! وإنَّ محمداً لم يمت ، ولكنَّ الله رفعه . أرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه السلام فلبث عند قومه أربعين ليلة^(١) . وإني لأرجو أن يقطع الله أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنَّ محمداً مات !

فبينما الناس هكذا إذ أقبل أبو بكر ، على فرس له ، من الشَّح^(٢) فسمع مقالة عمر وما يقوله الناس وما خاضوا فيه ، فبدأ بالنبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه وهو مسجى ، فكشف عن وجهه فقبَّله ، ثم أقبل نحو المنبر وقال : أيُّها ... الخالف^(٣) على رسلك ! فلمَّا رآه عمر قعد ، وقام أبو بكر خطيباً ثم قال : أيُّها الناس اجلسوا وأنصتوا ، ثمَّ حمد الله وأثنى عليه

١٠ وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أيُّها الناس ، إنَّ الله قد نعى نبيَّكم إلى نفسه وهو حيُّ بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم ، فهو الموتُ حتَّى لا يبقى أحد . ألم تعلموا أنَّ الله قال « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » .

قال عمر : بأبي أنت وأُمِّي ! فسكت الفاسُ وأظهروا التَّسليم ، وعرفوا الحق وبكوا ، كأنَّهم لم يكونوا سمعوا بهذه الآية قطُّ .

١٥

ثم تلا : « وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » ثم تلا : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

(١) في السيرة ١٠١٢ : « ولكنَّه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات » . ونحوه في سيرة ابن سيد الناس ٢٠ : ٣٣٩ .

(٢) الشَّح ، بالضم : إحدى محال المدينة في طرف من أطرافها . كان بها منزل أبي بكر حين تزوج مليكة ، وقيل حبيبة بنت خارجة .

(٣) بين هذه الكلمة وسابقتها في الأصل بياض بقدر كلمة ، لعلها « أيهاذا » .

الموت « ثم تلا : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » ، ثم مرَّ في خطبته المشهورة المعروفة^(١) . فهذا هذا .

ثم أقبل على عمر وعثمان فقال : قال الله : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » ، يقول : إنَّكم شهداء على مَنْ تَلْقَوْنَ مِنْ لَمْ يَلِقَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، كما كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . وقال الله : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » ، وإنَّما أراد دينه ، والله مُتِمِّمٌ نُورَهُ ومُظْهِرٌ دِينَهُ . فإذا أظهر دينه فقد أظهره^(٢) .
فهذا علمه وقدره وفهمه وحاجة الناس إليه .

ثم الذي كان مِنْ مَشَى المهاجرين والأنصار إليه وكلامهم له ، لِيَقْبَلَ ١٠
الصَّلَاةَ مِنَ الْعَرَبِ وَيَتَرَكَ الزَّكَاةَ ، وقالوا : إنَّهم لو قد صَلَّوْا لَقَدْ زَكَّوْا .
قال : والله لو مَنَعُونِي عَقْلًا مِمَّا أَعْطَوهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَجَاهَدْتُهُمْ
عليه ! فقال له المهاجرون والأنصار : أو ليس قد قال النبي عليه السلام :
« أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا حَقَّنَا
بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ » . قال أبو بكر : إنَّ فيها « إِلَّا بِحَقِّهَا^(٣) » . قالوا : ١٥
صَدَقْتَ . أَلَا تَرَى إِلَى أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ الْجَمِيعُ مَا لَمْ يَعْلَمُوا ، أَوْ صَيَّرَهُمْ إِلَى رَأْيِهِ
بِقَدْرِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ .

(١) انظر خطبة أبي بكر في الهجرة ١٠١٢ — ١٠١٣ وابن سعد ٢ : ٥٤ والطبري

٣ : ١٩٨ وزهر الآداب ١ : ٣٥ . (٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل : « لِحَقِّهَا » . يشير إلى ما ورد من تنمة الحديث فيما سيأتي في الصفحة

التالية ، وفيما رواه المحب الطبري ١ : ٩٨ ونصه : « فَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنْ مَالِهِ ٢٠
وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ » .

(٦ - العثمانية)

ونقلوا إلينا أن الأنصار قالت : يا خليفة رسول الله ، أليس قد قال النبي صلى الله عليه : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا حَجَبُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ » قال أبو بكر : فهذا من حقها ، والله لو كنتُ وحدي لجاهدتهم حتى أَقْتَلَ أَوْ يُظْهَرَ اللَّهُ الْحَقَّ وَيُزْهِقَ الْبَاطِلَ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا . ٥

ثم مضى نحو أهل الردّة يريدون مُغَضَّبًا حَتَّى لَحِقَهُ الْمَاهِجُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَنَعَوْهُ وَكَفَّوْهُ وَتَقَدَّمُوا أَمَامَهُ .

وهذا خبرٌ نقله أصحاب الأخبار مُرَجِّعُهُمْ وَشَيْعَتُهُمْ ^(١) إِلَّا الرِّوَاظُ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَطَاقُونَ ؛ لِأَنَّ مِنْ يَحْجِدُ الْمُسْتَفِيزُ الشَّائِعَ بِالْأَسَانِيدِ الْمُخْتَلِفَةِ ١٠ فِي الدَّهْرِ الْمُتَفَاوِتِ ، وَيُوجِبُ عَلَى خَصْمِهِ لَهُ تَصْدِيقَ الشَّاذِّ ^(٢) الَّذِي لَا يُعْرَفُ وَلَا يَدَّعِيهِ إِلَّا أَهْلُ الْغُلُوِّ مِنَ الرِّوَاظِ ، مَمْتَنِعُ الْجَانِبِ ، عَسِيرُ الْمَطْلَبِ ، لَا يُطَاقُ وَلَا يُجَارَى .

ثم رأينا عليًّا يَروى عنه ، وَزَكِيَّهٌ وَبِفَضْلِهِ ، وَلَمْ نَسْمَعْهُ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ شَيْئًا وَلَا زَكَاهَ وَلَا فَضْلَهُ . عَلَى أَنَّ عَلِيًّا قَدْ كَانَ عِنْدَهُ فَاضِلًا عَلِيًّا ، ١٥ عَالِمًا وَجِيهًا .

ثم الذي كان من قول عثمان بن عفان له . وذلك أن عثمان حَزِنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ حُزْنًا لَمْ يَحْزَنْهُ أَحَدٌ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ يُعَزِّيه لِلَّذِي يَرَى بِهِ مِنْ عَظِيمِ مَا فَدَحَهُ وَغَمَّرَهُ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : مَا آسَى عَلَى شَيْءٍ ، إِنَّمَا آسَى عَلَى أَنَّي لَمْ أَسْأَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَمَّا فِيهِ نَجَاةٌ

٢٠ (١) فِي الْأَصْلِ : « مَرَحِمُهُمْ وَسَمِعُهُمْ » بِدُونِ نَقْطٍ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « السَّاد » .

هذه الأمة ! قال أبو بكر : قد سألتُ النبي صلى الله عليه عن ذلك : فقال : « مَنْ قَبِلَ الكلمةَ التي عَرَضْتُهَا على عَمِّي فَأَبَاهَا » .

ألا ترى إلى حاجة الجميع إليه واستغنائه عنهم .

ولو لم يُعْلَم من سعة علمه إلا قوله للمهاجرين والأنصار حين أشاروا عليه بأن يقبل الصلاة وقالوا إنهم لو قد أقاموا الصلاة لآتوا الزكاة . ٥
قال أبو بكر : إن تيمماً إن أذن لها من الإسلام في نقض عُرْوَةٍ لم تَرْضَ بمثلِه بكرُ بنُ وائل ، ولو أُعْطِيَ كِفَانَةٌ وألفافها وأحايِشها أمراً لم تَرْضَ قيسٌ حتَّى تزداد ، ولئن سمعتُ قولكم لأنقضنَّ الإسلامَ عُرْوَةً عُرْوَةً . وفي مشيهم إليه في تأخير جيش أسامة يشيرون عليه ويقولون ما كتبنا في صدر الكتاب^(١) ، وفي قوله : « لو بقيتُ وحدي حتَّى تأكلني الكلابُ ما أخَّرتُ جيشاً أمر رسولُ الله صلى الله عليه بإنفاده والوحيُّ ينزلُ عليه » ، فلئن كان ما وصفنا لا يدلُّ على جَوْدَةِ الرأى وصِحَّةِ العزم وكثرة العلم ، وعلى الشَّهامة والصَّرامة ، واليَمين والبركة ، فما في الأرض دليلٌ على فضيلة رجلٍ ونَقْصِه .

ومما يدلُّ على سعة علمه وأنه كان المَفْزَعُ دون غيره أنَّ المهاجرين ١٥
عامَّةً وبني هاشمٍ خاصَّةً اختلفوا في موضع دَفْنِ رسول الله صلى الله عليه عليه ، فقال قائل : خير المدافن البقيع ، لأنَّه كان كثيراً ما يستغفر لأهله^(٢) . وقال آخرون : خير المواضع موضعُ مصلاه . وقال آخرون : عند المنبر . قال لهم أبو بكر : إنَّ عندي فيما تختلفون فيه علماً . قالوا : فقلْ يا أبا بكر . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « ما مات ٢٠

(١) انظر ما مضى في ص ٦٥ .

(٢) انظر السيرة ٩٩٩ — ١٠٠ وإمتاع الأسماع ١ : ٥٤١ .

نبيٌّ قطُّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُبْبَضُ » . فخطُّوا حَوْلَ فراشه ثم حوَّلوا رأسَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالفراش في ناحية البيت . فلم نجد النَّاسَ احتاجوا مع خبره إلى شاهد ، ولم يختلف عليه في ذلك رجلان ، ولا أظهرَ الشَّكَّ في خبره إنسان واحدٌ قريب ولا بعيد . هذا والمنزل منزل ابنته ، وهو في موضع جرٍّ منفعةٍ وكما تكون المنفعة ، وهي المأثرة العظمى والشرف الأعلى .

فمن لم يُنَبِّه في خبره على هذه الحال ومع هذه العِلَّة حتى قُبِلَت شهادته وحده ، لجديرٌ ألا يتقدَّمه أحدٌ في القدر والعلم ، والأمانة والصدق . ومما يدلُّ على أنه كان ثابتاً عندهم قولُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروايته عنه ، وذلك أن عليًّا قال : كنتُ إذا سمعتُ من النبي عليه السلام حديثاً ينفعني الله بما شاء منه ، فإذا حدثني غيره استحلَّفتُهُ^(١) ، فإذا حلفَ لي صدَّقته ، وإنَّ أبا بكرٍ حدثني — وصدق أبو بكر — أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال : « ما من رجلٍ يُذنب ذنباً فيتوضَّأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ويستغفر الله إِلَّا غُفِرَ له^(٢) » . وهذا حديثٌ مسمعتُ له برادٍ إِلَّا أهلَ الغلوِّ من الروافض . وقد

قال قومٌ منهم : إنما كان هذا من عليٍّ عَلَى التَّقْيَةِ للعوام^(٣) ، لطاعة العوامِّ لأبي بكرٍ وعمر . وما في هذا من التَّقِيَةِ ؟ أن يصدق رجلاً على خبره وأن يكذبَ غيره^(٤) أو يؤمِّن غيره . وإنَّ هذا من أخلاق الناس

(١) في الرياض النضرة ١ : ١٤٣ : « ينفعني الله بما شاء ، فإذا حدثني عنه غيره استحلَّفتُهُ » .

(٢) قال المحب الطبري في الرياض : « خرجته النساء والحافظ في الأربعين البلديَّة » .

(٣) في الأصل : « للفرام » .

(٤) في الأصل : « وأن يكون عنده » .

لموجود : أن يزكّي بعض بعضاً ويفضّل . فزرى عليّاً يحمل عنه ويروى عنه ويزكّيه ويفضّله ، ولم نره صنع بعلى من ذلك شيئاً .

ولقد بلغ من تبطّنه ^(١) لأمر النبي صلى الله عليه أن النبي صلى الله عليه لما حاصر أهل الطائف قال عمر لأبي محجن : إنما أنت ثعلب في جحر يوشك أن يخرج ! قال أبو محجن : هل هو إلا أن قطعتم حبلات عنب ^(٢) ، وفي الماء والتراب ما يعمده . قال عمر : لا تقدر أن تخرج إلى ماء وتراب ، ولا تبرح باب جحرك حتى تموت جوعاً . قال أبو بكر : يا عمر لا تقل هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في فتح الطائف . فسأل عمر النبي صلى الله عليه فقال : نعم لم يؤذن لي .

قالوا : ولم يكن علم ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر . ولو علمه أحد غيره لكان عمر .

قالوا : في خطبة النبي صلى الله عليه في شكاته التي توفّي فيها والمسلمون شهود ، وفي معرفته بالذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم بكلامه دون جميع الناس ، دليل على أنه المخصوص بحسن المعرفة ، وفضيلة الدراية .

وذلك أن أوّل ما تكلم به النبي صلى الله عليه على المنبر أن قال : ^{١٥} « والذي نفسي بيده ، إني لقائم على الحوض الساعة » . ثم تشهد فلما قضى شهادته كان أوّل ما تكلم به أن استغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد ، ثم قال « إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا والآخرة فاختار ما عند الله » . فبكى أبو بكر . قالوا : فتمجّبنا من بكائه . وقال : بأبي أنت وأمي وبآبائنا

(١) في اللسان : « تبطنت الأمر : علمت باطنه » .

(٢) الحبلّة ، بالتحريك والفتح : شجرة العنب . وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون . السيرة ٨٧٣ وعبود الأثر ٢ : ٢٠١ .

وأَمْهَاتِنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا . قَالُوا : فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَبَكَاهُ وَقَالُوا : أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَجُلٍ !

قَالُوا : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا ^(١) بِرَسُولِ اللَّهِ .

ولولم يكن من صواب رأيه ورحمة فراسته ، وتوفيق الله إياه إلا توليته خلد بن الوليد حرب مَسِيلَمَةَ وَطْلِيحَةَ وَأَهْلَ الرِّدَّةِ ، وقد عُوتِبَ فِيهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ - وعمر تناوَلَه - وهو يقول : لَا أَشِيحُ سَيْفًا سَلَّهَ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ ثُمَّ اخْتِيَارَهُ عَمْرَ وَفِرَاسَتَهُ فِيهِ ، حَيْثُ حَمَلَ لَهُ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعُوتِبَ فِيهِ وَنُوزِعَ فِي أَمْرِهِ .

وكذلك قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْمُودٍ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « رَضِيتُ لِأُمِّتِي مَارِضِي لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ » ، قَالَ : أَفَرَسُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ : الْمَرْأَةَ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ حِينَ قَالَتْ لِأَبِيهَا فِي مُوسَى : « يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ » وامرأة العزيز ، وأبو بكر في عمر .

فهل رأيته ضامًّا قومًا قَطُّ وَجَامِعَهُمْ ^(٢) فكان لهم الرأى دونه ، وهل عُوتِبَ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا وَالصَّوَابُ مَا عَمِلَ بِهِ دُونَ رَأْيِ الْمَعَاتِبِ لَهُ . وهل أُشِيرَ عَلَيْهِ بِرَأْيٍ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ الْمَصِيبُ دُونَ الْمَشِيرِ عَلَيْهِ ؟

فأَيُّ فِقْهِ وَأَيُّ عِلْمٍ أَصَحَّ وَأَيُّ مَذْهَبٍ أَحْمَدَ مِمَّا عَدَدْنَا وَكَثَرْنَا . ثم أنتم لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُخْبِرُوا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِمَوْقِفٍ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرَاءِ ، وَكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَمِنْ الصَّوَابِ الَّذِي حَكَيْنَا

٢٠ (١) فِي الْأَصْلِ : « وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ أَعْلَمَنَا » . وَانْظُرْ صِفَةَ الصَّفْوَةِ ١ : ٩١ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَجَاءَ بِهِمْ » .

عن أبي بكر في حياة النبي صلى الله عليه ، وعند وفاته ، وفي أيام خلافته ، حتى كأن علياً ورجلاً من عرض المسلمين في ذلك الدهر سوا .
وما يُخَيَّلُ إلينا إلا أن الذي قطعهُ عن كثير من ذلك حدائهُ سنهُ ،
ونقدِيهُ للمشيخة على نفسه .

٥ فإن قالوا : إن علياً قد أشار على عمر بكذا ، وقال له يوم كذا وكذا : كذا .

قلنا : إننا لم نكن في عمر وعلي ، ولو قد صرنا إلى الإخبار عنهما تقدّمنا بالذي يُمرّفكم فضيلة عمر ، كما حكينا ووصفنا وتقدّمنا في الإخبار عن فضيلة أبي بكر .

١٠ ولقد بلغ من صحة فكره وصدق ظنه وقوة حسّه أنه كان يظن الأمر فيقع به أو قريباً منه . ولذلك قال عمر : إنك لن تنفع بمقل المرء حتى تنفع بظنه .

فمّا يدلُّ على صدق ظن أبي بكر وحس نفسه أن عائشة لما دخلت عليه في شكاته التي قبضه الله إليه فيها ، أنشدت عنده شعراً تذكر فيه مارأت في أبيها . قال أبو بكر : لا تقولى هذا يا بُنَيَّة ، ولكن قولى :
« وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » ، أى بنية
إنى كنت نحلّتك جدادَ عشرين وسقاً من مالى بالعالية ، وإنك لم تحوزيه ولم تقبضيه ، وإنما هو مال الوارث ، وإنما هما أخواك وأختاك . قالت
عائشة : إنما هى أسماء^(١) ! قال : إنه ألقى في روعى أن ذا^(٢) بطن بنت

٢٠ (١) في الحيوان ٦ : ٥٠ - ٥١ : « قالت : ما أعرف لى أختا غير أسماء » .

(٢) في الأصل : « أردا » صوابه في الحيوان .

خارجة [جارية^(١)] . فوضعت جاريةً فسميت أم كلثوم .

وله مما كان يقع في خَلده ويَصْدُق فيه ظَنُّه وتصحُّ فيه فِراسته أمورٌ عجيبة .
ولو قالوا : إنَّ عليًّا كان من فقهاء أصحاب النبي صلى الله عليه لقد كان
ذلك عدلاً وقصداً ، وحَسَنًا جميلاً ، كما قال إبراهيم^(٢) ، والشَّعْبِي : الفقيه من
أصحاب النبي صلى الله عليه في سِتَّة : في عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب ،
وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومُعَاذ بن جَبَل ، وزيد بن ثابت .
وقد زاد قومٌ أبا الدرداء ، وأبا موسى . وقد قال مسروق : انتهى علمُ
أصحاب رسول الله إلى هؤلاء الستة : عمر ، وعلى ، وعبد الله ، وأبي ،
ومعاذ ، وزيد .

١٠ وقال الشعبي : كانت القضاة أربعة : عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب
وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري .

فلو أنهم كانوا يرضون بقول الفقهاء ورأى التابعين ، ولم يُسْرِفوا
وقصدوا ، كان ذلك قصداً . ولقد تعدوا فيه الحق حتى قالوا : لم يقل قطُّ
قولاً يُمكن أحسنُ منه ، ولا قال قولاً قطُّ فرجع عنه . وقد علمنا أن له
غيرَ رَجْمَةٍ ، لا اثنتين ولا ثلاثاً^(٣) ، وأقاويل لا يجوزها أصحاب الفتيا .
١٥ وما كان إلَّا كبعض فقهاءهم الذين يكثرُ صوابهم ويقلُّ خطأهم . ولم
تسكن لتجتمع جميع هفوات إنسان وأخطائه حتى تقرأه^(٤) مجموعاً إلَّا ظننت به

(١) التسكلة من الحيوان . وبنت خارجة هي حبيبة بنت خارجة زوج أبي بكر . انظر
حواشي الحيوان في الموضع السابق وانظر الرياض النضرة ١٢٩ : ١ وصفة الصفوة ١٠١ : ١ .

(٢) هو إبراهيم بن يزيد النخعي .

(٣) أي بل أكثر من ذلك . في الأصل : « ولا اثنتين ولا ثلاث » .

(٤) في الأصل : « ولم يكن ليجمع جميع هفوات إنسان وخطأه فقرأه » .

العجز . وليس ذلك كذلك ، لأنك لو قذفت بجميع ذلك في محاسنه لخفي عليك موضعه ، ولصغر خطره وقدره .

وإنما حكينا هذا لأنهم جمعوا لعمر وعثمان أموراً أرادوا بها عيبتهم ونقصهم ، ولعمرى إن الخطأ تخطأ حيث وقع ، ولكن ربما كان خطأ لا يخرج صاحبه من الحكمة . والخطأ^(١) أمر لكل بني آدم فيه حظ ونصيب ، وهو أمر لم يسلم منه نبي ولا صديق ولا شهيد ولا أحد من العالمين . ومما نقررهم به مما رواه محمد بن الأثر من رجوعه وما لا يجوز من فتياه ، قوله : أجمع رأيي ورأي عمر على عتق أمهات الأولاد ، ثم رأيت أن أربهن^(٢) . ونقلوا جميعاً أن عمر وعلياً اختلفوا في الجدة ، فقال علي بقول ، وقال عمر بقول ، ثم رجع عمر إلى قول علي ورجع علي إلى قول عمر . ونقلوا جميعاً أن زيد بن ثابت قال لعلي وهو يحاجه في المسكائب : أرايت إن زنا أكنت رايحه ، قال : لا . قال : أرايت إن شهد أتقبل شهادته ؟ قال : لا . قال زيد : فهو إذن عبد ما بقي عليه درهم . فسكت علي .

وزعم أصحاب داود بن أبي هند^(٣) ، عن داود عن الشعبي ، أن علياً رجع عن قوله : « في الحرام ثلاث^(٤) » .

(١) في الأصل : « والخطابة » .

(٢) ربه يربه ربا : ملكه وصار سيده . والباء مهملة في الأصل .

(٣) داود بن أبي هند — واسمه دينار — بن عذافر القشيري البصري ، كان ثقة من الحفاظ . توفي سنة ١٤٠ تهذيب التهذيب .

٢٠

(٤) ورد نحوه في اللسان (حرم) قول عمر : « في الحرام كفارة يمين » . قال : « هو أن يقول : حرام الله لا أفعل ، كما يقول يمين الله لا أفعل » . ثلاث ، أى صيام ثلاثة أيام . فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم .

وكلم عليّ عثمان أن يحجّر عليّ عبد الله بن جعفر في شيء كان اشتراه ، وقد كان الزبير قال لعبد الله : خذهُ فأنّا شريكك . فقال له عثمان : كيف أحجّر على إنسانٍ شريكه الزبير ؟! فسكت عليّ . وقال في الكتاب ، إذا أدّى من ثمنه شيئاً : إنّه يُسترقّ بحسابٍ ويُعتق بحساب .

وقال في النصرانيّة تسليماً وهي تحت النصرانيّ قال : هو أحقُّ بها ما لم يُخرجها من دار الهجرة .

وقال في رجلٍ قال لامرأته : « اختاري » واختارته ، ثم قال : « اختاري » فاختارته ، ثم قال الثالثة : « اختاري » فاختارته ؟ قال : أفرّق بينهما ، فإن^(١) أنا فعلت كذا وكذا .

وقال في أعورٍ فقأ عينٍ صحيح ، فأراد الصحيح أن يفقأ عينَ الأعور الذي فقأ ؟ قال : لا يفقؤها إلا أن يؤدّي نصفَ الدية .

وقال في الجَدِّ : إنّه سادس ستّة ، وسابع سبعة . وكتب إلى عبد الله بذلك ، وقال : قطع الكتاب واجعله سابعا .

وقال في جاريةٍ وثبت عليها امرأة رجلٍ غائب فافقت عُذرتها بإصبعها ، ثم قذفها لتسقطها من عين بعلمها ، وكانت خافت أن يتزوجها ، فرفع ذلك إليه فقال لبعض بنيهِ : قلْ في هذه المسألة . قال : عليها صدّاق مثلها . قال : لو كلفت الإبل الطحن^(٢) طحنت ! فاشتدّ تعجب أصحاب عبد الله من هذه المقالة .

٢٠ وكان يرى حكّ أصابع الصّبيان إذا سرقوا .

(٢) في الأصل : « الطحين » .

(١) كذا في الأصل .

وكان إذا قَطَعَ الرَّجُلَ قَطَعَ الْقَدَمَ وَتَرَكَ الْعَقَبَ لِيَمْشِيَ عَلَيْهِ
الْمَقْطُوعُ ، وَلِيَعْتَمِدَ بِهِ . وَكَانَ يَقْطَعُ الْيَدَ مِنْ أَصُولِ الْأَصَابِعِ
وَيَدْعُ الْكَفَّ .

وَزَعِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ^(١) وَغَيْرُهُ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ
أَوْ عَنْ غَيْرِهِ ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ قَالَ لَامِرَاتُهُ : أَنْتِ طَالِقٌ أَلْفَ
تَطْلِيقَةٍ ، وَلَهُ أَرْبَعُ نِسَوَةٍ ؟ قَالَ : تَبَيَّنُ بِثَلَاثٍ وَتُقَسَّمُ الْبَاقِيَةُ عَلَى نِسَائِهِ .
وَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ آدَمَ وَهُوَ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ فَقَالَ :
« فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً^(٢) » .

وَذَكَرَ مُوسَى وَقَتْلَهُ النَّفْسِ . وَذَكَرَ يُونُسَ بْنَ مَتَّى فَقَالَ :
« وَذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ » . فَالدَّلِيلُ عَلَى
أَنَّ يُونُسَ قَدْ كَانَ ضَيِّعَ وَأَسَاءَ قَوْلُهُ : « سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ »
وَقَوْلُ اللَّهِ : « فَالْتَقِمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ » .

وَذَكَرُوا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ فِي قِصَّةٍ وَاحِدَةٍ ذَهَبَ عَنْهَا دَاوُدُ وَأَصَابَهَا
سُلَيْمَانُ ، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ : « وَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ » فَلَمْ يَكُنْ ذَهَابُ دَاوُدَ
بِمُخْرِجِهِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ : « وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ » . وَقد
كَانَ مِنْهُ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، حَتَّى أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ يَكْنِيَانِ عَنْ

(١) عبد الله بن سلمة البصري الأفيطس ، يروى عن الأعمش وغيره ، وليس بثقة .

لسان الميزان . وفي الرواة عبد الله بن سلمة - بكسر اللام - المرادى الكوفي . وهذا
تابعي من الثقات . تهذيب التهذيب .

(٢) الآية ١١٥ من سورة طه . في الأصل : « فلم نجد له » ، تحريف . انظر كتاب

تحقيق النصوص من تأليفنا ص ٣٨ — ٣٩ .

قِصَّتِهِ ، وَزَيْدَانِ وَعُظْلَةٍ فِي قِصَّةٍ : « وَهَلْ أَنْتَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ » .

وقد عاتبَ الله جل ثناؤه نبيه في غير موضع فقال : « عَبَسَ وَتَوَلَّى » ، وقال : « لَقَدْ رَكِدَتْ لِرُكْنٍ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا » ، وقال : « لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ » . ٥

وعاتبه في الأسرى وأخبره أنه قد تقدم أمره في إطلاقهم حتى قال : « لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(١) » . وقال الله وهو يريد جمع المأمورين والمنهيين : « وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ^(٢) » .

١٠ فإذا كان الله قد أخبر بما ترى عن المعصومين فلم يتتبع قوم على عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان خطاياهم وهفواتهم ، وللعُمريَّة والعُمانيَّة أن يعودوا عليهم بمثل ذلك وأكثر منه ؟ !

وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْ رَجُلٍ زَعَمَ أَنْ عَلِيًّا لَمْ يُخْطِ قَطُّ وَلَمْ يَعِصْ قَطُّ ، وَلَمْ يَضِيعْ شَيْئًا قَطُّ ، وَقَدْ سَمِعَ اللَّهَ يَحْكِي أُمُورَ أَنْبِيَائِهِ ، وَيَذْكُرُ أَحْوَالَ رُسُلِهِ ؟ ! وَلَسْنَا نَحْتَاجُ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ هَذَا . ١٥

وكيف يقولون : على قوة الناس كلهم في صواب الرأي ، والفقهاء في الدين ، ولا يكون كالرَّجُلِ مِنْ عُظَمَاءِ السَّلَفِ لَضَرْبٍ يُخْصُهُ فِيهِمَا ، وَنَحْنُ إِذَا سَأَلْنَا الْفُقَهَاءَ وَأَصْحَابَ الْآثَارِ وَالْعُلَمَاءَ ، عَنْ أَصْحَابِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ كَانُوا مَخْصُوصِينَ بِحِفْظِهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالُوا : زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ

(١) الآية ٦٨ من سورة الأنفال .

(٢) من الآية ٤٥ في سورة فاطر .

وأبو زيد^(١) ، وفلان وفلان . ولم يذكره في باب الخصوصين بحفظ القرآن
أيّام حياة رسول الله صلى الله عليه .

فإن سألناهم عن أصحاب الحروف والقراءات والوجوه ، الذين بقراءتهم
يقرأ الناس ، وبقدر اختلافهم اختلف الناس ، قالوا : زيد بن ثابت ، وأبي
بن كعب ، وعبد الله بن مسعود . ولم يذكر معهم . لأننا شاهدنا الناس
يقولون : هذا في قراءة عبد الله بن مسعود^(٢) ، وهكذا هو في مصحف
عبد الله . وهذا في قراءة أبي ، وهكذا هو في مصحف أبي . وهذا في قراءة
زيد ، وهكذا هو في مصحف زيد . ولم نرهم يقولون : هذا في قراءة علي ،
وهكذا هو في مصحف علي .

وإن سألناهم عن أصحاب التأويل والتفسير قالوا : عبد الله بن عباس ،
والحسن ، وفلان وفلان . ولم يذكره في هذا الباب .
وإن سألناهم عن أصحاب الرواية ، والمشهورين بكثرة الإسناد عن رسول الله
صلى الله عليه قالوا : ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبد الله ، وعائشة ،
وأبو هريرة . ولم يذكر معهم في هذا الباب .

وإن كان الدليل على فقه المتبوع فقه أتباعه فمبدؤ الله بن مسعود وعائشة
أفقه منه ، لأن أصحاب عبد الله وعائشة أفقه من أصحابه ، فكيف صار أفقه
خلق الله كلهم والقصة على ما أنبأناكم ووصفنا لكم .
على أنه كان فقيها عالماً ، قد أخذ من كل باب بنصيب ، ولا نقول

٢٠ (١) في الإصابة ٤٠٨ ، من باب السكني : « أبو زيد الذي جمع القرآن ، وقع في حديث
أنس في صحيح البخاري غير مسمى . وقال أنس : هو أحد عمومي . واختلفوا في اسمه ، فقبل :
أوس ، وقبل : ثابت بن زيد ، وقبل : معاذ ، وقبل : سعد بن عبيد ، وقبل : قيس بن السكن
وهذا هو الراجح » . وانظر الإصابة ٧١٧٥ .

(٢) في الأصل : « هذا في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود » .

فيه - إذ كنا عثمانيةً وعمريةً - قولكم في عمر وعثمان . أوما تعلم أن الخبر مستفيضٌ بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أقرؤكم أبي » ؟! فترى أياً (١) كان أقرأ منه . وقال : « أفرضكم زيد » فترى زيدا كان أفرض منه . وقال : « وأعلمكم بالحلال والحرام مُعَاذٌ » فترى مُعَاذاً كان عهد النبي صلى الله عليه وسلم أعلم منه . وقال : « وأفضاكم علي » فينبغي أن يكون عليٌّ أفضى منهم . وأنتم لا ترضون أن يكون زيدٌ أفرض منه ، ولا أبيٌّ أقرأ منه ، مع أن « أفضاكم علي » ليس هو في حديث البصريين ، فإن كان كما رواه البصريون فهو لاء النفر أعلم منه . وإن كان كما رواه غيرهم فكل واحد أفقه من الآخرين فيما ذكرته . فهذا هذا .

١٠ فإن صرتَ إلى أن تسأل الناس عن الاختيار ، وجودة الرأي ، والقوة في السلطان ، والضبط للعدو والعوام قالوا : أبو بكر وعمر .

وإن سألتَ عن الفتوح قالوا : أبو بكر وعمر وعثمان ، لأنَّ أبا بكر ردَّ الإسلامَ في نصابه بردَّ أهل الردَّة ، وهو الفتح الأكبر ، وقتلَ مُسَيْلِمَةَ ، وأسرَ طليحة ، وغزا (٢) العدو ومنعَ الحوزة .

١٥ ولأنَّ عمرَ دوَّنَ الدَّواوين ، وفَرَضَ الأعطية وجنَّدَ الأجناد ، ومَصَّرَ الأمصار ، وجبى الفَيء (٣) ، وبلغتْ خيلُه إفريقية ، وأوطأَ خيلُه خراسان وأقصى كَرْمَانَ ، وأزال مُلْكَ بَنِي سَاسَانَ .

ولأنَّ عثمانَ هو الذي افْتَتَحَ الثُّغُورَ كُلَّهَا : افْتَتَحَ إِرْمِينِيَّةً ، افْتَتَحَهَا حَبِيبُ بَنِ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيُّ . وافْتَتَحَ أَذْرَبَيْجَانَ ، افْتَتَحَهَا الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وقد

٢٠ (١) في الأصل : « أبي » .

(٢) في الأصل : « وعدا » .

(٣) في الأصل : « وجبا الفئ » . والفئ : الغنمة والخراج .

كان الأشعث معه فيها . وافتتح إفريقية ، افتتحها له عبد الله بن سعد بن أبي سرح . وافتتح سجستان ، افتتحها له عبد الله بن سمرة .
فهذا باب الخصوصين بالفتوح .

وإن سألت عن الدهاة وأصحاب الإرب^(١) والمكيد قالوا : عمرو ابن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية بن أبي سفيان . ولم نذكر فيهم زياداً لأن زياداً لا صُحبة له . فهذا باب الدهاة .

وروى الناس عن قبيصة بن جابر الأسدي^(٢) وكان علامة داهية حكماً ، أنه قال : « مارأيت رجلاً قط أخوف لله من أبي بكر ، ولا أقوى في دين الله من عمر ، ولا أصدق حياءً من عثمان ، ولا أوصل لرحم ولا أعطى من تلاد مال من طلحة ، ولا أكثر نخارج في الأمور من معاوية ١٠ ولا أخضر جواباً ، ولا أكثر صواباً من عمرو » . ولم نره ذكره .

ثم الذي كان من أسماء بنت عميس ، ومن قولها - وعلى بن أبي طالب شاهد ، لما تفاخر عندها بنوها من جعفر وأبي بكر وعلى ، قال لها علي : اقضى بينهم - قالت : مارأيت شاباً أطهر من جعفر ، ولا رأيت شيخاً أفضل من أبي بكر ، وإن ثلاثة أنت أحسنهم لفضلاء .

فهذه قضيتها^(٣) ؛ ولم يرو عن علي في ذلك إنكار .
فإن قلتم : إن قولها ليس بحجة . قلنا : قد صدقتم لو كان ليس بحجة إلا قولها فقط ، ولكن الأمور إذا جاءت من هاهنا وهاهنا كان اجتماعها دليلاً على أنه لم يكن عندها مع فضله وصلاحه وسابقته وقربته ذارأى .

(١) الإرب ، بالكسر : الدهاء والفكر .

(٢) مما يذكر أنه كان أخاً معاوية من الرضاع . تهذيب التهذيب .

(٣) القضية : الحكم والقضاء .

ولقد بكنه ذلك عن قريش حتى قام خطيباً معتذراً فقال في خطبته :
 « حتى قالت قريش : ابن أبي طالب شجاعٌ ولكن لا علم له بالحرب ،
 لله أبوه ! وهل منهم ^(١) أحده أشدُّ مراساً لها ولا أطولُ تجربةً مني . لقد نهضتُ
 فيها وما بلغتُ العشرين ، فها أنا الآن ^(٢) قد ذرّفتُ على الستين ، ولكنه
 لا رأى لمن لا يُطاع » .

وقال الأحنف بن قيس لما قدم عبيد الله ^(٣) بن عليّ بن أبي طالب - وهو
 قتيل ^(٤) المختار بن أبي عبيد في أيام فتنة ابن مُخرّبة العبدي ^(٥) : ما هذا
 الذي أنتم فيه ؟ قالوا : قدم عبيد الله بن عليّ يدعو الناس . قال : إن كان
 لا بدّ نجّبوها حسناً وأباً حسن ، فإننا لم نجدْ عندهم علماً بالحرب ، ولا إنالة للمال .
 وقيل لأبي بَرزة الأسلمي ^(٦) : لم آثرت صاحب الشام على صاحب العراق ؟
 قال : وجدته أطوى لسِرّه ، وأملك لِمَنان جيشه ^(٧) ، وأنظر لما في نفسه .
 وفي قول العباس بن عبد المطلب ، وهو حليمٌ قريش - وإذا كان حليمٌ

(١) في الأصل : « وهم امنهم » ، صوابه من البيان ٢ : ٥٥ حيث تجد مراجع الخطبة .
 (٢) في البيان وابن أبي الحديد ١ : ١٤١ : « فهأنذا » .
 (٣) في الأصل : « عبد الله » ، تحريف ، انظر الطبري ٦ : ٨٩ / ٧ : ١٥٣ ومقاتل
 الطالبين ٨٧ . وفي الطبري : « لما قتله من يزعم أنه لأبيه شيعة » . أما لانهم قتلوه
 وهم يعرفونه » .

(٤) في الأصل : « قتل » .
 (٥) هو المثنى بن مخزبة . الطبري ٧ : ٩٣ والقاموس (خرب) .
 (٦) في الأصل : « أبو بردة » ، تحريف . وهو نضلة بن عبيد أبو بَرزة الأسلمي ؟
 صاحب رسول الله الإصابة وتهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤٦ والمعارف ١٤٦ . وفي تاريخ
 الإسلام للذهبي ٢ : ٣٢٨ : « وكان مع معاوية بالشام ، وقيل : شهد صفين مع علي رضي الله
 ويبدو أنه كان مرة مع علي ، ومرة مع معاوية . انظر أيضاً وقعة صفين ٢٤٦ .
 (٧) وردت الكلمة مهملة في الأصل هكذا : « حبسه » .

قريش فهو حلم العرب ، والحلم اسم جامع للعلم والحزم — وذلك أنه لما قبض
عمر وصلى صهيب بالناس دعا العباسُ علياً فقال : هل أحدثتم شيئاً ؟
فقال : فاحفظ عني ، فإنني لم أقدمك في شيء إلا رأيتك مُستأخراً . من ذلك
أنى قلتُ لك ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثَقِيلٌ^(١) : ادْخُلْ عليه فَسَلِّهِ ،
فإن يكن هذا الأمر فينا أعلمه الناس ، وإن يكن في غيرنا أوصى بنا . ٥
فتركت ذلك وقد مُنيت^(٢) بدهاة قريش ، وقد حِيلَ دوني ، فلا يُرَضَّنَ عليك
شيء إلا قلت : لا لا ، ولا يا أبتى ، تقصر عَيْنَيْكَ وتحكُّ ففأك ، بعد
فوتِ الأمر .

ففيما ذكرنا دليلُ أنه كان لا يساوى أبا بكر ولا يجاريه ، ولا يدانيه
ولا يقاربه ، وأنه في طبقة أمثاله طلحة والزبير ، وعبد الرحمن وسعد . ١٠
فإن قالوا : فإن علياً كان أزهد فيما تناحر الناس عليه ، ولأنَّ
أزهد الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة ، ولأنَّ أرغبهم في الآخرة
أعلمهم بأحوال الآخرة .

قلنا : قد صدقتم في صفة الزُّهد ، ولكنَّ أبا بكر كان أزهدَ منه .
وسندُكم على ذلك . ١٥

فإن ذلك أنَّ أبا بكر كان ذا مال كثير ، ووجه عريض ، وتجاره
واسعة ، فأنفق ذلك في سبيل الخير وعلى أهله ، إشاراً لله ورسوله ،
وطلب ما عنده ، حتَّى لقي^(٣) [الله] ، وما كانت تَرِكته يوم مات غير
بعر ناضح ، وعبدٍ صِيقِل^(٤) ، مع الخلافة وكثرة الفتوح والغنائم
والخرج والصدقة . ٢٠

(١) أى أثقله المرض وأشرف على الوفاة .

(٢) في الأصل : « عصب » بالإهمال .

(٣) في الأصل : « بقى » بإهمال الحرف الأول .

(٤) الصيقل : شحاذ السيوف وجلأؤها .

وكان عليُّ بنُ أبي طالبٍ مُقِلًّا مُخَفِّقًا^(١) يُمال ولا يعول ، فاستفاد
الرباع^(٢) والمزارع ، والعيون والنخيل ، ومات ذا مالٍ وأوقاف ،
وما يحسب ماله ووقفه بينبع^(٣) إلا مثل كلِّ شيء ملكه أبو بكر منذ كان
في الدنيا إلى أن فارقه . وتزوج فأكثر ، وطلق فأكثر ، حتى عابه
بذلك معاوية ، وجعله طريقاً إلى تنقصه ، وسبيلاً إلى الطمن عليه ، فقال
وهو يكنى عن ذكره ويريده ؛ ليكون أسدَّ لسهمه ، وأوقع في^(٤) قلب
من سمعه : « إني والله ما أنا بنسكحة ولا طُلقة » .

والآثارُ أن عليًّا رحمة الله عليه ، استشهد وعنده تسع عشرة سُرِّيَّة
مطهمة^(٥) وأربع نسوة عقائل .

١٠ ولا سواها من كان ذا مال فأنفقته ، ومن كان مُقِلًّا فكسبه .
ولم يتزوج أبو بكر في خلافته امرأة ولا اتخذ سُرِّيَّة ، ولا تفكه
بشيء ، ولا آثر لذّة^(٦) إن كان له طلقاً مباحاً .

ثم الذي كان من أبي بكر في عمالته^(٧) : أنه كلّف بني تيم ومن
عنده أياديه ومنته أن يردّوا ما أخذ من بيت المال فيه ، لكي يجعل
عمالته لله . وعلى ذلك احتذى عمر . وقد كان عليٌّ يأخذُ عمالته ، ولم
يُخبرنا أصحابُ الآثار أنه ردّها في بيت المال ، ولا كلّف ذلك بني هاشم

(١) أخفق الرجل : قل ماله .

(٢) الرباع : المنازل ، جمع ربيع .

(٣) مهملة في الأصل « تسع » . وانظر معجم البلدان .

(٤) في الأصل : « فأوقع من » .

(٥) السرية : الجارية المتسرة . المطهمة : الحسناء الجميلة .

(٦) في الأصل : « ارلده » بالإهمال .

(٧) العمالة ، بتثنية العين : أجر العامل .

في وصية . وهذا ما لا يختلف فيه رجال من أصحاب الآثار ،
وُحَمَّال الأخبار .

وقد كان أَحَدَ لَقُوحًا وَحَبَشِيَّةً لِرَضَاعِ بَعْضِ وَلَدِهِ فَرَدَّ ذَلِكَ ^(١)
فِي بَيْتِ الْمَالِ .

وَلَمَّا بَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ غَدَا عَلَى سُوقِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، فَقَالُوا : ٥
فَلَا بَدَّ أَنْ نَجْعَلَ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا يُقِيمُهُ . قَالُوا :
بُرْدِيهِ إِذَا أَخْلَقَهُمَا وَضَعَهُمَا وَأَخَذَ مَكَانَهُمَا ، وَظَهَرَهُ إِذَا سَافَرَ ، وَنَفَقْتَهُ
عَلَى أَهْلِهِ كَمَا كَانَ يُنْفِقُ قَبْلَ خِلَافَتِهِ . قَالَ : رَضِيتُ . فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ
وَحَفِظَ ، ثُمَّ أَمَرَ بَنِي تَيْمٍ فَرَدُّهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ . فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا
خَفِيفَ الظَّهْرِ ، خَمِيسَ الْبَطْنِ . فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَ عُمَرُ : رَحِمَ اللَّهُ ١٠
أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ شَقَّ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ !

فَإِنْ قَالُوا : أَوَلَيْسَ قَدْ كَانَ عَلَى يَنْضَحَ بَيْتَ الْمَالِ فِي كُلِّ مُجْمَعَةٍ
وَيَصِلِي فِيهِ رَكْمَتَيْنِ ؟

قُلْنَا : إِنَّا لَمْ نَكُنْ فِي ذِكْرِ الْأَمَانَةِ وَالْخِيَانَةِ ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا
يَرْتَقِمَانِ عَنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الدِّيحِ ، وَعَنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الثَّنَاءِ ، ١٥
وَإِنَّمَا كُنَّا فِي ذِكْرِ الزُّهْدِ فِي الْمَبَاحِ ، وَفِي الْإِثَارِ وَالرَّفْضِ لِلْفُضُولِ ،
لِأَنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ يُعْطَى مَالَهُ وَعَلَيْهِ ، وَبَيْنَ مَنْ يُعْطَى مَا عَلَيْهِ وَلَا يُعْطَى
مَالَهُ فَرْقٌ .

وَمَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَمْ يُنَزِّلْهُ فِي أَحَدٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فِي ذَلِكَ » .

من المهاجرين والأنصار . كل ذلك يخبر عن فضله ، ويدل فيه على مكانه منه ، ويثني عليه ويزكيه ويمعظمه . وليس من أفرد الله فيه الآي ، وأفردته بالذكر كمن ذكره في جملة المؤمنين ، ومجهور الأنصار والمهاجرين .

٥ ولا سبيل إلى المعرفة بأن الله عني بآية كذا وآية كذا فلاناً دون غيره إلا بضريين : إما أن يكون اسمه وخاصةً نسبه ونعته ^(١) مسطوراً في الآية ، كما ذكر فرعون وأبا لهب ، وفلاناً وفلاناً ، وكما ذكر آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وعليهم . أو يكون المراد بالآية وإن لم يذكر اسمه ، كما ذكر لقمان ، وزيد ^(٢) .

١٠ [وزيد] مشهور النسب معروف القصة أنه المراد بالآية ، وبشهرة القصة والنسبة حتى لا يكون بين أهل ذلك الدهر في ذلك تنازع ، ولابن أصحاب التأويل والأخبار في دهرنا هذا ؛ فيكون كأنه مسمى وإن لم يُسم . وقد كانت تحدث بين الناس أمورٌ فيُنزل القرآنُ عقب ذلك ، فيعلم المهاجرون والأنصار من المراد بهذا التنزيل . كالذي كان من شأن عائشة وما قُرئت به ، حتى أنزل الله لذلك السبب آياً كثيراً ، وإن لم يكن الله سمى عائشة ولا من قرأها . كالذي نزل من القرآن في قصة الغار وهجرة النبي صلى الله عليه وأبي بكر ، وهربهما من قريش ، ونصرة الله لهما .

٢٠ فكان ممّا أنزل الله في أبي بكر من تفضيله وتركيبه وإن لم يُسمه قوله لجميع المؤمنين : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

(١) في الأصل : : لعمري .

(٢) أى ولم يذكر اسمهما في القرآن لكان معروفاً أيضاً أنهما المرادان .

كفروا ثانی اثنتين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم ^(١) .

فلا يخلو قوله : « إلا تنصروه » من أحد وجوه : إما أن يكون

- خاطب به المشركين عامة ، أو خص به الخاذلين العادين والباغين ، أو يكون خاطب به المؤمنين .

ولا يجوز أن يكون عني به المشركين ، لأنه لا يجوز في الحكمة وفي المعروف من البيان أن يقول الرجل الحكيم المبين ، للعدو المكشِف بعداوته ، المظهر لضعفه ، البازل لرأيه وماله ، المعاند في فعله : إلا تنصروني

- ١٠ فقد نصرني فلان ! لأن النصر لا يلتصق من العدو المكشِف ، وإنما يلتصق من الولي أو من الخاذل .

وكيف يقول هذا وإنما غايته الانتصار منه بغيره .

وفي قول الله عز وجل : « إذ أخرجه الذين كفروا » دليل أن الخطاب بالكلام غير الذين كفروا به وجحدوه وأخرجوه . ولا يجوز

- ١٥ أن يكون عني الخاذلين له من قريش ومشركي مكة إلا والخاذلون

قد كانوا هناك معروفين ، بائنين ، من العادين المتوئيين المبادين بالعداوة ،

المظهرين للمحاربة . ولا نعلمهم كانوا بيطن مكة صنفين متبايزين ،

[و] فريقين متبايزين ، حتى يكون كل حزب مشهوراً بالذي هو عليه

من الخذلان والعداوة . وليس بطن من بطون قريش إلا وقد لقي النبي

- ٢٠ صلى الله عليه وسلم منه أعظم المكروه وإن كانوا في ذلك على طبقات :

من مجتهد لا يبقئ ، ولا يفتقر ولا يسأم ، ومن رجل مائل معهم بضلعه ^(٢)

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) الضام ، بالفتح : المبل .

مُيِّدَ مَعَهُمْ لَضَرَّةً^(١) وَإِنْ كَانَ لَا يَبْلُغُ غُلُوَّ الْآخِرِ وَتَصْمِيمِهِ وَقَلَّةُ إِغْفَالِهِ .

وَلَقَدْ كَانَتْ خُزَاعَةٌ وَثَقِيفٌ عَلَى بَعْدِ أَنْسَابِهَا وَأَرْحَامِهَا أَحْسَنَ تَقِيَّةً
 مِنْ قَرِيشٍ فِي إِظْهَارِ الْعِدَاوَةِ ، وَالْإِرْصَادِ بِالْمَكْرُوهِ ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْبَغْيِ ،
 كَالَّذِي بَلَغَكَ عَنْ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ وَعُروَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَبُدَيْلِ بْنِ
 وَرْقَاءَ ، مِنْ رُكُونِهِمْ إِلَى الصُّلْحِ وَحُبِّهِمْ لِلْسَّلَامَةِ ، مَعَ قَلَّةِ التَّسَرُّعِ
 ٥ وَالتَّوَثُّبِ . عَلَى أَهْلِهِمْ قَدْ أَجْلَبُوا وَطَعَنُوا ، وَكَفَرُوا وَكَذَّبُوا ، بَعْدَ
 الْإِفْصَاحِ لَهُمْ بِالْحِجَّةِ ، وَالْإِبَانَةِ لَهُمْ عَنِ الْحِجَّةِ .

وَلَقَدْ كَانَ أَبُو لَهَبٍ عَلَى قُرْبِهِ وَقَرَابَتِهِ ، شَبِيهَاً بِأَبِي جَهْلٍ فِي الْغِلَظَةِ
 وَالْقَسْوَةِ وَالْجَفَاءِ ، وَكَثْرَةِ التَّدَرِّيِّ^(٢) ، وَقَلَّةِ السَّامَةِ .

١٠ وَلَمْ يَكُنْ أَبُو طَالِبٍ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حَيًّا مُقِيمًا فَيَكُونُ اللَّهُ جَلَّ
 ذِكْرُهُ عَنْهُ فَيَمْنُ أَطَاعَهُ مِنْ رَهْطِهِ بِهَذَا الْكَلَامِ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا
 لَقَدْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ أَحْسَنَ ذَبًّا ، وَلَا أَشَدَّ نَصْرًا ،
 وَلَا أَظْهَرَ مَعُونَةً ، وَلَا أَشَدَّ حِمَايَةً مِنْهُ .

وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُعْرِفَ قَوْمًا مَوْضِعَ الْخَلَّةِ فِي النُّصْرَةِ ، وَالتَّقْصِيرِ فِي الْمُدَافَعَةِ ،
 ١٥ إِلَّا وَأَدْنَى مَنَازِلِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُقَرَّنِينَ^(٣) لِمَنْ نَاوَأَهُمْ ، مُضْطَلَمِينَ بِدَفْعٍ مِنْ
 شَاقِّهِمْ^(٤) .

وَلَا نَعْلَمُ يَوْمَ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَبِمَكَّةَ رَجُلٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَضَرَّة » .

(٢) التَّدَرَّى : الْخُتْلُ .

(٣) الْمَقْرَن : الْمَطْبِق . وَفِي الْكِتَابِ : « وَمَا كُنَّا لَهُ مَقْرَنِينَ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مُصْلَمِينَ » . يُقَالُ هُوَ مُضْطَلَعٌ بِالشَّيْءِ ، أَيِ قَوَى عَلَيْهِ قَادِرٌ .

من بنى هاشم مطاع متبوع غير العباس بن عبد المطلب . ولا يجوز أن يقول الله للعباس ومن كان في ذراه ممن يسمع له وينفذ لأمره : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ » ، وقد علم أن العباس وأشباهه من مشيخة بنى عبد مناف لا أعوان لهم يومئذ من بنى عبد مناف ، لأن بنى عبد مناف دنيا^(١) على قربهم وقربتهم ، كانوا أشد الخلق على رسول الله ، كبن سفيان بن حرب ، وعقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاص ، وأبي أحيحة ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وفلان وفلان . ولم تكن أمة انمازت في ذلك الدهر من هاشم ، وكان يقال للحميين : عبد مناف . [و] كان من أمر عثمان الذي بلغك .

١٠

فقد دلّ الكلام على أن الله إنما عني بالآية المؤمنين دون الكافرين ؛ إذ كانت مخاطبة العادي والخاذل على ما وصفنا . وليس أنه أراد تأنيب المؤمنين وتقريع المهاجرين ، ولكنه أخبر عن تقصيرهم عن فضيلة أبي بكر إذ ظعنوا وأقام . وليس التقص في الفضل كالتقص في الفرض . فكأنه تعالى وعز قال : لو كنتم صبرتم مع نبيكم ، ما أقام ، إلى وقت الإذن^(٢) كصبر أبي بكر معه ، ولم تخرجوا هاربين جازعين ، ولدار نبيكم مهاجرين ، كان أشد لصبركم ، وأكمل لرغبتكم ، وأنتم لتقيتكم . وليس أنكم عصيتكم في خروجكم ، ولكن بعض الصبر والاحتمال أفضل من بعض ، وكذلك الطاعة تطوعها وفرضها . كما قد علمتم أن بلالاً وخباباً وعماراً حين فضهم^(٣) المشركون عن دينهم جزع عمّار وأعطاهم الرضا ، مع انطواء قلبه

٢٠

(١) يقال هو ابن عمه دنيا ، أى لها . (٢) أى الإذن بالخروج والهجرة .

(٣) كذا في الأصل مع شدة فوق الضاد . و « فتنهم » أولى بهذا المقام .

على الإخلاص ، وتلج صدره بالإيمان ، ولكن عزمه كان منقوصاً عن التمام ، من غير أن يكون ذلك عصياناً ولا خلافاً . ويدلك على ذلك قول الله : « إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ » . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنْ عَادُوا فُعِدْ » ، يريد به التوسعة والرخصة والإطلاق ، وليس على الأمر والترغيب . ٥

وكما بلغك عن الرجلين الواردين على مُسَيْلِمَةَ ، حين قال لأحدهما : أتعلم أني رسول الله ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فأمر به فقتل . وقال للآخر : أتعلم أني رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . فأمر بتخلية سبيله . فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : أمّا الأول فمضى على عزمه وبقينه فهنيئاً له ، وأمّا الثاني فأخذ برخصة الله فلا تبعه عليه . ١٠

فعلى هذا المثال كان تقصير القوم ، لا على وجه الخلاف والمعصية . وذلك أن أبا بكرٍ أقام بمكة ما أقام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهاجرَ الناسُ الأولَ فالأولَ ، فبعضُ أتى المدينة ، وبعضُ أتى الحبشة ، حين اشتدَّ عليهم البلاء وطالَ الدُّلَّ وقَلَّ الناصر ، وقويتِ الضغائن ، فكان النَّفَرُ بعد النَّفَرِ ، والرجل بعد الرجل ، يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيأذن له . وأقام أبو بكرٍ وحيداً لا أنيسَ له ، وذليلاً لا ناصرَ له ، وخائفاً لا أمانَ معه ، في كلِّ يومٍ يزدادون عليه قوَّةٌ ويزداد عنهم ضعفاً ، فإذا بلَّح^(١) وبلغ المجهود ، ولم يبق في قِوَاهُ فضلٌ يستعين به على الصبر ، استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في المضى إلى إخوانه والأحقاق بهم ، ٢٠

(١) الكلمة مهملة في الأصل . وبلغ تبليجاً : أعيا .

فيقول له : « لعلَّ الله أن يجعل لك صاحباً » فيزداد بها أبو بكر قوةً ،
وتحدثُ له بها همة . وهذه كلمةٌ ما قالها النبيُّ صلى الله عليه وسلم لستأذنٍ قبله ،
فيعلم أبو بكر عند ذلك أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم إنما عناه ؛ فيُشجِّع
من نفسه ، ويشدُّ من مُنَّته ، طمعه في شرف الصُّحبة ، وإكرامه إيَّاه
بفضيلة المرافقة .

٥

وقد استأذنَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم الناسُ [قبله ^(١)] بسنين ، فكان
أولهم أبو سلمة بن عبد الأسد ^(٢) ، وآخرهم عمر بن الخطاب ، لقرب حالِ عمر
في الفضل والصِّبر من حال أبي بكر . فكأنَّه خاطبَ المهاجرين ، على التعريف
لهم بفضيلة ^(٣) صبر أبي بكر على صبرهم ، مشجِّدةً لهم على إعطاء الجهد ،
وترغيباً لهم في غاية الصِّبر في مستقبل الأمور وحوادث الامتحان . فكأنَّه
قال : إذا لم تستتمِّرا الصبر ، ولم تبلغوا غاية الجهد ، ولم تصبروا ما أقام ، فقد
نصرته أنا إذ أخرجته ثانی اثنين .

والدليل على ما قلنا قولُ عمر لقريش حين بادأهم المداوة ، ونصَّب لهم
الحرب ، وأحسَّ من نفسه بالجلدِ وشدة الشَّكيمة ، وقوَّة العزيمة :
« أمَّا والله أن لو قد صرنا مائةً لتركتموها لنا إن تركناها لكم »
يعنى مكة .

١٥

فلو كان جميعُ من هاجر إلى الحبشة وأتى المدينة على مثل هذا العزم

(١) تسكلمة يفتقر إليها الكلام .

(٢) اسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي ، أسلم بعد

عشرة أنفس ؛ وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع . الإصابة ٤٧٧ .

٢٠

(٣) في الأصل : « فضيلة » .

والاحتمال والدفع ، وهم جميع ، لكانَ ذُلُّ من أقام ووحشته أقل ،
ونفوسُهم أطيب .

والدليل على فضيلة مقام أبي بكرٍ على ظعنهم أنهم حيثُ هاجروا
ونزلوا بالنجاشي والأنصار فنزلوا بأكرم منزلٍ به ، فكانوا في ذرَاهُ
آمنين ، رافعين وادعين ، إلّا ما كان من قصّة جعفرٍ ، وسعاية عمرو ،
وإحماش النجاشي وتهيبجه ^(١) . فما كان ذاك إلّا صدرَ نهارٍ حتّى جعلَ
اللهُ العاقبة للمتقين . وأبو بكر والنبي من الوحدة والقلة ، والجفوة والوحشة ،
وخفة ذات اليد ، والسب والإهانة ، والخوف بالقدر الذي لا يأتي عليه قولٌ
وإن كثُر ، ولا يبلغه وهم وإن اتّسع .

وهكذا رويّا عن الضحّاك وقتادة وأبي بكر الهذلي في تأويل هذه
الآية : أن الله عابَ جميع المؤمنين بها غير أبي بكر . ولو لم يكن رواية ^(٢)
ولم يفسّر ذلك صاحبُ تأويل ، لم يجزُ أن يكون تأويله غير الذي قلنا ؛
للذي شرّحنا وفصلنا .

ولو كانت هذه المخاطبة وقعت على الخاذلين والعادين ، أو على الخاذلين
دون العادين والمؤمنين ، لقد كان لأبي بكر في الآية ما ليس لأحد ، فكيف بها

(١) أما جعفر بن أبي طالب ، فكان سبياً في إسلام النجاشي حين أبان له حقيقة الدين
وشرح له ما يدعو إليه . وأما عمرو بن العاص — وهو أحد رجلين كانت قريش أرسلتهما
إلى النجاشي ليرد عليهم المؤمنين المهاجرين ليفتنوهم كما فتنوهم من قبل . والآخر هو عبد الله
ابن أبي ربيعة — فإنه سعى سعيّاً حثيثاً لدى النجاشي في ذلك ، وحاول أن يفسد نجاحهما في دعوة
النجاشي إلى الدين ، وكان مما قاله في تهيبج النجاشي : « أيها الملك لانهم يقولون في عيسى بن
مريم قولاً عظيماً » . ولكنه أخفق في ذلك وتم إسلام النجاشي . السيرة ٢١٥ — ٢٢٥ .
(٢) في الأصل : « ولم كان يكن » مع خط على « كان » .

إن كانت في المهاجرين ؛ لأنَّ في قوله « ثانی اثین » معنی عظیا ، وفي قوله :
« فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ » معنی عظیم .

فإن قالوا : كلُّ ما عظمتم فعظيم ، ولكنَّ بعضه لا يجوز إلا للنبيِّ
صلى الله عليه دون أبي بكر ، وهو قوله : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » .

قيل لهم : استكرهتم التأويل ، وصرفتم الكلام عن سنِّه ،
وغير تأويلكم أشبه بكلام العرب ، وأظهر في بيان الخطباء ، ومراجعة
الحكماء . وذلك أن النبيَّ صلى الله عليه كان هو الرابطة الجاش ، الثابت
الجنان ، الساكن النفس ، وهو المعزى لأبي بكر ، والمسَّهل عليه شدة حُزنه ،
والمطيَّب لنفسه ، والمسكن لحركة قلبه ، للذي ^(١) رأى وعين من أكثراته
ومن اضطرابه ، وقلة سكينته . وهذه الحال التي فيها قلب النبي صلى الله عليه
وخليفته ، وأبو بكر على ما وصفنا وفرقنا ، هي الفاصلة بين النبي صلى الله
عليه وبين خليفته ، إذ كان الخليفة قد شارك النبي صلى الله عليه في حضوره
واحتماله ، وبأن منه النبي صلى الله عليه بشدة عزمه وسعة صدره ، وسكون
قلبه ، كالفصل الذي بين الخليفة ووليَّ عهده .

وكذلك ^(٢) تمجِّل عمرُ الهجرة قبل أبي بكر ، فكان بذلك أنقص
فضلا منه . وتأخَّر بعد المهاجرين ، فكان بذلك أتمَّ فضلا منهم .

^(*) وفي قول الله : « إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » دليلٌ على أنَّ السَّكِينَةَ نَزَلَتْ على صاحبه ، وأنَّ
الهاء التي في « عليه » مضمرة فيها صاحبه . ولا يشبه أن تكون

السَّكِينَةُ نَزَلَتْ عَلَى مَنْ لَمْ يَحُلْ مِنْ السَّكِينَةِ وَقِلَّةِ الاضطراب ، وعلى المسَّهل على صاحبه والمطيب لنفسه^(١) والمبشِّر له بالنَّصْر ، حين يقول : « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » . وهو كما أخبر أبو معاوية الضَّرِيرُ ، عن عبد العزيز بن سِيَّاهُ ، عن حبيب بن أبي ثابت : في قول الله : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » قال : عَلَى أَبِي بَكْرٍ ؛ فَأَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَانَتِ السَّكِينَةُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ * .

فإن قالوا : فكيف وقد قال الله على نَسَقِ الكلام : « وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا » ، والمؤيَّد بالجنود في هذا الموضع لا يجوز أن يكون إلاَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، لأنَّ الجنودَ الذين عَنَى اللَّهُ ملائِكَتَهُ .

١٠ قيل لهم : وما تفكرون أن يكون الله أَيْدَ رجالاً بالملائكة ، بشفاعة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَبِشَارَتِهِ وَبِحَقِّ مُصْحَبَتِهِ ، كما أَيْدَى اللَّهُ جَمِيعَ أَهْلِ بَدْرِ بالملائكة ، وكما زعموا أَنَّ الملائكة نَزَلَتْ فِي زِيِّ الزُّبَيْرِ ، وليس أَنَّ اللَّهَ حين أَيْدَى أَبَا بَكْرٍ بالملائكة أَنَّهُ أَرَاهُ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، ولكن

(١) في الأصل : « والمطيب لنفسه » . انظر ما مضى في الصفحة السابقة س ٩ .
١٥ * الكلام من « وفي قول الله » س ١٠٧ س ١٧ إلى هنا هو موضوع الرد (٢٨) الذي سيأتى في نهاية الكتاب . والنص عند ابن أبي الحديد ٣ : ٢٧١ :
« قال الجاحظ : ومن جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله فقد كفر ، لأنه جحد نص الكتاب . ثم انظر إلى ما في قوله تعالى : « إن الله معنا » ، من الفضيلة لأبي بكر ، لأنه شريك رسول الله صلى الله عليه وآله في كون الله تعالى معه ، وإنزال السكينة . قال كثير من الناس : إنه في الآية مخصوص بأبي بكر ؛ لأنه كان محتاجاً إلى السكينة لما تداخله من رقة الطبع البشرية والنبي صلى الله عليه وآله كان غير محتاج إليها ، لأنه يعلم أنه محروس من الله تعالى ؛ فلا معنى لنزول السكينة عليه . وهذه فضيلة نالها لأبي بكر » . وقد جمع في هذا النص بين ما ورد في
س ٤٤ ، ٥٠ ، ٥١ .

ليعلمه^(١) النبي صلى الله عليه أن بحضرته ملائكة قد أرسلهم الله ليمنعوه من المشركين ، ليسكن بذلك رُوعه ، وتهداً نفسه ، وليثق بحضور النصر وتمجيل الدفع .

وقد علمنا أن الله لم يجعل مع كل مؤمن مَلَكين يكتبان خيرَه وشرَه استدكاراً ، ولكنَّ المؤمن إذا شعرَ بمكانهما كان أقطعَ له عن ركوب الأدناس ، وأدعى له إلى الاستحياء ، ولعلم أن الأمر جِدُّ وليس بهزل .

فكذلك إحضار الملائكة لأبي بكرٍ ، ليسكون بشارَةَ النبي صلى الله عليه له بذلك تسكيناً لنفسه ، وتمجيلاً لبعض ما استحقَّ بالاحتمال والمواساة والصبر ، من الثواب المعجل دون المؤجل .

ولقد بلغ من ظهور قصة أبي بكر وصحبته ومُرافقته وكونه مع النبي صلى الله عليه في الغار ، أن الروافض مع شدة الإقدام ، والجُرأة على تكذيب الناقلين ، لم تقدر على دفعه وردّه ، حتَّى قال منهم قائلون : إنما أخرجَه النبي صلى الله عليه خوفاً من أن يدلَّ عليه ويسعى بأمره إلى أعدائه ، لأنَّه كان حسَّ من النبي بالهجرة ، وعرفَ ميقاته الذي عزم عليه .

وكيف يجوزُ أن يخاطبَ الله الناسَ فيقول : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين » والذي به كان النبي صلى الله عليه بائناً قد أبرَّ على الأعداء^(٢) وأرَبى على الكُفَّار ، لأنَّ النفاق أعظم من التصريح .

(١) في الأصل : « يعلمه » .

(٢) أبر عليهم : غلبهم . وكلمة « أبر » مهملة في الأصل .

وهذا ما لا يجوز في عقل ، ولا يَسْنَح في فكر ، ولا يجوز في التَّعارف ، ولا يليق بالبيان .

وكيف والله يقول على اتِّصال اللَّفْظ بِاللَّفْظ والمعنى بالمعنى ، وتركيب الآية الأخرى على الأولى : « وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا » .

ولا كافر أعظمُ كفرًا ، ولا أشدُّ عنودًا من ثاينيه وصاحبه في الغار ، ورفيقه في الطريق ، والمعرَّى لشدة حُرْنه ، إن كان الشأنُ على ما قالوا وكما وصفوا . وإنما المناقاة^(١) أن يكون الرجل معتقدًا لجحد الرسول وعداوته ولكن الرسول هو الغالب على داره القاطع لمن بادأه بالعداوة ، وناوأه في الفضيلة ، فإنما يستبقى نفسه بنفاقه ، وبترميل حقه ، وإخفاء ضيقه . فأما رجلٌ مقيم بمكة قليلٌ مُفرد ، وذليل مطرَّد ، وخائف مشرَّد ، بين استخفاء يَعْدِل الموت ، أو هرب يقطع الأحشاء ، والذي هرب معه مقهور مخذول ، والغالب على داره عدوه ، فكيف كان أبو بكر منافقًا والحال على ما وصفنا ؟

١٥ ولولا كثرةُ الفساد وما عمَّ النَّاسَ من الغلط وفُجُش الخطأ ما كان لذكر هذا وشبهه معنى .

والأثر المجتمِع عليه من أصحاب السَّير والأشعار والأخبار ، أن النَّبي صلى الله عليه قال لحَسَّان : أَمَا قُلْتَ فِي أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا^(٢) ؟ فَأَنْشَأَ يَقُول :

(١) في الأصل : « المنافقون » .

(٢) في البيان ٣ : ٣٦١ أن الأبيات رثاء في أبي بكر . وانظر ما كتبت هناك في حواشيه ٢٠ وكذا جمهرة أشعار العرب ص ١٣ وصفة الصفوة ١ : ٨٩ .

إذا تذكرت شَجَوًا من أخى ثقةٍ فازكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
التَّالِيَّ الثَّانِيَّ المَحْمُودَ مشهده وأوَّلُ النَّاسِ منهم صدِّقُ الرُّسُلَا
وثانِيَّ اثْنَيْنِ في الغارِ المُنِيفِ وقد طاف المَدَاةُ به إذ صعدَ الجبلا
خيرَ البرِّيَّةِ أَتَقَاهَا وأطهرها إلَّا النَّبِيَّ وأوفاهَا بما حملا

فجعله تالياً ، وثانياً ، وصاحباً .

وقال أبو محجَّن :

وسمَّيتَ صدِّيقاً وكلُّ مهاجرٍ سِوَاكَ يسمِّي باسمِهِ غيرَ منكراً^(١)
سبقتَ إلى الإسلامِ واللهُ شاهدٌ وكنتَ جليساً بالعريشِ المشهراً
وبالغارِ إذ سمَّيتَ بالغارِ صاحباً وكنتَ رفيقاً للنبيِّ المطهرِ
فجعله سابقاً وصدِّيقاً ، وجليساً وصاحباً .

وقال كعب بن مالك :

سبقتَ ، أخا تيمٍ ، إلى دينِ أحمد وكنتَ لدى الغيرانِ في الكهفِ صاحباً
فجعله سابقاً ، وجعله صاحباً .

وقال النُّجَاشِي :

غداةً أتى بدرًا وحرًّا جِلاذُهُم وكان جليساً بالعريشِ مُؤازراً^(٢)
فلو لم تكن له مأثرةٌ إلَّا ما دلَّت عليه هذه الآية ، وإلَّا شرفَ
هذه الصُّحبة ، وموقع هذه الخاصة ، ونُبُل هذه المرافقة ، ومَشاهدِهِ
الثَّقة ، لكان فوقَ الجميعِ في المِكانَةِ والفضيلةِ ، وفي مُرافقةِ النبيِّ صلى
الله عليه .

(١) هذه الأبيات مما لم يرو في ديوان أبي محجَّن .

(٢) حر يحر ، من باب ضرب وقعد وعلم : اشتدَّ حره .

سمع أهل مكة الهاتف بالليل على قرن الجبل^(١) وهو رافع عقيرته ، يقول :
جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ خَلِيلِي صَفَاءَ طُرْدَا كُلِّ مَطَرِنِ
هُمَا نَزَلَا فِي الصُّبْحِ مُتَّ هَجَرَا وَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
لِيَهْنَى بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمِرْصَدٍ^(٢)

وقال الحارث بن هشام :

رفيقان في المحيَا وفي الموت ضُمَّنَا بِأَكْرَمِ مَشَاوِي مَنَازِلٍ وَمَكَانٍ
فهذا هذا .

ثم الذي كان مِنْ قِصَّةِ مِسْطَحَ بْنِ أُنْثَاةَ وَقَضِيَّتِهِ^(٣) ، وكان ربيبه وابن
خالته^(٤) ، وفي مؤوَّنته وتحت جناحه ، فلما قُرِفَتْ عَائِشَةُ بِالَّذِي قُرِفَتْ بِهِ
١٠ وَبَلَغَتْ ، آلَى أَبُو بَكْرٍ أَلَّا يَنْظُرَ فِي وَجْهِهِ ، وَلَا يُنْفِقَ عَلَيْهِ وَلَا يَكْفُلَهُ
وَلَا يَمُوتُ عِيَالَهُ ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَذَرَ عَائِشَةَ وَبَرَاءَتَهَا ، وَلَمْ يَرْضَ لَهَا بِالطَّهَارَةِ
وَالْعِفَّةِ حَتَّى جَمَلَهَا غَافِلَةً ، فَضَلَا عَلَى أَنْ يَكُونَ خَطَرَ ذَلِكَ عَلَى بَالِهَا فَتَنْفِيهِ ،
إِشَارًا لِلْحَلَالِ عَلَى الْحَرَامِ . وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي آيَةٍ^(٥) يَأْمُرُ
أَبَا بَكْرٍ بِالصَّفْحِ عَنْ مِسْطَحَ ، وَالتَّجَاوُزِ عَنْ ذَنْبِهِ ، وَتَعَمُّدٍ مَا كَانَ مِنْهُ ، وَأَنْ
يُعِيدَهُ فِي كَنَفِهِ وَعِيَالِهِ ، فَقَالَ : « وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ » .
١٥ فَمَا ظَنُّكَ بِأَمْرِي يَقُولُ اللَّهُ لَهُ وَفِيهِ هَذَا الْقَوْلُ ، وَيَصِفُهُ بِهِذِهِ الصِّفَةِ حَتَّى
يَقُولُ : « وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى
وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ

(١) هو جبل أبي قبيس ، كما في عيون الأثر ١ : ١٨٨ .

٢٠ (٢) انظر السيرة ٣٣٠ وابن سيد الناس ١ : ١٨٧ - ١٨٩ والرياض النضرة ١ : ٧٧ .

والفتاة هي أم معبد بنت كعب ، من بني كعب بن خزاعة .

(٣) في الأصل : « وقضيته » .

(٤) الصواب أنه ابن بنت خالته ، كما في الإصابة والسيرة ٧٣٣ .

(٥) في الأصل : « عن آية » .

اللهُ لكم والله غفورٌ رحيمٌ^(١) ، فتلاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر ، فلمَّا انتهى إلى قوله : « أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ » قال أبو بكر : بلى يارب ! فغفا عنه ، فوجبت له المغفرة ، وأعادته إلى نعمته ، وجعل عياله في حَسَاه وتحت ظله .

فمن أعظمُ قدرًا من رجلٍ يفرِد الله له الآي فيهِ معظماً لشأنه ، ذا كراً ٥
لفضله على لسان جبريل ومحمد عليهما السلام . فهذا هذا .

وقد أجمع أهلُ التَّأويل على أنَّ الله عَنِ بقوله : « والذي قَالَ لوالديه أَفٍ لكما أَتعداني أَنْ أُخْرَجَ » وقد خَلَّت القُرُونُ مِنْ قبلي وهما يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فيقولُ ما هذا إِلَّا أساطيرُ الأولين^(٢) » أبا بكرٍ ، وعبدُ الرحمن بن أبي بكر ، وأمُّه . ١٠

وكان أبو بكر وأهلُ بيته أهلُ بيتِ إسلام : كان هو مسلماً ، وأمرأتهُ مسلمة ، وأبواه مسلمان ، وبناته مسلمات . وليس في العشرة الذين قال لهم النبي صلى الله عليه إنهم في الجنة ، ولا في قريش قاطبةً رجلٌ مؤمنٌ مؤمنُ الأيوين غير أبي بكرٍ الصديق ، ولا في قريشٍ خاصَّة والمهاجرين عامة صاحبُ ابن صاحبِ ابن صاحبٍ غير عبد الله قتيل الطائف ابن أبي بكرٍ الصديق ، ابن ١٥
أبي قحافة المسلم يوم مَكَّة^(٣) ، والقائل فيهِ رسول الله صلى الله عليه لأبي بكر : « فهلاً تركت الشيخَ في منزله فأتيناه ! » . وله حجة .

واجتمع أهلُ التأويل على أن قوله : « أَفمن يعشى مُكِبًّا على وَجْهِهِ

(١) الآية ٢٢ من سورة النور .

(٢) الآية ١٧ من سورة الأحقاف .

(٣) انظر خبر إسلام أبي قحافة في السيرة ٨١٥ — ٨١٦ .

أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشَى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ « نزلت في أبي بكر
وأبي جهل . ألا ترى أن أبا جهل رأس الكفر فلم يُقَرَّنْ به ولم يُوضَعَ
بإزائه من المسلمين إلاَّ رأسٌ مثله .

وقال الله : « فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى « الآية ،
يعنى أبا بكرٍ في إنفاقه المالَ وعِثَمِهِ الرَّقَابَ والمُعْذِنِينَ وقوله : « كَذَّبَ
وَتَوَلَّى » يعنى أبا جهل . وليس في الأرض صاحبٌ تأويلٍ خالفَ
تأويلنا^(١) ولا ردَّ قولنا إنَّ هذه الآية نزلت في أبي بكر .

وأما قوله : « قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي
بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا^(٢) » . فزعمَ
ابنُ عَبَّاسٍ أنَّ القومَ الذين ذكرهم بنو حنيفة ، وأبو بكر استنفر إليهم
العربَ ، وضمَّهم إلى المهاجرين والأنصار ، حتَّى أَظْفَرَ اللَّهُ يَدَهُ وأظهر حُكْمَهُ .
وأما غير ابنِ عَبَّاسٍ فزعم أنَّهم فارسُ والرُّومُ .

فإنَّ كان [ذلك^(٣)] كذلك فإنَّ أبا بكرٍ هو المستنفر إلى قتال
الرُّومِ . وإنَّ كان عمر هو المُقَاتِلُ لكسرى فإنَّ ذلك راجعٌ إلى أبي بكرٍ
بِقَاسِيَسِهِ لِعَمْرِ واختياره له .

وقد زعم جُوَيْرِ^(٤) عن الضَّحَّاك في قوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » . قال : أبو بكرٍ وعمر .

(١) في الأصل : « تأويلا » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الفتح .

(٣) زدتها مساوقة لأسلوب الجاحظ الذي يلتزم هذا التعبير .

(٤) جُوَيْرِ بن سيعد الأزدي البلخي . مات ما بين ١٤٠ و ١٥٠ . تهذيب التهذيب .

وقد زعم وكيع عن الفضل بن دلهم^(١) ، عن الحسن في قوله :
« فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » ، قال : هم والله أبو بكر
وأصحابه .

ومثل هذا كثير ، ولم يحمي الحمى الذي يحتج به المنصف والمرشد ،
ولكن الحجة القاطعة في إجماع^(٢) المفسرين في الآيات التي ذكرناها^٥
قبل في قصة الغار ، والنصرة ، وفي قصة مسطح ، والنفور عنه والإنفاق
عليه ، وفي قصة عبد الرحمن بن أبي بكر وأبويه ودعائهما له إلى الإسلام
ورده عليهما ، وقصة أبي بكر وأبي جهل .

وقالت (العثمانية) : فإن زعمت الرافضة أن الله أنزل في علي آية
كثيراً ، فكان ممّا أنزل فيه وفي ولده قوله : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^{١٠}
الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ^(٣) » . فأولى الأمر علي وولده . فلمعمرى
لئن كان أصحاب الأخبار قد أطبقوا على أنها نزلت في علي وولده إن
طاعتهم لواجبة . وإن كان هذا شيئاً نقوله متقولاً ، أو جاء من وجه
ضعيف ، فهو مع ضعفه شاذ ، وليس في ذلك لكم حجة ؛ لأن الحديث
قد يحتمله الرجل الواحد الثقة عن مثله ، فيكون شاذاً ، ما لم يكن^{١٥}
مستفيضاً شائعاً قد نُقل عن المستفيض الشائع . وقد يكون الحديث
يحتمله الرجال الثلاثة وهم ضعفاء عند أهل الأثر فيكون
الحديث ضعيفاً لضعف ناقله ، ولا يسمونه شاذاً ، إذا كان قد جاء من

(١) الفضل بن دلهم البصري ، كان قصاباً شاعراً معتزلياً . ذكره في تهذيب التهذيب .

(٢) في الأصل : « إجماع » .

(٣) الآية ٥٩ من سورة النساء .

ثلاثة أوجه . وإنما الحجة في الحجى الذى يمتنع فيه العمد والاتفاق .
وهذا الجنس من الخبر هو الإجماع .

وليس يكون الخبر إجماعاً من قبل كثرة عدد الناقلين ، ولا من قبل
عدالة المحدثين ، وإنما هو العدد الذى نعلم أنهم لم يتلاقوا ولم يتراسلوا
ولا تتفق ألسنتهم على خبر موضوع ، مع اختلاف علمهم وأسبابهم ،
ثم يكون معلوماً عند سامع ذلك الخبر من ذلك العدد ، أنهم قد نقلوه
عن مثلهم في مثل أسبابهم وعلمهم .

فإذا كان معلوماً أن فرعه كأصله كان ذلك موجباً لليقين ، ونافياً لمرو
الشك واسترابة التقليد .

١٠ وهو كنجو ما نقلوا من قصة الغار ، وقصة مسطح .
فأما ما قالوا وادعوا أن الله عنى بقوله : « أطيعوا الله وأطيعوا
الرَّسُولَ وأولي الأمر منكم » علياً وولده دون جميع المهاجرين ، فليس
من شكل ما اشتَرَطْنَا ، ولا من فنٍّ ما بيننا ؛ لأن أصحاب التأويل زعموا
أنها زلت في عمال النبي صلى عليه وسلم وولاته ، وفي المسلمين ،
١٥ وفي أصحاب سراياه وأجنادهم كالعلاء بن الحضرمي ، وأبي موسى الأشعري ،
وعتّاب بن أسيد ، وخالد بن الوليد ، ومعاذ بن جبل ، يأمر الناس بطاعة
الأمراء والتسليم لولاة أمورهم .

حديث عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبعي قال : حدثنا
عبد الملك بن أبي سليمان قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن تأويل
٢٠ قول الله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسُولَ وأولي الأمر منكم » فقلت :
من أولو الأمر ؟ فقال : هم أصحاب محمد . قلت : إنهم يزعمون أنه علي .
فقال : عليٌّ منهم .

وهذا مِنْ أَثْبَتٍ وَأَحْسَنَ مَا يَرَوُونَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَمِنْ
أُخْرَى مَا جَمَعَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى تَقْبُلِهِ ^(١) وَالرِّضَا بِهِ ، إِذْ قَائِلُهُ الْعَالَمُ
الْمَقْبُولُ عِنْدَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَالرَّئِيسُ الَّذِي لَا أَحَدَ فَوْقَهُ فِي عَصَرِهِ عِنْدَ الرِّوَاغِضِ .

وَزَعَمَ مُحَمَّدُ بْنُ السَّائِبِ السَّكَبِيُّ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ^(٢) ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا فِي عِبدِ اللَّهِ بْنِ خُذَافَةَ السَّهْمِيِّ ^(٣) .

فَإِذَا كَانَ تَأْوِيلُهَا مَشْهُورًا بِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْاِخْتِلَافِ ، فَلَيْسَ فِيهَا
لِلْمُتَشَيِّعِ حُجَّةٌ .

وَزَعَمُوا أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي عَلِيٍّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا
فِي السَّلَامِ كَافَّةً » ^(٤) يَقُولُ : فِي طَاعَةِ عَلِيٍّ .

وَالْكَلَامُ فِي هَذَا كَالْكَلَامِ فِيمَا قَبْلَهُ ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْأَخْبَارِ وَالتَّأْوِيلِ ١٠
لَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ .

وَالْخَبَرُ الْمَشْهُورُ عَنِ السَّكَبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا
فِي نَاسٍ مِنْ مُسْلِمِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، كَانُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ يُقِيمُونَ السَّبْتَ ^(٥) ،
وَيَعَافُونَ الذَّيْبَةَ ، لِرُسُوخِ الْعَادَةِ ، وَغَلَبَةِ الْإِلْفِ ^(٦) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً » يَقُولُ : ادْخُلُوا فِي جَمِيعِ الشَّرِيعَةِ ، ١٥
« وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ » وَزِينَتَهُ لَكُمْ الْحُكْمَ بِالْفِكْمِ لَهُ ، وَنُشُوءُكُمْ كَانَ فِيهِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « نَفَلَهُ » .

(٢) هُوَ أَبُو صَالِحٍ بَازْدَانٍ ، مَوْلَى أُمِّ هَانِئَةَ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .

١٧٨ : ٩ / ٤١٦ : ١

(٣) وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ . الْإِصَابَةُ ٤٦١٣ . ٢٠

(٤) الْآيَةُ ٢٠٨ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « السَّيْبُ » . وَالْمُرَادُ مَنَّةُ الْيَهُودِ فِي سَبْتِهِمْ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « وَعَلَيْهِ الْأَلْفُ » .

وزعموا أن الله أنزل : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الذين يُقيمون الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ^(١) » .

قيل لهم : أمّا ظاهر الكلام فيدلُّ على ما قال أصحابُ التأويل ، كابن
عباسٍ وغيره ، حين زعموا أنها نزلت في عبد الله بن سلام ^(٢) ،
وربط من مشركي أهل الكتاب ، وذلك أنهم أتوا النبيَّ صلى الله عليه
عند الظهر فقالوا : يا رسول الله ، إنَّ بيوتنا قاصيةٌ ولا نجد مسجدًا
دونَ هذا المسجد ، وإنَّ قومنا لما صدَّقنا الله ورسوله عادونا وتركوا
مُخَاطَبَتَنَا ، وأقسموا ألاَّ يُكَلِّمُونَا .

فبينما هم يشكون عداوة قومهم لهم إذ نزلت : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ » . فلمَّا قرأها النبيُّ صلى الله عليه قالوا : رضىنا بولاية الله
ورسوله والمؤمنين . وأذن بلالٌ للصلاة ^(٣) ، فخرج النبيُّ صلى الله عليه
وسلم إلى المسجد وهم معه ، والناس من بين رাকع وساجد ، وقائمٍ
وقاعد ، فتلا النبيُّ صلى الله عليه : « وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ^(٤) » الآية . فإن تكن هذه الآية
كما قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ ، فليس لعليٍّ فيها ذكر . وإن يكن الأمرُ
ليس على ما قال ابنُ عباسٍ فليس تأويلُ الرَّافِضَةِ بأقربِ التأويل .

(١) الآية ٥٥ من سورة المائدة .

(٢) سلام ، بتخفيف اللام . أسلم عبد الله قبل وفاة الرسول بعامين ، وكان قبل من

٣٠ أجبار يهود . توفى سنة ٤٣ . الإصابة ٤٧١٦ .

(٣) في الأصل : « الصلاة » .

(٤) هي الآية ٥٦ من سورة المائدة .

وقد عرفنا أن تأويل ظاهر هذا الكلام يُشبهه غير الذي قالوا ،
وليس لنا أن نجعله كما قالوا إلا بخبرٍ عن النبي صلى الله عليه ، أو بإجماعٍ
من أصحاب التأويل على تفسيره . وذلك أن قوله : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ
ورَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ »
يدلُّ على العدد الكبير وأنتم تزعمون أنه عَنَى عليًّا وحده ؛ وليس
لأحدٍ أن يجعل « الذين » لواحدٍ إلا بخبرٍ مُجمَعٍ عليه ، فإن لم يَقْدِر
على ذلك فليس له أن يحوِّل معنى الكلام عن ظاهر لفظه ، والذي
عليه التَّعَامُلُ والتَّعَارُفُ . ولفظ الجميع معروف من لفظ المفرد . لأنَّ
الرافضة تزعمُ أن سائلاً دخل المسجد فسأل النَّاسَ وعلى رَاكِعٍ ، فلم
يُعْطَ شيئاً ، فنزعَ على خاتمه فأعطاه ، فأَنزَلَ اللهُ فيه : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ » . وأنت إذا سمعتَ بتأويل ابن عباسٍ وتأويلهم علمتَ أن
تأويلهم بعيدٌ من لفظ التنزيل ، قُرْبَ (١) تأويل ابن عباس منه .
ولو كان الأمر كما قالوا ما كان أحدٌ أعلمَ به من ابن عباسٍ
ولا أشعرَ (٢) به منه .

١٥

وأنتم تزعمون أن عليًّا كان أزهَدَ من أن يحوِّلَ عليه الحولُ وعنده مالٌ
راهنٌ يجبُ عليه فيه الزكاة .

ولو كان ذلك كذلك ما كان بلغ من قدر صنيع رجل في إعطاء درهم
ودرهين من زكاته الواجبة ما إن يبلغ به إلى هذا القدر الذي ليس فوقه قدرٌ ،
أو يكون كان على مشهوراً بإعطاء الزكاة وهو يصلي .

٢٠

(١) في الأصل : « وقرب » . (٢) في الأصل : « أسعد » .

ولو كان هذا هكذا لكان مشهوراً مستفيضاً . وكيف اتَّفَقَ له ألا يزكِّي
إلاَّ وهو يصلي؟! ٥

وإن كان تطوَّع بإعطاء الخاتم على جهة الإيثار والمواساة فليس بمعروف
في الكلام أن يكون الرجلُ إن صدَّق بالدرهم والدرهمين مُتَنَفِّلاً ومتطوَّعاً
أنَّه معطٍ زكاة ، لأنَّ الزكاة عندنا ما وَجَبَ إخراجُه وكان تطهيراً لسائر ماله ،
وسبباً للنماء والبقاء . إلا أن يُحْمَلَ الكلامُ على الشاذِّ ، وعلى أبعد المجاز .
وليس هكذا كلامُ الحكيم يريد أن يدلَّ الأمةَ على إمامته ، ويوجبَ
عليهم طاعته .

ولابد في هذه الآية من أحد ضربين : إمَّا أن يكون لفظها يدل على
١٠ مآلوا دون مآل غيرهم ، وإمَّا أن تكون قد نزلت في قصَّة مشهورة لعليٍّ
كقصَّة الغار حين كانت لأبي بكر .

فإن لم تجدوا إلى واحد من هذين سبيلاً فلم يبق إلا أن تزعموا أن
الرسول صلى الله عليه قال للناس : إنَّ هذه في عليٍّ فاعرفوا له حقَّه
وفضيلته . ولو كان ذلك كذلك ما اختلف فيه أصحاب التأويل ، ولا قال
١٥ فيه ابن عباس الذي قال .

قالت (العثمانية) : قد زعمت الرِّوافض أنَّ الله أنزلَ هذه الآية في
عليٍّ فاعرفوا له حقَّه وفضيلته .

ولو كان ذلك كذلك ما اختلف فيه أصحاب التأويل ، ولا قال فيه
ابن عباس الذي قال^(١) .

٢٠ قالت (العثمانية) : وقد زعمت الرِّوافض أنَّ الله أنزلَ فيه : « قُلْ كَفَى

(١) كذا وردت هذه العبارة . ولعلها تكرر لما سبق .

بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ^(١) .

ولا يجوز أن يقول : « ومن عنده علم الكتاب » وهو يعني علياً
إلاً وعلى قد كان أشهر مَنْ هُنَاكَ بعلم الكتاب .

وكيف يكون ذلك وقد تُوَفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَهُوَ لَمْ يَجْمَعْ الْكِتَابَ
بعد ؟! وقد زعم الشعبي أنه لم يجمعه إلى أن مات .

وكيف يكون من المشتهرين بعلم الكتاب وأنت إذا سألت أصحاب
الأخبار والتأويل عن أسماء أصحاب التأويل ذكرُوا ابنَ عَبَّاسٍ وَمَنْ دُونَ
ابنِ عَبَّاسٍ بِطَبَقَاتٍ كَالْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ ، وَجَاهِدٍ ، وَالضَّحَّاكِ ، وَعِكْرَمَةَ ،
وَفُلَانَ وَفُلَانَ وَفُلَانَ ، وَلَا يَذْكُرُونَهُ فِي هَذَا الصَّنْفِ ، كَمَا لَا يَذْكُرُونَ
فِيهِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِالْمَشْتَهَرِينَ بِالتَّأْوِيلِ وَحِفْظِ
الْقُرْآنِ وَمَعْرِفَةِ مَعَانِيهِ ؛ لِأَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ ، وَقَدْ أَخَذُوا
مِنْهُ بِنَصِيبٍ . وَلَمْ يَكُونُوا كَمَنْ تَجَرَّدَ لِمَعْرِفَةِ التَّأْوِيلِ حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهِ
كَأَنَّ غَلَبَ عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الْفَرَائِضَ ، وَكَأَنَّ غَلَبَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ،
وَكَأَنَّ غَلَبَ كَثْرَةَ الْأَسَانِيدِ وَعَدَدُ الْأَنَارِ عَلَى ابْنِ عُمرٍ وَجَابِرٍ وَعَائِشَةَ ، وَكَأَنَّ
غَلَبَ عَلَى أَبِيٍّ وَعَلَى عَبْدِ اللهِ الْقُرَاءَاتِ .

ولو كان للناس أن يقولوا في هذه الآية على الظنِّ وما هو أشبهه لكان
أولى الناس بها عبد الله بن عباس ، لأنه كان أعلم الناس بالقرآن . ولو
لم يكن عرفنا فضله فيه بالذي ظهر منه ، لعرفنا فضله وإن بطن وغاب
عن العيان لقول النبي صلى الله عليه فيه : « اللَّهُمَّ فَهِّمَهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ
التَّأْوِيلَ » . فكيف وقد ظهر من علمه بمعانيه وغريبه ، وإعراجه وقصصه .

(١) الآية ٤٣ من سورة الرعد ، وهي خاتمتها .

وُمُحَكَّمَةٍ وَمُتَشَابِهَةٍ ، وَخَاصَّةٍ وَعَامَّةٍ ، وَنَاسِخَةٍ وَمَنْسُوخَةٍ ، وَمَكِّيَّةٍ وَمَدَنِيَّةٍ ،
مَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ شَطْرَهُ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ .

وَقَالَتْ (الْعُمَانِيَّةُ) : إِنَّهُ لَا يَمَجِّزُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمِدَ إِلَى كُلِّ آيَةٍ فِي
الْقُرْآنِ فَيَدَّعِي أَنَّهَا فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ كَمَا ادَّعَيْتُمْ ذَلِكَ فِي عَلِيٍّ ، وَإِنَّمَا الشُّفَاءُ
وَالْبَيَانُ فِي صَحَّةِ الشَّهَادَةِ ، وَظُهُورِ الْحُجَّةِ . ٥

وَزَعَمَتِ الْعُمَانِيَّةُ أَنَّ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ عَلَى عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهُ « الصَّدِّيقَ » دُونَهُ ، وَلَيْسَ بَعْدَ اسْمِ النَّبِيِّ اسْمٌ أَنْبَأَهُ
مِنَ الصَّدِّيقِ ، حَتَّى كَانَ لَا يُقَالُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَفَعَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَّا وَالصَّدِّيقُ
مُتَّصِلٌ بِهِ ، وَحَتَّى رَبَّمَا قَالُوا قَالَ الصَّدِّيقُ وَفَعَلَ الصَّدِّيقُ ، اسْتَغْنَاءً عَنْ
اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ . ١٠

وَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الزُّبَيْرُ حَوَارِيٌّ وَابْنُ عُمَتِّي ، وَطَلْحَةُ
حَوَارِيٌّ » وَقَالَ : « عُمَانُ ذُو النُّورَيْنِ » فَلَمْ يَقُلْ الْمُسْلِمُونَ : قَالَ عُمَانُ
ذُو النُّورَيْنِ ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ الْحَوَارِيُّ ، وَقَالَ ذُو النُّورَيْنِ ؛ اسْتَغْنَاءً عَنْ
أَسْمَائِهِمَا وَكُنَاهُمَا .

١٥ فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ أَشَاعُوا اسْمَ أَبِي بَكْرٍ وَتَرَكُوا أَنْ يُشِيعُوا اسْمَ غَيْرِ
أَبِي بَكْرٍ ، لِفَضْلِ رَأْوِهِ فِي أَبِي بَكْرٍ ، فَهُوَ الَّذِي قُلْنَا وَادَّعَيْنَا . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ
مِنْهُمْ لَشَيْءٍ رَأَوْهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَنِيعِهِ بِأَبِي بَكْرٍ ،
فَلَا^(١) شَيْءٌ أَدْلُ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَالْمُبَايَنَةِ مِنْهُ .

وَلَمْ يَسْمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا بِاسْمِ يَنْسُبُهُ بِهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ

لظهر كما ظهر اسم من ذكرنا . ولا سماء أحد من أصحاب رسول الله باسم .
بأن به كما سمي أصحاب رسول الله أبا بكر خليفة رسول الله .

ولأبي بكر اسمان يدلان على الفضيلة والمباينة : أحدهما لم يسم به قط
إلا نبي أو من يتلوه ، والآخر لم يسم به أحد من الناس .

- فأما الاسم الذي لم يسم به إلا نبي فقولوه « الصديق » بإجماع من
المسلمين على هذا الاسم أنه لأبي بكر دون غيره . وأما الاسم الذي لم
يُسم به مؤمن قط ، ولا بعده ، فقول جميع الأمة : يا خليفة رسول الله .
فإن كان الذي نُقل إلينا أنه [كان] يكتب في دهر النبي صلى الله عليه :
« من خليفة رسول الله » ويكتب إليه « إلى خليفة رسول الله » وكما
كان الحسن يحلف بالله أن النبي صلى الله عليه [عليه] هو تولى استخلافه ،
فلا منزلة أعظم منها قدراً ، ولا أرفع منها شأنًا .

وإن كان المسلمون أجمعوا له على ذلك لخاصة رأوا فيه ، فكفى به
شرفاً وقدراً ، ومزيةً وذِكراً .

- وإن زعم قوم أن الأسماء التي ارتضاها الرسول صلى الله عليه وحياً
بها أصحابه لا تدل على فضيلة ولا على خاصة كرامة ، وجسروا على أن
يقولوا إنه ليس في قول النبي صلى الله عليه لجزء إنه أسد الله ، وأسد
رسوله ، فضيلة ؛ وليس في قوله « الزبير حواري » فضيلة - فليس عندنا
في ذلك إلا مثل ما لهم في صدور أهل القبلة من الإسقاط والإهانة .
فإن قالوا : إن اسم الصديق مولد موضوع مُحدث ، أحدثته
العثمانية والحشوية^(١) .

٢٠

(١) انظر لهذه الكلمة حواشي الحيوان ٦ : ٦٢ ، وكذا دائرة المعارف الإسلامية

قيل لهم ، فلعلَّ قولهم : إنَّ حمزة أسدُ الله ، وأسدُ رسوله ، وإنَّ جعفرًا الطيّارَ في الجنة ، وإنَّ الزُّبيرَ حواريُّ رسولِ الله ، مولدُ موضوعٍ صنعته الشيعة ، وأحدته أتباع الزُّبير يوم الجمل ، لافرقَ بين ذلك .

وكيف يكون اسمُ الصّدِّيق مولدًا محدثًا ، وأكثرُ مَنْ تكلمَ به ليسوا بذوى نِحْلَةٍ فيتقدِّروا^(١) له ، ولا بذوى معرفة فيعرفوا فضلَه ، ولا ذوى قرابة فيطلبوا السَّبْقَ به ، مع الذي نجده في الأشعار الصحيحة القديمة . وليس بين الأشعار والأخبار فرق إذا جاءت مجيء الحجج .

وإنَّما ذكرنا الأشعار مع الأخبار ليعرفوا ظهور أمره ، ووجوه دلائله وقهر أسبابه ، وليكون آنس للقلوب ، وأسكن للنفوس ، وأقطع لشغب الخصم ، وليجحد^(٢) المنازع .

فمَّا جاء من الأشعار في ذلك قول شريح بن هانئ الحارثي^(٣) ، وكان معمرًا وكان شيعيًا ، وهو يرتجز في بعض حروبه :
أصبحت ذا بثٍّ أقاسي الكبرأ قد عشتُ بين المشركين أعصرا^(٤)
ثمَّ أدركتُ الرسولَ المنذرا^(٥) وبعده صديقه وعمرا

١٥ (١) فيتقدِّروا ، مهملة في الأصل . والتقدير : التقدير ، والتهيهؤ .

(٢) في الأصل : « ويجحد » .

(٣) أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعثه على في التحكيم على أربعائة رجل ، وقتل غازياً بسجستان مع عبد الله بن أبي بكر في ولاية الحجاج بن يوسف سنة ٧٩ . وعاش مائة وعشر سنين ، أو عشرين ومائة سنة . الإصابة ، وتهذيب التهذيب ، والمعرين للسجستاني

٢٠ ٣٨ والطبري ٧ : ٢٨٢ .

(٤) الإصابة : « وعشت » .

(٥) الإصابة والمعرين والطبري : « النبي المنذرا » .

ويوم مَهْرَانٍ ويوم تُسْتَرَا وبِأَجْمِرَاوَاتٍ وَالْمَشْقَرَا^(١)
والجمع من صَفِيْنِهِم وَالنَّهْرَا^(٢) هَيْهَاتَ مَا أَطْوَلَ هَذَا عُمْرَا
أَلَا تَرَى أَنَّ هَذَا شُرَيْحَ بْنِ هَانِيٍّ سَمَّى أَبَا بَكْرٍ صَدِيقًا عَلَى مَا لَمْ
يَزَلْ يُسَمَّى بِهِ .

وقال المجَّاجُ بْنُ رُؤْبَةَ ، وهو أَعْرَابِيٌّ لَيْسَ بَذِي نَحْلَةٍ وَلَا صَاحِبَ
خُصُومَةٍ ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ :

عَهْدَ نَبِيٍِّّ مَا عَفَا وَمَا دَنَرُ وَعَهْدَ عُثْمَانَ وَعَهْدًا مِنْ عَمْرِ^(٣)
وَعَهْدَ صَدِيقٍ رَأَى بَرًّا فَبَرُّ وَعَهْدَ إِخْوَانٍ هُمْ كَانُوا الْوَزَرَ
وقال الحارثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، حِينَ بَلَغَهُ وَهُوَ بِمَكَّةَ أَنَّ الْأَنْصَارَ
قَدْ كَانُوا اجْتَمَعُوا وَقَالُوا لِقَرِيْشٍ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : مِمَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ : ١٠
* قُبِضَ النَّبِيُّ وَبُؤِيعَ الصَّدِيقُ *
فِي قَصِيدَةٍ لَهُ طَوِيلَةٌ ، وَهُوَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :
* وَأَرَادَ أَمْرًا دُونَهُ الْعَيُّوقُ *
وَأِنَّمَا أَرَدْنَا مِنْهَا الْمَعْنَى .

وقال أَبُو مَحْجَنٍ فِي ذَلِكَ :
سُمِّيتَ صَدِيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مُنْكَرٍ ١٥

(١) بِأَجْمِرَاوَاتٍ ، وَهِيَ بِأَجْمِرَى ، وَهُوَ مَوْضِعٌ دُونَ تَكْرِيتَ ، وَسَمَاهُ أَبُو النَّجْمِ « الْجَمِيرَاتِ »
فِي قَوْلِهِ :

* بَيْنَ الْجَمِيرَاتِ الْمُبَارَكَاتِ *

مَجْمَعٌ مَا اسْتَعْمَجَ ٢٢٠ . وَلَمْ يَرِدْ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْمَعْرِينِ . وَفِي الْإِصَابَةِ : « وَبِأَجْمِرَاتٍ » ٢٠
وَفِي الْأَصْلِ هُنَا : « وَبِأَجْمِرَاتِ » بِإِهْمَالِ الْجِيمِ وَالْيَاءِ الثَّانِيَةِ . وَعِنْدَ الطَّبْرِيِّ : « وَبِأَجْمِرَاتِ »
مَعَ الْمَشْقَرَا .

(٢) الطَّبْرِيُّ وَالْإِصَابَةُ وَالْمَعْرِينُ : « فِي صَفِيْنِهِمْ » .

(٣) هَذَا الْبَيْتُ مُتَأَخِّرٌ عَنْ تَالِيَةِ فِي دِيْوَانِهِ ١٥ .

وقال طريف بن عدي بن حاتم :

أبيدوا قريشاً بالسيوف ليظهروا معاهدَ دينِ الله بعد محمد
وصديقه التالى المعين بماله طوى البطن محمود الضريبة مذود^(١)
وأول من صلى وصاحب حكمة^(٢) أصاخ لقول الصادق المتطرد
وبعد قتيل الهرمزان ، وباركت يدُ الله في ذاك الأديم المقدد^(٣)
أقاموا طغاةً حائرين عن الهدى وليس يقوم الدين إلا بمهتد
فلما تولوا طامن الحق جأشه وثاب إليهم كلُّ غاوٍ مطرد
أما قوله : « وثاب إليهم كلُّ غاوٍ مطرد » فإن « الغاوى » مروان
ابن الحكم ، « والمطرد » : أراد أباه الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله
صلى الله عليه . ١٠

وقال حسان بن ثابت في ذلك أيضاً ، وهو يهجو بعض الشعراء^(٤) :
لو كنت من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد
أو في الذؤابة من تيم وقعت بهم أو من بني مجح الخضر الجلاعيد^(٥)
أو من سرارة أقوامٍ أولي حسب لم تصبح اليوم نكساً مائل العود^(٦)

١٥ (١) في الأصل : « قوى البطن » تحريف . انظر الحماسة بشرح المرزوقي
١٦١٦ - ١٦١٧ .

(٢) حكمة ، كذا وردت مهمله وبكاف مستطيلة « ك » .

(٣) قتيل الهرمزان ، يعنى به عمر بن الخطاب ، وكان الهرمزان متهماً في قتل عمر ، هو
وأبو لؤلؤة ، وجفينة . انظر نسب قريش ٣٥٥ .

٢٠ (٤) هو مسافع بن عياض التيمي . السكامل ١٤١ ليسك وديوان حسان ١٣٣ .

(٥) السكامل والديوان : « رضيت بهم » . الجلعِد والجلاعد : الصلب الشديد . في
الأصل : « الخلاعيد » صوابه من الديوان والسكامل .

(٦) هو من سرارتهم ، أى صميمهم . النكس : الدنى المقصر .

لولا الرسولُ وروح القدس يحفظهُ وأمرُ ربِّك حتمٌ غير مردود^(١)
 وأنسى أحفظ الصديق مجتهداً وطلحة بن عبيد الله ذا الجود
 أتسكُم خيلنا كاللؤذ كالحة تطوى السباب بالشم المناجيد^(٢)
 من كل خيفانة طال اللجام بها وكل مختطف الأقرب كالسيد^(٣)

وقال طليحة الأسدى فى ذلك :

ندمت على ما كان من قتل ثابت وأعظم من هذين عندى مصيبة
 وعكاشة الغنمى يا أم معبد^(٤) رجوعى عن الإسلام رأى المقيّد
 وتركى بلادى والخطوب كثيرة طريداً وقديماً كنت غير مطرد
 فهل يقبل الصديق أنى تائب ومُعط بما أحدثت من حدث يدي
 وقال البارقي فى ذلك أيضاً :

بكر النعمى بخير كسدة كلها بابن الأشج وخاله الصديق !
 هؤلاء الذين ذكرنا : شريح بن هانى ، والمعجاج بن روبة ، والحارث
 ابن هشام بن المنيرة ، وطريف بن عدى بن حاتم ، وحسان بن ثابت ،
 وطليحة الأسدى ، ومن أشبههم ، ليسوا بأصحاب خصومات ولا نظير
 فى الفاضل والمفضول .

(١) الكامل والديوان :

لولا الرسول فإنى لست عاصيه حتى يقبلى فى الرمس ملحودى

(٢) اللؤذ : حضن الجبل وجانبه . فى النسختين : « اللود » .

(٣) مختطف ، من الخطف ، وهو الضمر وخفة لم الجنب . وفى الأصل : « مختلف » ،

ولا وجه له . والأقرب : جمع قرب بالضم ، وهو الحاصرة . والسيد : الذئب . وهذا البيت
 وسابقه لم يرويا فى ديوان حسان .

(٤) هو عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن بكير بن غنم بن دودان بن أسد .

الإصابة ٥٦٢٦ .

وإنما قدّموه وسمّوه صديقاً على ما لم يزل يُسمّى به . وهذا أكثر من أن نأتى عليه في كتابنا ونستقصيه .

والمعجب من الروافض حين ترى ما قال رشيد الهجرى^(١) والسيد الحميرى ، ومنصور التمرى حجة في أشعارها إذا كان ذلك القول في ٥
على بن أبى طالب . وإذا قال حسان بن ثابت ، والعجاج ، والحارث بن هشام ، وأشباههم ممن ذكرنا في القدم والقدر ، في أبى بكر وعثمان وعمر وتقديمهم ، لم يكن حجة .

وفي قول عبد الله بن عباس لعائشة بعد الجمل في دار بنى خلف الخزاعى حين أرسله على بن أبى طالب إليها : « لِمَ تقولين إنه ليس ١٠
في الأرض موضع أبغض إلى من موضع أنتم به ، ونحن جعلنا أباك صديقاً وجعلناك أم المؤمنين » ، حجة في أن تسميته بالصدق قد كان مستعملاً في ذلك الدهر .

وإذا أحببت أن تعلم قدر هذا الاسم الذى سمى به النبي صلى الله عليه ١٥
أبا بكر فانظر في كتاب الله . قال الله جل ثناؤه : « واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً . ورفعناه مكاناً علياً^(٢) » وقال : « واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً^(٣) » ، فذكر صديقيته^(٤) قبل أن يذكر نبوته .

(١) ذكره في لسان الميزان ٢ : ٤٦٠ والأنساب ٥٨٨ ، وكان ممن يؤمن بالرجعة ، وقد قطع زياد لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث .

(٢) الآية ٥٦ ، ٥٧ من سورة مريم . ٢٠

(٣) الآية ٥٤ من سورة مريم .

(٤) في الأصل : « صديقه » ، وانظر الرياض النضرة ١ : ٢١ ، ٤٠

وقال في كتابه : « ما المسيحُ بنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ^(١) » .

ولكن انظر كيف نُبيِّنُ للرَّوافضِ الحججَ بالآياتِ والإجماعِ ثم انظر أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، أَى يسخرون ^(٢) بهذه الفضيلة له على على . ٥

ثم الذى كان مِنْ تأميرِ النبي صلى الله عليه أبا بكرٍ عليه حين ولَّاهُ الرسمَ وبعثهُ أميراً على الحاجِّ سنةَ تسعَ ، وبعثَ عليّاً يقرأُ على الناسِ آياتَ من سورةِ براءة ، وكان أبو بكرُ الإمامَ وعليٌّ المأمومُ ، وكان أبو بكرُ الدَّافعَ بالموسمِ ، ولم يكن لعلیَّ أن يندفعَ حتَّى يدفعَ أبو بكرُ ، ولا يستطيعُ خَلْقُ مَنْ النَّاسُ أن يزعمَ أنَّ سنةَ تسعَ دَفَعَ بالناسِ غَيْرُ أبو بكرٍ ، ١٠ ولا يستطيعُ أَحَدٌ أن يزعمَ أنَّ سنةَ تسعَ لم يَبْعَثْ ^(٣) النبي صلى الله عليه بِصَدْرِ سورةِ براءة مع عليٍّ بنِ أبى طالبٍ ليقراءَ على الناسِ إذا فرغَ أبو بكرُ .

فإنَّ قالَ قائلٌ : ألا ترى أَنَّهُ كانَ لعلیَّ بنِ أبى طالبٍ فى ذلكَ الموقفِ من الفضلِ ما ليسَ له لخصمَينِ : إحداهما أنَّ النبي صلى الله عليه بَعَثَ مَعَهُ بِصَدْرِ براءة ، وقال : « لا يبلِّغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مَعِّي » . والأُخرى فَرَطَ ١٥ الاحتمالِ وشِدَّةَ الخطارِ الذى احتمله على حين يقومُ بالبراءةِ وقَطَعَ العهدَ وَقَدَّ وافى الموسمَ من قبائلِ العربِ ومن الموتورينِ والناقينِ والحنفيينِ ، المددُ الذى لا يُحصَى ، والقُوَّةُ التى لا تُدْفَعُ ، فشمَّرَ عن ساقِيه وأبْدَى

(١) الآية ٧٥ من سورة المائدة .

(٢) كذا . وفسرت بمعنى بصرفون ، وبصدون ، ويخذعون . ٢٠

(٣) فى الأصل ، « لو يبعث » .

صفحته . ففي هاتين الحصلتين دليلٌ على أنَّ له في ذلك ماليس لأبي بكر ،
والحنَّةُ عليه أشدُّ .

قيل له : إن كان الشَّانُ في شِدَّةِ الخطار والتغريز والتعرُّض على
ما قلتم ، فنصيبُ أبي بكر في ذلك أوفر ، والأمر عليه أخوف ، وهو إليه
أسرع ؛ لأنَّ أبا بكر كان هو الأمير والوالى والتبوع ، وعلىُّ هو المؤتمِّ
والرعية والسَّامع والمطيع . وبين التَّابع والتبوع والأمر والمأمور فرق .
وأما قولكم : إنَّ النبي صلى الله عليه قال حينَ بعثَ بصدر سورة
براءة مع علىِّ بن أبي طالب : « إِنَّهُ لَا يَبْلُغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مَعِيَ »
فإنَّما^(١) قال هذا وليس بحضرته أبو بكر ليكون علىُّ قد قدَّم عليه ،
لأنَّ النبي صلى الله عليه قد كان وجَّه أبا بكرٍ قبل ذلك ، ثمَّ بعثَ عليًّا
بعده فلاحقه في الطَّرِيق .

وقد زعم ناسٌ من (العثمانيَّة) أنَّ النبي صلى الله عليه لم يقل ذلك
لعليِّ تفضيلاً منه له على غيره في الدِّين ، ولكن النبي صلى الله عليه
عامل العرب على مِثْلِ ما كان بعضهم يتعرَّفونه من بعض ، وكعادتهم
في عقد الحلف وحلِّ العقد ، فكان السيِّد منهم إذا عقد لقومٍ حلفاً
أو عاهد عهداً لم يحلَّ ذلك العقد غيره ، أو رجلٌ من رهطه دنيّاً كأخٍ
أو ابنٍ ، أو عمٍّ ، أو ابن عمٍّ ، فلذلك قال النبي صلى الله عليه ذلك القول .
ثم الذي كان من تفضيله عليه وعلى الناس جميعاً أيَّامَ شِكاكته ،
حيث أمره أن يؤمَّ النَّاسَ ويقوم مقامه في صلاته وعلى منبره ،
حتَّى أنَّ عائشة وحفصة أرادتا صرْفَ ذلك عنه لعلَّ سندكرها في

(١) في الأصل : « وإنما »

موضعها إن شاء الله ، فقال النبي صلى الله عليه : « إِيكُنَّ عَنِّي صَاحِبَ يُوسُفَ ، أَيْ اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا أَنْ يَصَلِّيَ أَبُو بَكْرٍ » .

وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ صَلَّى بِالنَّاسِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ غَيْرُهُ ، وَلَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ إِنَّ الْمَأْمُورَ بِالصَّلَاةِ كَانَ غَيْرَهُ ، حَتَّى قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : اخْتَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ لِدِينِنَا فَاخْتَرْنَاهُ لِدُنْيَانَا . وَحَتَّى قَالُوا : وَلَا هَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَاتِنَا ، وَزَكَاتُنَا تَبِعَ لَصَلَاتِنَا وَهِيَ مَعْظَاهُ أَمْرُ الدِّينِ .

وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ لِيَصَلِّيَ بِهِمْ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ : وَمَالِكَ تَصَلِّيَ بِنَا عَلَى غَيْرِ عَهْدٍ وَلَا سَبَبٍ . وَلَا قَالَ رَجُلٌ مِّنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَلَا قَالَ ١٠ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : مِمَّنَّا مَصَلٍّ وَمِنْكُمْ مَصَلٍّ ، كَمَا قَالُوا : مِمَّنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ .

فَإِنْ كَانَ النَّاسُ مَعَ كَثْرَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِيهِمْ تَرَكَوا مَجَارَاتِهِ وَمُدَافَعَتَهُ فِي قِيَامِهِ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِتَبْرِيْزِهِ ، كَانَ ، عَلَيْهِمْ عِنْدَ ١٥ أَنْفُسِهِمْ فَكَفَى بِذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْفَضْلِ ، وَحِجَّةً عَلَى الْاِسْتِحْقَاقِ .

وَإِنْ كَانَ رِضَاهُمْ بِذَلِكَ وَتَسْلِيمُهُمْ ^(١) ، لِلَّذِي ثَبَّتَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْدِيمِهِ إِيَّاهُ ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي ذَلِكَ مَتَكَلِّمٌ ، وَلَا لِشَاغِبٍ ^(٢) فِيهِ مَتَعَلِّقٌ ، وَلَا لَوَاقِفٍ فِيهِ عُذْرٌ ، وَالْقَوْمُ جَمِيعٌ ، وَمُصَالَّاهُمْ وَاحِدٌ ، وَتَقْدُّمُهُ ظَاهِرٌ .

ولم تكن صلاة واحدة فيكون خلسة^(١) . والقوم كانوا أشدَّ تقدماً
لذلك المقام من أن يدعوا رجلاً لم يقهرهم بسيفٍ ، ولم يمتنع عليهم
بعشيرة ، ولم يُفرض فيهم الأموال ، وليس معه فضلٌ بائن ، ولا سببٌ من
من قرابة ، ولا أمرٌ من النبي صلى الله عليه .

٥ فإن صاروا إلى الاعتلال بالأحاديث وذكر الآثار قالوا^(٢) : إنمّا نحتاج
إلى المقابلة بين أفعالٍ علىِّ وأفعالٍ غيره ، لو كنّا لا نجد له غير الأفعال .
فإذا كنّا قد وجدنا له من غير الأفعال ما هو أدلُّ على الفضيلة من
الأفعال ، لم يكن لنا أن نتخطى الأفضل إلى الأقل في دفع التغلب ،
 وإقامة المستحقّ عند ظهوره وزوالِ التقيّة فيه . لا أنهم^(٣) قابلوا بين
١٠ جميع المهاجرين في القرب والبعد ، ولا أنهم صنعوا العلم بفضله بعد موت
النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم قومٌ قد كانوا من قبل ذلك بثلاثِ
وعشرين سنةً يرى بعضهم بعضاً ويعرف بعضهم أمراً بعض ، يغزّون
معاً ويُقيمون معاً ، ويسمعون من النبي صلى الله عليه القول بعد القول ،
ويرون أحوالَ الرجال عند النبي صلى الله عليه ، وفي المسلمين وفي أنفسهم ،
١٥ فعملوا بذلك فضل أبي بكر ، فلمّا توفّي النبي لم يحتاجوا مع علمهم الأوّل
إلى أن يضعوا علماً ثانياً .

ولو أنّ رجلاً مثلاً شاهدَ النبي صلى الله عليه وأصحابه سنةً واحدةً
ماخفياً عليه من القدم عنده وعند المسلمين ، ومن أشبههم به هدياً

(١) في الأصل : « خلسة » .

(٢) في الأصل : « وقالوا » .

(٣) في الأصل : « ولأنهم » .

وعملًا ، وطريقةً وعزمًا . فما ظَنُّكَ بالسَّلف الطَّيِّب ، والخيَّار المُنتخبين ،
وَأُسَّ الإسلام ومُرُسى قواعده .

وذلك أَنَّ أبا بكر لا يخلو حيث أسلمَ أَن يكون أسلمَ قبل الناس ،
أو ثانيًا ، أو ثالثًا . فإن كان إسلامُهُ قبل الناس فقد تبيَّن للثاني تقدُّمُهُ ،
وللثالث تقدُّمُهُما عليه . فإذا كانوا ثلاثة لم يخفَ عليهم أيُّهم أفضل . ٥
ثم إنَّ أسلمَ بعدهم نفرٌ لم يخفَ أيضًا قصَّةُ الثلاثة المتقدمين . وكلِّما
أسلمَ قومٌ لم يخفَ عليهم حالُ الأفضل بالذي يرون عند من أسلمَ قبلهم .
فكانوا كذلك ثلاثًا وعشرين سنة .

فقد أيقنَّا أَنَّ القومَ لم يُؤتوا في تقديم أبي بكر من الجهل بموضع
الفضل ، أطاعوا الله في إقامته أم عصَّوه . وكذلك لو كانوا قدَّموا غيره ١٠
ما كانوا إلَّا متعمِّدين . وذلك أَنَّ الأفعالَ إنما تدلُّ على ظاهر عدالة
الرَّجل وفضيلته ، ولا تدلُّ على باطن طهارته ^(١) وإخلاصه .

وقولُ الرَّسول صلى الله عليه في الرَّجل ومديحُه له وإخبارُه عن
فضله ومنزِلته ، والوحيُّ ينزل عليه صباحَ مساءً ، أدلُّ على طهارته
وإخلاصه . ١٥

وإذا كان العبد كذلك كانت النَّفوس إليه أسكن ، وكان من
التَّبدُّل ^(٢) أبعد ، مع السلامة من التَّفاق ، والدَّخَل في الاعتقاد ؛ لأنَّ ^(٣)
الغلطَ في خبر الرَّسول صلى الله عليه ونصّه وتبيينه وإقراره للرَّجل ^(٤)

(١) في الأصل : « طهارته » .

(٢) التبدل : ترك التصاون . في الأصل : « التبديل » .

(٣) في الأصل : « ولأن » .

(٤) في الأصل : « الرجل » .

بالفضيلة والاستحقاق ، أقلُّ من الغلط فيما بين أقدار النَّاسِ ، من الموازنة بين أفعالهم وعقولهم ، وعلومهم وتجاربهم ، وصلاح النَّاسِ عليهم ، مع كثرة عدد الأفعال المتساوية والمتقاربة ، ومع كثرة عدد المتساوين والمتقاربين من الرِّجال .

٥ . فما يدلُّ على تفضيل النبي صلى الله عليه له قوله يومَ غدير خُمٍّ ، وهو قابضٌ على يده وقد أشخصه قائماً لمن بحضرته : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ . اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَوَالِ مَنْ وَالَاهُ » . وقوله : « أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي » . وقوله : « اللَّهُمَّ آتِنِي بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ يَا أَكْلُ مَعِيَ مِنْ هَذَا الطَّيْرِ » ١٠ ثلاثاً ، كُلَّ ذَلِكَ يَحْجِبُهُ أَنْسٌ ، طمعاً أَنْ يَكُونَ أَنْصَارِيًّا ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَهُ الْآ كَلَّ ، وَالْآ تَى ، وَالْأَحَبَّ .

ومن ذلك أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه حين آخَى بين أصحابه فَقَرَنَ بين الأشكال ، وَقَرَدَ^(١) بين الأمثال ، جعله أَخاً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ أُمَّتِهِ وَعِلْمِيَةِ أَصْحَابِهِ .

١٥ قيل لهم : إِنَّ الْأَخْبَارَ لَا بَدَّ فِيهَا مِنَ التَّصَادُقِ كَمَا لَا بَدَّ فِي دَرَكِ الْمُقُولِ مِنَ التَّعَارُفِ ، فَإِنَّ فِي عَدَمِ التَّعَارُفِ فِي حُجْجِ الْعُقُولِ ، وَالتَّصَادُقِ فِي حُجْجِ السَّمْعِ ، عَدَمَ الْإِنْصَافِ ، وَبُطْلَانَ الْكَلَامِ .

وليس لكم أَنْ تَرْفَعُوا خَبْرًا لَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْإِسْنَادِ وَتُوجِبُونَ^(٢) تَصْدِيقَ مثله ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَصْمِينَ لَا يُعْجِزُهُ دَفْعُ الْمُسْتَفِيزِ بِلِسَانِهِ ،

٢٠ (١) فرد : جمع . وفي الأصل : « فرد » .

(٢) أى وأنتم توجبون .

فضلاً عن دفع الشاذّ وإن كان ناقله عدلاً في ظاهره . فإذا كان ناقله ذلك كذلك فأولى الأمور بكم وبهم الصدق . وليس كلُّ مَنْ أراد الصدق في مثل هذا قدَرَّ عليه إلّا بالتقدّم في كثرة السماع وأنساع الرواية . وليس لأحدٍ ، وإنّ حسنَ عقله وصحَّ فكره ، أن يقول فيما لا يضاف علمه إلّا من طريق الخبر حتّى يكون صاحبَ خبر ، وطالب أثر . فإذا صحَّ عقله وكثُرَ سماعه ، خفّت (١) مؤوّنته على نفسه وعلى خصمه .

أو ما علمتم أنّ خصوصكم وهم أكثر منكم عدداً ، وأكثَرُ فقيهاً ومحدثاً ، يروون أنّ النبي صلى الله عليه قال : « ليس أحدٌ آمنٌ علينا بصحبته وذاتِ يده من أبي بكر ، ولو كنتُ متّخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر خليلاً ، لكن وُدّاً وإخاءَ إيمانٍ (٢) » . فإن كان هذا الحديث كما نقلوا لم يجز أن يكون النبي صلى الله عليه أخاً أحدٍ إلّا أن يكون الأخ غير الخليل ، ولا نعلم الخليل إلّا أخصّ منزلة وأقرب مودّة . مع أنّ قوله « ولكن » دليلٌ على أنّه قد كان أخاه .

وأعجب من هذا يروون أنّ النبي صلى الله عليه قال في شكّاته وقُبيل وفاته : « إنّهُ لم يكنْ نبيٌّ قبلي فيموت حتّى يتّخذ من أمّته خليلاً ، وإنّ خليلاً منكم ابنُ أبي قُحافة (٣) » .

ويروون أنّ النبي صلى الله عليه قال : « اقتدُوا بالذين من بعدى : أبي بكرٍ وعمر » .

(١) في الأصل : « وخفت » .

(٢) في الأصل : « وذا واخا اسان » صوابه من الرياض النضرة ١ : ٨٥ . وانظر فتح ٣٠ الباری ٧ : ١٥ .

(٣) الرياض النضرة ١ : ٨٤ .

وقد تعلمون أنَّ إسناده عبد الملك^(١) ، عن ربِيعي^(٢) عن حذيفة^(٣) ،
والآخر سلمة بن كهيل ، عن أبي الزَّعرَاء^(٤) ، عن عبد الله^(٥) .
ويروون أنَّ النبي صلى الله عليه ، نظر إلى أبي بكرٍ وعُمَر مُقبلين .
فقال : « هذان سيِّدا كهولٍ أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلَّا
٥ - الأنبياء والمرسلين . يا عليُّ لا تُخَيِّرهُمَا » .

فزعَموا جميعاً أنَّ عليّاً قال : ولو كانا حيَّينِ ما حدَّثتكم .
ويروون جميعاً أنَّ عليّاً قام في النَّاس خطيباً فقال : « إلَّا إنَّ خير
هذه الأُمَّة بعدَ نبيِّها أبو بكرٍ ، والثاني عُمر ، ولو شدَّت أن أخبركم
بالثَّالث فعلت » . فكسَى عن ذكر عثمان .

ويروون أنَّ النبي صلى الله عليه لما أسَّس مسجدَ المدينة جاءَ بحجرٍ
١٠ فوضَّعه ، ثم جاء أبو بكرٍ بحجرٍ فوضَّعه ، ثم جاء عمر بحجرٍ فوضَّعه ،
ثم جاء عثمانُ بحجرٍ فوضَّعه ، فسئل النبيُّ صلى الله عليه عن ذلك فقال :
« هم الأمرُ بالخِلافة^(٦) من بعدى » .

وقالوا : لما قَدِم المدينة رسولُ الله صلى الله عليه خطَّ لأهل قُبَاءَ مسجدَهم
١٥ بمنزلة^(٧) ، فوضع النبي صلى الله عليه حجَّراً ، ثمَّ قال : يا أبا بكرٍ ضع

(١) في الأصل : « عند الملل » . وهو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي
الكوفي . المتوفى سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .

(٢) ربِيعي بن حراش الكوفي . المتوفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) حذيفة بن اليمان ، الصحابي الجليل ، وكان صاحب سر رسول الله . توفى سنة ٣٦ .

٢٠ الإصابة وتهذيب التهذيب .

(٤) هو خال سلمة بن كهيل . واسمه عبد الله بن هاني السكندى الكوفي ، وهو
أبو الزعراء الكبير ، كان من كبار التابعين . تهذيب التهذيب .

(٥) عبد الله بن مسعود .

(٦) كذا في الأصل .

(٧) العنزة ، بالتحريك : عصا في قدر نصف الرمح في طرفها الأسفل زج كنزج الرمح . ٢٥

حَجَرًا إِلَى جَنْبِ حَجَرِي ثُمَّ قَالَ : يَا عَمَّانُ خُذْ حَجَرًا فَضَعْهُ إِلَى جَنْبِ عُمَرَ .
ثُمَّ التَفَتَ إِلَى سَائِرِ النَّاسِ فَقَالَ : وَضَعَ رَجُلٌ حَجَرَهُ حَيْثُ أَحَبَّ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ : « مَثَلُ أَبِي بَكْرٍ
فِي الْمَلَائِكَةِ مَثَلُ مِيكَائِيلَ يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ ،
وَمِثْلُ عُمَرَ فِي الْمَلَائِكَةِ مَثَلُ جَبْرِيلَ يَنْزِلُ بِالسَّخَطِ ، وَفِي الْأَنْبِيَاءِ مَثَلُ ٥
مُوسَى » . وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ وَلَكِنِّي أَخْتَصَرْتُهُ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَضَعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَالْأُمَّةَ
فِي الْكَفَّةِ الْأُخْرَى ، فَرَجَحَ بِهِمْ ، ثُمَّ أَخْرَجَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَضَعَ
أَبُو بَكْرٍ مَكَانَهُ فَرَجَحَ بِالْأُمَّةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَوَضَعَ عُمَرُ مَكَانَهُ فَرَجَحَ
بِالْأُمَّةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ فَرَفَعَ الْمِيزَانَ (١) .

١٠

وَقَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ
بِعَثْنِي إِلَيْكُمْ جَمِيعًا فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ لِي صَاحِبِي : صَدَقْتَ ، فَهَلْ
أَنْتُمْ تَارِكِيَّ وَصَاحِبِي ؟ » .

وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى
الْإِسْلَامِ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ تَرَدُّدٌ وَكِبُورَةٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ ١٥
لَمْ يَتَلَعَّمْ » .

وَقَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسُوْنِي
قَطُّ ، فَاعْرِفُوا ذَلِكَ لَهُ » ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ .

فَإِنْ كَانَ مَا رَوَيْتُمْ فِي فَضِيلَةِ عَلِيٍّ حَقًّا ، وَمَا رَوَوْا فِي فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ
حَقًّا ، فَأَبُو بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ، وَعَلِيٌّ خَيْرٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ . وَهَذَا هُوَ ٢٠

التناقض ، والحق لا يتناقض . وفي هذا دليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بذلك ولا قاله ، لأن الخبر إذا خرج مخرج العام في تفضيل أبي بكر ، وكذلك في تفضيل علي ، فليس له وجه إلا ما قلنا ، إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قال أحد القولين وصحت به الشهادة ، ولم يقل الآخر وإنما ولده الرجال ، وصنعتهم حكمة السير . ولا سبيل لنا إلى معرفة ذلك إذا كان الإسناد متساوياً ، وعند الرجال متقارباً . وليس في هذه الأحاديث كلها حديث يضطر خصمه إلى معرفة صحته ، أو يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد تكلم بكثير من هاتين الروايتين وكان معناه وقصده فيها معروفاً عند من كان بحضرته ، حتى كان الجميع يعرفون خاصه من عامه . ولكن النافلين احتملوها عن السلف مجردة^(١) بغير تأويل معانيها ، فأدوها على اللفظ العام ، فصار السامع يتناقض عنده إذا قابل بعضها ببعض ، لجهله بأصول مخارجها ، وكيف كان موقعها .

والذي فسرت لك مثل تعرف به سميت الحجة ، وقصد السبيل . وهو كما نقلوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر » . ولم يكن بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى استثناء نفسه حاجة ؛ لمعرفته باستغناء الناس عن ذلك .

وقد عرفنا بوجه آخر أن حديث أبي ذر كان مخرجه مخرج العام وأنه خاص وإن لم تكن خصوصيته موجودة في لفظ الحديث ؛ لأنك إذا سألت الشيعة فقلت : أي الرجلين كان أصدق عند النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) في الأصل : « مجرد » .

أبو ذَرٍّ أو عليّ ؟ قالوا بأجمعهم : عليّ . وإنّما تَرَكَ^(١) النبيُّ صلى الله عليه لعلمه بمعرفة المسلم بذلك من رأيه .

وكذلك لو سألت العثمانية فقلت : أيُّ الرّجلين كان أصدقَ عندَ النبيِّ صلى الله عليه : أبو بكر أو أبو ذَرٍّ ؟ قالوا : أبو بكر ، كقول الشَّيخ في عليّ .

٥

فقد أجمَعَ الصَّنُفان جميعاً أنّ غير أبي ذَرٍّ أصدقُ من أبي ذَرٍّ .
ومن ذلك قول النبيِّ صلى الله عليه : « منّا خير فارسٍ في العرب »
قالوا : من هو ؟ قال : عكاشة بنِ مِخْصَن .

وليس بين الأُمّة تنازعٌ أنّ زيدَ بنَ حارثة ، وجعفر بنَ أبي طالب الطَّيَّار ،
والزُّبير ، خيرٌ من عكاشة .

١٠

ومن ذلك قولُ النبيِّ صلى الله عليه : « يأتِيَكُم خَيْرُ ذِي يَمَنٍ ،
[عليه^(٢)] مَسْحَةٌ مُلْكٌ » . فأتاهم جَرِير بن عبد الله .

فلو كان هذا اللَّفْظ العامَّ عامّاً في معناه ، ولم يكن النبيُّ صلى الله عليه
اتَّكَل فيه على معرفة القوم ، فترك لذلك الاستِثْناء والتَّفسير ، لكان
واجباً أن يكون جريرٌ خيراً من سعد بنِ مُعَاذ ، ومن حَمِيّ الدَّبر^(٣) ،

١٥

(١) في الأصل : « نزل » .

(٢) انظر اللسان (مسح ٤٣٤) .

(٣) هو عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ، وكان قد قتل مسافراً والجلال ابنه طلحة ، من عظماء المشركين ، يوم أحد ثم قتل ، فأرسلت قريش ليؤثروا بشيء من جسده ، فبعث الله عليه مثل الطلحة من الدبر ، ختمته منهم فارتدعوا عنه حتى أخذه المسلمون فدفنوه .
الإصابة ٤٣٤٨ والسيرة ٦١٠ ، ٦٣٩ واللسان (دبر) . والدبر ، بفتح الدال وكسرهما : النجل .

٢٠

ومن غسيل الملائكة^(١) ، ومكلم الذئب^(٢) . وهذا ما لا يقوله مسلم .
ومن ذلك قولُ النبي صلى الله عليه لأبي سفيان بن الحارث^(٣) : «أبو سفيانَ
خير أهلِي» . وقد علمنا أنَّ حمزةَ والعبَّاسَ وعليًّا وجعفرًا خيرٌ من
أبي سفيان .

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه : «خير أهل الله عمر بن الخطاب»
وقد أجمع المسلمون أنَّ غيره خيرٌ منه ؛ لأنَّ النَّاسَ إمَّا عُمرِيٌّ وإمَّا عَلَوِيٌّ ،
فالعلويُّ يقدِّم عليًّا ، والعمرِيُّ يقدِّم أبا بكر .

والجملَةُ أنَّه لم يقل أحدٌ قطُّ : إنَّ عمر خيرُ الناس . فهذا بابٌ قد
فرغتُ [منه] ، تعرف به أنَّ النبي صلى الله عليه قد يتكلَّم بالكلام
المعروف المعنى عند مَنْ حَضَرَهُ ، فإذا نقلُوا الكلامَ وتركوا المعنى التبس
على العابرين^(٤) وجهُ المعنى فيه .

فمن ذلك ما يُعرف ، كالذي حكينا من حديث أبي ذرٍّ ، وعُكَّاشَةُ
ابنِ محصَن ، وجريِر ؛ ومنه ما يُجهَلُ كحديث عليٍّ ، وأبي بكر .
وقد نقلوا عن النبي صلى الله عليه في رجالٍ كلاماً وتفضيلاً ما نقلَ
مثله في أبي بكر وعليٍّ ، اللَّذَيْنِ فِيهِمَا التَّنَازُعُ .

- (١) هو حنظلة بن أبي عامر بن صيفي الأنصاري ، وكان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب
وكان حنظلة استأذن رسول الله في قتل أبيه فنهاه عن ذلك ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم
بعدما قتله شداد بن شعوب : «إن صاحبكم تفسله الملائكة» . الإصابة ١٨٥٩ .
- (٢) هو أهبان بن أوس أو ابن الأكرع ، أحد الصحابة ، زعموا أنَّ الذئب كله وبشره
بالرسول . انظر حواشي الحيوان ٣ : ٥١٣ .
- (٣) أبو سفيان ، اسمه المغيرة ، وقيل اسمه كنيته ، وهو أخو الرسول من الرضاع ، وأبوه
الحارث بن عبد المطلب عم رسول الله . الإصابة ٣٥٥ باب السكني .
- (٤) العابر : المفسر .

من ذلك أنهم نقلوا عن النبي صلى الله عليه أنه قال : « كم من ذى طمرين ^(١) لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك » . وهذا كلام عظيم إن كان حقاً ، وليس عندنا فيه إلا أن زده إلى الله ورسوله .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في رجال كلاماً لو كان قاله في أبي بكر وعلى لكان أصحابهما سيجعلونه في أول ما يحتججون به في الإمامة والتفضيل مثل قول النبي صلى الله عليه : « رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد ، وكريهت لها ما كره ^(٢) » .

ومن ذلك قوله : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة » . وقوله في طلحة يوم أحد ، حين واتاه السهم فوق النبي صلى الله عليه : « فقال حين أصابه السهم : حس ^(٣) ! فقال النبي صلى الله عليه : « لو قال باسم الله لرفعته الملائكة » .

ومن ذلك دخول عثمان عليه وهو مكشوف الفخذ ؛ فغطاها ، فقيل له : يا رسول الله ، لم تغطها من أبي بكر وعمر وغطيتها عند دخول عثمان . فقال : « كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة » . وقال : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ ^(٤) » .

(١) الطمر : الثوب الخلق . يقول : رب ذى ثوبين خلقين أطاع الله حتى لو سأل الله تعالى أجابه . وروى : « رب أشعث أغبر لا يؤبه له » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٨٦ .

(٣) حس : كلمة تقال عند الوجع .

(٤) وفيه يقول حسان « الكامل ٧٧٨ » :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

فهذا أيضاً بابٌ يُعرَف به أنَّ الرَّجُلَ ليس يستحقُّ التَّقديمَ بالرواية والحديث ، إذ كان هؤلاء دونَ أبي بكرٍ وعليٍّ في الفضل ، وقد جاء فيهم ما لم يجيء فيهما .

٥ ولقد رَوَوْا في رجلٍ لم يُهاجر ، ولم يَصْحَبْ ، ولم يشهد المشاهد ، ولم يُنفق ، ولم يتمرِّضْ ، ولم يدْعُ إلى الله ورسوله ، إلَّا أنَّهم زعموا أنَّه كان يطلب الحنيفية قبل مبعث النبي صلى الله عليه ، وهو زيد بن عمرو ابن نفيل . فزعموا أنَّ النبي قال : « يُبعث يوم القيامة أمةٌ وحده » .

وأى شيء أدلُّ على كلِّ فضيلةٍ من قولِ النبي صلى الله عليه لعَمَّار : « لا تُؤذُوا عماراً فإنَّما عمارٌ جِلْدَةٌ ما بينَ عيني » .

١٠ ما أعطتِ الرَّافضةُ الطَّاعةَ أبداً ، ولا رَضُوا من النَّاسِ بالإنصاف ! وقد علمنا أنَّ حمزةً وجعفرًا وعليًّا ، كانوا أفضلَ من سعدِ بنِ مُعَاذٍ ، ولم يهتزَّ لموتهم عرشُ الرَّحْمَنِ ، وقَتَلُوا شُهَدَاءَ ، ولم تحمِ لحومهم الدَّبرُ ، ولا غسَلَتْها الملائكةُ ^(١) .

١٥ فالله أعلمُ بمعاني هذه الأحاديث . ولعلَّ النبي صلى الله عليه قال في كلِّ رجلٍ قولاً عدلاً ، وكان ذلك قولاً معروفاً مفهوماً عند الحاضر ، ولكنَّه أدَّى اللفظ وترك المعنى ^(٢) .

فإذا كانت الأحاديث في أسلافنا وأئمتنا على ما حكيتُ لك لا تمنع من معرفةٍ وتدافعٍ ما وصل إلينا منه ، كان واجباً أن يكون المَفْزَعُ في أمرهم إلى الخبر الذي يجيء بحجَّة الحجة ، وترك ما سِوَى ذلك مما لا يُبرئ من

(١) انظر ما سبق في ص ١٣٩ — ١٤٠

(٢) في الأصل : « أدنى اللفظ وبترك المعنى » . وانظر ما سبق في ص ١٤٠ س ١٠ .

سَقَمَ وَلَا يُبْرِدُ مِنْ حَيْرَةٍ . وَإِنَّمَا الْخَبْرُ الصَّحِيحُ الَّذِي لَا يَعْتَمِدُ ^(١) بِضَعْفِ
الْإِسْنَادِ ، وَلَا يُتْرَكُ لَضَعْفِ الْأَصْلِ ، وَلَا يُوقَفُ فِيهِ لَكثْرَةُ الْمَعَارِضِ
وَالْمُنَاوِي ^(٢) ؛ كَنَحْوِ مَا رَوَيْنَا مِنْ مَآثِرِهِمْ فِي مَقَامَتِهِمْ وَمَشَاهِدِهِمْ ، وَكَصْنِيعِ
عَلِيٍّ وَمُؤَازَرَتِهِ بِيَدِرٍ ، وَكَكَوْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي الْعَرِيشِ . وَهَذَا مَا لَا يَتَدَاخَلُ
وَلَا يَتَنَاقِضُ ؛ لِأَنَّ قَتْلَ عَلِيٍّ الْأَقْرَانَ بِيَدِرٍ لَيْسَ بِنَاقِضٍ لِكَوْنِ أَبِي بَكْرٍ
فِي الْعَرِيشِ ، وَلِأَنَّ مَوْقِفَ عَلِيٍّ بِأَحَدٍ لَا يَدْفَعُ كَوْنَ أَبِي بَكْرٍ فِي الْفَارِ ،
وَلِأَنَّ صْنِيعَ عَلِيٍّ بِخَبِيرٍ لَا يَدْفَعُ إِنْفَاقَ أَبِي بَكْرٍ الْأُمُوالَ ، وَعَنْقَهُ الرَّقَابَ .

فَهَذَا وَمَا أَشَبَّهُهُ مِمَّا لَا تَجِدُ لَهُ رَادًّا وَدَافِعًا ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَكْلِ
مَا قَالُوا : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي
بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » وَنَقَلَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِعَلِيٍّ : « أَنْتَ مَنِّي
بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » ، وَكَمَا نَقَلُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ آخَى
بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ عَلِيٍّ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ قَالَ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا
لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا » فِي أَشْبَاهٍ لِهَذَا قَدْ حُكِّيتُ لَكَ فِي مَصْدَرِ
الْكِتَابِ ، لَتَعْرِفَ مَجْرَى الْكَلَامِ فِي السَّلَفِ .

فَإِنْ قَالُوا : فَلَمَلَّ النَّبِيُّ قَالَ : « اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي » وَقَدْ كَانَ
مَعْلُومًا فِي [ذَلِكَ] الْوَقْتُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُسْتَثْنَى فِي هَذَا الْقَوْلِ .
قِيلَ لَهُمْ : وَلِمَلَّهُ قَالَ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ » [وَ] قَدْ كَانَ
مَعْلُومًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ مُسْتَثْنَى .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْمَاوِي » .

فإن قالوا : الفرق في ذلك أنكم لا تفكرون روايتنا في عليٍّ ،
ونحن نفكر روايتكم في أبي بكر .

قيل لهم : إنَّ العجزَ كلَّ العجز أن تعيدَ على خصمك بشيء
لا يُعجزه . فإن أبوا إلا جحد الأخبار وتكذيب الآثار والإيجاب على
الناس ما لا يُوجبون لهم مثله فإنَّ الذين نقلوا أنَّ النبي صلى الله عليه
قال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ » لم ينقلوا معه في الحديث :
« اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » .

وإنما سمعنا هذه الزيادة من الشيعة ، ولم نجد له أصلاً
في الحديث المحمول .

١٠ روى الأعمش — وكان رافضياً — عن سعد بن عبيدة ، عن ابن بريدة^(١)
عن أبيه قال : بعث النبي صلى الله عليه علياً في سرية واستعمله عليهم ،
فلما جاء قال : كيف رأيتم صاحبكم ؟ قال : فإذا شكوته وإما شكاه
غيري ، وكنت رجلاً مكباباً^(٢) ، فرفعت رأسي فإذا النبي صلى الله عليه
قد احمرَّ وجهه وهو يقول : « مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهِ فَعَلِيَ وَلِيَّهُ »^(٣) .

١٥ فواحدة أنَّ الذي روى هذا الأعمش ، وهو ظنين في عليٍّ مضعف
عند أهل الحجاز . وسعد بن عبيدة ليس هناك .

وثانية^(٤) أنه لم يقل من كنت مولاه ، وقال : « من كنت وليه »

(١) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي . تهذيب التهذيب .

(٢) في اللسان : الرجل مكب ومكباب : كثير النظر إلى الأرض .

٢٠ (٣) في الأصل : « مولاه فعل مولاه » ثم كتب تحت « مولاه » : « وليه » في

الموضوعين ، وهو ما يتطلبه الكلام فيما بعد .

(٤) في الأصل : « وثالثة » .

فإذا اختلفت الألفاظ دلّ ذلك على الوهن . ولم يقل : « اللهم عادٍ من عاداه ووالٍ من والاه » . ونحن نشهد أنّ مَنْ كان النبي صلى الله عليه وليّه فسمعت بن مُعاذ وليّه . وعلى أنّهم قد رَوَوْا في شكايّة أقوام^(١) في تلك الفزاة لعلّ كلاماً قبيحاً .

- ووجه آخر مما يدلّ في هذا الحديث على الاختلاف والوهن : أنّهم
- نقلوا أنّ هذا القول في عليّ كان أنّ عليّاً جارَى زيد بن حارثة^(٢) في بعض الأمر ، ولاحاهُ فيه ، لأنّه أغلظَ له^(٣) ، فردّ عليه زيدٌ مثلَ مقالته ، فقال له عليّ : تقول هذا القول لمولاي ؟ فقال زيد : إنّما ولأني لرسول الله صلى الله عليه ، ولست لي بمولّى . فأتى عليّ النبي صلى الله عليه ، فشكا إليه زيداً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ١٠ « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ » . وصدق النبي صلى الله عليه أنّ عليّاً مولى زيد ، إذ كان النبي صلى الله عليه مولاه ، وكذلك العباس والفضل ، وعبد الله ، وقُثم ، وتَمّام ، ومَعْبُد .

- وإذا كانوا هؤلاء موالى زيد لأنّ النبي صلى الله عليه مولاه ، فليعلم النبي صلى الله عليه من ذلك ما ليس لهم جميعاً^(٤) فإنما أراد النبي صلى الله عليه ١٥ عليه أن يُعلم زيداً غلطه في ذلك القول ، حين ظنّ أنّ ابن عم النبي صلى الله عليه ليس مولاه .

فإذا كان أمرُ عليّ وزيد مشهوراً عند أصحاب الآثار ، فإنّما عني

- (١) في الأصل : « أقوم » .
- (٢) في الأصل : « زيد ثم حاربه » ، وهو من عجيب التحريف .
- (٣) في الأصل : « غلط له » .
- (٤) في الأصل : « ما ليس لهم بهم جميعاً » .

مولى النعمة ، وليس في هذا إخبارٌ عن فضل عليٍّ في الدين .
ولو كان النبي صلى الله عليه قال كما زعمت الروافض : « اللهم عادٍ من عاداه ووالٍ من ولاة » ، كان هذا القول يدلُّ على أنَّ زيدا قد أتى جُرماً عظيماً ؛ فلم^(١) يكن ليتخطى دعاء النبي صلى الله عليه على من عادى عليّاً إلى غيره إلّا بعد وقوعه به ، لأنَّ زيدا هو المشتكى ، ومن أجل صنيعه خرَّج النبي صلى الله عليه إلى مثل هذا القول الشديد ، وهذا الدعاء القاصم ، ومن قوله ومذهبه غضب عليه ، وعليه نص وإياه عني .
وإنما يقول هذا ويجوزُه من لا علم له بقدر زيد عند النبي صلى الله عليه عليه . أو ما علمت أنَّ زيدا أحدُ من روى النَّاس عنه ونقلوا أنَّه كان أقدم النَّاس إسلاما . وقد دلَّلنا على فضيلة إسلامه على إسلام عليٍّ في صدر كتابنا ، في كلام العثمانية^(٢) .

وقد بلغ من قدره عند النبي صلى الله عليه وتفضيله إياه أنَّه لم يكن في سرية قط إلّا كان أميرها ، ولا أقام ببلادٍ إلّا وهو أميرها .
وبدلُّك على ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه أمره على جعفر الطيّار ، وعقد له يوم مؤنة ، ثم عقد لابنه أسامة على كبار المهاجرين والأنصار ، منهم عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد ابن أبي وقاص . حتّى قال رجلٌ من المهاجرين — وكان أشدهم في ذلك عيَّاش بن أبي ربيعة^(٣) — : يولّى علينا هذا الغلام ! فغضب عمر وردَّ

(١) في الأصل : « ولم » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٢ - ٢٤ .

(٣) في الأصل : « عباس بن أبي ربيعة » تحريف . الإصابة ٦١١٨ وإمتاع الأسماع

٥٣٧ وفتح الباري ٦٩ : ٨ / ١٦٥ - ١١٦ .

عليهم ، ثم أتى النبي صلى الله عليه فقال : أَلَا أُعْجِبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
من رجالٍ يقولون كذا وكذا ؟ ! فَنَشَى النبي صلى الله عليه إلى المنبر
في شِكَاتِهِ التي تُوْفِي فيها فقال :

مَامَقَالَةٌ بَلَفْتَنِي عَنْ بَعْضِكُمْ فِي أَسَامَةِ وَتَأْمِيرِهِ ؟ ! وَلَئِنْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ
لَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ . وَإِيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَلِيقًا لِلإِمَارَةِ ، وَإِنَّ ابْنَهُ ٥
خَلِيقٌ لَهَا ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَابْنُهُ لِمَنْ أَحَبَّ
النَّاسِ إِلَيَّ .

فَهُوَ الْحَبُّ وَأَبُو الْحَبِّ ، وَهَكَذَا يُقَالُ بِالْمَدِينَةِ : أَسَامَةُ الْحَبِّ .
وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ لابْنَهُ عَبْدِ اللَّهِ حِينَ زَادَ فِي فَرِيضَةِ أَسَامَةِ عَلَى فَرِيضَتِهِ ،
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : لِمَ فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ وَنَحْنُ سَيَّانٍ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ أَبَاهُ ١٠
كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَبِيكَ ، وَكَانَ هُوَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْكَ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ عِنْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : لَوْ كَانَ زَيْدٌ حَيًّا
لَاَسْتَخْلَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْكُمْ .

هَذَا وَأَبُوهَا الْخَلِيفَةُ وَالْمَجْمُوعُ إِلَيْهِ الْإِمَامَةُ . ٥١

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ وَمَكَاتِهِ وَخَاصَّتِهِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِظَمِ شَأْنِهِ عِنْدَهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [لَمَّا] آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ آخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ حِزْمَةَ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى حِزْمَةُ يَوْمَ أُحُدٍ . وَقَدْ
تَعْلَمُونَ أَنَّ حِزْمَةَ اسْتَشْهِدَ وَهُوَ أَجَلُّ النَّاسِ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعْظَمُ
فِي أَنْفُسِ الْمُهَاجِرِينَ . وَإِنْ أَمْرًا يَكُونُ كُفْنًا لِحِزْمَةِ فِي الْإِخَاءِ ، وَحِزْمَةُ عَلَى ٢٠
مَا وَصَفْنَا ، لِعَظِيمِ الشَّانِ ، رَفِيعِ الْمَكَانِ .

ولو لم يُعرَف من قدره إلا أن ذكره الله باسمه في كتابه ، كما ذكر
لُقمان ، ولم يفعل هذا لغيره من هذه الأمة ، لقد كان ذلك دليلاً على المنزلة
والقربة ، فكيف يجوز أن يكون في الحديث : « اللهم عادٍ من عاداه
ووال من والاه » وحال زيد وصفته على ما ذكرنا وفسرنا ؟! مع أن
اللفظ في الحديث لو كان : اللهم عادٍ من عاداه ووال من والاه ، لم يكن
فيه دلالة تضطرُّ إلى إمامته ، وحُجَّةٌ تقهر العقول وتحملها على معرفة
خاصته ، ولكنه لفظ يدلُّ على الفضل والقدر ، وليس بالفضل الذي لا بعده ،
والتقديم الذي لا فوقه .

وإنما الكلام الذي لا بعده قول النبي صلى الله عليه : « ما أحدٌ آمنَ
علينا بصحبته من أبي بكر » ، وقوله : « لو كنتُ متخذاً خليلاً لا نتخذتُ
أبا بكر خليلاً » ، وقوله : « أبو بكرٍ وعمر سيِّدا كهولِ أهل الجنة
من الأولين والآخرين ، إلا النبيَّ والمرسلين » .

فإذا كان هذا الحديثُ مختلفاً في أصله وفي صحَّة مخرجه ، ومختلفاً في
تأويله وفرعه ، والحجَّة في أصله متدافعة ، والحجَّة في فرعه متكافئة ،
فكيف يكون جَعْدٌ على إمامته واستحقاقه وفضيلته على نظرائه .

ولو كان هذا الحديثُ مجتمعاً على أصله وصحَّة مخرجه ، ثمَّ كان لفظه
متميلاً لضروب التأويل ، ما كان للروافض فيه حُجَّة تقطع الخصم ،
وتظهر المبانيَّة .

ولو كان هذا الحديثُ مجتمعاً على أصله وصحَّة مخرجه وكان لا يحتمل
من التأويل إلا معنًى واحداً ما اختلفت في تأويله العلماء ، ولا اضطربت
فيه الفقهاء ، ولكن ذلك ظاهراً لكلِّ من صحَّ لبُّه ، وحسُن بيانه ،

ولا سيما إذا كان الحديث ليس مُفَصِّحاً عن نفسه ، ومعرّباً عن تأويله ، إلّا عن قصد الرسول وإرادته لأنّ يكفّهم مؤونة الرواية والأسباب المشكّكة فينبغي على هذا القياس أن يكون علماء العثمانية وفقهاء المرجئة تعرّف من ذلك ما تعرف الروافض ، ولكنّها تجحد ما تعرف ، وتنكر ما تعلم .

ولو كان هذا الحديث مجتمعا على أصله ولكنه غامض التأويل ، وعويص المعنى ، لا يكاد يدركه إلّا الراسخ في العلم ، البارع في حُسن الاستخراج ، كان العذر في جهل إمامته وفضيلته على غيره واسعا مبسوطا لأكثر المسلمين ، وجُلّ الناقلين ، وكبراء المتكلمين .

وإنما صارت الروافض إلى إكفار الأنصار والمهاجرين ، بزعمهم^(١) أن النبي صلى الله عليه نصّ على إمامته ، ودلّ على فضيلته ، فإنّه لا بدّ للناس في كلّ عصرٍ من إمام من ولده ، لأنّ ذلك الموضع إذا كان مقنعا ومعلما كان أخفّ على الناس في المحنة ، وأبعد من الخطأ والزّل ، ولأنّ اختيار الله لهم لأنفسهم ، لأنّه لو كان ذلك لا يكون إلّا بالنظر دون النصّ لم يصلوا إلى إقامته ، لكثرة عدد الناس ، ولكثرة عدد الفضل ، ولما في ذلك من الإشكال عند الموازنة ، والشغل عن العدو .

١٥

فإذا كان السبب في الإمامة^(٢) هو الذي قالوا ، فلا بدّ من حديث لا يحتمل التأويل ، ولا يمنع من معرفة صحّة أصله وصدق نخرجه .

فإن قالوا : فإنّا سنأتيكم بمثل اللفظ الذي أتيتمونا به حتّى لا يكون نفض أدلّ على الغاية منه . من ذلك قول النبي صلى الله عليه عند طائر^(٣)

(١) في الأصل : « وهو » . (٢) في الأصل : « وزعمهم » . ٢٠

(٣) انظر ما سبق في ص ١٣٤ س ٩ - ١٠ .

أَتَى بِهِ فَأَرَادَ أَكْلَهُ فَأَحَبَّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي أَكْلِهِ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ آتِنِي بِأَحَبِّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ يَا كُلُّ مَعَى هَذَا الطَّائِرِ »
ثُمَّ قَالَ لِأَنْسٍ : اخْرُجْ فَانْظُرْ مَنْ تَرَى بِالْبَابِ ؟ فَخَرَجَ فَوَجَدَ عَلِيًّا فَلَمْ
يَأْذَنْ لَهُ ، وَلَمْ يُعَلِّمِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَانَهُ طَعْمًا أَنْ يَكُونَ أَنْصَارِيًّا .
فَفَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، كُلَّ ذَلِكَ يُحِبُّهُ أَنْسٌ ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ ،
فَلَمَّا طَلَعَ قَالَ : « اللَّهُمَّ وَالْ (١) » .

قِيلَ لَهُمْ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ سَاقِطٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ،
وَلَوْ كَانَ صَحِيحًا عَنْهُمْ فَلَمْ يَجِبْ إِلَّا مِنْ قَبْلِ أَنْسٍ فَقَطْ ، وَأَنْسٌ وَحْدَهُ
لَيْسَ بِحُجَّةٍ ، فَلَمْ (٢) يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ وَلَا مُتَكَلِّمٌ .

وِثَانِيَّةٌ : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ أَلَّا يَحْتَجَّ بِخَبَرِ أَنْسٍ لِأَنَّهُمْ مَعَشَرَةُ الشَّيْعَةِ ،
لِأَنَّ أَنْسًا عِنْدَكُمْ كَافِرٌ كَذَّابٌ .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ سُوءِ قَوْلِكُمْ فِيهِ أَنْسُكُمْ زَعَمَ أَنَّهُ كَذَبَ عَلَى عَلِيٍّ ،
كَذَبَهُ وَبَهَّتَهُ بِأَمْرِ ، فَدَعَا اللَّهَ عَلَيْهِ ثُمَّ بَصَقَ فِي وَجْهِهِ فَبَرَصَ مِنْ قَرْنِهِ
إِلَى قَدَمِهِ . وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَهُ بِعَمَلِهِ لِلْحِجَّاجِ ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ
أَكْفَرُ بِاللَّهِ وَلَا أَجْعَدَ لِإِمَامَةِ عَلِيٍّ وَلَا أَنْقَضَ لِأَمْرِهِ ، وَلَا أَقْتُلُ لِشِيعَتِهِ
مِنَ الْحِجَّاجِ وَلَا مَنْ وَلَاهَ ، وَأَنْ مَنْ وَلِيَ لَهَا فِي طَرِيقَهُمَا وَحَكَمَهُمَا .

وَأُخْرَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ كَمَا تَقُولُونَ وَقَدْ صَدَقْتُمْ عَلَى أَنْسٍ ،
فَقَدْ زَعَمَ أَنْسٌ بِزَعْمِكُمْ أَنَّهُ كَذَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وَقَدْ أَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَنِ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَبِيهِ ،

(١) كَذَا وَرَدَ الْحَدِيثُ مَبْتُورًا فِي الْأَصْلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ » .

فأحبَّ لشهوته له أن يَشْرَكَ فيه أشبهُ النَّاسِ به فدعا ربَّه ؛ وأنه
إذ دعا ربه ثلاثَ مرَّاتٍ كلَّ ذلكَ يَسْتَجِيبُ له ، وكلَّ ذلكَ يراه أنسٌ
ويكذبُ له ويصدُّه عن حاجته ، ويمنعه سرعةَ الاستجابة ، وتعجيلَ
قضاء الحاجة ، وتسويفه أكلَ المُشْتَهَى من طعامه . كلما دعا دَعْوَةً قال
أخرج يا أنس فانظرْ مَنْ بالباب ، ثقةً منه برَبِّه ، واتَّكلاً على الذي
عنده له ، ويرجع وقد كَتَمَهُ وحجَّبه عنه ، ومنعه سرور تعجيل الدُّعاء ،
وأكلَ شَهَى الغِذاء .

فإن كان أنسٌ كما يقولون فقد ركبَ أمراً عظيماً ، وذَهَبَ مذهباً قبيحاً .
وكيف يَصْدُقُ على النبي صلى الله عليه مَنْ خُلِقَ بهذا^(١) ، وكذَّبه في وَجْهِه
ثم لا تمنعه الأولى من الثانية ، والثانية من الثالثة . هذا والوحيُ ينزل
بأسرع من الطَّرف بلعنَ قومٌ ومدَّحَ آخرين .

وإنَّ أمراً احتملت نفسُه وشاع في طبعه أن يواجهَ النبيَّ صلى الله عليه
بالكذبِ ثلاثَ مرَّاتٍ في أحبِّ النَّاسِ وأوجههم حقاً عليه ، لحريَّ ألاَّ يصدق
عليه في مُعْظَمِ أمر الدين ، مع أنَّ الحديثَ نفسَه هو أضعفُ حديث عند
أصحاب الأثر من^(٢) أن يحوجنا إلى الإطناب فيه ، والإخبار عنه .
ومتى ادَّعينا ضعفَ حديثٍ وفسَّاده فأنهَّم رأينا ، وخِفْتُم مِيلَنَا
أو غَلَطْنَا فاعتَرِضُوا مَحَالَّ الحديثِ وأصحاب الأثر ، فإنَّ عندهم الشفاء فيما
تنازعنا فيه ، والعلم بما التَّبَسَّ علينا منه .

(١) كذا في الأصل . ولعله وجه .

(٢) كذا ورد الأسلوب ، وفيه استعمال « من التفضيلية » مع أفعل التفضيل المضاف ،

كقول قيس بن الخطيم :

نحن بفارس الودي أعلمنا منا بركض الجياد في السدف

ولقد أنصفَ كلَّ الإنصاف مَنْ دعاكم إلى المَقْنَعِ مع قُرْبِ داره
وقلَّةِ جَوْرِهِ وأصحاب الأثرِ مِنْ شأنهم روايةُ كلِّ ما صحَّ عندهم ، عليهم
كانَ أولُهُمْ . مع أنَّ هذا الأمرَ ليس يُعرَفُ من قِبَلِ الحديثِ ، وإنَّما
يُعرَفُ من الوجه الذي به يُقْضَى على جميع الدِّينِ .

وإنَّما احتججنا عليكم في أنسٍ بالذي سمعتم ، لأنَّنا وجدناكم تكفُّرونه
حتَّى إذا جرى سببٌ يؤكِّد ما تقولون جعلتم كفره إيماناً ، وكذبه
تصديقاً ، وعداوتَه ولايةً . ثمَّ لم تَرْضَوْا بأنَّ ألحقتموه بالأولياء وأخرجتموه
من حدود الأعداء ، حتَّى أقنم خبره وحده مقامَ خبرٍ من يكذبُ
آيًّا^(١) به ، أو مقامَ خبرٍ يمتنع الكذب في مجيئه لاختلاف عللِ أهله .

فأما نحنُ فإنَّنا نرى أنَّه رجلٌ عظيمُ الحرمةِ واجبُ الحقِّ^(٢) ،
إذْ كان قد خدم النبي صلى الله عليه صغيراً واعتصم به كبيراً ، وكان
من رهطِ صدِّق .

وأما ما حكيتُم من ولايته للحجَّاج فقد ولى للحجَّاج وصلَّى خلفه
مَنْ كان يرى إكفارَه فضلاً عن مَنْ يرى تفسيقَه ، وفي البراءة منه وفي
التَّقِيَّةِ سَمَةً ، وفي الخوفِ عُذْرَ .

فأما الذي حكيتُم من البياض الذي أصابه فإنَّ المؤمنَ بعَرَضِ مَصائبٍ
ما كان في دار الدنيا . وما كان الذي أصابه في جَنَبِ الذي كان فيه أيُّوبُ
النبي صلى الله عليه ؟ ! وقد كان شُعَيْبٌ مكفوفاً !

ولو كان علىَّ كما يقولون فأرادَ أنَّه كان إذا بصق على إنسانٍ فأرادَ

(١) في الأصل : « مقام حبرين ملدب امامه » .

(٢) في الأصل : « فاحب الحق » .

أَنْ يَرِصَ بَرِصَ ، لَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَقَ .

وَالْعَجَبُ إِنَّ كَانَ كَمَا تَزْعُمُونَ ، كَيْفَ لَمْ يَبْصُقْ عَلَى أَبِي مُوسَى فَيُجْذِمَهُ ، أَوْ عَلَى جَيْشِ صَفِيْنٍ فِيهِزَمَهُ ؟ ! بَلْ كَانَ عَلَى أَظْهَرِ سَلَامًا ، وَأَرْجَحَ حِلْمًا وَأَشَدَّ وَرَعًا ، وَأَكْثَرَ فِقْهًا ، وَأَبْيَنَ فَضْلًا ، مِنْ أَنْ يَدَّعَى ٥ هَذَا وَشِبْهَهُ .

وَلَيْسَ يَمْدَحُ عَلِيًّا بِمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ إِلَّا هَازِلٌ أَوْ جَاهِلٌ .
وَأُمَّا قَوْلُكُمْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « أَنْتَ مَنَى كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، وَإِنَّ^(٢) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَرَادَ بِهَذَا أَنْ يُعْلِمَ النَّاسَ أَنَّ عَلِيًّا وَصِيُّهُ وَخَلِيفَتُهُ ، فَإِنَّا سَنَقُولُ فِي ذَلِكَ ، وَبِاللَّهِ ١٠ وَحْدَهُ نَسْتَعِينُ .

نَقُولُ : إِنَّ خِلَافَةَ الرَّجُلِ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي إِحْدَى مَنَزَلَتَيْنِ : إِمَّا فِي حَيَاةِ الْمُسْتَخْلَفِ وَإِمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ . وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ اسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فِي غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ ، فِي كَثْرَةِ مَا غَزَا ، وَكَثْرَةِ مَا وَلَّى .

١٥

قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَلَفَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ . وَقَالَ قَوْمٌ : الْمُسْتَخْلَفُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ . وَهُمْ إِنْ اخْتَلَفُوا فَلَمْ يَخْتَلَفُوا أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُقِيمًا بِالْمَدِينَةِ وَالْأَمِيرُ غَيْرُهُ ، وَالْإِمَامُ سِوَاهُ .

٢٠

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَإِنْ » .

ولولا أنَّ خلفاء النبي صلى الله عليه في غزواته يُصاب عليهم^(١) بكلِّ مكان ، وفي كلِّ سيرة ، لقد كتبته لك في كتابي الذي رددت فيه على من صغر قدر الإمامة وزعم أنَّها غير واجبة ، وأنها تصلح في العدد الكثير . وأمّا غير ذلك من كتبي فلم أنتحل فيه قولي ، وجعلت الكتاب هو الذي عبّر عن نفسه ، وقت مقام جميع الخصوم ، وجعلت نفسي عدلاً بينهم . ولو لم أكن على ثقة من ظهور الحق على الباطل لم أستحلّ كتابته مع زوال التقيّة ، وصلاح الدهر ، وإنصاف القيم .

ثم رجعنا إلى كلامنا الأوّل فقلنا : لا بدّ لخلافة الرّجل من إحدى منزلتين : إمّا في الحياة أو بعد الموت : فأما في الحياة فلا يستطيع أحد أن يقول : إنَّ النبي صلى الله عليه استخلف عليّاً في حياته . وليس يضع ذلك من عليّ ؛ لأنَّ أبا بكرٍ وعمرَ الدّين هما عندنا أولى بالأمر منه لم يستخلفهما النبي صلى الله عليه قطّ في حياته . أو تكون الخلافة بعد الموت فلا يجوز أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه عني بقوله « أنت مسمّى بمنزلة هارون من موسى » الخلافة لعليّ بعده . والذي قد علّم أنَّ هارون قد مات قبل موسى : لأنَّ هارون وموسى وأمهما ماتوا جميعاً في شهر واحد ، وكان موسى صلى الله عليه آخراًهم موتاً . ولذلك قالت بنو إسرائيل لموسى : أنت قتلت هارون^(٢) .

فإن قالوا : ومن يقول : إنَّ هارون مات قبل موسى ؟
قيل لهم : إن شئتم فاعترضوا أصحاب التفسير والسيرة ، والتمسوا علّم

(١) أى يوقع عليهم . وفي اللسان : « صابوا بهم : وقعوا بهم » .
(٢) انظر كامل ابن الأثير ١ : ١١١ ففيه قصة وفاة هارون . وانظر كذلك سفر العدد

ذلك من قِبَلِ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وإن شِئْتُمْ فأهل الكتاب يَهُودُهُمْ
وَنَصَارَاهُمْ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ دَفْعُ مَضَرَّةٍ وَلَا اجْتِلَابُ مَنْفَعَةٍ ، وَلَوْ
آثَرُوا أَنْ يَجْحَدُوا مَا عَرَفُوا ، وَأَنْ يُطَبِّقُوا عَلَى إِنْكَارِ مَا عَلِمُوا ، وَكَانَ
ذَلِكَ مُمْكِنًا فِي الْقُدْرَةِ ، سَائِمًا جَائِزًا ، لَجَحَدُوا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذَتْ
مُوسَى يَقْتُلُ هَارُونَ تَعَمُّتًا وَبَغْيًا ، أَوْ غُلَطًا أَوْ جَهْلًا .

٥

وهذا مشهورٌ عند أهل الكتاب وأهل التفسير .

وليس أحدٌ أحقَّ بأنْ يُصِيبَ فِي الْأَمْثَالِ إِذَا ضَرَبَهَا ، وَلَا أَوْلَى بِحُسْنِ
التَّشْبِيهِ إِذَا شَبَّهَ ، مِنْ خَيْرَةِ اللَّهِ وَصَفَوْتِهِ مِنْ رِسلِهِ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » وَهُوَ

يُرِيدُ الْخِلَافَةَ ، وَهَارُونَ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُوسَى خَلِيفَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ ١٠

عَلَى خَلِيفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ . فِي أَىِّ الْمَنْزِلَتَيْنِ وَعَلَى آيَةٍ

الْحَالِيْنَ يَكُونُ عَلَى خَلِيفَةٍ إِذْ لَمْ يَكُنْ اسْتَخْلَفَهُ النَّبِيُّ ^(١) أَيَّامَ حَيَاتِهِ . بَلْ

كَيْفَ يَجْعَلُهُ مِنْ نَفْسِهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَهُوَ يُرِيدُ الْخِلَافَةَ مِنْ

بَعْدِهِ ، وَهَارُونَ لَمْ يَكُنْ خَلِيفَةَ مُوسَى بَعْدَهُ .

وَلَا بَدَّ لِلْحَدِيثِ مَعَ سُوءِ تَأْوِيلِكُمْ وَاضْطِرَابِ حُجَّتِكُمْ مِنْ ضَرَبِينَ : ١٥

إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَاطِلًا لَمْ يَتَّكِلْ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَإِمَّا أَنْ

يَكُونَ حَقًّا وَمَعْنَاهُ غَيْرُ مَا قَلَّمْ ، وَتَفْسِيرُهُ غَيْرُ مَا ادَّعَيْتُمْ .

وَلَوْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ عَلِيًّا خَلِيفَةً مِنْ بَعْدِهِ إِذْ لَمْ

يَكُنْ جَمَلُهُ خَلِيفَةً أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، لَقَالَ ^(٢) : أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ

٢٠

(١) فِي الْأَصْلِ : « اسْتَخْلَفَهُ مُوسَى » ، وَكَلِمَةُ « مُوسَى » مُتَعَمِّمَةٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فَقَالَ » .

إلاَّ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، لَأَن يَوْشَعَ كَانَ خَلِيفَةً مُوسَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ
بَعْدَهُ ، وَكَانَ نَبِيًّا قَبْلَ مَوْتِ مُوسَى وَبَعْدَهُ .

فَإِنْ قَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يَقْصِدْ إِلَى الْخِلَافَةِ وَلَمْ يُرِدْ
الْإِمَامَةَ ، وَلَكِنَّهُ عَنِ الْوِزَارَةِ .

٥ قلنا : إِنَّ وِزَارَةَ هَارُونَ مِنْ مُوسَى لَا بَدَّ فِيهَا مِنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ :

إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُوسَى هُوَ جَمْلُ لَهُ ذَلِكَ وَهُوَ وَزِيرُهُ عَلَى جِهَةٍ مَا يَتَّخِذُ
الْإِمَامُ وَزِيرًا وَالْمَلِكُ وَزِيرًا عَلَى مَعْنَى الْاِخْتِيَارِ وَالِاسْتِكْفَاءِ وَالثَّقَّةِ .

أَوْ يَكُونَ وَزِيرُهُ عَلَى جِهَةِ الْمُوَازَرَةِ وَالْمُسَاوَةِ وَالتَّعَاوُنِ ، عَلَى أَنْ
كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَزِيرُ صَاحِبِهِ وَمَعَاوُنُهُ وَمَكَاتِفُهُ ، إِذَا غَابَ عَنْ قَوْمِهِ
١٠ كَانَ الْآخَرُ خَلِيفَتَهُ ، لَا عَلَى أَنْ مُوسَى الْجَاعِلُ ذَلِكَ لَهُ .

وَلَا مَنْزِلَةَ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا هَاتَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ فِي جِهَةِ الْخِلَافَةِ
وَالْوِزَارَةِ ، لِأَنَّ نَبُوَّةَ هَارُونَ لَا تَكُونُ مِنْ قِبَلِ مُوسَى ، وَالنَّبُوَّةُ
لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ .

وَلَيْسَ يَخْلُو قَوْلُ مُوسَى لِهَارُونَ : « اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي » عَنْ ضَرْبَيْنِ :
١٥ إِمَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ جَمْلُهُ خَلِيفَتَهُ عَلَى جِهَةِ الْاِخْتِيَارِ وَالِاسْتِكْفَاءِ وَالثَّقَّةِ بِهِ ،
وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا غَابَ عَنْ
قَوْمِهِ كَانَ الْآخَرُ خَلِيفَتَهُ .

فَإِنْ كَانَتْ وِزَارَةُ هَارُونَ وَخِلَافَتُهُ لِمُوسَى إِنَّمَا كَانَتْ مَنْزِلَتَيْنِ أُنْزِلَ فِيهِمَا
مُوسَى ، وَلَيْسَتْ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى مَنْزِلَةٌ غَيْرُهُمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
٢٠ عَلَيْهِ : « أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » فَكَأَنَّمَا قَالَ : لَكَ خِلَافَتِي

ووزارتي^(١) ، فكيف يقول : إلا أنه لا نبيَّ بعدى . والنبوةُ منزلةٌ من الله لهارون وليست منزلةً لهارون من موسى . فإذا كان ذلك كذلك فكيف يستثنى الحكيم المرشد الشيء من [غير] شكله ؟ ! وهل يكون بعض من غير كلاً ؟ !

- وكيف يقول : قد جعلتك خليفتي ووزيراً ، إلا أنى لم أجعلك نبياً مثلى ، ومنزلةُ النبوة ليست إليه كما كانت منزلةُ الخلافة والوزارة إليه . وإنما قوله : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » يريد به : إن لك منى مثل الذى كان لهارون من موسى ، وهو الخلافة والوزارة . فكيف يقول : « إلا أنه لا نبيَّ بعدى » فيستثنى ما لا يملكه ولا يجوز أن يملكه ، مما قد ملكه ويجوز أن يملكه من هو دونه من خلفائه ومن خلفاء خلفائه .

- أو يكون هارون كان وزيرَ موسى على جهة المؤازرة والمعاونة ، وعلى أن يكون كلُّ واحدٍ منهما وزيرَ صاحبه وخليفته عند الغيبة وحضور الآخر ، ليس أنه قد كان خليفةً ووزيراً . وإن كان ذلك كذلك فليست لهارون من موسى منزلةٌ من الوزارة والخلافة إلا ول موسى من هارون مثلها . وإذا كان ذلك كذلك فقد صارت خلافتُهما ووزارتُهما كنبوتُهما أو رسالتُهما . وإذا كان ذلك كذلك فكيف يجوز أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، وليست لهارون من موسى منزلةٌ إلا ول موسى مثلها من هارون ؟ ! . وكيف يجوز أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لعلى ومنزلة هارون من موسى منزلة النبي من

(١) فى الأصل : « فإنما قال ذلك خلافتى ووزارتى » .

النبي ، والشكل من الشكل ، والمثل من المثل ، وهي منزلة من الله كما أن نبوة موسى منزلة من الله ؟ !

وكيف يقول : إلا أنه لا نبي بعدى ، وسبيل النبوة سبيل منزلة هارون من موسى على ما حكيناه من التعاون والتآزر ؟ !

٥ وإذا كان هذا الحديث لو صحَّ في أصله وأوَّل مخرجه ، وسلم من الزيادة والنقصان وجاء بحجى الحجة ، لم يقدر القوم على أن يجعلوه دليلاً موجباً وشاهداً صادقاً على^(١) خلافته وإمامته دون غيره ؛ فما ظنك به إن كان قد دخله من الخلل والضمف والاحتمال في الفساد ما يوجب تكذيبه ورده .

١٠ وأقل ما للعثمانية في هذا الحديث أن يُساوؤكم في تأويلكم ، وفي ذلك الخلاف بطلانُ حجَّتكم .

وقد زعم ناسٌ من العثمانية أن هذا الحديث باطلٌ من أجل أنه لا يحتمل من التأويل إلا ما حكيتُ لك ، وأن النبي صلى الله عليه لا يعلن ولا يظهر غير ما يُضمر ، ولا يتكلم بالفاسد ، ولا يستكره المعانى ، ولا يتكلم بالمتعقّد^(١) ، ولا يضرب مثلاً ولا يشبه شيئاً بشيء إلا وذلك الشيء وفق ما قال ، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه .

١٥ ووجه آخر : أن هذا الحديث لم يُرو إلا عن عامر بن سعد^(٢) . فواحدة إن عامر بن سعد هذا لو كان بالفقه والحديث والفضل معروفاً

(١) في الأصل : « وعلى » .

(٢) يقال عقد كلامه تعقيداً : عوصه وعماه .

(٣) عامر بن سعد بن أبي وقاص ، تابعى ثقة توفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

وكان كأمثاله من بنى الصحابة كعبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن^(١) وغيرهم ، ما كان ليكون وحده حجة في تأخير أبي بكر عن مقامه ، فكيف وهو في غير سبيلهم وطريقهم . ولو سمعنا هذا الخبر من سعد وحده ما كان إلا حجة على نفسه كالحجة على علي في روايته أن النبي صلى الله عليه قال في أبي بكر ٥ وعمر : « هذان سيّدا كهول أهل الجنة » .

وكيف يروى هذا سعد مع قوله في الإمامة : « ما أنا بقميصي هذا أحقّ مني بها » وهو يدعو علياً إلى الشورى والمخيرة والمكاثرة بالمحسن ، ويقول : « أعيدوها شورى كما كانت » ، ويعيب علياً بالاستبداد ، ويقول : « كنتُ سابع سبعة مع النبي صلى الله عليه ، ١٠ ما لنا طعام إلا ورق الشجر ، ثمّ جاءني أعرابي يعلمني دين الله ، ما أنا بقميصي هذا بأحقّ مني بها » .

وإنما نخر بأنّه كان سابع سبعة على علي لأنّ علياً لم يكن فيهم عنده ، وكان إمّا حدثاً صغيراً وإمّا على أمر غير ذلك . وسعد من العشرة ، ومن الستّة ، ومن السبعة^(٢) ، والمستجاب ١٥

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل إسماعيل ، وقيل اسمه كنيته . تهذيب التهذيب ١٢ : ١١٥ — ١١٨ .

(٢) أى العشرة المبشرين بالجنة ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح . وفي شأنهم ألف أبو الطيب كتابه « الرياض النضرة » في مناقب العشرة . ٢٠ وأما الستة فهم أهل الشورى ، الذين اختارهم عمر بعد أن طعن ليختاروا من بينهم رجلاً للخلافة ، وهم علي ، وعثمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وطلحة . ثم ضم إليهم عبد الرحمن بن عمر سابعاً على ألا يكون له شيء من الأمر . الطبرى —

الدَّعْوَةُ . وقال له النبي صلى الله عليه : « ارمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » .
ومن كان لهذه الأمور مستحقاً لم يجمع بين طلبِ خَايَرَةِ رجلٍ ومكَاثِرَتِهِ
بِالْحَاسَنِ وهو مُقَرَّرٌ أَنَّ النبي صلى الله عليه جَعَلَ خَصْمَهُ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ
هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّ يَكُونُ تَأْوِيلُ الْحَدِيثِ عِنْدَ سَعِيدٍ وَعِنْدَ مَنْ
شَهِدَ سَعِيداً عَلَى غَيْرِ مَعْنَا كَمْ . ٥

وَحَدِيثُ عَامِرٍ عَلَى غَيْرِ مَا يَرَوُونَ ، وَإِنَّمَا قَالَ : « أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ
هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مَعِيَ نَبِيٌّ » ، هَكَذَا رَوَاهُ عَنْ عَامِرِ
ابْنِ سَعِيدٍ عَلَى غَيْرِ مَعْنَا كَمْ .

١٠ . وَفِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « هَذَا خَالِي أَبَاهِي بِهِ فُلَيَّاتُ كُلِّ
أَمْرِي بِخَالِهِ ^(١) » تَفْضِيلٌ لَهُ عَلَى كُلِّ خَالٍ فِي الْأَرْضِ ، وَقَدْ كَانَ عَلَى خَالِ
جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ . وَلَمْ يَسْتَنْ أَحَدًا .

فَإِنْ قَالُوا : الدَّلِيلُ عَلَى مَا قُلْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَمَّا آخَى بَيْنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ آخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ أَشْبَهَ النَّاسَ بِهِ
هَذِيئًا ، وَعِلْمًا وَفَضْلًا ، لَمْ يَجْعَلْ عِدْلَ نَفْسِهِ دُونَ غَيْرِهِ .

١٥ . قِيلَ لَهُمْ : أَنْتُمْ لَيْسَ لَكُمْ عِلْمٌ بِالْأَثَرِ وَلَا بِالْخَبَرِ . وَكَيْفَ يَعْرِفُ الْآثَارَ
وَالْأَخْبَارَ مَنْ يَكْفُرُ الْأَسْلَافَ ، وَيَبْرَأُ مِنَ التَّائِبِينَ ، وَيَجْحَدُ كُلَّ مَا لَمْ

— ٣٤ : ٣٥ . وَأَمَّا السَّبْعَةُ فَهَمَّ السَّابِقُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الرِّجَالِ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ،
وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُثْمَانُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَطَلْحَةُ .
الرِّيَاضُ النَّضْرَةُ ٢ : ٢٩٢ وَعَيُونُ الْأَثَرِ ١ : ٩٣ - ٩٥ .

٢٠ . (١) يَقُولُ هَذَا فِي شَأْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ . الْإِصَابَةُ وَصْفَةُ الصَّافُوَةِ ١ : ١٤٠ ،
وَالرِّيَاضُ النَّضْرَةُ ٢ : ٢٩٦ . قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ : « وَكَانَ سَعِيدٌ مِنْ بَنِي زَهْرَةَ ، وَأُمُّ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي زَهْرَةَ ، فَلِذَلِكَ قَالَ : خَالِي » .

يوافق هواه ، ويدعى ماوافق هواه وإن كان باطلا ، بل لا يرضى حتى يتقوّل الزور ويولّد الباطل .

وليس شيء أيسر من أن يقول قائل : إن النبي صلى الله عليه لما آخى بين أصحابه آخى بين نفسه وبين أبي بكر . ولكن الحق أحق ماخضع له واحتمل مافيه . وهذه الفقهاء وأصحاب الآثار عُرْضة لكم ، فإن لم يقولوا إن النبي صلى الله عليه لما آخى بين المهاجرين والأنصار آخى بين عليّ وسهل بن حنيفة فنحن أولى بمحمد المعروف منكم . وقد قال الله : « فاسألوا أهل الدّكر إن كنتم لا تعلمون ^(١) » . وأنتم لستم ^(٢) أصحاب آثار ، فاسألوا أصحاب الآثار إن كنتم لا تعلمون ؛ فإن ذلك أمر مشهور لا خفاء به ، ولا دافع له ، أعنى المواخاة بين عليّ وسهل بن حنيفة .

ولثقة عليّ به استعمله على المدينة حين خرج عنها . ومن أجل سهل بن حنيفة امتنع الزبير وطاحه أن يركبوا عثمان بن حنيفة وإلى عليّ على البصرة بأكثر مما كانوا ركبه به . ولذلك السبب صلى أبو أمامة بن سهل بن حنيفة بالناس في مسجد الرسول صلى الله عليه ١٥ وعثمان محاصر ، لرأي عليّ كان في ذلك ، ولغلبته على الدّار ، وأنه كان يطاع بأكثر من طاعة الزبير وطاحه وسعد .

وإنما آخى النبي صلى الله عليه بينه وبين سهل بن حنيفة الأنصاري كما كان آخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت ^(٣) . ولذلك قال

(١) الآية ٤٣ من سورة النحل .

(٢) في الأصل : « ليس » .

(٣) هو أخو حسان بن ثابت .

حَسَّانَ يَحَامِي دُونَهُ وَيَنْصُرُهُ بِالْكَلَامِ وَالشَّعْرِ ، وَيُظْهِرُ الْمِيلَ عَلَى عَلَى
حِينَ قَالَ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُتَخَبَّرَنِي مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَّانَ^(١)
لَنَسْمَنَّ وَشِيكَاً فِي دِيَارِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ
وَلَذَلِكَ قَالَ فِي كَلَامٍ لَهُ وَهُوَ يَعْتَمِدُ رَأْيَ عَلِيٍّ وَاخْتِيَارَهُ : تَكَلَّمْتُ أَمَّ نَزَالٍ
حَرْبٍ لَقِيَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ كِفَاحًا ، وَسَمِعْتُ أَمَّ نَزَالٍ رَأْيَ لَقِيَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ
سَهْوًا . فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ ، وَشِعْرٍ كَثِيرٍ .

وَكَا أَخِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَسَلْمَانَ ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ وَعُمَارَ^(٢) ، وَبَيْنَ حَمْزَةَ وَزَيْدَ^(٣) ،
وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ ١٠

فَإِنْ قَالُوا : فَلَعَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَخِي بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَبَيْنَ
عَلِيٍّ وَبَيْنَ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، وَهَذَا مَا لَا يَتَدَافَعُ ، كَمَا كَانَ يُؤَاحِي بَيْنَ الرَّجُلِ
الْمُهَاجِرِيِّ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْضُهُمْ
فِي بَعْضٍ ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ تَصِيرُ^(٤) الْمُوَاحَاةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اثْنَيْنِ :
مُهَاجِرِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ . ١٥

قُلْنَا لَهُمْ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّ^(٥) لَمْ نَجِدْ لِقَوْلِكُمْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
أَخِي عَلِيًّا إِسْنَادًا يَثْبُقُ بِهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ جَاءَ مَجِيءُ

(١) ديوان حسان ٤١٠ .

(٢) حذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر .

(٣) زيد بن حارثة . عيون الأثر ٢٠١ : ١ .

(٤) في الأصل : « بصير » .

(٥) في الأصل : « فإذا » .

الحديث . ولو كان النبي عليه السلام حيث آخى بين المهاجرين ولم يرضَ لعليٍّ إلاَّ بنفسه لفضل عليٍّ على غيره وأنه أشبه الأمة به وأقرهم حالاً من حاله ، ثم آثر أن يُؤاخى بينه وبين رجلٍ من الأنصار كفعله بغيره من المهاجرين - كان ينبغي له أن يؤاخى بينه وبين أفضل الأنصار ؛ إذ كان الذي يمنعه من أن يؤاخى بينه وبين بعض المهاجرين طلب ٥ أفضلهم ، وكان ينبغي على هذا المذهب أن يؤاخى بينه وبين سعد بن معاذ .

فإن قالوا : سهل بن حنيف أفضل من سعد ومن حمي الدبر ومن غسل الملائكة ، ومن مكلم الذئب^(١) ومن غيره ، لم يكن هذا منكراً ١٠ من مكابرتهم وجهلهم .

فإن قالوا : إنه جائز أن يؤاخى بين غير الأشكال في الفضل ، وجائز ألاَّ يؤاخى بين المتساويين والمتقاربين .

قيل لهم : فليعلَّ أيضاً النبي صلى الله عليه لم يؤاخِ بين نفسه وبين عليٍّ - إن كان آخاه كما زعمتم - من قبل تقارب الحال والمشكلة في الأفعال . ولعل النبي صلى الله عليه لم يؤاخِ عليّاً رأساً إذا أجاز ألاَّ ١٥ يؤاخى بين الأشكال ، ولا يقارب بين الأمثال . وأدنى ما فيه أن يكون ذلك قد كان جائزاً .

فإن تركوا هذا أجمع وقالوا : كيف يجوز أن يكون أبو بكر هو الإمام وقد كان النبي صلى الله عليه جملة في جيش أسامة ، وما زال يقول في شكاته : « أنفذوا جيش أسامة » يُعيد ذلك ويكرّره ، إلى أن قبضه الله إلى جنّته . ٢٠

(١) انظر ما سبق في ص ١٣٩ - ١٤٠ .

قيل لهم : إن في أمر النبي صلى الله عليه له أن يقوم مقامه في الصلاة بالمسلمين . وعائشة وحفصة قد اعتوتنا^(١) ليصرفا ذلك إلى عمر ، ويقولان : إنَّ أبا بكر رجل رقيق لا يستطيع أن يقوم مقامك .

وهو قد ودَّع المسلمين في خطبته التي خطبها في شكاته حين قال : « إن عبداً من عباد الله خير الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة » فبكى أبو بكر ، فعجب الناس منه وقالوا^(٢) : قال رسول الله صلى الله عليه : إن عبداً من عباد الله ! قالوا : وكان أبو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه . هكذا الخبر ثم جاء جبريل في شكاته فقال : يا محمد ، هذا ملك الموت يستأذنُ عليك ولم يستأذنْ على آدمي قبلك . قال : ائذنْ له . فأذن له جبريل حتى وقف بين يدي النبي صلى الله عليه ثم قال : يا محمد ، إنَّ الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني به ، فإن أمرتني قبضَ نفسك قبضتها ، وإن كرهتَ ذلك تركتها . قالوا : فسمع النبي صلى الله عليه يقول : « الرقيق الأعلى » . فَعَلِمَ أَنَّهُ قد خيَّرَ صلى الله عليه .

ثم كان عند كل صلاة لا يجد عندها إفاقةً يقول : « مروا أبا بكر يصلي بالناس » ويقول : « أباي الله إلاَّ أبا بكر » ، وفي قوله أباي الله أن يصلي إلاَّ أبو بكر ، دليله أن ذلك من قبل الوحي . مع قوله لعائشة وحفصة حين أرادتا صرف ذلك إلى عمر : « أنتن صواحبات يوسف ، أباي الله ورسوله أن يصلي إلاَّ أبو بكر » بالغلظ . فلو كان الخطب في ذلك صغيراً ما أغلظَ النبي صلى الله عليه لهما ، ولا اشتدَّ عليهما .

٢٠ (١) اعتوتنا ، مثل تماوتنا . وفي الأصل « اعتونا » .
(٢) في الأصل : « وقال » .

فإن قالوا : ومادعا عائشة إلى صرف هذا الأمر العظيم والمقام الشريف إلى عمر ؟

قيل : فإنه ليس عندنا في ذلك إلا ما اعتدرت هي به لنفسها ؛ فإنها قالت : إني والله ما أردت صرف ذلك على أني لم أعرف شرفه وخطره ، ولكنني خفت أن يتشاءم المسلمون به ، وألاَّ يحبوا رجلاً قام مقامه أبداً .

فأمّا حديث الربيع بن صليح^(١) عن الحسن فإنه زعم أنها قالت : خفت ألاَّ يطبق حمل الخلافة ، وظننت أن الناس سيريدون منه مثل ما تعودوا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلمت أن أحداً لا يكون كالنبي . فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم جعله في جيش أسامة فقد استثناه حين اشتكى ، من جميع الجيش ، إذا استخلفه في مقامه ، وأمره بالصلاة لأمرته ؛ لأن من صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسجده ومصلاه ، في أعياده وسائر أيامه ، فقد صلى بجميع الأمة ، وتأمر على جميع البرية .

وإنما أدخلنا فيها صلاة الجمعة والعيد لأن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : « أئبى الله ورسوله إلاَّ أن يصلى أبو بكر » لم يستثن صلاة دون صلاة . فإذا كان الكلام عاماً والنبي صلى الله عليه وسلم على يقين من فراق الدنيا ، والوحي ينزل عليه ، فقد دخل في ذلك صلاة العيد والجمعة ؛ لأن النبي يتكلم كلاماً عاماً^(٢) .

(١) بفتح الصاد وكسر الباء ، كما في حواشي تهذيب التهذيب .

(٢) بعده في الأصل : « وهو على يقين من فراق الدنيا والوحي ينزل عليه » .

وقد علم الله ورسوله أَنَّ الكلام العامَّ يَتَّخِذُهُ النَّاسُ حُجَّةً فيما يدلُّ عليه العام .

وقد علم الله أَنَّ أبا بكرٍ سيصلي بالنَّاسِ في أعيادهم وسائرِ صلاتهم وأَنَّهُ سَيُحْتَجُّ فِي اسْتِحْقَاقِ أَبِي بَكْرٍ بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أبا الله ورسوله أَنَّ يَصَلِّيَ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ » ؛ فكان ذلك دليلاً على أَنَّ الله قد أَرَادَ ذلك وأَوْجَبَهُ ، وَعَنَاهُ وَأَحْبَبَهُ .

فهذا دليلٌ على أَنَّ أبا بكرٍ لم يُخَالَفْ أَمْرَ الله بتخلُّفه عن جيش أسامة إِنْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ مِمَّنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ قَبْلَ شِكَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَمْرِهِ لَهُ بِالصَّلَاةِ .

١٠ ووجهٌ آخَرُ يدلُّ على ما قلنا . وهو أَنَّنا لم نَجِدْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ ذَكَرُوا عَنْهُ فِي ذَلِكَ الدَّهْرِ حَرْفًا وَاحِدًا مِنْ ذِكْرِ تَخَلُّفِ أَبِي بَكْرٍ ، لَا عَانِبًا زَارِيًا ، وَلَا مُسْتَفْهِمًا مُسْتَرْشِدًا ، وَلَا مُتَعَجِّبًا نَاقِمًا ، وَلَا مُصَوِّبًا عَازِرًا ؛ وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ حَدِيثًا — ضَعْفَ إِسْنَادُهُ أَمْ قَوِيٌّ — أَنَّ أَحَدًا احْتَجَّ لِأَبِي بَكْرٍ وَلَا عَلَيْهِ ^(١) .

١٥ وَلَا يَكُونُ رَجُلٌ فِي مِثْلِ نِبَاهَةِ أَبِي بَكْرٍ وَقُدْرَةِ ، وَفِي مِثْلِ نِبَاهَةِ مَا صَارَ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ لَا مَوْضِعَ أَوْلَى بِشِدَّةٍ ^(٢) الْحَسَدِ وَكَثْرَةِ الطَّعْنِ مِنْهُ ، وَقَدْ كَانَ مِنْهُ التَّخَلُّفُ الَّذِي لَا يَخْفَى مَوْضِعُهُ ، مَعَ تَوْكِيدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَشِدَّتِهِ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ لَا يَلْجَأُ فِي تَخَلُّفِهِ إِلَى حُجَّةٍ وَلَا أَمْرٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « عَلَا عَلَيْهِ » .

(٢) بَيْنَ هَذِهِ السَّكَلَةِ وَسَابِقَتِهَا بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ بِقَدْرِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

من النبي صلى الله عليه وسلم ثم يُطبق^(١) جميعُ الخلق في ذلك على السُّكوت والرضا والاستحسان أكثر مما صارُوا إليه .

هذا وبنو عبد منافٍ شهودٌ ، وخالد بن سعيد^(٢) قد تركَ بيعته ستة أشهر ، وقال : أرضيتُ معشرَ بني عبد مناف أن يَكلىَ عليكم رجلٌ من تيم ؟! وقال أبو سفيان بن حربٍ مثلَ ذلك . وقالت الأنصار : مِنّا أميرٌ ومنكم أمير . وقد سمع أبو قُحافة رجلاً وهو بكّة ، وهو مكفوف ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : مات النبي صلى الله عليه وسلم قال : فما صنع الناس ؟ قالوا : أقاموا ابنك . قال : فرضيتُ بنو عبد منافٍ بذلك ؟ قالوا : نعم : قال : وبنو المغيرة ؟ قالوا : نعم . قال : فلا مانعٌ لما أعطى الله ، ولا معطى لما منع^(٣) .

١٠

وفي إطباق الجميع على السُّكوت عن التخلُّف نعيته ، مع قول خالد وأبي سفيان ، دليلٌ على أنهم لو وجدوا غمزةً أو خلافاً أو معصيةً لم يدعُوا الاحتجاج به ، والخوض فيه . ولو كانت البقية قطعهم عن ذلك لقطعتمهم عن ذكر الطعن في إمامته ، كما قطعتمهم عن ذكر الطعن في تخلُّفه .

١٥

وفي رضا أسامة وتسليمه وسكوته وقناعته حتى لا يحكي عنه في ذلك كلمة واحدة ، دليلٌ على ما قلنا .

فإن قالوا : إنَّ أسامة قد عَرَفَ صنيعه في تخلُّفه ولكنه كان في تيمية منه ، لأنَّ أبا بكرٍ لو لم يكن هو المطاع في العوام ، والمقنع

(١) في الأصل : « ثم يلجأ في يطبق »

(٢) خالد بن سعيد بن العاص .

(٣) في الأصل : « معطى » .

في الدهاء ، ماتقدّم بنى عبد مناف وكان أسامة لا يستطيع أن يُبدى
في دهرٍ عمرٍ من ذلك شيئاً ، لشدةِ عُمرٍ في تعظيم أبي بكر ؛ لأنَّ
الطَّعنَ في أبي بكرٍ راجعٌ على عمر ، وأن رعيةَ عمرَ هم رعيةُ أبي بكر
و كذلك كان أسامةُ في دهرِ عثمان ، لأنه نسقٌ واحدٌ وسبيلٌ واحدة .

٥ قيل لهم : فما منعه أن يتكلمَ في دهرٍ علىٍّ ومع علىٍّ يومئذٍ مائة
ألف سيفٍ يُطيعه . وهل عندكم في أسامة أكثرُ من أن تدعوا على
ضميره غيرَ ما يدلُّ عليه ظاهرُ عمله ؟ ! وإنَّ أولى الناسِ ألاَّ يحتجَّ
بأسامة لأنتم ؛ لأنَّ أسامةَ هو الشاهد لطلحة على علىٍّ ، حين قال علىٌّ :
بأيمتني ونكثت بيعتي . قال طلحة : « بأيمتك واللاج على قفَى^(١) » .
١٠ واستشهد أسامة ، فقال أسامة : أمّا السيفُ على قفاه فلم أره ولكن
بائع وهو كاره . في أمورٍ كثيرةٍ تدلُّ على أن أسامة كان عمرياً ،
ليس هذا موضع ذكرها . فهذا هذا .

وفي إطباقهم جميعاً يدعونه خليفة رسول الله من تلقاء أنفسهم ،
لا مكرهين ولا مقهورين ، لم يُرفع عليهم سوطٌ ولا سُهر^(٢) سيف ،
١٥ ولا سَمِعُوا وعيداً ، ولا رأوا لذلك أثراً ، ولا رأوا منه إمرةً لبعض
المشائِر ، فيخافون أن يتقوى بهم عليهم ، مع كثرة العدد واختلافِ
الأنساب وتفرُّق الأهواء ، و [في] الذي قبله ، دليلٌ على ما قلنا ، وحجّة
على الذي ادّعينا .

(١) الراجح : السيف . قال ابن سيده : وأظن أن السيف إنما سمي لجا في هذا الحديث وحده .
٢٠ قفى ، أى قفاى . وحى لغة هذيل ، يحملون ألف القصور ياء عند إضافته للياء ، ومنه قول
أبي ذؤيب :

سابقوا هوى وأعناقوا لهواهم فتخروا ولكل جنب مصرع
أى هوى . وانظر الطبرى ٥ : ١٧٤ ٢٠٤ في حوادث سنة ٣٦ .
(٢) في الأصل : « ولا يشهر » .

ومما يُقَرَّب من قولنا قولُ النبي صلى الله عليه : « أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ » . فقد يعلم المستدلُّ أَنَّ النبي صلى الله عليه إنما قَصَدَ بذلك الأمر في خاصَّته والمُطَاعِينَ ، لأنَّ قولَه : « أَنْفِذُوا » دليلٌ أنَّه قد كان هناك مَنْ ينفِذُ أمرَه ، وإليه قَصَدَ بالأمر مُقَنَّنِينَ^(١) غير سَاخِطِينَ .

ولو كان الأمرُ إنما كان لأُسَامَةَ وأصحابه كان اللفظُ على غير هذا .
فإذا كان ذلك كذلك فَمَنْ أَوْلَى بَأْن يكون من المُخَاطَبِينَ المُطَاعِينَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَخَلِيلِهِ^(٢) وَصَفِيَّهِ ، على ما كتبتُ لك في كتابي هذا ، مع أَنَّا لم نبلِّغْهُ ولم نَسْتَقْصِه ، إمَّا بالخوفِ مِنَّا والكرَاهَةِ لِإِطَالَةِ الْكِتَابِ ، وإمَّا بالتقصيرِ مِنَّا في معرفةِ جميعِ محاسنه .

ووجهُ آخر : أَنَّكَ لو جَهِدْتَ أَنْ تَجِدَ لِحَدِيثِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ١٠
كان في جيشِ أُسَامَةَ أصلاً لم تَجِدْ ، وإِنَّمَا أَتَى عَامَةً ذَلِكَ^(٣) مِنْ قَبْلِ كَوْنِ عُمَرَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ ، لأنَّ عُمَرَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ^(٤) كَانَا مِنْ أَوَّلِ مَنْ انْتَدَبَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ .

ولمَّا كان النَّاسُ كَثِيراً مَا يَرَوْنَ عُمَرَ يَجْرِي مَعَ أَبِي بَكْرٍ غَلِطُوا فِي ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ، حَتَّى جَرَّ ذَلِكَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِرَارَ عُمَرَ يَوْمَ أَحُدَ ، ١٥
فَقَالَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ : وَفَرَّ يَوْمَ أَحُدٍ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . وموقفُ أَبِي بَكْرٍ وَالتَّغَرُّ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فِي يَوْمِ أَحُدٍ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَطْمَسَ عَلَيْهِ جَاهِدُ .
ومن ذلك أَنَّ عُمَرَ كَانَ فِي جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَأَلْحَقُوا بِهِ أَبَا بَكْرٍ .

(١) مقننين ، أى راضين . أفنعه الشيء : أَرْضَاهُ . وفي الأصل : « مقننين » .

(٢) في الأصل : « وخاله » .

(٣) في الأصل : « عامه في ذلك » .

(٤) في الأصل : « وابن عمه » . وانظر عيون الأثر ٢ : ٢٨١ وامتاع الأسماع ١ : ٣٧٠ .

وإنَّ أبَوْا إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ فَالْجَوَابُ عَلَى مَا قُلْنَا .
فإنَّ قَالُوا : قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكُمْ ، وَلَكِنْ مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ ؟

قُلْنَا لَهُمْ : إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ مَأْمُورًا بِالصَّلَاةِ فَقَطْ ، وَلَكِنَّهُ صَلَّى
بِالنَّاسِ سَبْعَ عَشْرَةَ صَلَاةً إِلَى أَنْ تُوَفِّيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ
أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَدَى^(١) يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتِينَ بَقِيَّتًا مِنْ صَفَرٍ ،
وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ ربيعِ الْأَوَّلِ . وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ عِنْدَهُمْ .
وَزَعَمَ أَصْحَابُ السَّيَرِ وَالْأَخْبَارُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُ بِالْأَذَانِ
بِالْأَذَانِ ، فَإِذَا وَجَدَ إِفَاقَةً خَرَجَ يَصَلِّي بِالنَّاسِ ، وَإِنْ اشْتَدَّ مَا بِهِ قَالَ :
« مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ يَصَلِّي بِالنَّاسِ » ؛ فَكَانَ النَّبِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ يَصَلِّيَانِ عَلَى
هَذِهِ الصِّفَةِ .

فإنَّ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَصَلِّيَ
و [اَدَّعَوْا^(٢)] أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا بَاطِلٌ ، وَأَنَّ الْعِلَّةَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ
كُلُّهَا لَمْ تَمْنَعْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ حَتَّى مَاتَ .
قِيلَ لَهُمْ : أَرَأَيْتُمْ هَذَا الَّذِي قُلْتُمُوهُ وَادَّعَيْتُمُوهُ ، أَشَيْءٌ اسْتَخْرَجْتُمُوهُ
أَوْ سَمِعْتُمُوهُ ؟

وإنَّ زَعَمُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا قُلْنَا لَهُمْ : فَأَتُوا بِفَقِيهِ وَاحِدٍ أَوْ مُحَدِّثٍ يَقُولُ
كَمَا نَقُولُونَ ، وَيَحْدِّثُ كَمَا تَزْعُمُونَ ، وَجَمِيعٌ مَا يُدَّعَى بَاطِلٌ .

(١) فِي عِيُونِ الْأَثَرِ ٢ : ٢٨١ : « فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ بَدَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ فَنُحِمَ وَصَدَعَ » .

(٢) يُمَثِّلُ هَذِهِ التَّكْمِلَةَ يَتِمُّ الْقَوْلُ .

وإن كَانَ إِذَا اعترضوا المحدثين والناقلين لم يجدوا أَحَدًا إِلَّا وهو يُخبر بما قلنا فالحقُّ أحقُّ أن يتَّبَعَ . ولا يجوز أن يقولوا : إِنَّا استخرجنا معرفةَ هذا المعنى ؛ لأنَّ الاستخراجَ لا يكون إِلَّا من عِيَانٍ أو خبر .

أو ليس قد كَانَ النَّبِيُّ موضوعًا على سَريره حين زَاغَتِ الشَّمْسُ يوم الاثنين إلى حين زَاغَت من يوم الثلاثاء ، يَصَلِّي النَّاسُ عليه وهو على شَفِيرِ قَبْرِهِ^(١) وَأبو بكر يَصَلِّي بالناس ؟ !

فإنْ أَتَوْا بِمحدثٍ واحدٍ أَنَّهُ صَلَّى بالناس في غير ذلك الوقت غيرُ أَبِي بَكْرٍ فالقول كما قالوا . وإنْ أَتَوْا بِمحدثٍ واحدٍ أَنَّهُ صَلَّى بالناس غيرُ أَبِي بَكْرٍ أَوَّلَ صلاةٍ صلاها المسلمون [حينَ] اختلفوا في تأمير الأُمراء واستخلاف الخلفاء عليهم ، كما قالت الأنصار : منا أَمِيرٌ ومنكم أَمِيرٌ ١٠ فالقول كما قالوا .

وهل يستطيعون أن يزعمُوا أَنَّهُمْ قالوا : مِنَّا مصلٍّ ومنكم مصلٍّ . والعجب^(٢) كيف لم يقولوا : إِنَّ عَلِيًّا لم يزلْ هو المصلِّي بالناس ، والمأمور بالصلاة ، فغُصِبَ حقُّه وظلم مقامه ؟ ! ١٥

وكيف يجوز أن يجيء رجلٌ من أرضه وسمائه من غير نسب ولا سبب ، حتَّى ينفذ من أشرف المقامات ، بحضرة القراة والعشيرة ، من عمِّ وابن عم ، وقريب ونسيب ، ورجلة المهاجرين والأنصار ، والعظماء ورعية قریش ، ودَهْمَاء العرب ، ثمَّ لا يتكلمَ في ذلك رجلٌ واحد ؟ ! فإِنَّمَا

(١) في إمتاع الإسماع ١: ٥٥١ : « فصلى عليه وسريره على شفير قبره » .

(٢) في الأصل : « ولا عجب » . ٢٠

يقول هذا مَنْ لا يعرف قَدَرَ ذلك المقام في الصُّدور ، وكيف طبائع قريش وأنفة العرب .

فإن قالوا : كيف يكون أبو بكر إماماً ولم يجتمع المسلمون على إمامته والرضا به ؟ ! وقد قالت الأنصار : منّا أمير ومنكم أمير ، وقال سلمان : « كَرْدَاذُ وَنَسْكَرْدَاذُ ^(١) » . وقال خالد بن سعيد : أرضيتُم معشر بني عبد منافٍ هذا . وقال أبو سفيانُ بنُ حربٍ مثلَ مقالته ، وخرجَ الزُّبيرُ بسيفه شاداً ^(٢) ، فلما رآه عمر قال : دُونكم الكلب . وجلس على [في] منزله واعتلَّ بأنه آلى ألاَّ يبرَحَ حتَّى يجمع القرآن .

قيل لهم : ليس الأمر على ما تقولون . ولو كان الأمر على ما تقولون ١٠ ما كان خلافُ هؤلاء ناقضاً لأمره ، لأن الرجل إذا كان أفضلَ الناس وأكملَه وأنفعَه للمسلمين وأردَّه عليهم ^(٣) ، فعليهم إقامتُه والتَّسليم له ، والرضا به ؛ لأنَّ كلَّ ما عدتُ لك من فضله هم كانوا أعلم به ، إذ كانوا يُسافرون معاً ويُقيمون معاً ، وكانوا أغنى بمعرفة الخَيْر ، وأسرعَ إلى العلم به منّا ومن أهل دهرنا .

ولو كان أبو بكرٍ تنقِضُ إمامتُه ، وكان عليه اعتزال ذلك المقام ، ١٥ بخلاف ^(٤) رجلٍ أو رجلين أو ثلاثة ، كان أولى الناس بأن يكون له في الإمامة

(١) كلمتان فارسيتان معناهما « صنعتم ولم تصنعوا » . كرداد بمعنى التشييد والتأسيس وإقامة الشيء . والنون علامة للنفي في الفارسية . انظر ماسيأتى في الكلام ص ١٧٩ وكذا معجم استينجاس ١٠٢٢ .

(٢) في الأصل : « شادا » . وفي الطبري ٣ : ١٩٨ : « مصلتا بالسيف » :

(٣) أى أكثرهم نفعاً . وفي اللسان : « هذا الأمر أرد عليه ، أى أنفع له » .

(٤) في الأصل : « خلاف » . وانظر ماسيأتى في صفحة ١٧٧ .

سببٌ ولاحقٌ ومتعلقٌ علىَّ بن أبي طالب ، لأنَّ^(١) سعد بن أبي وقاص كان أحد الشورى وأحد الأَكفاء ، وقد أباه وقال قولاً أبين من قول خالد وأبي سُفيان وسلمان ، قال : « ما أنا بقميصي هذا أحقَّ مِنِّي بها ، أعيدوها سُورَى ، أمّا بالسيف فلا أريدُها » . وقال لرسول عليٍّ حين أرادوه على بيعته : ثكلتُ أمَّ لم تلدني ، لئن كنتُ سادسَ ستَّةٍ ما لنا طعامٌ إلَّا ورَقُ البَشَامِ ، ٥ وقد جاءني أعرابُ الأوس تعلمني دينَ الله ؟ ! في كلام كثير^(٢) .

وخالفه طلحةُ والزُّبير وهما شريكاه ، وأحدُهما فارس النبي صلى الله عليه ، والآخر وقايتيه ، فقال عليٌّ : بايعتاني ؟ قال : الزُّبير : ما بايعتكَ قطُّ ، إن كنتَ علي يقين أنَّكَ أولىُّ بها فاجعلها سُورَى ، بيعه وحقَّ دعواكَ من باطله^(٣) .

١٠

وقال طلحة : « بايعت واللَّجَّ على قَفَى^(٤) » حين رَقَى^(٥) إليه المساكر وطعنت عليه عائشةُ واستحلَّت محاربتَه . ثمَّ اجتمع على حربِه أهلُ الشام قاطبةً فيهم عبد الله بنُ عمر ، وكعب بنُ مَرَّة البَهْرِيُّ^(٦) ، وكان من فضلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال حيث قال النبي صلى الله عليه : « ستكون فتنةٌ هذا فيها يومئذٍ على الحقِّ » ، وأوماً إلى رجلٍ مَقْنَعٍ ، ١٥ فكشف عن رأسه فإذا هو عثمان ، فلمَّا قُتِلَ عثمان وهو يكفُّ عن القتال استنصر ، فكان يحدث هذا الحديث .

٢٠

(١) في الأصل : « ولأن » .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٥٩ .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) انظر ماضى في ص ١٦٨ .

(٥) كتبت في الأصل : « رقا » .

(٦) الإصابة ٧٤٢٨ .

ومنهم وائلة بن الأسقع الليثي ، وله صحبة ونُسك^(١) ، والمُعَمان بن بشير ، ومُسْلَمَة بن مَخْلَد ، وحبيب بن مسلمة ، وذو الكَلَّاع ، ومُعاوية ابن حُدَيْج^(٢) .

ومن التابعين أبو مسلم الخولاني ، وشُرَجْبِيل بن السَّمْط ، وعمرو بن وافر الغامدي^(٣) الذي قال [فيه] مكحول : كأنه قد مات ودخلَ القَار وحُوسِب^(٤) ثم رُدَّ إلى الدنيا ، فمعه خوفُ المجرب .

ثم خالف عليه خاصَّةُ إخوانه ونُسَّاك أصحابه ، وأهل البصائر من جُنْدِه وحمدت^(٥) حتَّى أكَفَرُوهُ وخَلَعُوا^(٦) إمامته وولايته .

وفيهمْ مع نسكهم وجِدَّهم نَفَرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم فروة بن نوفل الأشجعي ، وخرقوص بن زهير . وفيهم من التابعين مثلُ رئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي ، وزيد بن حصن الطائي^(٩) .

ولقد دعا مُحَمَّد بن مَسْلَمَة إلى عَوْنِه ، واعتَضَّ آخِذاً بسيفه ، ثم كسره وقال : أَضْرَبُ الْمُسْلِمِينَ بِسَيْفٍ ضَرَبْتُ بِهِ الْكَافِرِينَ ؟ !

١٥ (١) الإصابة ٩٠٨٨ وصفة الصفوة ١: ٢٨٠ . والأسقع بالقاف .

(٢) الإصابة ٨٠٥٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٨: ١١٥ .

(٤) وردت هذه الكلمة في الأصل في نهاية هذه الفقرة .

(٥) كذا في الأصل .

٢٠ (٦) في الأصل : « وجعلوا » .

(٧) الإصابة ٢٨٨٧ وذكر أنه كان عامل عمر بن الخطاب . قال ابن حجر : « وقد قدمت غير مرة أنهم كانوا لا يؤثرون في ذلك الزمان إلا الصحابة » . ولم يذكره بذلك في تهذيب التهذيب

فدعا زيد بن ثابت إلى عونه فأبى وقال : أنت والله تعلم أن لو شحنا أسد فاه^(١) لألقمته كفى دُونَكَ ؛ فأما أن أضرب بسيفي لأؤكد لك مُلكاً فلا .

ودعا عبد الله بن عمر فقال حين أراده على بيعته : إني لن أنزع يدي من جماعة وأضعها في فرقة . وكذلك قال حين قيل له بعد ذلك : ٥
لما بايعت أخاك عبد الله بن الزبير . قال : إن أخي وضع يده في فرقة ، وإني لن أنزع يدي من جماعة وأضعها في فرقة .

وطعن عليه سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعلى طلحة وقال : « فتنة عمياء يخبط أهلها » . قال طلحة : ابن عمك كان أعلم بي وبك حين جعلني في الشورى وأخرجك منها . قال : إن ابن عمي خانك وأمنني . ١٠

ودعا^(٢) إلى بيعته وعونه أسامة بن زيد فقال : إني إذن لمفتونا وأسامه هو الذي كان طلحة استشهده على قوله : « قد بايعت والنج على قفى » فسئل أسامة عن ذلك ، فكلمه طلحة بكلام غليظ .

وقول صهيب أيضاً ، وسامة بن سلامة بن وقش ، كل هؤلاء السبعة [ما منهم ^(٣)] إلا من شهد بدرًا . ١٥

وزعم ابن سيرين والشَّعْبِيُّ أَنَّهُمَا قَالَا : وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله أكثر من عشرة آلاف ، فقال : فما يمدُّون من خف فيها عشرين رجلاً . فسميّا حرب عليّ وطلحة والزبير وصفيّ فتنة .

(١) شحا فاه يشجوه ويشجاءه : فتجه .

(٢) في الأصل : « ودعاك » .

(٣) بمثلها بلثم الكلام .

وكما قال الشَّعْبِيُّ : من حَدَّثَكَ أَنَّهُ شَهِدَ الْجَمَلَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا أَكْثَرُ
مِنْ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ فَكُنْ بِهِ . كَانَ عَلِيٌّ وَعُمَارُ فِي نَاحِيَةِ ، وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ
فِي نَاحِيَةِ .

وقد تعلمون أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ عُمَانِيٌّ إِلَّا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْكَرٌ
لِإِمَامَتِهِ . وَهُمْ أَكْثَرُ عِدَدًا وَأَكْثَرُ فَقِيهًا وَمُحَدِّثًا . وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ
مِنْ أَصْحَابِ الْآثَارِ يُظَنُّ بِهِ التَّشْيِيعُ فَيُتْرَكُ وَيَضَعَفُ وَيُتَّهَمُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ،
حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَطْوِيهِ وَيَسْتُرُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتُرُ السُّوءَ يَكُونُ بِجُلْدِهِ .

فَلَوْ كَانَ الْفَاضِلُ السَّامِلُ تَذَقُّضُ إِمَامَتِهِ وَتَفْسُدُ عَدَالَتُهُ مِنْ قَبْلِ خِلَافِ
أَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَةٍ ، لَمَا كَانَ فِي الْأَرْضِ أَشَدُّ انْتِقَاصًا مِنْ إِمَامَةِ عَلِيٍّ .

١٠ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : إِنَّ الْأَنْصَارَ قَالَتْ لِقُرَيْشٍ وَالْمُهَاجِرِينَ : مَنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ
أَمِيرٌ ! فَهَذَا إِلَى أَنْ يَكُونَ حُجَّةً عَلَيْكُمْ أَقْرَبَ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ لَوْ كَانَ أَقَامَ عَلِيًّا وَجَعَلَهُ خَلِيفَةً وَوَصَّيًّا وَنَصَّ عَلَى ذَلِكَ بِغَيْرِ خُفٍّ ،
أَوْ فِي بَعْضِ الْمَغَازِي ، مَا كَانَ بَلَغَ مِنْ حَرَبِهِمْ ^(١) وَعُنُودِهِمْ أَنْ يَقُولُوا هَذَا
السَّكَّامَ وَالْإِمَامَ قَائِمَ الْحُجَّةِ ، مَعْرُوفَ السَّكَّانِ .

١٥ وَكَيْفَ جَازَ أَنْ يُلْغَوْا ذِكْرَهُ حَتَّى لَا يَذْكُرُونَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ مُخَاطَبَاتِهِمْ
وَمُنَازَعَاتِهِمْ ، إِلَّا وَالْقَوْمُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِيهِ عَهْدٌ وَلَا سَبَبٌ . فَهَذِهِ
حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ .

وَأُخْرَى : الَّذِي رَأَيْنَا مِنْ قَلِيلَةٍ مِبَالَتِهِمْ مَنْ أَقَامَهُ الْمُهَاجِرُونَ كَائِنًا
مِنْ كَانَ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ : مَنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، قَوْلُ قَوْمٍ كَأَنَّهُمْ قَالُوا :

لا بدّ لنا معشرَ الأنصار من أميرٍ على حال ، وأنتم بَعْدُ أعلمُ بشأنكم
فأمّروا عليكم مَنْ بدا لكم . وليس في هذا طعنٌ على خاصّة أبي بكر ،
كما أنّه ليس فيه تأكيدٌ لإمامته دون غيره .

وهذا قولٌ كان من نفرٍ من الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، قبل أن
يقومَ فيهم أبو بكرٍ خطيباً وواعظاً ، ومبيناً ومحتجاً . فلا يستطيع أحدٌ ٥
أن يقول : إنَّ أحداً منهم ردّ على أبي بكرٍ خاصّةً كلمةً واحدة . فليس
في قولهم : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، خلافٌ على أبي بكرٍ ؛ وإن كان خلافاً
فإنّما هو على الجميع .

وإن كان هذا الكلامُ منهم حجةً ما كان إلّا على مَنْ زعم أنَّ
الإمامة غير واجبة ، أمّا على مَنْ زعمَ أنّها لأبي بكرٍ دونَ عليٍّ فإنّها ١٠
غير لازمة .

ولعمري لو كان القوم حيث قالوا : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ قالوا :
ولا يكون أميركم إلّا عليٌّ أو فلانٌ أو فلانٌ ، أو قالوا : الرأى لكم
أنّ تجعلوا أميركم عليّاً أو فلاناً أو فلاناً ، كان في ذلك ما يتعلق به
متعلق ، ويشغّب به شاغِب . وهذا مالا يحتج به عالمٌ ، لأنّ الحجة فيها ١٥
للافضة ألزَم ، وعليها أوكد .

أمّا قولهم أن سلمان قال ما قال^(١) ، فإنّما سلمان رجلٌ من عُرُض
المسلمين ، لا يصلح أن يكون خليفة ، ولا يجوز أن يكون في الشورى
ومع الأكفاء ، فتنتقص به مريّة أو تبرّم به ؛ لأسباب :

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٢ .

منها أنه ليس من المهاجرين ، ولا ممن شهد بدرًا ولا أحدًا ، ولا لقي في الله مالتق نظراؤه عند الناس كبلالٍ وصُهيْب ، وخَبَّابٍ وعمار ؛ ولا كان من الذين آوُوا ونَصَرُوا ، وذُكِرُوا في القرآن وقُدِّمُوا .

وكان حديث الإسلام قليل المشاهد ، وإنما أسلم حين انحسرت الشدة وانكشف عنهم معظم الكربة ، ولكنه كان من الصالحين ومن الفضلاء ٥
الخلصين ؛ وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم وجهها ، وعند خلفائه مقربًا . وقد قال النبي فيه قولاً حسناً ، ولكنه ليس من الأكفاء في الإمامة وموضع الشورى والخلافة ، فيكون قوله حجةً تنتقض به الإمامة ، وطعته عليه يصرف الخلافة .

١٠ ثم آخر : أنا قد وجدناه وليَ لعمر بن الخطاب على المدائن ، يُقيم له الحدود ويحجى له الخراج ، ويدعو له على المنبر ، ويؤكد له خلافته ، وينفذ أمره ، مطيعاً غير مكره ، ومُخَلَّى غير مقصور ، فولايته لعمر دليلٌ على تصويب أبي بكر ، ومطيعٌ عمرٍ أذعن لأبي بكر ، ومعظمٌ عمرٍ أشدَّ تعظيماً لأبي بكر .

١٥ ولقد كان يخرج آذنُ عمرٍ والناسُ بيابه فيجمله في الفوج الأول . حتى روى عن أبي سفيان بن حربٍ وسهيل بن عمرو في ذلك كلامٌ مشهور : من ذلك أنهم كانوا يباب عمر في جِلَّةٍ من قریش والعرب ، مثل عينة بن حصنٍ وغيره ، إذ خرج آذنُ عمرٍ فقال : أين بلال ؟ أين سلمان ؟ أين صُهيْب ؟ أين عَمَّار ؟ ادخلوا . فتغيَّرت وجوههم واستبان الجزعُ فيهم ، فاقبلَ عليهم سهيلُ بن عمرو واعظاً ، ومُعرباً^(١) ومذكراً ،

(١) التعريب : التبيين والإيضاح .

فقال : دُعُوا وَدُعِينَا ، فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأْنَا ، [وَلَئِنْ حَسَدْتُمُوهُمْ ^(١)] عَلَى بَابِ
عَمْرٍَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَعْظَمَ .

فَمَا فِي الْأَرْضِ عَاقِلٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْذَنُ لِسَلْمَانَ قَبْلَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ
وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَيُوَلِّيهِ بِلَادَ كَسْرَى وَآلَ كَسْرَى ، وَسَلْمَانُ عِنْدَهُ
ظَنِينَ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَنَاقِمٌ عَلَيْهِ .

٥

وَقَدْ بَارَكَ عَمْرٌو أَبِي بَكْرٍ ^(٢) ، فِي خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، حِينَ
عَقَدَ لَهُ عَلَى أَجْنَادِ الشَّامِ ، لِكَلِمَتِهِ الَّتِي كَانَتْ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ ،
حَتَّى عَزَلَهُ .

فَكَيْفَ يَحْتَمِلُ سَلْمَانُ الطَّعْنَ وَالْخِلَافَ ثُمَّ لَا يَرْضَى لَهُ إِلَّا بِالْوِلَايَةِ
عَلَى بِلَادِ كَسْرَى ، وَسَلْمَانُ لَا يَجْرِي عِنْدَ عُمَرَ مَجْرَى خَالِدٍ وَلَا قَرِيبًا ؟ ١٠
فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ سَلْمَانَ لَمْ يَقُلْ : « كَرْدَاذُ وَنَكْرَدَاذُ ^(٣) » . وَإِنْ
كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حَقًّا كَانَتْ تَرْجُمُهَا بِالْعَرَبِيَّةِ : صَنَعْتُمْ وَلَمْ تَصْنَعُوا .
يَقُولُ : قَدْ أَقْتَمْتُ فَاضِلًا مُجْزِيًّا وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ .
وَأُخْرَى فَلَوْ كَانَ سَلْمَانُ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ قَدْ

(١) كَانَ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ ، وَأَثْبَتَهُمَا مِمَّا سَيَأْتِي فِي كَلَامِ الْجَاهِظِ فِي الْوَرَقَةِ ١٥
١٦٢ مِنَ الْمَخْطُوطَةِ . وَجَاءَ فِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ ١ : ٣٠٧ : « فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَمْ أَرْكَالِيَوْمَ قَطُّ
يَأْذَنُ لَهُؤُلَاءِ الْعَبِيدِ وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْنَا ؟ ! فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو — وَكَانَ رَجُلًا عَاقِلًا —
أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ أَرَى الَّذِي فِي وُجُوهِكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ غَضَابًا فَاغْضَبُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، دَعَى الْقَوْمُ
وَدَعَيْتُمْ فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأْتُمْ . فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا دَعَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَرَكْتُمْ ؟ ! أَمَا وَاللَّهِ لَمَا سَبَقُوكُمْ
إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ مِمَّا لَا تَرَوْنَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ فَوْتًا مِنْ بَابِكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَنَافَسُونَهُمْ عَلَيْهِ » .

٢٠

(٢) بَارَكَهُ : أَدَامَ لَهُ النِّشْرَفَ وَالْكَرَامَةَ .

(٣) انْظُرْ مَا سَبَقَ ص ١٧٢ .

استخلف علياً ونصبه إماماً وجعله وصياً لم يقل : صنعتم ولم تصنعوا ،
إلا أن قوله « صنعتم » تثبيت لإمامته ، فكأنه قال : هو إمام ، لو كان
غيره كان خيراً لكم منه . وليس على هذا بُني القول^(١) .

ولو احتج بهذا القول الزيدية كان أشبه من أن يحتج به الطاعن
في إمامة أبي بكر حين قال : ارتدَّ الناسُ كلُّهم عن الإسلام بإنكارهم
إمامة عليٍّ ، والتسليم لمن أنكر ، ما خلا أربعة نفر : سلمان ، والمقداد ،
وأبو ذرٍّ ، وبلال . ثم زعموا أن حذيفة وعماراً تابا بعد عمر .
ولئن كان بلالٌ كما قالوا من الطعن والخلاف على أبي بكر وعمر ،
لقد شاركهما حيث وليَّ لهما دمشق ، لأنَّ عمر كان وليَّ بلالاً دِمَشق ،
١٠ فكان أنفذَ لأمره من أبي عبيدة .

وكيف يكون بلالٌ طاعناً على أبي بكر وعمر حتَّى قد شهِرَ بذلك
من بين الخلق وعمرُ يوليّه ، ويقرّبه ويُدنيه ، ويقدمُ إذنه ، ويلحق
عطائه بعتاء عثمان وعليٍّ وطلحة والزبير وسعد ، ويقول : « بلالٌ
سيدنا ومولى سيدنا » ، ومرة يقول : « أبو بكر سيدنا وأعقَق سيدنا » .
١٥ ولا يجوزُ هذا القول من عمر من يجوزُ طعنَ بلالٍ على أبي بكرٍ ،
إلا جاهلٌ بعمر ، جاهلٌ بأمر السلطان ، وعزُّ الخلافة .

فأمَّا ذِكْرُهم المِقدادَ فما عَلِمْنَا ولا عَلِمَ أصحابُ الآثارِ أنَّه نطق
في خلافة أبي بكر وفي نقضها ، وفي خلافة عليٍّ وتوكيدها ، بحرفٍ
قطّ ، ولا وقفَ في ذلك موقفاً ، ولا قام في إنكاره [أ] وتثبيته مقاماً .
٢٠ وما ندرى : بأيِّ سببٍ ادَّعَوْه ؛ إلا أن يكونوا ذهبوا إلى إنَّ عليّاً رحمةٌ

(١) في الأصل : « القوم » .

الله عليه ربما كانت له الحاجة إلى النبي عليه السلام ، فيكبر النبي صلى الله عليه ويمظمه عن مواجهته بها ، فيكلف ذلك المقداد .

من ذلك حديث هشام بن عروة ، عن أبيه في الرجل إذا دنا من المرأة فأمدى ولم يمسها ، فاستحيا على أن يسأل النبي صلى الله عليه عن هذا من أجل ابنته ، فقدّم المقداد فسأله ، فقال النبي عليه السلام : ٥ « يغسل ذكره وأنثيته ويتوضأ » . وغير ذلك .

والأغلب علينا^(١) أن المقداد لم يزل مُتَنَكِّراً لعلّ ، لأن المقداد حين خطب ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله عليه ، بعث النبي إليها علياً بذلك يخبرها ، وأنه قد رضي لها ، فكره على ذلك فرجع إلى النبي صلى الله عليه ، وقال : رأيته كارهة . فأرسل النبي ١٠ إليها رسولاً فقالت : أولم أخير علياً أننى قد رضيت لنفسي بما رضيت به النبي ؟ ! فقام النبي صلى الله عليه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا علي قم فانظر من عن يمينك وعن شمالك ، واعلم أنه ليس لك فضل على أسودهم وأحمرهم^(٢) إلا بالدين » . فهذا قد رؤي ، والله أعلم . ولم يُرو عن المقداد الطعن على أبي بكر في خلافته ليؤكد بذلك ١٥ لعلّ شيئاً .

وأقل ما ينبغى للمتكلم أن يعرف فروق الأمور ؛ فإنه إذا عرف ذلك لم يتعلق من الأسباب إلا بأمته . فأما تجريد الباطل وكثرة الدعوى بلا سبب ، فهذا جهد العاجز .

(١) لعلها « عندنا » .

(٢) الأسود والأحمر : العرب والعجم .

ولربما تعلقوا بالسَّبب الضعيف ، كالذى وجدوا لعمَّار بن ياسرٍ من
عداوة عثمان ، وصنيعِ عثمان به ، فلمَّا كان عثمانُ عندهم في طريقِ عمر
وأبي بكرٍ وفي حَيِّزِها جعلوا طعنَ عمَّار عليه طعنًا عليهما ، واحتجاجَ
عمَّارٍ لعلِّي احتجاجًا عليهما .

ولو اجتهدت أن تصيبَ لعمَّارٍ موقفًا واحدًا أو كلمةً طاعنةً على
أبي بكرٍ وعمر وعثمان ، فضلاً عليهما قبل إحداثه ، وقبل أن يجري
بينهما ما جرى ، ما قدرت عليه .

وهل كان لعمر وال أنفذَ لطاعته من عمَّار ؟ ! ولقد رَفَعَ عليه
جريرُ بن عبد الله ، فجمَعَ بينهما طمعاً في ظهور حُجَّتِهِ ، والضحاح عن
نفسه (١) ، فلمَّا لم يجد ذلك عنده قال : ما عندنا خيرٌ لك يا أبا اليقظان .
ومن أجل ضعفِ عمَّارٍ في الولاية وقوَّةِ المغيرة حين شكاهما أهلُ
الكوفة قال عمر : « أعضلَ بي (٢) أهلُ الكوفة ، إن وليت عليهم تقيًا
ضعفوه ، وإن وليت عليهم قويًا فجروه » .

فإذا كان عمَّارُ يخطبُ على منبر الكوفة بتوكيد إمامة عمر ، ويأمر
الناسَ بطاعته ، ويقيم الحدود والأحكام بأمره ، ويفتح الفتوح بتأثيره ،
فيرى القتلَ والسَّبِيَّ وإحلالَ الفروج ، غيرَ مكرِهٍ بوعيدٍ ولا مقصورٍ
بإيقاع ، فأى دليلٍ أدلُّ مما حكيناه .

ولو أن طاعنًا طعنَ في طاعةِ سهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ،
وأبي أيوب الأنصاري ، وأبي مسعودٍ البدرى ، لعلِّي ، هل كان عندهم

(١) الضرح : الدفع .

(٢) في الأصل : « أعضاء » ، صوابه في اللسان (عضل ٤٧٩) .

٥

١٠

١٥

٢٠

في دفع ذلك إلا مثل ما عندنا من الدَّفْع عن طاعة سلمان وبلال وعَمَّار وأقل منه .

فأما أبو ذرٍّ فزعم أصحاب الآثار أنه كان يعظّم عمر بن الخطاب تعظيماً
ما عظّمه أحد قطّ . فمن ذلك أن عمر صاحبه يوماً فمصر^(١) يده وكان أيّداً ،
فصاح : يا قُفْل الفِتْنَةِ ! ومَسَحَ مِنْ وجهه العرق بباطن راحته ، وعمر
موعوك وهو يقول : بأبي رُحْضَاؤُكَ^(٢) لو قد مِتَّ صرنا هكدا — وشبّك
بين أصابعه — أوْجَعْتَنِي ! فخلّاه وقال : ما هذا ؟ فقال سمعتُ النبي
صلى الله عليه يقول : « لن تزالوا بخيرٍ ما كان هذا بين أظهركم » .
وقال عمرُ لشابٍّ : غَفَرَ اللهُ لك ! فقام إليه أبو ذرٍّ فقال : استغفر لي !
وهو حديثٌ فيه أمورٌ كثيرة .

ولو لم يجي عن أبي ذرٍّ من هذا قليل ولا كثير لكان حكمه الرضا
والتسليم ، إذ لم نر منه طعناً ، ولا رأينا له متوعداً .

ولو اعترضتم مائةً من أصحاب النبي صلى الله عليه فقلتم : إنهم كانوا
طعّانين على أبي بكرٍ مؤكّدين لخلافة عليٍّ ، ما كان عندنا في أمرهم
حديثٌ قائمٌ ، ولا خبر شاهدٌ ، أكثر من أن يحكم المسك عن الطعن
والخلاف هو الرضا^(٣) والتسليم .

ولقد ينبغي لنا ولكم أن نتفكّر في معنى كلمة سلمان^(٤) ، فقد

(١) في الأصل : « فمصر » .

(٢) الرضاه : العرق في إثر الحمى .

(٣) في الأصل : « والرضا »

(٤) انظر ما مضى في ص ١٧٢ .

أكثرتم فيها ، حيث قال صنعتم ولم تصنعوا ؛ ومعنى هذا الكلام : إنكم قد أقمتم مجزياً وتركتم من هو أجراً منه ، فيجب أن نعرف الخلل الذى لم يسدّه أبو بكر . . . (١) التى لم يبلغها ، والوضع الذى عجز عنه ، ما هو ؟ وأى ضرب هو ؟ إلا أن امتحن بما لم يمتحن به أحد قبله ، ولا يمتحن به أحد بعده ، من قيامه فى مقام رسول الله صلى الله عليه ، فى عقب الذى تعود المسلمون من طريقته ، وتعرفوا من سيرته فى نفسه وفى أمته ، ثلاثاً وعشرين سنة — وهى السيرة التى لا تحتاج إلى الإخبار عن فضلها ، والإطنا ب فى تشريفها — فلم يُغادر ولم ينحرف ولم يتغير ، ولم يؤرّر^(٢) ولم يضعف .

١٠ وقد علمنا أن الذى عظم صغير ما كان من أمر عثمان ، وشنع عظيم ما كان منه من الضعف وغير ذلك ، الذى كان من إفراط جلد عمر ، وشدة رأيه وشكيمته ، ويقظته وخشونته ، وثبات عزمه ، وحمليه نفسه على مذهب صاحبيه قبله . ولذلك قال عن بلال^(٣) : « ما قتل عثمان غير عمر » . فالفضل الذى بين النبي صلى الله عليه وأبى بكر أكبر وأظهر من فضل^(٤) ما بين عمر وعثمان . ولذلك قال عمر بن عبد العزيز : « ليس لله ستر أكتشف ولا أسبغ من ستره على الصديق حين لم يتكشّف إذ قام يعقب النبي صلى الله عليه » .

وقد تعلمون أن لو كان النبي غائباً عن المدينة فى غزاة ، أو حجة

(١) بياض بقدر كلمة فى الأصل ، لعلها « فى الأمور » .

(٢) فى الأصل : « ولم نور » .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) فى الأصل : « وفصل » .

وارتدَّت العربُ وانتقضت اليهود ، وظَهَرَ النِّفاقُ وماج الناس ، فوثبَ رجلٌ من عُرُض أصحابه ، فلم يَزَلْ باللَّين والشَّدة ، والكفِّ والإقدام ، والبَطْش والحيلة ، حتَّى رَدَّه في نصابه ، وأعادَه كأحسنِ عادته يَبْذُلُ النَّفْسَ فَمَا دُونَهَا ^(١) ، لقد كان صَنَعَ صَنِيعاً عظيماً ، وفعلَ فِعْلاً كبيراً . فكَيفَ بِرَجُلٍ قَامَ بِأَمْرِ الإِسْلامِ وقد هُتِّسَكَتْ أَسْتَارُهُ ، وَتَقَطَّعَتْ أَطْنَابُهُ ، وَمَرَجَتْ عَهْدُهُ ^(٢) ، منفردٍ ^(٣) بالرَّأْيِ غيرِ مُسْتَمِعٍ عَلَيْهِ ، ولا مُسْتَوْحِشٍ ^(٤) إلى غيرِهِ ، بل خالفه الجميعُ في صوابِهِ ^(٥) وما أَوْجَدَهُ الرَّأْيُ ، ودَلَّ عَلَيْهِ النَّظَرُ مِنْ عَزَمِهِ ، وقد أَبَى إِلَّا صِرَامَةً وَبَصِيرَةً وَثِقَةً ، والنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ماتَ غَيْرَ خَوْفٍ وَلَا مَتَوَقَّعٍ قُدُومِهِ ، فردَّ أَهْلَ الرَّدَّةِ قَاطِبَةً مَا بَيْنَ أَعْلَى الْحَيْرَةِ ، إِلَى شَجَرِ عُثْمَانَ إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ ، وَقَعَ ١٠ النِّفَاقُ بِالْمَدِينَةِ وما حَوْلَهَا ، وَقَتْلُ مُسَيْلَمَةَ واستفتحَ الْيَمَامَةَ ، وَأَسْرُ طُلَيْحَةَ ، ثُمَّ أَوْطَأَ خَيْلَهُ الشَّامَ ، وَجَنَدَ الْأَجْنَادِ ، وَمَنَعَ الْحُوزَةَ ، وَوَطَأَ الْأَمْرَ ، وَقَتَلَ الْمَدَوَّ بِكُلِّ مَكَانٍ . ثُمَّ لَمْ يَسْتَأْذِرْ بِدِرْهَمٍ ، وَلَمْ يَكُنْ دِينَاراً ، وَلَمْ يَخْلَفْ دِرْهَمًا ، وَلَمْ يَتَفَكَّرْ بِغَنِيمَةٍ ؛ وَجَعَلَ عَمَلَتَهُ مَرْدُودَةً عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ . وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ : « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ لَقَدْ شَقَّ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ » . ١٥

فَمَا الشَّيْءُ الَّذِي لَوْ كَانَ عَلَىٰ هُوَ الْقِيَمَ بِهِ كَانَ أَجْزَأَ مِنْهُ ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ . وَكَيْفَ يَكُونُ عَلَىٰ أَجْزَأَ مِنْهُ وَلَمْ تُغْلَقِ الْفُتُوحُ إِلَّا فِي زَمَانِهِ ، وَلَمْ نَكُنِ الْفَنُّ إِلَّا عَلَىٰ رَأْسِهِ ، وَلَمْ تَخْرُجِ الْخَوَارِجُ إِلَّا عَلَيْهِ . وَهَذَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَمَا دُونَهَا » .

(٢) مَرَجَتْ الْيَهُودُ : اخْتَلَطَتْ وَقِيلَ الْوَفَاءُ بِهَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَمَنْفَرِدٌ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَصَوَابُهُ » .

باب^(١) الكلام فيه على عليّ ، ولكنّا إذا فعلنا ذلك فقد دخلنا في الذي عبنا .

مع أنك لو طفت في الآفاق تطلب لكرّداز ونكرّداز^(٢) إسناداً^(٣) .
ولكنّا قد روينا أن سلمان قال : « أصبتم الحقّ وأخطأتم المَعِدِن »
ففرى أنّه إن كان قال هذا القولَ فإنّما ذهب إلى أنّ الأمر لو كان في
بيت النبي صلى الله عليه وعلى التّوارث الأقرب فالأقرب ، كان أجدر
ألا يطمع فيه ذوّ بان العرب ودُهاة العجم ، على غابر الأيام ، وتناول الدّهور .
وسلمان رجلٌ فارسيّ ، وهذا كان شاهد كسرى ؛ فتوهّم أن حكم
الكتاب والسّنة حكم تدير السرّ^(٤) والقائمين بالملك ؛ فإنّما تكلم على
عادته وتربيته . ١٠

ولعمري لقد كان في قوم قد ساسوا النّاس سياسةً ورتبهم ترتيباً ؛
يقطع عن الطمع في الملك بآيين^(٥) : لم يجعلوا للصّانع أن ينتقل عن
صناعته إلى الكتابة ؛ ولم يجعلوا للكتاب أن ينتقل من كتابته إلى القيادة ؛
ولم يجعلوا لأبنائهم إلّا مثل ما كان لأبائهم ؛ ليعودوا النّاس عادةً
يستوحشون معها إلى الخروج منها^(٦) . ١٥

وإنّما حسنَ هذا في مُلكهم إذ كان بالرّأي والغلبة ، ولم يكن لأهله

(١) كذا . ولعله « باب يكثر » أو « باب يتسع » .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٧٢ .

(٣) في الكلام نقص ظاهر ، تقديره « ما قدرت عليه » أو نحوه .

(٤) السرّ : القائد والرئيس ، فارسيته « سرّ » . وفي الأصل : « قدير السر » .

(٥) الآيين : القانون ، كلمة فارسية .

(٦) إنّما يقال : استوحش عنه ومنه : لم يأنس به .

أُمَثِّل من التدبير والحكم ، لم يكن شأنهم الأخذ بالكتاب والسنة ؛ وسبيلُ الإمامة غير سبيلُ الملك .

فإن كان سلمانُ إلى هذا المعنى ذهبَ ، وإيَّاه عني ، فإنَّما قوله حُجَّةٌ للعباسية لاللعولية .

وسنُخبر عن مقالة العباسية ووجوه احتجاجهم بعد فراغنا من
مقالة العثمانية ، بغاية ما يمكن من الاستقصاء ، وإنصاف البعض من
بعض ، لتكون أنتَ المختارَ لنفسك بعقلك ، والأقوئلُ ظاهرة
مُجَلِّيةٌ لهذهِ هنك ؛ فلئن أعجزَكَ الاختيار الأرجحُ بعدَ الكفاية إنَّكَ عن
استنباطه وتخليصه أعجزَ .

وقد ذكر هشيمُ ، عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال :
قال سلمانُ حينُ بُيعَ : « أُصِبتُم حينَ بايعتم وحيدَ الناس ، وأخطأتم حين
عزَلتموها عن أهل بيت نبيِّكم ، ولو وضعتموها فيهم لأكلتم رَغداً » .
وهذا حكمٌ من سلمان أنَّ أبا بكرٍ خير من عليٍّ ومن جميع الناس ،
والناس على خير الناس أصلحُ منهم على مَنْ دونهم .

وأخرى : أنَّ سلمانَ حينَ قال « كَرَدَاذ » كما زعمتم ، لو لم يكن
عندكم عظيمُ القدر نبيلُ الرَّأْي ، قدوةٌ عند الاختلاف ، لم تسمعوا قوله
بهذا المكان ، حتَّى صارَ مثلاً طَعَنه وخِلَافه ، ينقُضُ إمامة الأئمة ،
وتتخذونه على خصمائكم حُجَّةً .

وإنَّ كان سلمانُ على ما قد وصفتم ، وبالمكان الذي وصفتم ، من
الحكمة والبيان ، فما دعاه إلى أن يكلمَّ العربَ والأعرابَ بالفارسية ،
وهو عربيُّ اللسان فصيحُ الكلام ، وهو يعلمُ أنَّه لم يكن بحضرة المدينة
فُرْسٌ ولا مَنْ يتكلَّم بالفارسية ولا مَنْ يفهمها . وهو إنَّما أراد الاحتجاجَ
عليهم والإعذارَ إليهم ، وأن يقضى حقَّ إمامة عليٍّ ويقوم بشأنه .

وقد ينبغي لمن بلغ من صدق نيته وفرط اجتماع لُبِّه^(١) وشدة عزيمته أن يتكلم في دار التقية^(٢) لافي دار العلانية ، حتى خاطر بنفسه وبكل شيء يهوله ، ومن شأنه أن يفهم الحجة ، وبُوضَح الموعظة ، ويؤمن عن موضع المظلمة ، وإلا فسكوته^(٣) أحسن من الفارسية .

٥ وكيف فهمت معناه العربُ وهي لا تعرف^(٤) من الفارسية قليلا ولا كثيرا ، ولم يكن للنبي صلى الله عليه ترجمانٌ يعبر عنه للفرس فيكون ذلك الترجمان كان حاضرا لكلامه ، فيفسر للناس معناه .

١٠ وكيف نقلت عنه الصحابة إلى التابعين وكل من كان بحضرة القوم حين بايعوا أبا بكر لا يفهمون الفارسية ، ويكون سلمان حين تكلم بها استرابوا عندها فسألوه عنها ففسرها . ولو كان ذلك كذلك لحكاه الذين نقلوا الحديث ، فكان ذلك أحب إلى الروافض ، لأنهم إنما نقلوه ليعرفوا من كان الطاعن على أبي بكر . والطعن كلما كثرت فيه المراجعة والمناقضة ، وطال سببه ، وعرف علمه ، كان أدل على الشهرة والاستفاضة ، وأن الأمر كان حقاً معروفا . ١٥

فواحدة أن الأمر لو كان كذلك لكانت الروافض أسرع الناس إلى حكايته ، لتستشهد على الدعوى ، ولتقوى به الحديث ، وتشدد به الحجة .

(١) اللب : ما جعل في قلب الرجل من العقل . في الأصل : « له » .

(٢) بعد هذه الكلمة في الأصل ورقة بأكلها يبدو أنها فقت إلى هذا الموضع من نهاية

الكتاب فرددتها إلى موضعها هناك منها عليه . ٢٠

(٣) في الأصل : « وإلا بسكوته » .

(٤) في الأصل : « وهو لا يعرف » .

وثانية : أَنَّ الناقلين أنفسهم كانوا سيحكمونه ، إذ كانوا إِنَّمَا حَكَّوْا نفس السكِّمة ليعرفوا أَنَّهُ قد كان هناك خِلاف ، ويدُلُّونا على أَنَّ سلمانَ كان ممن خالف ، ومَنَّ له هذا القدرُ الرفيع الذي يُحتَجُّ بخلافه . وأخرى : أَنَّ ذلك لو كان قاله سلمان ، وهو طعنٌ على أبي بكر ، كان مشهوراً عند عمر وعثمان ، وأبي عبيدة وسعد وعبد الرحمن ، وهؤلاء عندكم شيعُ أبي بكر . فكيف أطبقوا على ترك التسكُّم على سلمان والدَّارُ دارُهم والحكم حكمهم ، ومعهم الرَّغبة والرَّهبة ، مع أَنَّ الجرأة^(١) على سلمان أيسر وأسلم مغبةً من الجرأة على أبي بكر . وقد أطبقت على طاعته الأمة خلا أربعة نفر : أحدهم سلمان . وليس سلمانُ معروفاً بالنَّجدة وشدة الشكِّمة ، ولا وراءه ظهرٌ يمنعه ، فكيف لم يزجره عن ذلك زاجر ، ولم يدفعه عن ذلك دافع . ولم ينظره مناظر ، ولم يتعجب منه متعجب ، ولم يرفع ذلك رجلٌ إلى أبي بكرٍ كما رفعوا إليه قول خالد ابن سعيد .

فإن قلت : إِنَّ أبا بكر كان مُدارياً يتسع صدره لأكثر من هذا كما اتسع صدره فلم يعاتب خالداً ولا أرادَه على بيعته . كيف سلم على حدة حكم^(٢) فأين جدُّ عمر وحده وقلةُ احتماله ، واعتقاده لمثل هذا ؟ وكيف [سلم] طلحةُ مع شدة باؤه^(٣) وصرامته . ولا نعلم شيئاً مما ادَّعَوْه أظهر باطلاً ، ولا أفسد معنى من قوله « كَرْدَاذ وَنَكْرَدَاذ » .

٢٠ (١) في الأصل : « الحرة » بالخاء ، في هذا الموضع ، وبالجميم في تاليه .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) البأو : الكبير ورفعة النفس .

وأما ما ذكرتم من ترك خالدبيعة أبي بكر ثلاثة أشهر فإن الذين نقلوا هذا هم الذين نقلوا أن خالداً يوم توفى النبي صلى الله عليه كان على صدقات اليمن ، فقدم بعد أن بايع الناس أبا بكر ، فلما دخل المدينة استقبله عثمان وعلي فقال لهما : أرضيتم معشر بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم ؟ فلم يذكر لنا أنهما ردّا عليه قولاً ، ولا أظهرهما قبلوه . ثم جلس عن بيعته لا يسأله ذاك أبو بكر ولا يدعو إليه ، فبينما هو كذلك إذ مر أبو بكر بدار خالد مظهر^(١) لبعض الأمر ، وخالد في داره ، فسلم عليه أبو بكر فقال له خالد : أتجيب أن أبايعك ؟ قال : أحب أن تدخل في صالح ما دخل فيه المسلمون . قال له خالد : موعدك العشيّة . فاتاه وهو على المنبر فبايعه .

ففي هذا وجوه من الكلام :

منه أن خالداً لم يطعن في إمامة أبي بكر من جهة الجزء^(٢) والكفاية والكمال والفضل ، ولا من طريق ما تفسد به الإمامة وتنتقض به الخلافة وإنما ذكر الحسب وطرائق^(٣) الجاهلية . وهذا الأمر إن كان مقصوراً في قوم^(٤) دون قوم ، فليس هو في بني عبد مناف عامة . وإن كان ليس [مقصوراً] في قوم ، وليس لقول خالد معنى ، فإن كان مقصوراً في عبد مناف للشرف أو للقربة ، فالعباس أولى بذلك من عليّ وجميع عبد مناف .

(١) أمى في وقت الظهيرة .

(٢) الجزء : الكفاية والفناء . وفي الأصل : « الحرو » .

(٣) في الأصل : « طرائق » .

(٤) في الأصل : « في قوم » .

ولو أراد علياً لم يقل : أَرْضَيْتُمْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ؟ ! لَأَنَّ عُمَانَ وَعَلِيَّاً
مَنْفِيَّانِ ، بَلْ كَانَ يَقُولُ : أَرْضَيْتُمْ مَعْشَرَ الْعِتْرَةِ ، أَوْ مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ
وَمَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ . مَعَ أَنَّهُ لَوْ قَالَ ذَلِكَ لَكَانَ لِلْعَبَّاسِ فِي ذَلِكَ
الْقَوْلِ مِنَ السَّبَبِ مَا لَيْسَ لِعَلِيٍّ ؛ لَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِنْ صَلَحَ أَنْ يُخْرَجَ
مَنْ رَهْطَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ دُنْيَا ، وَمَنْ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، إِلَى أَقْصَى ٥
بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، لَصَلَحَ أَنْ يُخْرَجَ إِلَى أَقْصَى بَنِي كَلَّابِ . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
كَذَلِكَ فَتَيْمٌ وَعَبْدُ مَنْفٍ سِوَاءٍ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ خَالِدًا لَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِنْ كَانَ
إِنَّمَا يُسْتَحَقُّ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْجُزْءِ (١) وَالْعَنَاءِ (٢) فَلَيْسَ لِدِكْرِ عَبْدِ مَنْفٍ مَعْنَى .
وَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ لِأَفْضَلِ قَرِيشٍ كَانَتْ مَن كَانَ فَلَمْ يَقُلْ خَالِدٌ شَيْئًا ، ١٠
وَلَيْسَ لِدِكْرِ عَبْدِ مَنْفٍ مَعْنَى .

وَإِنْ يَكُنْ هَذَا الْأَمْرُ فِي أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ فَلَمْ يَصْنَعْ خَالِدٌ شَيْئًا .

وَإِنْ يَكُنْ هَذَا الْأَمْرُ لِرَجُلٍ بَعِيْنُهُ قَدْ نَصَبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَدَلَّ
عَلَيْهِ فَلَمْ يَصْنَعْ خَالِدٌ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسِيرَ بِالْمَنْصُوصِ ١٥
أَوْ بِالْمَدْلُولِ عَلَيْهِ .

أَوْ يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ لَا يُصَابُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْوَرَاثَةِ . فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ
كَذَلِكَ فَلَمْ يَصْنَعْ خَالِدٌ شَيْئًا ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الْوَرَاثَةِ أَظْهَرَ أَمْرًا وَأَشْهَرَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْحُرُ » . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ١٩٠ .

(٢) كَتَبْتُ فِي الْأَصْلِ : « الْغَنَى » .

موضعاً من أن يحتاج إلى كلمة ليست بأن تدلّ عليه بأقرب منها من أن تدلّ على خالد نفسه .

✓ ووجه آخر : أنه قصد بكلامه إلى عثمان وعلى جميعاً ، ليهزّهما معاً ؛ لأن هذا اللفظ الأغلبُ على ظاهره حُبُ العصبية ، والمحاماة على الأحساب ، وترك التّخاير بالأفعال ، والتفاضل بالجزء^(١) والسكّال .

✓ ولعلّه أراد عثمان دون على ، أو لعلّه أراد نفسه والتذكير بها والتنبيه عليها ؛ فإنه كان أشرف من عثمان وأقدم إسلاماً منه ، وكان من مهاجرة الحبشة ، وكان ذا قدرٍ عظيم . وهو ابنُ أبي أُحَيحة^(٢) ، وكان أبو أُحَيحة إذا اعتمَّ بمكة لم يعمَّ بها أحد ؛ إكباراً لقدره ، ١٠ وتفضيلاً لحاله^(٣) .

وكان عثمان لا يحالى . . . سعيد بن العاصي .

وظاهر كلام خالد وقع على عبد منافٍ مُجَلّة ، وهو يرى أنه في السرّ منهم . فإن كنتم أردتم أن تُخبروا عن خلافِ خالد على أبي بكر وجلوسه عنه ، فلقد كان ذلك حتّى راجع من تلقاء نفسه ، وثاب إليه عازبُ رأيه ، فأناب إلى خطّته ، ودخل في صالح ما دخل فيه غيره . ١٥ وما كان تخلّفه عن بيعته إلّا ريثما ذهب عنه حميته ، وانجأ عن . . . وتيقّظ من نومه .

(١) في الأصل : « والمفاصل بالحرّو » .

(٢) أبو أُحَيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس . الإصابة ٢١٦٣ .

(٣) مما يشهد لذلك ما أنشده المبرد في السكّال ١٩٧ :

أبو أُحَيحة من يعمّ عمتّه يضرب وإن كان ذا مال وذا عدد

وما ذلك بأعجبَ من اجتماع الأنصار وقوله للمهاجرين الأولين :
 « مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ! » والدار دارهم ، والمهاجرون ضيفانهم وتزول
 فيهم ، وهم أولُ النَّاسِ والعدُّ والصَّلاحُ والرأى ، فكانوا مُجَلِّين^(١)
 جادِّين مجدِّين ، فما هو إلَّا أن هَجَمَ عليه الصَّدِيقُ وقام فيهم مُرشدًا
 ومحتجًا [حتى] استبدلوا بالخلاف طاعة ، وبالضَّجَّةِ إطراقًا ، وبالأَنفَةِ
 خضوعًا ، وبالطَّيَشِ حلمًا ، وأنصتوا معًا واستمعوا معًا .

وكانَّ السائلُ إنَّمَا أراد تعريفنا أنَّه كان من خالِدٍ خلافٍ . فقد كان
 ذلك ثم رجع إلى نفسه وعرف موضع خطئه ، غير مرغوب ولا مرهوب .
 وإن كان إنَّمَا أراد أن يجعل هذا وشبهه حُجَّةً في إمامة عليٍّ فليس
 لعلِّي رحمة الله عليه في ذلك من الحجَّةِ على إمامته قليلٌ ولا كثير ، ١٠
 إذ لم يذكره في شيء من أمورهم ، لا في يسير أمرهم ولا عسيره .
 ولو ذكره ما كان لذكرهم دليلٌ على أنَّه أولى بالإمامة من أبي بكر ،
 مهما عددنا عليك من خصاله التي لا يَفِي بها عليٌّ ولا غيره .

وإنَّمَا كان يكونُ هذا الإدخال حجة لو قلنا : إن أحداً لم يخالف
 أبا بكر .

ورضى الجميع وسكونهم وصوابهم^(٢) لم^(٣) يكن ليتهاأبداً ، حتَّى لا ينطق
 أحدٌ بحرف واحدٍ لا جاهل ولا عالم ، ولا عصيٌّ ولا حاسد .
 وكيف يَتَّفِقُ إطباقُهُم على سكونٍ واحدٍ والناسُ من بين حاسدٍ وراضٍ ،
 وعصيٍّ وتقيٍّ ، وحليمٍ وسخيفٍ ، وغالطٍ ومصيبٍ ، وعاقِلٍ وأحمقٍ ؟ !

٢٠

(١) التجليب : الصخب والتصويت .

(٢) في الأصل : « ولم » .

(٣) كذا في الأصل .

وإذا كان النبي صلى الله عليه مع راحته على جميع الخلق لم يسلم على أمته [من] المستجيبين له ، فضلاً على جاحديه والمنكرين له ، كان أبو بكر أجدر ألا يسلم من رعيته .

ولقد قام رجل إلى النبي صلى الله عليه فقال : والله يا محمد ما عدلت في الرعية ، ولا قسمت بالسوية . وقال الله : « ومنهم من يميزك في الصدقات ^(١) » وقال : « إن الذين يُنادونك من وراء الحجرات ^(٢) » .
وقال عباس بن مرداس :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عينة والأقرع ^(٣)
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع

١٠ في شعر له طويل .

وقال أبو حذيفة بن عتبة ^(٤) يوم بدر : يقتل أبناءنا وأعمامنا وينهانا عن عشيرته ^(٥) ، والله لئن أدركته لأججته بالسيف !

وخالفوا عليه في يوم الحديبية في نحر الهدى ، وحيث قالوا : « لا نعطي الدنية مرة بعد مرة » ، في أمور كثيرة .

١٥ فليس في طعن الطاعن دلالة إذا كان المطعون عليه كاملاً فاضلاً .

(١) الآية ٥٨ من سورة التوبة . وانظر تفسير أبي حيان ٥ : ٥٥ .

(٢) الآية ٤ من سورة الحجرات .

(٣) انظر الخزاعة ١ : ٧٣ . والعبيد : اسم فرس العباس . عينة بن حصن الفزارى .

والأقرع بن حابس المجاشعي التيمي . أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بعير وكان من المؤلفة قلوبهم ، وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها . ٢٠

(٤) الإصابة ٢٦٣ من باب الكفى ، والسيرة في مواضع كثيرة . وفي الأصل : « عيمه » .

(٥) في الأصل « عسره » ؟

وإجماع الناس كلهم على الصواب أمرٌ لا يقال ، ولكن إذا كانت الأمة قد أطبقت على طاعة رجل على غير الرغبة والرغبة ، ثم لم يكن اغتراراً ولا إغفالاً ؛ فليس في شدوذ رجل ولا رجلين دلالة على انتقاض أمره ، وفساد شأنه .

- ٥ . وليس يحتج بهذا وشبهه إلا رجلٌ جاهل بطبائع الناس وعملهم . ولو كان هذا وشبهه ناقضاً لإمامة أبي بكر ، كانت إمامة على أنقض وأفسد ؛ لأنّ الدنيا انكفت بأهلها عليه^(١) وماجت بساكنيها . . . من ولايته ، وتداعت من أقطارها ، تريد محاربته ، حتى لقد نازعه فيها من ليس في مثل حاله ولا شرف موضعه ؛ ولا في فضيلة دينه فناهضه الحرب ، ونازله القتال . . . بيعته ، والتج^(٢) عليه الخلاف من أهل طاعته ، وموضع الجد في عسكره ، فردّ بأسه في أصحابه ، وصرف كيده إلى جنده ، وجلس خلى الذرّع ، رضى البال ، [في] عجب الفاتن وسرور المخادع ، وعزّ المصيب ، وبأو الأريب^(٣) . ثم بعث رسولا قد اختاره بالحكم عليه وله ؛ وبعث خصمه رسولا قد اختاره بالحكم عليه وله ؛ فكان رسوله الخدوع ورسول خصمه المخادع ؛ ثم رجعت الأمور إلى ١٥ خصمه ، وانتزعت منه ومن ولده مرةً بالبطش ، ومرةً بالحيلة .

ثم كان يرى من خلاف أصحابه واضطراب جنده وتبديل أصحابه مثل ما يرى خصمه من طاعة خاصته ، ونصرة جنده ، وثبات عهد أصحابه ؛ فلم يكن ذلك عاراً عندنا ولا عندكم على على ، ولا دليلاً على نقص رأيه ،

(١) في الأصل : « على » .

(٢) التج : اختلط . في الأصل « والعج » .

(٣) البأو : السكر والفخر .

وضعف حَزْمُه ، وسَعَة علمه وكثرة فضله . وقد أصابه من الخلاف والتعذر وانتشار الأمر ، واضطراب الجبل ، وظفر الأعداء وشماتة الحساد ، ما قد رأيتم ؛ ثم قد جئتم تشبثون بطعن سلمان ، وقول أبي سفيان ، وقعود خالد ، كأنكم لم تعرفوا ما عند خصومكم ؛ غرارة ونقصا .

٥ وأعجب من هذا أنكم مرة تزعمون أن الذي حمل بني أمية على صرف الإمامة عن عليّ الضغن الذي في نفوسها ، والأحقاد التي في صدورها ، لقتل عليّ أبناءها وإخوتها وأعمامها . ومرة تعتلون وتحتجون في نقض إمامة أبي بكر بطعن عظيمي بني أمية في إمامته كعلي ؛ كخالد بن سعيد ، وأبي سفيان بن حرب . وإذا شئتم كانا لكم ، وإذا شئتم كانا عليكم .

١٠ وأما ما ذكرتم من قول أبي بكر : « ما كانت بيعتي إلا فلتة » ، وقول عمر : « ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة وقى الله شرها » فإن الأمر على هذا واضح ، والحجة فيه قائمة .

وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفى كان الناس على طبقات : من رجل مؤمن عالم ، ناصح لله ورسوله .

١٥ ومن رجل مطاع ليس له علم بالإمامة ، وما السبب الذي به تنمقد من السبب الذي به تنحل .

ومن رجل مكانه في قريش أشرف من مكان أبي بكر ، وليست غايته صلاح المسلمين ، إنما غايته أن يكون الإمام من أقرب القبائل إليه ، ليزداد هو وقومه بذلك شرفاً ونفراً .

٢٠ ومن رجل له قرابة فهو يرى أنها تغنيه عن العلم والعمل .

ومن رجل شديد في بأسه ، ضعيف في دينه ، مُحَفِّ في ذات يده

note

بعيدِ الهمة حاملٍ في هدوءِ الناسِ وأمنهم ، فهو لا يألو إضرارَ الفتنَةِ ،
وتهيبُح السَّفلةَ ، يرى أنَّ في الهيبِج ظهورَ نَجْدَتِهِ ، وخروجَهُ من الخمولِ
إلى النَّبَاهَةِ ، ومن الإقلالِ إلى الإكثارِ .

ومن رجلٍ دخلَ في الإسلامِ مع مَنْ دخلَ في دينِ الله ، دخلَ من
الأفواجِ ، لا يعرفُ حقيقتهُ ، ولا يستريحُ به إلى الثَّقةِ . ٥

ومن رجلٍ أخافَهُ السَّيْفَ ، وأنقَى الدُّلَّ والقتلَ بإسلامه ونِفَاقِهِ ،
كمنافقِ المدينةِ ومَنْ حولها من أهلِ القرى والباديةِ ، يَعْصُونَ على المسلمين
الأناملَ بالغيظِ ، وهم البِطَانَةُ لا يألون خبالاً ، يترقبون الدوائرَ ،
وينفِرجون إلى الأراجيفِ ، ويستريحون إلى الأمانِ .

ومن رجلٍ صاحبِ سَلَمٍ ، يدينُ لمن غَلَبَ ، لا يدْفَعُ مُبْطَلاً ولا يُعينُ ١٠
مُحَقَّاً ، يرى أنَّ صلاحَ خاصَّتِهِ هو صلاحُ العامَّةِ .

ثم الذي كانَ من وثوبِ الأنصارِ ، وهم أهلُ العَدَدِ وأصحابِ الدَّارِ
والأموالِ ، على أمرٍ لو تابَعَهُم المهاجرون عليه حتَّى يكونَ من كلِّ فرقةٍ
أميرٌ ، لفتحتَ بذلك باباً من الفسادِ لا يقوى أحدٌ على سدِّهِ ، ولكن
الذي يقعُ بين الأوسِ والخزرجِ في الأمرِ أشدُّ مما كانَ يُخافُ منها ومن ١٥
قريشٍ ؛ لأنَّ القرابةَ كلَّما كانتْ أَمَسَّ ، والجوارُ أقربَ ، كانتِ العداوةُ
على قَدَرِ ذلكِ .

ولو أنَّ الأنصارَ حينَ أتاهم أبو بكرٍ فأظهروا الشَّقَّاقَ والخلافَ . . . (١)
عن الحقِّ وجَهْلِهِ ، ما كانَ لهم دونَ البَوَارِ مانعٌ ، ولكن غيرَ مأمون
وثوبُ مَنْ بالمدينةِ ومَنْ حولها من المنافقينِ وأشباهِهِم ، من الحَشْوِ ٢٠

(١) يبايئ في الأصل بقدر ثلاث كلمات .

والطَّعَامَ ، وَلِكَانَ غَيْرَ مَأْمُونٍ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ
الْمُرْتَدِّينَ ، مِمَّنْ بَدَّلَ إِسْلَامَهُ سَاعَةً بَلَغَتْهُ وَفَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .
ولو صاروا إلى ذلك لكانوا أَقْوَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، إِذْ كَانُوا
جَمِيعًا نَشْرَأَ^(١) وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ، وَبِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ ، وَلِكَانَ غَيْرَ مَأْمُونٍ
عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَفْزَوْهُمْ مُسِيْلَةٌ فِي أَهْلِ الْيَمَامَةِ قَاطِبَةً مَعَ مَنْ حَوْلَهَا مِنْ أَهْلِ
الْبَادِيَةِ . ثُمَّ كَانَ غَيْرَ مَأْمُونٍ أَنْ يَسْتَمِدَّ بِجَمِيعِ أَهْلِ الرِّدَّةِ مِمَّنْ نَكَثَ^(٢)
وَنَصَبَ الْعِدَاوَةَ .

وَجَمِيعُ مَا قُلْنَا إِنَّهُ كَانَ غَيْرَ مَأْمُونٍ ، لَمْ نَقُلْهُ إِلَّا بِأَسْبَابٍ قَدْ كَانَتْ
هُنَاكَ قَائِمَةً مَعْرُوفَةً ، فَمَا عَسَى نَفَعَهُ^(٣) الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ عَلَى مَا وَصَفْنَا
وَنَزَّلْنَا . ١٠

فَقَدْ صَدَّقَ أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ عَمْرُو أَنْ تِلْكَ الْبَيْعَةُ كَانَتْ فِلْتَةً وَأَعْجُوبَةً وَغَرِيبَةً ،
إِذْ سَلِمْتُ عَلَى كُلِّ مَا وَصَفْنَا مِنْ أَسْبَابِ الْهَلَكَةِ ، وَهِيَ سَرَبَخٌ^(٤) ،
وَلَيْسَ دُونَهَا سِتْرٌ وَلَا رَدٌّ^(٥) ، فَكَانَتْ بَيْعَتُهُ يُمْنًا وَبَرَكَهً أَنْقَذَ اللَّهُ بِهَا
مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَجَمَعَ بِهَا مِنَ الشَّتَاتِ ، وَرَدَّ بِهَا الْإِسْلَامَ فِي نَصَابِهِ ، بَعْدَ
تَحُلُّمِهِ وَاضْطِرَابِهِ . فَأَمَانَتِ السَّخِيمَةُ ، وَأَوْدَعَتِ الْقُلُوبَ السَّلَامَةَ ، وَجَمَعَتْهَا
عَلَى الْأَلْفَةِ . ١٥

(١) الْفَشْرُ : الْمُنْفَرِقُونَ . وَفِي حَدِيثٍ عَائِشَةَ : « فَرَدَّ نَفْسَ الْإِسْلَامِ عَلَى غَرِّهِ » ، أَيْ رَدَّ
مَا انْتَشَرَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى حَالَتِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَنْ نَكُتَ » .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ . ٢٠

(٤) السَّرَبَخُ : الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْبَعِيدَةُ الْأَرْجَاءِ . فِي الْأَصْلِ : « سَوْخٌ » .

(٥) الرَّدُّ ، بِالْكَسْرِ : مَا يَرُدُّ الشَّيْءُ . أَنْشَدَ فِي اللِّسَانِ :

* فَكَانَ لَهُ مِنَ الْبَلَاءِ رَدًا *

أَيْ مَعْقِلًا يَرُدُّ عَنْهُ الْبَلَاءُ .

وهذه مكرمةٌ وعطيةٌ ، ولا يجوز أن يحبوا بها خالقُ العبادِ إلا نبيًّا
أو خليفةَ نبي .

فأما قوله : « ما كانت بيعتي إلا فلتةً وفي الله شرها » ، فقولُ
امريءٍ عالمٍ بالعواقب ، عالمٍ بأسبابِ الفتن ، شديد الشفقة منها ، حامدٍ لربه
على السلامة منها .

أو ما علمتَ أنَّ أبا بكرٍ بينا هو يخطبُ على المهاجرين في مسجد النبي
صلى الله عليه ، والنبيُّ مسجى ، وهو يحتجُّ عليهم ويعرفهم سرفهم ،
واعتداهم في قولهم : إنَّ النبيَّ صلى الله عليه لم يمت . وقد خافَ أن
يصير بهم الإفراط في التعظيم ، والغلو في الحب ، أن يضارعوا مذهب النصارى
وخافَ أن يكون آخر أمرهم أشدَّ من أوله . وكان أشدَّ الأمور عليه في
ذلك أنَّ مثلَ عمر ، وعبد الرحمن ، وعثمان ، هم الذين كانوا خرجوا
إلى ما لا ينبغي من القول ، فبدرهم بالخطبة محتجًا عليهم ومعرفًا لهم مواضعَ
غلطهم ، ونَحَسَ إفراطهم ، فحين تبَيَّن لهم خطوهم وسامعوا لاحتجاجه
عليهم ، أناه آتٍ فقال : إنَّ الأنصار قد اجتمعت إلى سعد بن عبادة
في سقيفة بني ساعدة ، يقولون : منا أمير ومنكم أمير . فراعَهُ ذلك ،
وصوَّر له الخِزْمُ كُلَّ نَحْوٍ ، فعلم أن الداء الذى عنه نطقوا أشدَّ علاجًا
من الداء الذى نطق عنه عمر وعثمان وعبد الرحمن ، والنَّفَرُ من المهاجرين
الذين قالوا : إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله لم يمت ؛ وعلم أن إبراء كُلِّ
سَقَمٍ أهونُ من إبراء سَقَمِ الحَيَّةِ والطَّمَعِ في الملك ، ولا سيما إذا شابههما
سوء تأويل ، وضافرها الحسَّ بالقُوَّة . وهذا هو الداء المضال^(١) ، والداهية المُنْهَم .

(١) في الأصل : « المضاه » .

فلما انتهى إليه أمرهم ، وعرف جميع مآعليه طبائئهم وعللهم ،
وطبائع أتباعهم ، لم يكن شئٌ أهمُّ إليه من البدار إليهم قبل أن
يستفحل الشرُّ ، ويتمكَّن العزم ، فرَّ حثيثاً وتبعه عمر ، ولحقه أبو عبيدة
في نفر من قريش ، فيمرُّ بالناس حلقاً عزيزاً وهم يَبْكُون ويتحدثون ،
فيقبل عليهم فيقول : أنتم جلوسٌ نفرُكون أعينكم وفي الإسلام العسا
٥ البدار . وقيل البوار^(١) .

فلو لم يتداركهم بحيطته ويقطته وصدق حسَّه ، وأبطأ عنهم ربما كانوا
يتطارحون الرأي ، ويستثيرون دفين الحسد حتى يتمكَّن ذلك الحسد ،
وتتمثَّل لهم صورة الظفر ، فلو هَجَم عليهم أبو بكر في ضعف من بالمدينة
١٠ من قريش ، لم يكن في طاقتهم دفعهم ، والدَّار دارهم ، والبلاد بلادهم
والبادية باديتهم ، ومن فيها تبعٌ لهم ؛ فكان من صنع الله أن كان هو
الذائد والقائم ، والحارس ، والعاطف والمداوى ، ولم يكلمهم الله إلى نظرهم
واختيارهم ، فيكون ذلك فسادهم وهلكتهم .

فإن قالوا : فما معنى قول أبو بكر للأَنْصار حين أناهم : « إن هذا
١٥ الأمر ليس بـمُجْلَسَة . قد علمتم معشر قريش [أنا] أكرمُ العربِ
أحساباً ، وأيقنُها أنساباً ، وأنا عترة النبي صلى الله عليه وأصله ، والبيضة
التي تفقأت عنه » ؟

فلم يذكر أبو بكر قريشاً وأحسابها وعترة النبي صلى الله عليه والبيضة
التي تفقأت عنه ، إلا وهو يرى أن له عليهم بهذا من الفضل ما ليس لهم ،
٢٠ ومن السبب إلى الخلافة ما ليس لهم . فقد ينبغى أن يكون لبني هاشمٍ على
هذا القياس من الفضل والسبب ما ليس لبني تيم .

(١) كذا في الأصل .

قلنا لهم : إن أبا بكرٍ لم يقل هذا القول وهو يريد معنى مذهبكم فيه ، مع أنكم قد قطعتم الكلام ، لأنه قال : « فإنه لم يكن فينا فكان يوبخ^(١) به وإنا نحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، وإن الله لم يذكرنا وإياكم في شيء من القرآن إلاّ بدأ بذكرنا قبلكم ، فمنّا الأمراء ومنكم الوزراء » .

٥

فلم يقل أبو بكرٍ : « قد علمتم يا معشر قريش أننا أكرم العرب أحساباً ، وأيقننا أنساباً ، وأنا عترة النبي وأصله » ، وهو يريد أن يخبر أن الرئاسة في الدين تستحق لغير الدين ، والخلافة أعظم رياسات الدين ، فعلى حسب ذلك تحتاج إلى العمل الصالح .

- ولكنّ أبا بكرٍ خطب على قوم كانوا يرون للحسب قدراً ، وللقربة ١٠ سبباً ، فاتاهم من أمتهم^(٢) ، وأخذهم من أقرب مأخذهم ، واحتج عليهم بالذي هو عندهم ، ليكون أقطع للشغب ، وأسرع للقبول . وليس في كلّ المواضع تفسيرٌ لحجة أمثل من إظهار الجملة ، وتعريف الناس الغاية ، وحملهم على أدقّ الحجج وأصوبها . ولربّما أخفى الإمام^(٣) كثيراً ممّا يُريد بالناس عنهم ، للذي من بعضهم عن فضله ، وضيق صدورهم عن سعة ١٥ فضله ، بل يعلم أنّه لو أطلعهم طلع إرادته^(٤) ، والذي عزّم عليه من صلاحهم ، كانوا أسرع إلى طلب بغضه من عدوهم .

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل : « من أمتهم » .

(٣) في الأصل : « الاهتمام » .

٢٠

(٤) في اللسان : « وفي حديث ابن ذى القرن ، قال لعبد المطلب : أطلعتك طالعاه .

أى أعلمتك . الطلع ، بالكسر : اسم من اطلع على الشيء ، إذا علمه » .

وقد دلَّ أبو بكرٍ على مذهبه في الأحساب في أوَّل خطبة خطبها
على المهاجرين والأنصار ، حين قال في كلامه :

«وعليكم بتقوى الله ؛ فإن أ كيس الكيس التقوى ، وأحق الحق
الفجور ، وإن متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينوني ، وأن
زغت فقوموني . أيها الناس ! إنَّه لم يدع الجهاد قومٌ قطَّ إلاَّ ضربهم

الله بذلٍّ ، ولم تشع الفاحشة في قومٍ قطَّ إلاَّ عمَّهم بالبلاء . أيها
الغاسُّ اتَّبِعُوا كتابَ الله ، وَاَقْبِلُوا النِّصِيحَةَ ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ ،
وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَةِ . واحذروا الخطايا التي لكلِّ بني آدم منها نصيب ،
ولكنَّ خيرهم مَنْ اتَّقَى الله . واتَّقُوا يوماً لا يَنْفَعُ فِيهِ حَمِيمٌ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ .

١٠ أَلَا تَرَاهُ ذَكَرَ جَمِيعَ بَنِي آدَمَ ثُمَّ قَالَ : وَلَكِنَّ خَيْرَهُمْ اتَّقَاهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ :
« إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ اتَّقَاهُمْ » ثُمَّ قَالَ : اتَّقُوا يوماً لا يَنْفَعُ فِيهِ حَمِيمٌ
وَلَا شَفِيعٌ ؛ فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ وَمِزَاجِهِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بَغَايَةَ مَا يَسْكَنُ بِهِ
أَحْبَابُ النَّسَبَةِ . فَكَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ إِنَّمَا قَالَ : فَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مَعَشَرَ

الْأَنْصَارِ إِنَّمَا يُسْتَحَقُّ بِالْحَسَبِ ، وَيُسْتَوْجِبُ بِالْقَرَابَةِ فَقَرِيشٌ أَكْرَمُ مِنْكُمْ
١٥ حَسَباً ، وَأَقْرَبُ مِنْكُمْ قَرَابَةً ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يُسْتَحَقُّ بِالْفَضْلِ فِي الدِّينِ
فَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْقَدَمُونَ عَلَيْكُمْ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ أَوْلَى بِهِ
مِنْكُمْ . لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ ذَكَرَ فِي صَدْرِ كَلَامِهِ الْحَسَبَ وَالْقَرَابَةَ ، وَفِي عَجْزِهِ
فَضَلَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ . فَلَمَّا أَبْصَرَ الْقَوْمُ وَجْهَ الْحُجَّةِ ، وَقَرَّرَهُمْ بِمَا لَمْ
يَزَلْ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ طِبَائِعُهُمْ ، لَحِقُوا بِالطَّاعَةِ وَأَعْطَوْا الْمَقَادَةَ .

٢٠ وَكَيْفَ يَكُونُ كِبَارُ الْأَنْصَارِ أَفْضَلَ مِنْ كِبَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَقَدْ سَبَقَهُمُ
الْمُهَاجِرُونَ وَأَسْلَمُوا قَبْلَهُمْ بِالسَّنَيْنِ قَبْلَ السَّنَيْنِ ، وَالْأَنْصَارُ بَعْدُ عَلَى دِينِ

آبائهم ، وعبادة أصنامهم . ثمّ الذي لقي المهاجرون في الله يبطن مكة والأنصارُ وادْعُون في بيوتهم ، رافهون في ديارهم ، ناعمٌ بالهم ، خَلِيٌّ سَرِيهِمْ^(١) ، لذيذٌ عيشهم . ثمّ هاجَرُوا إلى دارهم فكانوا معاً في العبادة والجهاد ، إلّا ما فَضَلُوا به من وَحْشَةِ الاغتراب ، وفراق الدّار والأحباب . فلمهاجرين مثلُ ما للأنصار ، وقد بانُوا بسابقتهم ، وإنّما قُدِّمُوا ٥ في القرآن لتقدّمهم في الإسلام .

وكما أن المهاجرين الأولين ليسوا كثيرهم من المهاجرين ، وكما أن مَنْ أسْلَمَ بعد الفتح ليس كمن أسْلَمَ قبله ؛ فكذلك ليسَ مَنْ أسْلَمَ والناسُ كلُّهم كفارٌ غيره ، كمن أسْلَمَ وقد أسْلَمَ الناس قبله .

وأنت إذا تأملت قولَ الصّدِّيقِ للأنصار : « إنَّ هذا الأمر ليس بِمُخْلَسَةٍ » علمتَ أنّه كان ثابتَ الجنان ، رابطَ الجأش ، واثقاً بالحجّة ، عارفاً بمواضع الإمامة ، وإنّما كانت غايته تقريرهم بفضيلة المهاجرين ، لأنّهم إذا صاروا إلى ذلك فلا حاجةَ به إلى ذكر نفسه وتعريفهم فضله ، لأنّ تبريزه كان بيناً على المهاجرين ، وفضله كان ظاهراً على السّابّقين .

والدّليل على ذلك أنّ خَوْضَ الأنصار وكلامها لم يكن إلّا فيما بين ١٥ مُجَمَلَةِ الأنصار ومُجَمَلَةِ المهاجرين ، قالوا : منّا أميرٌ ومنكم أمير . فما هو إلّا أن قرّره بفضيلة المهاجرين فلم يكن لهم بعد ذلك متكلّم ، حتّى أطبقوا جميعاً على بيعته هم والمهاجرون من بين جميع المهاجرين — فلا يستطيع أحدٌ أن يدّعى أنّ إنساناً قال من الأنصار : فإن كان لا بدّ أن يكون ٢٠ منكم الأمراء فليكن فلان ، فإنّه أفضلُ وأحقُّ بقرايةٍ أو بعمل — فسكتوا معاً سكّنةً واحدة ، وسلموا معاً تسليماً واحداً .

(١) المرب ، بالفتح : الطريق والوجه والرأى .

ولو أَنَّ الأنصار كانوا قد سلموا للمهاجرين في البدء فلم يفارقوا ولم يتمادوا ، وكانوا كالمهاجرين في إطباقهم على أَنَّ الإمام منهم ما كان ليظهر للناس من شهامة أبي بكر وصرامته واجتماع نفسه وقوة مُنتَهه ، وجكّد رأيه ، وقِلّة حيرته وتضجّعهِ^(١) مثلُ الذي ظهر لهم . وإنّما يَعْرِفُ العاقلُ فَضْلَ العاقلِ في مَضَائِقِ الأمور ، وساعةِ الجَوْلَةِ ، والعَجَلَةِ والحيرة ، وظُهورِ الفِتْنَةِ ، ومَوَجَّانِ السَّفَلَةِ ، واضطرابِ العِلْمِيَةِ^(٢) واختلاطِ الخاصّةِ بالعامةِ .

فَهَلْ أَعْضَلَ بِهِ دَاغٌ فَلَمْ يَسُدَّ ثَغْرَهُ^(٣) ، أَمْ هَلْ نَجَّمَ بِلَاغٌ فَلَمْ يَتَوَلَّ قَمْعَهُ ؟ !
وزعمت (العثمانية) أَنَّ أَحَدًا لَا يَنَالُ الرِّيَاسَةَ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ الدِّينِ .
١٠ ولَوْ جَازَ أَنْ يَمْطِيَ اللَّهُ رَجُلًا عَطِيَّةً وَيَفْضُلَهُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَسَبِهِ ، وَعَمَلُهُمَا سَوَاءٌ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، جَازَ أَنْ يَفْضُلَهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ .

وليس ذلك كالمعافى والمُبْتَلَى ؛ لِأَنَّ العَافِيَةَ والبَلَاءَ ، والشُّكْرَ والصَّبْرَ ، والثَّوَابَ عَلَى الطَّاعَةِ بِهِمَا والعِقَابَ عَلَى المَعْصِيَةِ فِيهِمَا ، إِذَا وَازَنْتَ بَيْنَ عَوَاجِلِ أُمُورِهَا وَأَوَاجِلِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِهَا ، رَأَيْتَهُمَا سَوَاءً لَا فَضْلَ بَيْنَهُمَا . ١٥

وكذلك شَأْنُ المَمْلُوكِ والمَالِكِ ، والفَقِيرِ والغَنِيِّ ، والمُبْتَلَى والمُعَافَى .
فَإِنْ كَانَ القَرِيبُ القَرَابَةِ والبَعِيدُ القَرَابَةِ سَبِيلَهُمَا فِي النِّقْصِ وَالْفَضْلِ ، والصَّبْرِ والشُّكْرِ ، والثَّوَابِ والعِقَابِ ، وَجَمِيعِ حَالَتِهِمَا فِي العَاجِلِ وَالْآجِلِ ، كَالْمُعَافَى وَالْمُبْتَلَى ، والمَالِكِ والمَمْلُوكِ ، والفَقِيرِ والغَنِيِّ ؛ فَلَيْسَ بَيْنَ القَرِيبِ

(١) تَضَجَّعَ فِي الْأَمْرِ : تَقَاعَدَ وَلَمْ يَقُمْ بِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْغَلْبَةُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فَلَمْ يَسْبِرْ بَعْرَهُ » .

والبعيد فرق ، وليس لقربته فضيلةٌ على غيره ، ولا ينفعه شيءٌ إلا كما نفع المعافى والغنى في ظاهر أمرهما ، وما يقع العيان عليه منهما ، وهما في الغنى والمصلحة ، والنظر والصنع ، سواء .

وليس على هذا بنى القوم أمرهم في القرابة ؛ لأنهم زعموا أن القرابة سببٌ للرئاسة في الدين . ولو قالوا إنها سببٌ للقدر والنباهة في الدنيا ٥ كان ذلك وجهاً ، كما ترى من فضل حال المنيع الرهط ، الجليل الرواء ، والمعافى في بدنه الكثير المال ، على الدليل الرهط الذميم في روائه ، المتبلى في بدنه ، القليل ذات اليد ، وهما في مُغيّب أمرهما ، وفيما لا يقع العيان عليه من شأنهما ، سواء في صنع الله وفضله وعائدته .

[وإنما] كان لنا أن نزعم أن القرابة تنفع في الدين والحسب ١٠ فتكون سبباً إلى الرئاسة فيهما ، أن لو كنّا رأينا من عظم قدر القرابة ونبل من أجله ^(١) نال الرئاسة الكبرى بالحسب . فإذا رأينا النبي صلى الله عليه لم يستحق ذلك الموضع البائن العالى إلا بالفضل دون المركب ^(٢) كان من متّ بقربته أجدَر ألا ينال الرئاسة إلا بالفضل دون المركب ؛ لأن النبي صلى الله عليه لو كان نال ذلك بالهاشمية كان هو ورجلٌ من عرض بنى هاشم سواء .

ولو كان ناله بعبد المطلب لكان ولدُ عبد المطلب لصُلبه أقرب إليه : وقد نعلم أن ذلك لو كان لشخصٍ بالهاشمية أو بالمطلبية لكان لعلّ في ذلك ما ليس لأحد ، لأنه ابنُ أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأُمّه فاطمة ابنة أسد بن هاشم .

(١) كذا في الأصل .

(٢) المركب : الأصل والمنبت . هو كريم المركب ، أى كريم أصل منصبه في قومه .

هاشم
١٥ عبد المطلب
١ العباس - أبو كريب
٢ عبد الله - أبو طالب - هرة

فلمّا وَجَدْنَا الأمر كما ذكرنا ، علمنا أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ لم يصيِّره مستحقّاً لأعظم الرِّياسات وأشرف المقامات إلّا بالعمل ، إذ كنّا قد وجدنا من يُساويه في الهاشميّة لا يستحقُّ مثلَ ماله .

وزعمت (العثمانية) أَنَّ لها في التَّسوية بين القريب والبعيد حججاً كثيرة ، قد عرفتُها وسمعتُها من أهلها .

ولكنَّ كتابي هذا لم يُوضع إلّا في الإمامة ، ولربّما ذكرت من المقالة والمِلَّة^(١) والنَّحْلَة التي تعرض في الإمامة صدرّاً ، طلباً للتمام ، وتعريفاً لوجوه الإمامة وما دخل فيها .

والكلام في التَّسوية كلامٌ يدخل في باب التَّمْدِيل والتَّجْوِير ، وهو بابٌ يشتدُّ الكلام فيه ويغمُض ، فإنَّ أخبرنا عن فرعه ولم نخبر عن أصله لم ينتفع القارئُ به ، وصار وبالاً عليه .

وقد زعم ناسٌ من (العثمانية) أَنَّ اللهَ بفضله ومَنِّه كَفَى أَكْثَرَ النَّاسِ مَوْؤَنَةً الرَّوْيَةَ ، وتكَلَّفَ غامُضَ الكلام في التَّسوية ، فأخبرهم في كتابه بَأَيِّنِ الكلام وأوضحه عن معاني التَّسوية ، وما يجوز في عَدْلِهِ وحكمته . فقال وهو يريد أن يُعلم النَّاسَ أَنَّهُمْ لا ينتفعون بصلاح آبائهم ، ولا يضرُّهم فسادُ رهطهم فقال : « وإبراهيمَ الذي وَفَّى . أَلَا تَرَوْهُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى . وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى^(٢) » . فإذا كان كَوْنُ الْإِنْسَانِ ابْنَ نَبِيٍّ وَابْنَ خَلِيفَةِ نَبِيٍّ ، أو ابْنَ عَمِّ نَبِيٍّ لَيْسَ مِنْ سَمِيهِ ، فقد أخبر أَنَّهُ لا شيءَ له في ذلك حين قال :

٢٠ (١) في الأصل : « والمِلَّة » .

(٢) الآيات ٣٧ — ٣٩ من سورة النجم .

« وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » فَالْسَّعَى مَعْرُوفٌ ، وَالْكُونُ مِنْ رَهْطٍ دُونَ رَهْطٍ لَيْسَ مِنْ سَعَى الْمَرْءِ فِي شَيْءٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِقَرَابَتِهِ حِينَ جَمَعَهُمْ : « يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطَّلَبِ ، وَيَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطَّلَبِ ، وَيَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ ، إِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » .

صلى

- ولو أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْقَرَابَةِ إِذَا هُوَ عَصَى وَعَصَى غَيْرُهُ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ ٥ غَفَرَ اللَّهُ [لَهُ] لِقَرَابَتِهِ ، وَلَمْ يَغْفِرْ لِلْآخَرِ ؛ وَكَانَ إِذَا أَطَاعَ وَأَطَاعَ غَيْرُهُ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطَى الْآخَرُ ، لَكَانَا إِذَا اسْتَوَيَْا فَلَمْ يَطِيعَا جَمِيعًا وَلَمْ يَعْصِيَا ؛ فَكَانَا إِذَا طِفَلَيْنِ وَإِذَا مَجْنُونَيْنِ وَإِذَا نَائِمَيْنِ ، وَإِذَا سَاهِيَيْنِ ، أَعْطَى الْقَرِيبَ وَفَضَّلَهُ ، وَلَمْ يُعْطِ الْآخَرَ شَيْئًا وَلَمْ يَسُوِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يُطِيعْ وَلَمْ يَعْصِ ، كَمَا لَمْ يُطِيعِ الْقَرِيبُ وَلَمْ يَعْصِ ، لَمْ يَكُنْ ١٠ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِيَقُولَ لِعَمَّةٍ وَعَمَّتِهِ : إِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأَ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْمَعِي بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ » .

- ولذلك قال النبي صلى الله عليه : النَّاسُ كُلُّهُمْ سِوَاكَ كَأُسْفَانِ الْمُسْطِ .
وَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ . وَلَا خَيْرَ لَكَ فِي صَحْبَةٍ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ ١٥ مَا يَرَى لِنَفْسِهِ .

ولذلك قال حين بلغه أن عيينة قال : أنا ابنُ الأشياخ ، أنا عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو ، قال النبي صلى الله عليه : « أشرف الناس يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم » .

- ولذلك أخذَ وَبَرَةً مِنْ جَنْبِ بَعِيرٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي ٢٠ بِيَدِهِ مَا أَنَا بِهَذَا أَحَقُّ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وقد قال الله : « وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ^(١) » : فلم يستثن من جميع النفوس نفسًا واحدة ، لا ابنَ نبيٍّ ولا ابنَ عمٍّ .

وقال الله : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ^(٢) » . والمولى كلمة واقعة على جميع ، فمنه ابن عم المرء ، ومنه خليفته ، ومنه مولاة من فوق ، ومنه مولاة من تحت ، ومنه مولاة الذي ملكه قبل عتيقه . فإذا قال الله : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا » فقد دخل فيه ابنُ العمِّ وغيره ، ولم يستثن الأنبياء دون المسلمين .

وقال : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^(٣) » وقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَائِزٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ^(٤) » ثم قال : « إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » . فمن اغترَّ بعد هذا بالقرابة واتَّكل على غير العمل الصالح فقد ردَّ تأديبَ الله وتعليمه .

ثم الذي رأينا من قصة ابنِ آدم حينَ قَرَّبَ مع أخيه قُربانًا فُتَقَبِّلَ من أخيه ولم يُتَقَبَّلَ منه ، فقتله حسدًا له وبغياً عليه . وكيف لم تنفعه قرابته من آدم حيثُ لعنه الله وبرئ منه ، وجعله من أصحاب النار ، ثم قال : « وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ^(٥) »

(١) الآية ٤٨ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٤١ من سورة الدخان .

(٣) الآية ٨٨ — ٨٩ من سورة الشعراء .

(٤) الآية ٣٣ من سورة لقمان .

(٥) من الآية ٢٩ في سورة المائدة .

نصائح
امامية
لخلفاء
لنبي العباسي
د بني أبي طالب

conclude

١٥

٢٠

لكي لا يتَّكَلَّ أحدٌ ظالمٌ بعده على قرابته ، ولا يفتَرَّ بأن يكون ابنُ نبيٍّ . ولذلك أرسل الكلامَ على تخرج الموم . ولم يُخرجه ذلك المخرج إلَّا وذلك إرادته .

فإن قالوا : إنه لم يكن لصلبه ، ولو كان لصلبه لنفعه ذلك عنده .

قلنا : إنه ليس لأحدٍ سمعَ الله يقول : « واتلُ عليهم نبأ ابنِ آدم » أن يجعلهما من عُرضِ بني آدم بعد سبعين قرناً إلَّا بحُجَّةٍ . وإن لم تكن له في ذلك حُجَّةٌ فليس له أن يُزِيلَ معنَى ابنٍ عن أصله^(١) ؛ لأنَّ الأصلَ المستعملَ الموضوع أن يكون الابنُ للصلب ؛ فإنما جاز أن يقالَ لابنِ الابنِ على التشبيهِ بالابنِ ، [و] على الحملِ عليه . وكذلك الابنُ الذي هو على التَّبَسُّي والتَّربية ؛ لأنَّ رجلاً لو قال : ١٠ أنا بنُ فلان بنِ فلان ، لم يكن لأحدٍ أن يقول : إنه لم يَعْنِ ابنه وربيته ، إلَّا بحُجَّةٍ ؛ وإلا فالكلامُ موضوعٌ على أصله وعلى المستعملِ المعروفِ منه . ثم صنيعُ الله بابنِ نوح ، وهو كما علمت من أعظم الأنبياء قدراً ومنزلةً ومكاناً ، حين عَصَى فيمن عصى ، كيف عَرَفَهُ فيمن عَرَفَ^(٢) ممَّن لا قرابةَ له ولا ولادةً .

١٥

فإن قالوا : إنه لم يكن ابنه ، لأنَّ^(٣) الله قال : « إنه ليس مِن أَهْلِكَ إنه عملٌ غيرُ صالحٍ »^(٤) ، وذكر امرأةَ نوحَ وامرأةَ لوط فقال :

(١) في الأصل : « عن صلبه » .

(٢) في الأصل : « كيف عَرَفَهُ فيمن عرف » .

(٣) في الأصل : « إلا أن » .

(٤) الآية ٤٦ من سورة هود .

« كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ^(١) » .

٥ قيل لهم : إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَدَّعِ قَوْلَ اللَّهِ : « وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ » إِلَى تَأْوِيلٍ مُخْتَلَفٍ فِيهِ . وَلِقَوْلِهِ الْخِيَانَةَ مَخَارِجُ غَيْرِ تَأْوِيلِكُمْ . وَقَدْ تَفْجَّرُ الْمَرْأَةُ بَعْدَ أَنْ صَحَّ مِنْهَا لِبَعْلِهَا وَلَدٌ كَبِيرٌ . وَفِي قَوْلِهِ : « فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » دَلِيلٌ أَنَّ مُحَبَّتَهُمَا كَانَ الصَّفْحَ عَنْ خِيَانَتِهِمَا ، وَأَنَّ مُحَبَّتَهُمَا لَمْ تُغْنِ ^(٢) عَنْهُمَا شَيْئًا .

١٠ وَلَا يُشَبِّهُ قَوْلَكُمْ [فِي] نِسَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي نَعْرِفُ مِنْ حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ طِيبِ الْمَنَاحِكِ ، وَطَهَارَةِ الْمَدَاحِلِ . وَهَذَا مَعْنَى طِبَائِعِ النَّاسِ . لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَتْرَكَ امْرَأَةً نَبِيٍّ تَصِيرُ إِلَى تَهْجِينِهِ وَالتَّصْغِيرِ بِقَدْرِهِ ؛ لِأَنَّ الرِّسَالَةَ مَنْظُفَّةٌ مُصَفَّاءَةٌ ، لَا تَحْمِلُ الْأَقْدَاءَ ، وَلَا تَعْلُقُ بِهَا الْأَدْنَسَ ، وَلَا يَطُوقُ ^(٣) الْمُبْطِلِينَ عَلَيْهَا الْاعْتِمَادُ .

وَفِي قَوْلِ اللَّهِ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ شَجَرَةُ الرِّسَالَةِ ، وَخَلِيلُ رَبِّ الْعِزَّةِ حِينَ يَقُولُ لَهُ : « إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ^(٤) » قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِمَامًا مُسْتَفْرَهاً ١٥ وَإِمَامًا طَالِبًا : « وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » قَالَ : « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » . وَأُخْبِرَ أَنَّ عَهْدَ إِمَامَتِهِ وَخِلَافَتِهِ لَا يَنَالُ الظَّالِمَ وَإِنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ .
أبناء

(١) الْآيَةُ ١٠ مِنْ سُورَةِ النَّحْرِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ تُغْنِيَا » .

(٣) طَاقُ الشَّيْءِ يَطُوقُهُ : أَطَاقَهُ وَقَدَّرَ عَلَيْهِ .

(٤) مِنَ الْآيَةِ ١٢٤ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

✓ ففي هذا دليلٌ أَنَّ الرِّياسَةَ في الدِّينِ لَا تُنَالُ بِغَيْرِ الدِّينِ . ﴿العمل الصالح﴾

وقال الله : « ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثيرٌ منهم فاسقون ^(١) » ألا تَرَى أَنَّ الذَّريَّةَ وإنْ كانت كُلُّهَا ذَريَّةً ومكانُها من القرابة سواء ، فمنها وليٌّ ومنها عدوٌّ .
فإنْ تَرَ كوا هذا جانباً وقالوا : كيف تَرعمون أَنَّ أبا بكر كان يرى ٥
التَّسوية ، وكان لا يرى أَنَّ الفروسيَّة أَصلٌ للإمامة ، والقرابة شعبة عن
الخلافه . ولم يكنْ في الأرض رجلٌ أبعد من هذا المذهب مِنْ خاصَّته
وخليفته وصنيعته ، والمحتذى على مثاله ، عمرَ بنِ الخطَّاب ؛ لأنَّه فضَّلَ
القرشيَّاتِ من نساء النبي صلى الله عليه على غيرهنَّ ، وفضَّلَ العربَ
في العطاء على الموالى . وقال : « زَوَّجُوا الْأَكْفَاءَ » . وكان أَشدَّ منه ١٠
في أمر المناكح .

قيل لهم : إنَّه لم يكنْ على ظهر الأرض رجلٌ كان أبعدَ ممَّا قلتم
مِنْ عمر ، ولا [ظهرَ] منه - خلافَ ما ادَّعَيْتم - مثلُ الذي ظهرَ منه .
والدَّلِيلُ على غلطكم وخطأ قولكم ، أَنَّ عمرَ لَمَّا فرضَ الأَعطيةَ ودوَّنَ
الدَّواوينَ وقامَ إليه أبو سفيانُ بنُ حربٍ ، وحكيمُ بنُ حزام ، فقالا : ١٥
يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدِيوانُ كَدِيوانِ بَنِي الْأَصْفَرِ ^(٢) ؛ إِنَّكَ إِنِ فَعَلْتَ
ذَلِكَ اتَّسَلَ النَّاسُ عَلَى الدِّيوانِ وَتَرَ كوا التَّجَارَاتِ وَالْمَعَاشَ ! فقال عمر :
قد كَثُرُ الْفِيءُ وَالْمَسْلُومُونَ .

فَفَرَضَ لِلْمُهَاجِرِينَ وَمَوَالِيهِمْ ، وَلِلْأَنْصَارِ وَمَوَالِيهِمْ ، مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا

في ستة آلاف ستة آلاف^(١) فكان عطاء عمر وعليّ وعبد الرحمن وطلحة والزبير وأبي عبيدة بن الجراح ، وعطاء بلال وسالم مولى أبي حذيفة وجميع الموالى سواء .

ثم فرّض على قَدْر الفضل والغناء والسَّابقة ، على قَدْر بُعد الدار وقربها من المهاجر ، وفرض لأهل اليمن في السبعائة إلى الألف ، وهم أبعدُ خلق الله منه ومن مُضر أرحاماً ونسباً . وإنما أرغبهم وزادهم لبُعد دارهم من المهاجر^(٢) ، وكانوا أهل قرى ومزارع ، فتركوا مُطَنِّبهم^(٣) رغبةً في الهجرة .

وفرض لمُضر وبليّ وكلب وطَيّ في الثلاثمائة إلى الأربعمائة . فتسويته ١٠ بين مُضر وطَيّ دليلٌ على ما قلنا .

وفرض لربيعة في خمسين ومائتين وقال : إنما هاجروا من أطناب بيوتهم . وربيعة أمسّ به وبمُضر من بليّ وطَيّ .

وفرض لأشراف الأعاجم : لدهقان نهر الملك^(٤) ، وهو فيروز بن يزْدَجَرْد ، ولابن المحرّخان^(٥) ، ولخالد وجميل ابني بَصْبَهري^(٦)

١٥ (١) في الأحكام السلطانية لأبي يعلى ٢٢٢ أنها خمسة آلاف درهم في كل سنة .

(٢) في الأصل : « المهاجرين » .

(٣) المطنب : موضع الإقامة ، يقال طنّب بالمكان طنّيباً : أقام به . في الأصل : « يصهم » وانظر ما سيأتى .

(٤) نهر الملك : كورة واسعة ببغداد كانت تشتمل على ثمانية وستين قرية ، على عدد أيام السنة . ياقوت . ٢٠

(٥) كذا . وفي الطبري « النخيجان » . انظر ١ : ١٠٣٨ ، ٢٤١٩ ، ٢٤٢٢ ،

٢٤٣٩ ، ٢٥٩٩ ، ٢٦٢٧ طبع ليدن .

(٦) انظر البيان ٢ : ٢٦٣ .

دهقان الفلوجة ، ولسظام بن نرسی دهقان بابل ، وجُفينة العبادي ،
ورویل^(١) في ألفين ألفين .

وفرض للموسحتان^(١) ، والمهرمزان ، ولسياه وخش^(٢) وأمقلاس
في ألفين وخمسة ، وهو أقصى شيء أخذَه عربي قط ، فقيل له في ذلك ،
فقال : قوم أعاجمُ أشراف ، أحببتُ أن أنالَفَ بهم غيرهم .

وفرض لسوى هؤلاء النَّفَرِ من العجم من الحاشية والعوام ممن سُبِيَ
وأَسِرَ وخَرَجَ في الصُّلح مع رئيسه وقائده ، في أقلَّ مما فَرَضَ للأعراب
وحاشية العرب وعوامهم ، فقيل له في ذلك فقال : إنَّ الأعرابيَّ إلَّا
يقاتِلُ عن دينه قاتِلَ عن رهطه وشقَّه وناحيته . وإن لم يكن ذا بصيرة
في دينه قاتِلَ محاماةً عن حَسَبه وأصحابه ، وقد أمنتُ تحوُّله إلى عدوه
فأقلُّ ما عنده إذا لم يُبَلَّ أن يكثر السَّواد ويكتشف الجيش . وهو على حالٍ
أفقه في الدين ، وأفهم للتَّأويل . والعجميُّ ليس بذی بصيرة في الإسلام
ولا يقاتِلُ عن داره ، ولا يُحاي عن حَسَبه ، ولا يدافع عن رهطه
وغير مأمونٍ عليه التحولُ إلى أصحابه فيدلُّ على العورة ، وهو أجدرُ
ألَّا يفهم تنزيلا ولا تأويلا .

وحملَ قوماً في البحر وآخرين في البر ، ففضلَ على قَدَرِ المؤونة ،
وأعطى على قَدَرِ المشقة .

(١) أكذا في الأصل .

(٢) سياه وخش معناه في الفارسية الأسود العين . استينجاس ٧١٣ . وهو سياوخش

ابن مهران بن بهرام شوبين الرازي . الطبري ٤ : ٢٥٣ .

فهكذا كانت عطاياه ، وهكذا كان تدييره فيما نقلت العلماء وروّت
الفقهاء . ولا يشك في ذلك صاحب خبر ، ولا يدفعه صاحب أثر .
فأمّا ما ذكروا من تهجينه أمر المعجم ، وتعظيمه أمر العرب ، فإنما
كان ذلك لأنه لما ندب الناس إلى قتال كسرى والأساورة تشاقلت عن
ذلك العرب والأعراب وجميع المهاجرين والأنصار ، هيبةً لناحية كسرى
والفرس ، وخفوا لغزو الروم ونشطوا له ، حتى انتدب أبو عبيد الثقفي
أول من انتدب ، فلذلك عقد له على كبار المهاجرين الأولين ،
والأنصار ، والبدرين ، فلم يكن له همٌّ إلاّ تصغير أمرهم وتهجين شأنهم
والخط من أقدارهم ليردّ ذلك من نفوس العرب .

وهكذا ينبغي أن يكون تدير المدبر .

أَوْ ماعلمت أنّ المغيرة بن شعبة لما سمع قيس بن مكشوح يقول
حين عين الفرس : مارأيتُ كاليوم حديداً ولا عديداً ! وهذا يوم
القادسية ، وقد كان قيس شهد قبل القادسية حروب الروم ، وقيس
يومئذ على الخيل ، والمغيرة على الرجالة ، فأقبل عليه المغيرة منتهراً له
وهو يقول : إنما هذا زبد من زبد الشيطان^(١) !

وقد كان المغيرة قد عين مثل الذي عين قيس ، ولكنّ التدير
كان غير الذي ذهب إليه قيس .

ومن الدليل على ما وصفنا من تدير عمر ، تركه الاستخفاف بأقدار
المعجم وإظهار احتقارهم والإزراء بهم ، بعد جلولاء^(٢) .

(١) الزبد ، بالفتح : الرغد والمطاء .

(٢) كان بها الرقعة المشهورة للمسلمين على الفرس سنة ١٦ قتلوا منهم مائة ألف .

معجم البلدان والطبري ٤ : ١٧٩ .

فمن ذلك أنه لما أتى بسيف كسرى وقبائه ومنطقته ألبسه سُرَاقَةً
ابن مالك بن جُعْشُم ، ثم قال له : أدبر ، ثم قال له : أقبل . فلما
أقبل عليه عمر وعنده الناسُ فقال : أما والله لربَّ يومٍ لو كان هذا
من كسرى وآل كسرى لكان شرفاً لك ولقومك ، في أمور كثيرة
من هذا الضرب لم يكن عمر لينطقَ بحرف منها وحرِّبهم مخوفة ، ٥
ونفوس العرب لهم هائلة .

وهكذا تدبيرُ الخلفاء ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون . ولو كانوا إذا
لم يفهموا عن الأئمة لم يعترضوا عليهم ولم يخطئوهم ولم يجهلواهم كان أيسر .
ولا أعلم في الأرض جيلاً أجهلاً بهذا وشبهه ممَّن ينتحل اسم الكلام
ويتنصَّب نفسه للخصومات . ثمَّ الروافض خاصة ، ليس يعرفون من أمر ١٠
الإمام إلاَّ أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون .

ومن الدلائل على ما وصفنا به عمر ، قوله لسعد بن أبي وقاص
حيثُ وجهه إلى القادسية وأوصاه ، قال : ياسعد سعد بن وهيب^(١) إنَّ
الله عزَّ وجلَّ إذا أحب عبداً حبَّبه إلى النَّاس ، فاعتبرْ منزلتك من الله
بمنزلتك أن يقال خال رسول الله صلى الله عليه ، فإنَّ الناس في ذات ١٥
الله سواء .

فأيُّ قول أجمعُ وأدلُّ ، وأيُّ فعل أشبهه بالذي حكينا عنه من
التَّسوية ، من هذه الأقاويل^(٢) والأفاعيل .

(١) هو سعد بن مالك بن وهيب — أو أهيب — بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب
انظر ما مضى في ص ٥٦ .

(٢) في الأصل : « الأوائل » .

وكان سعدٌ خال النبي ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وقد أخذ بيده : « هذا خالي أباهي به فليأت كل امرئُ بخاله » .

وفي قول عمر في المناكح : « ليس شيءٌ من خصال الجاهلية إلا وقد تركته ، إلا إني لستُ أبالي إلى مَنْ نكحت ، وإلى مَنْ أنكحت » . فإن شئتَ أن تقول : وأيّ أمرٍ هو أوجبُ على العاقل المسلم الحرِّ من ألاَّ يبالي إلى مَنْ نكح وأنكح ؟

قلت : وإن قلتَ إنَّ هذا الكلامَ من عمر يدلُّ على بقيَّة عصبية فيه . فما تبرأ^(١) إليك منه حين جعله^(٢) من خصال الجاهلية إلا وهو آبٍ له ونَاهٍ عنه ، وزارٍ عليه . وفي قوله هذا دليلٌ على أنَّه قد اكترث لبقية عادة الجاهلية ، وأنه راغب عنهما كما راغب عن أكبر منهما . ١٠

وفي قوله لعبد الله بن عمر حين فرضَ له في ألفين وفرضَ لأُسامة في ألفين وخمسمائة ، وابنه قُرشيٌّ وأُسامة مولى ، حين قال له عبد الله : أنفضلُ عليَّ أُسامة في العطاء وأنا وهو سيِّان ؟ قال : إنَّ أُسامة كان أحبَّ إلى رسول الله منك ، وكان أبوه أحبَّ إلى رسول الله من أبيك .

ألا ترى أنَّه يدور مع الدِّين حيناً دار ؟ ! ١٥

وفي قول عبد الله بن عمر لأبيه : تفضلُ عليَّ أُسامة في العطاء وأنا وهو سيِّان ، دليلٌ على أنَّ القوم كانوا لا يعرفون إلاَّ الدِّينَ والسابقة ، والغناء عن المسلمين .

وفي وصيته عند وفاته أن يصليَ عليه صُهيب ، وفي أمره إِيَّاه بالصلاة

٢٠ (١) في الأصل : « فقد يرى » .

(٢) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل إلا الحرف الأول .

بالناس في مقامه إلى أن يختار المسلمون رجلاً ، دليلٌ على ما قلنا .
وصُهِيبٌ مولى لعبد الله بن جُدعان .

والدليل على أن صُهِيباً رجلٌ من العَجَم قولُ رسول الله صلى الله عليه :
« بلالٌ سابق الحبشة ، وسَلَمَان سابق فارس ، وصُهِيب سابق الروم » .
وهذا حديثٌ لم يختلف فيه فقهاء .

وفي خروج آذنه وحاجبه يوماً إلى الناس ، وقريشٌ والعربُ جلوسٌ
يبابه ينتظرون إذنه ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، وسُهَيْل بن عمرو ، وحكيم
ابن حزام ، والأقرع بن حابس ، وعُيَيْنَةُ بن حصن ، فنادى بأعلى صوته :
أين عَمَّار ؟ أين بلال ؟ أين صُهِيب ؟ أين سَلَمَان ؟ فينفضون مكرمين ومفضلين ،
وعلى الناس مقدمين ، وتلك الجلَّةُ وتلك السَّادَةُ جلوسٌ لا ينطقون .
ولا يُنْكِرُونَ ، فلما كثر ذلك عليهم تمعَّرت وجوههم ، وامتنعت ألوانهم ،
فأبصرهم سُهَيْلٌ فعرف ما قد أصابهم ونزل بهم ، وكان حليماً خطيباً فقال :
لِمَ تتمعَّروا وجوهكم وتغيَّر ألوانكم ، ولا ترجعون باللائمة على أنفسكم ؟ !
دُعِينَا ودُعُوا ، فأبطأنا وأسرعُوا ، ولئن حسدتموهم على باب عُمرَ للذي
أعدَّ الله لهم في الجنة أفضل^(١) !

ثم الدليل الذي ليس فوقه دليلٌ ، قوله وعنده أصحابُ الشورى وكبارُ
المهاجرين وِجَلَةُ الأنصار ، وعليةُ العرب ، وهو مُوفٍ على قبره ينتظر
خروج نفسه : « لو كان سالمٌ حياً ما تخالجنى فيه الشكُّ » . وسالمٌ مولى
امرأة من الأنصار ، وكان حليفاً لأبي حذيفة بن عتبة بمكة ، فلذلك كان يقال :
مولى أبي حذيفة ؛ لأنَّ حليفَ الرجل مولاه .

(١) انظر ما مضى في ص ١٧٨ — ١٧٩ .

فإن كان هذا لا يدلُّ على التَّباعد من الحِمة والأعرابية والعصبية ،
ولا يدلُّ على التَّسوية ، فما عندنا ولا عند أحدٍ شيءٌ يدلُّ على شيءٍ ! وإذا
كان هذا مذهبه وقوله في الخلافِ فما ظنُّك به فيما دون الخلافِ ؟ !
وهذا بابٌ إن استقصيناه كثيرٌ وشغل الكتاب . وفيما قلنا مَقنعٌ
٥ لمن كان الحقُّ له مَقنعا ، والصَّواب له مألُفا .

فهل يقدرُ أحدٌ أن يحكي عن عليٍّ مثلَ الذي حكينا عن عُمرَ
في التَّسوية ، أو شطره ؟ !

✓ إنَّ أكبرَ ما رأينا في أيديكم عنه قوله : « إنَّني قرأتُ ما بين دفتي
المصحفِ فلم أجِدْ فيه لبني إسماعيلَ على بني إسحاقَ فضلا » .

١٠ فهذا قولٌ إنَّ قاله عليٌّ فليس فيه دليلٌ أنَّه أراد به الطَّعن على عُمرَ
✓ وإظهارَ خلافِهِ ؛ لأنَّ عليا قد ملَّكَ أ كثرَ الأرضِ خمسَ حججٍ ، فلو كان
✓ رأيه في خلافِ عُمرَ على ما تصفون ، وكان عُمرُ عنده لا يرى التَّسوية في
العتاءِ ، لقد كان غَيْرَ دواوينِ عُمرَ ، وبدلَ أعطيته وفروضة وحوَّلها
إلى الحقِّ عنده ، أو نطقَ فيها بحرفٍ ، أو أظهرَ ذلك في هيئته ^(١) إن لم ينطق به
١٥ خطيبا ومحتجا .

وكيف يكون ذلك ولا أحدٌ أعلمُ بصوابِ ما دبرَ عُمرُ في ذلك من عليٍّ ؟ !
وكيف يكون عُمرُ لا يرى التَّسوية وقد صنَّعَ صنيعا لو قام مقامه أشدُّ الناسِ
سَعياً - ما لم يَجُرَّ عن الحقِّ ويَعْدِلْ عن السَّداد - ما كان عنده ولا في طاقته
أ كثر منه .

٢٠ والعجب أنكم تزعمون أنَّ عليًّا كان يرى التَّسوية ، وأنَّ عُمرَ صاحبُ

(١) في الأصل : « هنه » .

حمية ، فأنتم تروون أن أكثر احتجاجه إنما كان بذكر قرابته وأمتن أسبابه ومُصاهرتة ، مع أن القرابة هي التي أخرجتكم إلى هذا الإفراط كله . فأنتم تحببون بني هاشم وتفضلونهم للقرابة ، وتوجبون لهم الإمامة للقرابة . ثم تزعمون أن علياً كان يرى أن ولد إسماعيل وإسحاق سواء ، وكان يرى أن العرب والعجم سواء .

وكيف غضبتكم على عمر لأنه فضل قريشاً على العرب ، والعرب على العجم ، ولم تغضبوا على أنفسكم حين فضلتكم بني عبد المطلب على بني هاشم ، وفضلتم بني هاشم على بني عبد شمس ؟ !
ففضلوا أيضاً بني عبد شمس على سائر قُصَيّ ، وسائر قُصَيّ على سائر كعب ، وسائر كعب على سائر قريش ، وكذلك سائر قريش على سائر مضر ، وكذلك سائر مضر على ربيعة ، وربيعه على ولد إسحاق ، وولد إسحاق على ولد قحطان .

وإن شئتم ففضلوا ربيعة على اليمن ، واليمن على العجم . وإذا أنتم قد دخلتم في كل ما عيبتكم .

فأمّا أن تفضلوا من شئتم على من شئتم - وإن كان من لم تفضلوا ١٥ في القياس كمن فضلتكم - فليس ذلك لكم ؛ لأن القياس قد اعترض دون مشيئتكم وقضى عليكم .

ولو أن قائلًا قال : أنا أزعم أن الناس كلهم بعد بني عبد المطلب لصلبه سواء ، كما قلت إن الناس كلهم بعد بني هاشم سواء ، ما كان (١) الذي قال أمس بالرسول وأولى بالحكم . فإن قلت : فمن أين كان له أن يقف على ٢٠

(١) في الأصل : « كما أن » .

جدّ عبد المطّلب وليس بينه وبين هاشمٍ إلا أب ؟ فيقال لكم^(١) : وكيف كان لكم أن تقفوا على جدّ هاشمٍ وبين هاشمٍ وعبد مناف أبّ واحد ؟ وكيف كان لكم أن تقطعوا التّفصيل وحقّ القرابة من لدن هاشمٍ ، وهاشمٍ وعبدُ شمسٍ أخوانٍ لأمّ وأب ؟ ! ولذلك قال الشاعر :

عبد شمسٍ كان يتلو هاشمًا وها بعدُ لأمّ وأب

فاجعلوه يتلو هاشمًا في حقّ القرابة واستحقاق الإمامة . وإذ جاز عندكم أن تتخطى الإمامة العمّ إلى ابن العمّ كان [ذلك] في الأخ للأم وللأب . ثم زعمتم أنّ الدليل على أنّ عمر صاحبُ عصبيةٍ وحمية ، ردّه لسلمان حين خطبَ إليه ابنته ، وسلمان كان أعقلَ من أن يخطب إلى أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلى .

قلنا : جوابنا في هذا في خطبته إلى عليّ ، وإنّ كان عليّ أشرفَ موضعاً مع أنّ القائم عن سلمان أنّه كان يقول : قال لي النبيّ صلى الله عليه : « يا سلمانُ لا تبغض العربَ فتبغضني » . وكان يقول : أمرنا أن نأتمّ بكم ولا نؤمّسكم ، وأمرنا أن نزوّجكم ولا ننزّوج منكم . فليس في الأرض متعربٌ وصاحبُ عصبيةٍ إلّا وأكبرُ ما يحتاج به في المناكح حديثُ سلمان .

وقد تمنعُ الأشرافُ عقائلَ نساءها لأسبابٍ غير التّحريم ، لا يكون ذلك عيباً عليهم في آدابهم ، ولا نقصاً في أديانهم .

وفي قول عليّ يوم الجمل حين رأى عبد الرحمن بن عتابٍ صريعاً : « شَفَيْتُ نَفْسِي وَجَدَعْتُ أَنْفِي . قَتَلْتُ الصَّنَادِيدَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ » .

(١) في الأصل : « قل لكم » .

وَأَمَتْنِي ^(١) الْأَعْيَانُ مِنْ بَنِي مُجَحِّحٍ ! » فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : لَشِدَّةٍ مَا جَزَعَتْ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : « إِنَّهُ قَدْ قَامَتْ عَنِّي وَعَنْهُ رِسْوَةٌ لَمْ يَقُمْ عَنْكَ » دَلِيلٌ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَرَى لِلْأُمَمَاتِ قَدْرًا كَثِيرًا ، وَلِلْمَنَاكِحِ خَطَرًا عَظِيمًا .

وفي كراهته أَنْ يَتَرَوَّجَ الْمُتَسَادُّ ضُبَاعَةً بِنْتَ الزُّبَيْرِ ، حَتَّى كَانَ مِنَ النَّبِيِّ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ ، دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ تَدْبِيرِهِ .

وَلَمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَقْضَى بَيْنَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أُمُورَهُمْ فِي جَمِيعِ مُتَقَلِّبِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ إِذَا قَلَّ سَمَاعُهُ أَنْ يُخْرِجَهُ الْجَهْلُ [إِلَى] اسْتِصْفَارِ بَعْضِهِمْ أَوْ تَضْلِيلِهِ ^(٢) وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ ، فَيَهْلِكَ هَالِكًا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .

وَأِنْ أَغْنَى النَّاسُ أَنْ يَكُونَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خُصُومَهُ لِأَنَّهُمْ مَعَشَرَ أَصْحَابِ النَّظَرِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ .

وَالَّذِينَ نَحَلُوا عَمَرَ الْعَصَبِيَّةِ رَجُلَانِ : رَافِضِيٌّ أَحَبَّ أَنْ يَمُتَّهُ إِلَى الْعَجَمِ وَالْمَوَالِي ، وَمُتَعَرِّبٌ عَرَفَ أَنَّ عَمَرَ عِنْدَ النَّاسِ قُدُوةً ، فَنَحَلَهُ ذَلِكَ لِيَكُونَ لَهُ حِجَّةٌ . فَاعْرِفْ ذَلِكَ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرُوا مِنْ أَنَّ الزُّبَيْرَ خَرَجَ شَادًّا بِسَيْفِهِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَإِنَّ هَذَا لَهُوَ الطُّلُوشُ وَالتَّسْرُّعُ إِلَى الْفِتْنَةِ ، وَتَهْيِيجُ النَّاسِ عَلَى إِظْهَارِ السَّلَاحِ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَانْظُرْ أُنْسَابَ قُرَيْشٍ ١٩٣ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « بَصْلِهِ » .

وإنما أتى أبو بكر الأنصارَ واعظًا ومحتجًا ، ومسكنًا ومصلحًا بألین
الكلام وأحسن الهدى ، لم يحمل سوطًا ولا سيفًا ، ولم يُظهر معازة
ولا أراد المغالبة^(١) . فما وجه خروج الزبير بسيفه شادًا نحوه ؟ ! بل
كان أشبه الأمور بالزبير وأولاهها به ، والذي يجب علينا أن نظنه به ،
أن يقوم محتجًا ومصلحًا ؛ فإذا أبان عن حجته وأعذر في موعظته فلم ير
ذلك ناجمًا^(٢) ولا مقبولًا ، ورأى شيئًا يجوز به سحل السيف والشد به ،
كان من وراء ذلك .

وكيف علمتم أن الزبير إنما سل سيفه ليؤكد لعل إمامته أوليوطى
له خلافته ؟ ! ولعله إنما أراد الأمر لنفسه دون غيره . ولعله إنما
غضب لصرف الأمر عن خاله وكبيره وشيخه العباس بن عبد المطلب .
فكيف علمتم أنه إنما أراد صرفها عن أبي بكر خاصة ؟ ! وكيف يشد
على رجل لم يقل بايعوني ، ولا أظهر الحرص عليها ، وإنما كره أن
يبقى الناس نشرًا ، وعلم أن على الأنصار أن يسمعو للمهاجرين ، وقد قال
للناس : « بايعوا أئ هذين شئتم » ، يعني أبا عبيدة وعمر . إلا أن يكون
الزبير قال : ولم كنت أنت المحتج على الأنصار والمعرف لهم فضل
المهاجرين عليهم دون على .

ويقال لهم عند ذلك : أمّا بادى الرأى والذي لا نشك فيه نحن
ولا أحد ممن خلفنا ، فالذى كان من مُناصبة الزبير لعل ومحاربتة له
دون الإمامة ، وزعمه أنه أفضل منه وأولى بها منه ، ولو جعلها شورى
٢٠ لفرعه وبرز عليه .

(١) في الأصل : « معارة إلا أراد المغالبة » . والمعازة : المغالبة في العزة .

(٢) في الأصل : « فاجمأ » .

ثم الذي لا يشكُّ الناسُ فيه من طاعته لعمر ، وإنما عمر شعبةٌ من
 شعب أبي بكر . ولقد بلغ من تعظيمه لعمر وطاعته له وإكباره لقدره ،
 أنه محاً نفسه من الديوان لما قُتل عمرُ تَسْلُباً عليه ^(١) ، ورفعاً لقدره أن
 يلىَ منه من الإعطاء والمنع أحدٌ كما كان يليه منه عمر . كما محاً نفسه من
 الديوان حكيم بن حزام لما توفى النبي صلى الله عليه . وكذلك محاً نفسه
 من الديوان عبدُ الله بن الزبير حين قُتل عثمان .

ولقد بلغ من طاعته لعمر أنه بمثله مدداً لعمر بن العاص ، فجعل
 عمرًا الأمير عليه ينفذ لأمره ويصلى بصلاته .

والذي يدلُّ على انبثاته ^(٢) في هوى أبي بكر ، وانقطاعه إليه بمودته ،
 الخاصة التي كانت بين أبي بكر وبينه . وذلك أن عبد الله بن مسعود
 أوصى إليه حين مات . وعبدُ الله عُمرىٌ محض ، وهو القائل في عثمان
 حين برز على الشورى : « ما ألونا أن جعلناها [في أعلا] نا ذا فوق ^(٣) »
 فإذا كان هذا قوله في عثمان وعلى فما ظنُّك به في أبي بكر وعمر ^(٤) .
 ثم أوصى إليه عثمان بن عفان [و] هو أصل العمرية والعثمانية ، والمباينة
 لعليٍّ وشيعته عندهم . وأوصى إليه عبد الرحمن بن عوف ، وهو المختار

(١) التسلب : الإحدا . (٢) في الأصل : « انبثاته » .

(٣) في الأصل : « نادى فوق » والتكلمة والتصحيح مما سأتى مما سأنبه عليه ، وما
 استضأت به من اللسان ، ففيه مادة (فوق ١٩٥) : « وفي حديث ابن مسعود : اجتمعنا فأمرنا
 عثمان ولم نأل عن خيرنا ذا فوق » أى خيرنا سهمنا في الإسلام والسابقة والفضل . ذو الفوق ،
 بضم الفاء ، هو السهم . وفوقه : موضع الوتر منه .

(٤) في الأصل : « وعلى » .

عثمان على عليّ ، وصاحبُ أبي بكر ، والدافع بالموسم في خلافة أبي بكر من بين جميع المهاجرين .

هذا مع أسباب الزبير الواشجة بأبي بكر : فمن ذلك إسلامه على يديه ، واحتماله مؤونته في مصاهرته ، حيث رغب إليه في تزويج ابنته أسماء ذات النطاقين ، فولدت عبد الله - وعبد الله كنيته أبو خبيب - وعروة وغيرها . وكان عبد الله أول مولود ولد في الهجرة ، فسماه الزبير باسم جدّه أبي بكر ؛ لأن اسم أبي بكر عبد الله ولقبه عتيق ، وإنما لقب بعتيق لعتق وجهه ودقة محاسنه . ثم كنى الزبير بأبي بكر بكنية جدّه ، فكان عبد الله بن الزبير يكنى أبا بكر تيمناً منهم بكنيته وتبرُّكا باسمه . ١٠

وقالت عائشة رضي الله عنها : ألا تكنني يارسول الله ؟ قال : « بلى ، اكنني بابنك » يعني عبد الله بن الزبير . فكانت عائشة تكني بأب عبد الله . ولذلك كانت تقول : قال ابني ، وفعل ابني ، وكادوا يوم الجمل أن يقتلوا ابني .

١٥ فيقال للرافضة : أمّا العيان والوجود فهو الذي خبرناكم به . وأمّا ما ادّعيتم من [أن] الزبير سل سيفاً ليؤكد إمامة عليّ فقد ينبنى أن تأتوا على ذلك ببرهان . فأمّا معاداة الزبير له ومحاربتة إيّاه ونفرضه عليه ، فهذا ما لا يدفع عنه . ولقد فخر عليه حين دعاه إلى الشورى وأبى ذلك عليّ فقال : أسلمت بالغا مدرّكاً وأسلمت ناشئاً طفلاً ، وكنت أول من سل سيفاً في الإسلام بيطن مكة وأنت مستخف في الشعب يكفلك الرّجالُ ويمونك الأتارب من هاشم ، وكنت فارساً وكنت راجلاً ، وكنت شجاعاً وكنت

بطلا . ولئن كنت تزعم [أنك ابن عمه] إني لابنُ عمته^(١) . وأنا عابر
البحر يوم الحبشة ، وفي هيئتي نزلت الملائكة ، وأنا حواريُّ رسول الله
صلى الله عليه وفارسه .

خبرني بهذا الكلام أبو زفر^(٢) عن ضراب^(٣) ، أن الزبير
كان احتج به .

وخبرني جماعة من العمانية عن محمد بن عائشة^(٤) ، أن الزبير كان
احتج به ، وقد سقط عني بعضه لطول العهد بسماعه .

وقالت (العمانية) : العجب أن الروافض ربما احتجت علينا بأن
الزبير سل سيفه ومضى قدماً في تأكيد بيعة عليّ وخلع سواه ، ونقص
من أبي بكر .

فيقال لهم : فما منعكم أن تقولوا لما مات النبي صلى الله عليه
وجحد السلف إمامة عليّ : كفر الناس خلا خمسة نفر^(٥) أولهم الزبير
في نفسه وفضيلته على غيره . وأكبر ما كان منه من سلّ السيف
والشدّ به ، وهذا موقف لم يقفه بلال ولا أبو ذر . وأنتم على ثقة أن

(١) في الأصل : « لابن عمه » ، والوجه ما أثبت ، فإن أباه الزبير والدته صفية بنت عبد المطلب
عمة رسول الله .

(٢) أبو زفر ، ذكره في لسان الميزان ٦ : ٣٧٩ وقال : « ذكره ابن النديم في مصنفه
المعتزلة » . وليس في النسخة المطبوعة من الفهرست .

(٣) ضراب ، آخره باء في الأصل . ولعله « ضرار » آخره راء ، وهو ضرار بن عمرو
صاحب الضرارية . انظر حواشي الحيوان ٥ : ١٠ .

(٤) هو محمد بن حفص . انظر حواشي الحيوان ٢ : ١٢ .

(٥) انظر ما مضى ص ١٨٠ س ٥ — ٧ .

ذلك كان ، وأنَّ السَّيْفَ لم يُحْمَلْ إِلَّا لِنُصْرَةِ عَلِيٍّ دُونَ الْعَبَّاسِ وَجَمِيعِ
بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ وَمَا وَلَدَ قُصَيٍّ .

وكيف لم يكن أدنى منازل الزُّبَيْرِ أن يكون قد كان مؤمناً ولياً
إلى أن جَعَدَ إِمَامَةً عَلَى بَعْدِ مَقْتَلِ عُثْمَانَ ، فيكون سبيلُهُ شبيهاً بسبيل
حُذَيْفَةَ وَعُمَارَ ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا عِنْدَكُمْ كَافِرِينَ حَتَّى تَابَا فِي زَمَنِ عُثْمَانَ ،
فَكَانَ يَكُونُ الزُّبَيْرُ مُؤْمِناً إِلَى أَنْ كَفَرَ عِنْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ .

وإِنَّمَا صَارَ حُذَيْفَةُ وَعُمَارُ عِنْدَ الرَّافِضَةِ وَلِيِّينَ لِأَنَّهُمَا قَالَا بِزَعْمِهِمْ :
وَاللَّهِ مَا دَخَلَ عُثْمَانُ حُفْرَتَهُ إِلَّا كَافِراً ، وَإِنَّهُ لِحَيْفَةُ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، يَتَأَذَّى بِهِ أَهْلُ الْجَمْعِ .

فَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا صَارُوا إِلَى تَوَلِّيهِمَا بَعْدَ إِكْفَارِهَا مِنْ أَجْلِ تَصَدِيقِ
هَذَا الْحَدِيثِ فَإِنَّ الَّذِينَ رَوَوْهُ هُمُ الَّذِي رَوَوْا أَنَّهُمَا قَالَا : وَاللَّهِ مَا دَخَلَ
عُثْمَانُ حُفْرَتَهُ إِلَّا كَافِراً ، وَإِنَّهُ لِحَيْفَةُ عَلَى الصَّرَاطِ يَتَأَذَّى بِهِ أَهْلُ الْجَمْعِ ،
وَإِنَّهُ لَا يَلِي هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ عُمرَ إِلَّا كُلُّ أَصْفَرَ أَبْتَر ! فَإِنْ كَانَا قَدْ تَابَا
بِقَوْلِهَا الْأَوَّلِ لَقَدْ ارْتَدَّا بِقَوْلِهَا الثَّانِي حِينَ قَالَا : وَإِنَّهُ لَا يَلِي هَذَا الْأَمْرَ
مِنْ بَعْدِ عُمرَ إِلَّا كُلُّ أَصْفَرَ أَبْتَر .

ولو لم يكن ذلك كذلك بل كانا مرتدَّين فتوَلَّيْتُمُوها عند تَوْبَتِهما
وعَادَيْتُمُوها قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى طَاعَتِهما لِعمرَ ، فَمَا بِالْكُمْ لَمْ تَقُولُوا مِثْلَ ذَلِكَ
فِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُؤْمِناً حَتَّى جَعَدَ إِمَامَةً عَلَى بَعْدِهِ ؟ ! مع أنَّ سُلَّ
الزُّبَيْرِ سَيْفُهُ ، وَعَدَّوْهُ نَحْوَ أَبِي بَكْرٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَوْلَ عُمرَ : « دُونَكُمْ
الْكَلْبَ » حَتَّى أَخَذَ سَيْفَهُ وَخَطَرَ ، إِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ وَجَدْنَاهُ فِي بَعْضِ
السِّيَرَةِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَفِيضَةِ ، وَلَيْسَ مِمَّا يَحْقِّقُهُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ .

وإن قالوا : فما قول أبي بكر في خطبته التي خطب بها في أول خلافته : « وَلَيْتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » ؟ وهل يخلو هذا القول من الصدق والكذب . فإن كان صدقاً فهو خلاف قولكم في تفضيله على جميع أئمتكم ، والرجلُ كان أعلم بنفسه وبأهل دهره . وإن كان كاذباً فأى كذب أقبح من كذب إمام على منبر جماعة ؟ ! ومن أحق بالآل يلبسهم ويحمل إمامة دينهم ودنياهم ممن يكذب على منبر الرسول من غير أن يُكرهه أحدٌ أو يُريده عليه ، أو يكون في تقيّة كخائف السوط والسيف ؟ ! بل ما يدعوه إلى الكذب ، والكذب متبجح في العقل متبجح في الدين ، ولم يكن هناك رهبة تسوقه ولا رغبة تقوده ؟ ! على أن كذب الرعية^(١) أسخف وأقبح ، وهو لا يخلو من أن يكون صادقاً ١٠ فلا يسهل أن يتقدم من هو خير منه وقد مكّنه تقديمه ، أو يكون كاذباً^(٢) فالقول فيه على ما قلنا .

قلنا : إن (العثمانية) تذكرُ لذلك وجوهاً :

فنها : أن الحسن كان يقول : والله أعلم أنه كان خيرهم ، ولكن المؤمن يهضم نفسه . فزعم الحسن أنه إنما تهضم نفسه ووضع منها ١٥ لأن الخلف المشفق كثيراً ما يزرى على نفسه ويعيب عليها ويستبطئها^(٣) ، ويُظهر المقت لها والخوف عليها . فهذا كان مذهب الحسن .

وأما قتاده فزعم أن قوله : « وَلَيْتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » إنما أراد في الحسب ، ليعلمهم أنه إذ يلبسهم بالحسب فإنما وليهم بالسابقة ، لأنهم

(١) أى الكذب على الرعية . (٢) في الأصل : « كذبا » . ٢٠

(٣) هذه الكلمة تامة الإجمال في الأصل .

قد كانوا أكثروا من قولهم : أرضيتم معشر بني عبد مناف أن تلي عليكم تيم ؟ ! وأراد في أول مقام قامه أن يعلمهم [أن] ذلك المقام لا يُقال بأن يكون صاحبه خير الناس حسباً ومركباً ، إنما يُقال بأن يكون خير الناس علماً وعملاً .

٥ وأما غيرهما فزعم أن من عادة الخائفين الوجلين المشفقين أن يقول الرجل منهم : كلُّ أحدٍ خيرٌ مني ؟ ثم يبكي على تضييعه ، ويستعظم صغير ذنبه كأنه ليس في الأرض مُذنبٌ سواه . وأكثر ما يقول ذلك عند ذكر بعض ذنبه أو عند بعض ما يعارضه به الشيطان والإنسان ، من تركيته وتقريطه وإظهار تفضيله لنفسه وإحسانه ، والعُجب^(١) بحاله . لأنه ليس بعد أن يرى العبدُ أن ذنبه من قبل ربه مذهبٌ هو أعظم من استكبار الطاعة واستصغار المعصية . فعند ذلك يعارضه المؤمن بتقريع نفسه وتأنيبها ، وتوقيفها على ما فرط منها ، وتذكيرها مساوئها ، واستعظام كل ما كان من تقصيرها وإساءتها ، واستصغار كل ما كان من عظيم إحسانها وطاعتها ، فيقول : كلُّ أحدٍ خيرٌ مني . وما أشبهه من الكلام .

١٥ وهذا الضرب من اللفظ ، إذا كان على هذا الوجه فليس في مجرى الكذب وقول الزور . وإن كان القائل : « كلُّ أحدٍ خيرٌ مني » خيراً من كل أحد .

فكان أبا بكرٍ لما خطب الناس وقام مقام رسول الله صلى الله عليه ، وسلم عليه المهاجرون والأنصارُ وعليه قريش وسادة العرب قياماً على أقدامهم ، وصفوفاً على مراتبهم ، يقولون : السَّلامُ عليك يا خليفة رسول الله

(١) في الأصل : « ولعجب » .

وَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِ أَزِمَّةَ الْأُمُور ، وَأَعْطَوهُ الْمَقَادَةَ ، وَأَسَمَحْتُ نَفُوسَهُمْ لَهُ بِالطَّاعَةِ
وَقَدْ صَرَفُوهَا عَنِ الْقَرَابَةِ وَعَنِ أَهْلِ الشَّرَفِ ، رَأَى بِسُطَّةِ عَيْشِهِ ^(١) مِنْ عِزِّ
الْخِلَافَةِ وَبَأْوِ الْإِمَامَةِ ، مَا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ غَيْرُهُ ، وَلَا تَأْتِي الصِّفَةُ عَلَى كُنْهِهِ .
وَالشَّيْطَانُ ^(٢) هُنَاكَ مَدَاخِلَ وَمَخَاتِلَ ، وَدَسٌّ وَتَحْرِيكٌ وَطَمَعٌ ، لَيْسَ يَقْوَى
بَشَرِيٌّ عَلَى دَفْعِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ ، وَتَسْكِينِ تِلْكَ الْحَرَكَةِ ، وَالنُّهُوضِ بِتِلْكَ الْحِمْنَةِ ،
إِلَّا بِغَايَةِ الزَّرِّيِّ عَلَى النَّفْسِ وَالْهَضْمِ لَهَا ، وَالْبَخْسِ وَالتَّخُونِ مِنْهَا ، وَتَنْابِي
ذِكْرٍ جَمِيعِ مُحَاسِنِهَا ، وَاجْتِلَابِ ذِكْرِ جَمِيعِ مَسَاوِيهَا . فَبِالْحَرَى إِذَا صَنَعَ
ذَلِكَ أَنْ يَرُدَّ مِنْ غَرْبِهِ وَطَوَائِعِ نَفْسِهِ ، وَحَرَكَةِ هِمَّتِهِ ، وَاتِّشَارِ عِزِّهِ ،
وَانتِقَاضِ مِرَّتِهِ .

وَهَذِهِ حَالٌ لَا يُمْتَحَنُ بِهَا إِلَّا الْخُلَفَاءُ ، وَلَا يُخْتَبَرُ بِهَا إِلَّا الْأُئِمَّةُ الْهُدَى ؛
لَأَنَّ مَعَهُمْ مِنْ قُوَّةِ الْمُئْنِ وَمِنْ فَضُولِ الْأَحْلَامِ ، وَشِدَّةِ الْوَرَعِ وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ ، وَثَبَاتِ
النَّفْسِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِمَا أَدَاءُ الطَّائِعِ ، وَإِمَانَةِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَعٍّ . . . مَا يَقَامُ بِهِ
مُورِهِ ^(٣) مَكَائِدَ الشَّيْطَانِ وَتَعْظِيمِ الْإِنْسَانِ ، وَعِزِّ السُّلْطَانِ . وَالنَّفْسُ لَا تَسْمَحُ
بِإِعْطَاءِ مَا عَلَيْهَا حَتَّى تَمْنَعَهَا مَا لَهَا .

وَأِنْ كَانَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ : « وَلَيْتَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ
مَدَاوَاةَ قَلْبِهِ ، وَالزَّرِّيَّ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ بِكَذِبٍ وَإِنْ كَانَ خَيْرُهُمْ ، إِذْ كَانَ إِنَّمَا
أَرَادَ إِصْلَاحَ قَلْبِهِ ، وَعِلَاجَ دَائِهِ ، وَالْبُعْدَ مِنْ تَقْرِيرِ الْقَوْمِ بِنَقْصِهِمْ عَنْ فَضْلِهِ ،
وَالْفَخْرَ عَلَيْهِمْ بِتَبَرُّزِهِ . فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ سَبِيلُهُ سَبِيلَ مَنْ يُظْهَرُ التَّعَلُّمُ
إِذَا عَلِمَ ، وَسَبِيلُ مَنْ يَتَوَاضَعُ إِذَا عَظُمَ . فَجَمَعَ بِذَلِكَ حَسْنَ الْأَدَبِ ، وَالْبُعْدَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَاسْطَهْ عَيْشِهِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالشَّيْطَانُ » .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْمُبَارَاةُ نَاقِصَةً مَحْرُفَةً .

من التَّزَكِّيَّة ، والتَّجَبُّبِ إِلَى السَّمْعِ ، والتَّوَاضُعِ لِرَبِّهِ ، والمداوَاةَ لِقَلْبِهِ ،
والظَّفَرَ بِمَدْوَاهِ ، وإِحْرَازَ دِينِهِ .

وقد يكون إخلاصُ ظاهرٍ لفظه على شيءٍ ومعناه غيره ، فلا يكونُ
ذلك كذباً ، لمعرفة القائل بفهم المستمع عنه . وهذا بابٌ كثيراً
ما يستعمله العرب .

يقول الرجل لامرأته : أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ ! وهو يعني طلاقها
وليس هناك حَبْلٌ أَلْقِيَ عَلَى غَارِبٍ .

ويقول : مَالِي فِي هَذَا الْأَمْرِ نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ ! وليس ذلك يُرِيدُ .
و : لست منها في عَيْرٍ وَلَا نَفِيرٍ ! وليس ذلك يُرِيدُ .

وقال عُمَرُ فِي الصَّدَاقِ مَا بَلَغَكُمْ ، فَلَمَّا احْتَجَّتْ عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ يَقُولُ
اللَّهُ : « وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ^(١) » قال : كلُّ أَحَدٍ
أَفْقَهُ مِنْ عَمْرٍ .

وهذا القول ينبغى أن يكون على قياسكم هذا كذباً . ولا نعلم أحداً
رواه عن عُمَرُ إِلَّا عَلَى التَّفْضِيلِ لَهُ . ووجهه قائمٌ معروف .

فَإِنْ قَالُوا : مَامَنْعَنِي قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ : « بَايَعُوا أَيْ هَذِينَ شَتَمَ » ، يَعْنِي
عُمَرُ وَأَبَا عُبَيْدَةَ .

قِيلَ لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِنَّمَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ لِلْأَنْصَارِ وَمَنْ حَضَرَ
بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ الْأَنْصَارُ بِفَضْلِ الْمُهَاجِرِينَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّ الْأُمَرَاءَ مِنْهُمْ . فَعَلِمَ
عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ بَائِنٌ عِنْدَ الْأَنْصَارِ مِنْ جَمِيعِ الْمُهَاجِرِينَ كَمَا بَانَ عِنْدَ الْمُهَاجِرِينَ

(١) الْآيَةُ ٢٠ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَإِنْ آتَيْتُمْ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ولكنه كان سائساً رفيقاً ، فكره أن يقول بايعوني ، ليكونوا هم الذين يطلبون منه ذلك ويريدونه عليه ، ويظهرون حبّ تقديمه ؛ لتكون النفوس بطاعته أسخ ، وفيها أرغب ، ولمذهبه أحمد ، ولأنّ ذلك عندهم أبعد من الاستبداد عليهم ، والافتيات بالأمر دونهم ، والحرص على التأمر عليهم . ولذلك مشى في الناس بعد بيعته ثلاثاً يقول : هل من مستقيل فيقال ؟

وقد قال في خطبته بعد البيعة :

وقد كانت بيعتي فلتة ، وخشيت الفتنة . وإيم الله ما حرصتُ عليها يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها الله في سرّ ولا علانية ، ومالي فيها راحة . وقد قلدتُ أمراً عظيماً مالى به طاقة ، ولوددتُ أن أقوى الناس ١٠ عليها مكانى .

ألا ترى زهدَه فيها^(١) ، وقلة حرصه عليها ، وكيف يُخبرُ أنه لو لم يخشَ الفتنة ما قبلها ، ولودّ أن أقوى الناس عليها مكانه ؟!

وقوله « لوددت أن أقوى الناس عليها مكانى » ، يقول : وددت أنه لو كان في الناس من هو أقوى عليها منى . ليس^(٢) أنه يرى أن ١٥ في الأرض يومئذ رجلاً هو أقوى عليها منه . ومثله هذا في كلام العرب كثير .

وقال الراجز^(٣) وذكر إليه فقال ، إذا كانت عليها مغارضها^(٤) :

(١) في الأصل : « ألا ترى في زهدَه فيها » .

(٢) في الأصل : « فليس » .

(٣) هو أبو محمد الفقهسى . اللسان (غرض) .

(٤) جمع مغرض ، كمجلس ، وأصله جانب البطن أسفل الأضلاع ، وهو ما يقع عليه الغرض وهو حزام الرجل . وقد عني به الجاحظ الأغراض . ويبدو أن هذه العبارة مقحمة ، وموضعها بعد .

* يشر بن حَتَّى تَمْقُضِ المغارِضُ^(١) *

يقول : يشر بن حتى لو [كانت عليها مغارِضها^(٢)] سمعت لها تقيضا .
والبعير لا يُورد وعليه غَرَضُهُ وبطانه .

ثم رجعنا إلى الحديث الأول

٥ فكانَّ أبا بكرٍ حين قال : « بايعوا أيَّ هذين شئتم » علمَ أنَّ عمرَ وأبا عبيدة لا يستجيزان تقدُّمه والتأمرَ عليه ، كما بلغنا من قول عمر في أبي بكر ، يومَ جمع المهاجرين والأنصار يستشيرهم في غزو الروم حيثُ خالفوه وأبى أبو بكرٍ إلاَّ إنفاذ ذلك الجيش والتعريف لهم بالحجة^(٣) فيه ، حين يقول : « الحمد لله الذي يخصُّ بالخير من يشاء من خلقه . والله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلاَّ سبقنا إليه ، ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .
١٠ وقال أيضاً يوم السَّقِيفَةِ حين قال أبو بكر : بايعوا أيَّ هذين شئتم : « والله لأنَّ أقدمَ فتضربَ عنق أحبُّ إلىَّ من أن أتقدمَ أبا بكر » . وقال : « والله لأنَّ أضجعَ فأذبح كما يذبح الجمل أحبُّ إلىَّ من أن أتقدمَ أبا بكر ! » .

١٥ ولقد بلغ من تعظيمه له وتقديمه إيَّاه ، أنه قال حين سئل عن السكَّالة : « والله إني لأستحي الله أن أرى خلافَ رأيِ أبي بكر » . وأنت لم تجد أبا عبيدة تقدِّمه في موقفٍ قط ، وقد وجدت أبا بكرٍ قد تقدَّم أبا عبيدة في مواقف كثيرة ، في حياة رسول الله صلى

(١) في أساس البلاغة : « حتى تنقُضَ » .

(٢) انظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة .

(٣) في الأصل : « الحجة » . وانظر ص ١٠٥ س ٨ - ٩ .

الله عليه وبعد وفاته ، كما حكينا لك قبل هذا . ولم نجد ذكر
أبي بكرٍ وعمر في موضعٍ قطُّ إلاَّ وأبو بكرٍ المقدم عليه ؛ مع مقامات
لأبي بكرٍ شريفةٍ ليس لعمَرَ فيها ذكر .

فبينَ أن يكونَ أبو بكرٍ يأمرهم بذلك أمراً أو يطلبُ إليهم طلباً ،
وبين أن يجعله إليهم فيكونوا الطالبين له والراغبين إليه ، وليكونَ ذلك •
من تلقائهم وطيب أنفسهم ، فرقٌ عظيم .

وآيةٌ بيعةٍ أثبتُ من بيعةٍ عقدها عمر والنبيُّ يقول : « ضُرب
بالحقِّ على لسانه » و « الشيطان يَفِرُّقُ من حِسِّه ^(١) » و اللهم أعزِّ
الإسلام بعمر » ؟ ! وآيةٌ بيعةٍ أثبتُ من بيعةٍ عقدها أبو عبيدة والنبيُّ
يقول : « لكلِّ أمةٍ أمينٌ وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » . ١٠

وآيةٌ بيعةٍ أثبتُ من بيعةٍ عقدها عبدُ الرحمن بن عوفٍ وقد سمَّاهُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأمين ^(٢) » . فإذا كان أمينُ رسول الله
صلى الله عليه في أمته ، والفاروق الذي فَرَّقَ الله به بين الحقِّ والباطل ،
حيثُ قال : « لا يُعبد الله سراً بعد اليوم » قد عقدا بيعته وأكدا
أمره ^(٣) ، فما عسى أن يبلغ قول قائلٍ ؟ ! ولو كان ذلك عن مواطاةٍ من ١٥

(١) في الرياض النضرة ١ : ٢٠٨ في حديث المرأة الأنصارية : « فقامت بالدفع على
رأس النبي صلى الله عليه وسلم فنقرت نقرتين أو ثلاثاً ، فاستفتح عمر فسقط الدف من يدها
وأسرعت إلى خدر عائشة . فقالت لها عائشة : مالك ؟ قالت : سمعت صوت عمر فهبته . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان ليفر من حس عمر » .

(٢) انظر السيرة ٤١٠ جوتجن ، لقول رسول الله في شأنه : « اثبتوني العشية أبعث
معكم القوى الأمين » . وفي الرياض النضرة ٢ : ٣٠٨ : « إن لكل أمة أميناً وإن أميننا
أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح . أخرجه البخاري ومسلم . وأخرجه الترمذي وأبو حاتم ،
ولفظهما : لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة ... » .

(٣) في الأصل : « عقد بيعته وأكدا أمره » . وإنما هما أبو عبيدة الأمين ، وعمر الفاروق .

أبي بكر لأبي عبيدة كما واطأ معاوية عمرو بن العاص ، ما استعمل عليه خالد بن الوليد أميراً أيتام حياته حتى عزله عمر بن الخطاب ، ولكن كان كما صنع معاوية بعمر و حين أطعمه مصر .

وآية بيعة أثبت من بيعة عقدها عبد الله بن مسعود ، والنبي صلى الله عليه يقول : « رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد ، وكرهت لها ما كره ابن أم عبد ^(١) » . فإذا رضي ابن أم عبد بيعة رجل فقد رضيها النبي عليه السلام ، إذ كان النبي قد قال : « رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد ، وكرهت لها ما كره ابن أم عبد » .

ولقد بلغ من تقديمه لأبي بكر وعمر وعثمان أنه قال عند اختيار الناس لعثمان : « ما ألونا أن جعلناها في أعلانا ذا فوق ^(٢) » .

ولقد بلغ من تعظيمه لعمر وتقدمه له ، أنه قال : « لقد خشيت الله في حب عمر » . وقال : « ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر » . وقال بعد موت عمر : « إن عمر كان للإسلام حصناً حصيناً يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات انثلم ذلك الحصن فصار الناس يخرجون منه ولا يدخلون فيه » . وقال : « إذا ذكر الصالحون في هلال بعمر ^(٣) » .

فإذا كان عمر وعثمان من أتباع أبي بكر وشيعته وأوليائه ، وهذا قوله فيهما ، وتفضيله لهما ، فما ظنك به في أبي بكر ؟ !

(١) انظر ما مضى في ص ٨٦ ، ١٤١ .

(٢) انظر ما مضى في ص ٢٢٣ . وكتبت في الأصل : « اعلى نادى فوق » .

(٣) أى ابدأ به وعجل بذكره .

ولو أن رجلاً واحداً من نحو من ذكرنا عقد لعلّ إمامة ، أو نطق فيه بكلمة ، لأكلت الشيعة والرافض هذه الأمة فضلاً عن أن تحتج برضاه واختياره . فهذا هذا .

ثم الذي نقلوا إلينا^(١) من تثبيت عليّ بيعة أبي بكر . وذلك أنهم قالوا : لما بُويع أبو بكر وباعه عليّ وبنو هاشم ، قام أبو بكر فطاف في الناس ثلاثاً يقول : « أيّها الناس ، قد أقبلتكم بيعتي ! » قالوا : يقول عليّ من بين الناس : « والله لا نُقيلك ولا نُسقيك ، قدّمك رسول الله صلى الله عليه تطلّى بالناس فن ذا يؤخرُك ؟ ! » .

ثم الذي نقله الناس عن عليّ حين قال على منبره : « ألا إن خير هذه الأمة أبو بكر ، والثاني عمر ، ولو شئت أن أخبركم بالثالث فعلت » .

ونقلوا جميعاً أن عليّاً قال : بينا أنا يوماً عند رسول الله صلى الله عليه إذ أقبل أبو بكر وعمر فقال النبي : « هذان سيّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، ما خلا النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما بالذي قلت يا عليّ » . قالوا : قال عليّ : لولا أنهما قد ماتا ما حدثتكم .

قال الشّامي : قال عليّ : « إن أبا بكر كان أواهاً مُنيباً ، وإن عمر ناصح الله فنصّحه الله » .

ونقلوا أن عليّاً قال — ودخل عليّ عمر وقد مات وهو مسجّى —

(١) في الأصل : « نقلوا إلينا » .

فقال : رحمك الله يا عمر ! والله ما أحدٌ أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل
صحيفته من هذا المسجى صاحب السرير !

وبلغه أن رجلاً تناولَ أبا بكرٍ وعمر ، فقال للرجل : لو سمعتُ
منك الذى بلغنى لأتقيتُ أكثرَكَ شعراً .

وقال : لو أُتيتُ برجلٍ يشتمهما لجلدته حدَّ المفتري .

ثم الذى نقله جميع أصحاب الآثار أنه قال : كنتُ إذا سمعت من
النبي صلى الله عليه حديثاً نفعتنى الله بما شاء منه ، فإذا حدثنى غيره عنه
استحلفته ، فإذا حلف لى صدقته . وإنَّ أبا بكرٍ حدثنى — وصدق
أبو بكر — حدثنى أنَّ النبي صلى الله عليه قال : « ما من رجلٍ
يُذنب ذنباً فيتوضأ فيُحسن الوضوء ثم يصلّى ركعتين ويستغفر الله إلاَّ
غُفِرَ له ^(١) » .

ألا ترى كيف أوردَه بالتصديق وقبلة التهمة ، وأقامه مقام التقليد
ورفع الاسترابة .

فهذا مذهبُ عليٍّ فيهما وتعظيمُهُ لهما .

ثم الذى كان من تزويجه أمَّ كلثوم بنتَ فاطمة بنتِ رسول الله صلى
الله عليه ، من عمر بن الخطَّاب ، طائماً راعباً ، وعمر يقول : إني سمعتُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّه ليس سببٌ ولا نسبٌ
إلاَّ مُنقطع ، إلاَّ نسبي » . قال عليٌّ : إنها والله ما بلغتْ يا أمير المؤمنين .
قال : إني والله ما أريدُها لذلك ! فأرسلها إليه فنظر إليها قبل أن يتزوجها ،

ثمَّ زَوَّجَهَا إِيَّاهُ ، فولدتُ منه زَيْدَ بْنَ عُمَرَ ، وهو قَتِيلُ سُودَانَ مَرَّوَانٍ^(١) ،
فلما أُنِّي النَّعْيُ أُمُّ كَلْثُومٍ كَدَّتْ عَلَيْهِ حُزْنًا حَتَّى مَاتَتْ ، وَقَالَتْ : وَاحِرَبَهَا !
قَتِلَ أَبُوهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَقُتِلَ زَوْجُهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَقُتِلَ
ولدها زَيْدُ بْنُ عُمَرَ .

ثم تسمية على أولاده بأسمائهم ، كما يتبرك الرجلُ بأسماءِ أُمَّتِهِ وَقَادَتِهِ ،
حين سَمَّى بُعْمُرَ وَعُمَانَ وَأَبِي بَكْرٍ ، فَأَعْقَبَ عُمَرَ وَلَمْ يُعَقِّبْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَانُ .

ثم الذي كان من قبوله ولايةَ عُمَرَ حين استخلفه على المدينة ، ومضى
عُمَرُ مُعْسَكِرًا يَرِيدُ جَيْشَ مِهْرَانَ^(٢) بَعْدَ وَقْعَةِ قُسِّ النَّاطِفِ^(٣) فَأَتَاهُ عَلِيُّ
إِلَى مُعْسَكِرِهِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ فِيمَنْ أَشَارَ^(٤) بَأَنَّ الرَّأْيَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَلَا يَلْقَاهُمْ بِنَفْسِهِ وَحَدَّهُ ، بَلْ يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ فَيْئَةً^(٥) . فرجع عمر . ١٠

وإنما أراد عمر بذلك تحريك الناس ليجدوا ويمزموا .

فإن قالوا : هذا كله باطل ، أو قالوا : إنَّ هذا الذي حكيتموه وإنَّ
كان حَقًّا فَإِنَّمَا كَانَ عَلَى التَّقِيَةِ . فقد قلنا في ذلك أَجْمَعَ بِالَّذِي يَكْتَفِي بِهِ .
والمعجب أنهم يوجبون على الناس تصديقهم أن سلمان قال : « كَرْدَاذِ

(١) انظر نسب قريش ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ٢٧٢ وجمهرة أنساب العرب ١٤٧ . ١٥

(٢) هو مهران بن باذان الهمداني القائِدُ الفارسي ، وكان عربي الأصل نشأ مع أبيه باليمن
إِذْ كَانَ عَامِلًا لِسُكْرِي . وروى الطبري ٤ : ٧٨ أَنَّهُ قَالَ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ :
لَمَّا تَسَالَوْا عَنِّي فَإِنِّي مِهْرَانُ أَنَا لَمَنْ أَنْسَكُرْنِي ابْنَ بَاذَانَ

عسكر الرجل والجيش : كان في المعسكر . وفي الطبري ٤ : ٨٣ : « خرج عمر حتى نزل
على ماء يدعى ضراراً فمعسكر به » . ٢٠

(٣) كانت في سنة ١٣ .

(٤) انظر خبر هذه الشورى في الطبري ٤ : ٨٣ - ٨٤ .

(٥) أي مرجعاً .

وَنَكَرْدَاذ^(١) » وَأَنَّ الزُّبَيْرَ خَرَجَ شَادًّا بِسَيْفِهِ لِيُؤَكِّدَ إِمَامَةَ عَلِيٍّ ، وَأَنَّ
الْأَنْصَارَ إِنَّمَا خَالَفَتْ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ نَقْضًا مِنْ اسْتِبْدَادِ أَبِي بَكْرٍ^(٢) ، وَأَنَّ
أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَخَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ ، إِنَّمَا قَالَا : « أَرْضَيْتُمْ مَعْشَرَ
بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ أَنْ يَبْلَى عَلَيْكُمْ تَيْمٌ » ، نَصْرَةً لِعَلِيٍّ دُونَ جَمِيعِ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ،
فَإِنَّ اللَّهَ رَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسَ^(٣) ، وَإِنَّ النَّبِيَّ قَالَ : « أَنْتَ مَنِيَّ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ
مِنْ مُوسَى » ، وَجَمَلَ إِلَيْهِ طَلَّاقَ نِسَائِهِ ، وَأَنَّهُ قَسَمَ النَّارَ^(٤) ، وَصَاحِبَ
الْعَرَضِ ، وَالْقَائِمُ عَلَى الْخُلُوصِ ، فَيُوجِبُونَ عَلَيْنَا أَنْ نَصُدِّقَهُمْ فِي هَذَا
وَلَا يُوجِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كُحْمَالَ الْآثَارِ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ فِي الْحَلِيمَةِ وَالْبَرِيَّةِ ،
وَالْبَائِنَةِ ، وَالْبَيْتَةِ ، وَطَلَّاقِ الْحَرَجِ ، وَأَمْرُكَ بِيَدِكَ ، وَالْحَرَامِ ، أَنَّهَا كَثَلَاتُ
تَطْلِيقَاتٍ . وَيُوجِبُونَ عَلَى طُلَّابِ الْحَدِيثِ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ لَا يَرَى الطَّلَّاقَ
إِلَّا طَلَّاقَ السُّنَّةِ .

وَهَذَا أَمْرٌ مَا سَمِعْنَا بِهِ قَطُّ عَنْ عَلِيٍّ إِلَّا مِنْهُمْ .
وَلَيْسَ بِأَعْجَبَ مِنْ اسْتِشْهَادِ خُصُومِهِمُ الْعِيَانَ وَالْإِجْمَاعِ وَمَا عَلَيْهِ الْوُجُودُ ،
وَاسْتِشْهَادِهِمُ الْقَصْدَ وَالضَّمِيرَ وَالْغَيْبَ ، وَجَمَلَهُمْ لَهُ يَوَازِنُ الظَّاهِرَ وَالشَّائِعَ .
وَذَلِكَ أَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ : أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ كَهَلَا وَأَسْلَمَ عَلَى طِفْلًا .

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) في الأصل : « أَبِي بَكْرٍ عَلَى » .

(٣) في الرياض النضرة ٢ : ١٧٩ : « عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : كَانَ رَأْسُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَرٍ عَلَى وَهُوَ يُوحَى إِلَيْهِ فَلَمَّا سَرَى عَنْهُ قَالَ : يَا عَلِيُّ ، صَلَّيْتُ الْعَصْرَ ؟
قَالَ : لَا . قَالَ : اللَّهُمَّ لِمَنْكَ تَعْلَمُ أَنَّ كَانَ فِي حَاجَتِكَ وَحَاجَةُ نَبِيِّكَ فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ . فَرَدَّهَا
عَلَيْهِ فَصَلَّى وَغَابَتِ الشَّمْسُ . خَرَجَهُ الدُّوْلَابِيُّ قَالَ : وَقَالَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ : وَهُوَ حَدِيثٌ مُوَضَّوعٌ
وَلَمْ تَرُدَّ الشَّمْسُ لِأَحَدٍ ، وَلَئِنَّمَا حَبَسَتْ لِيُوشِعَ بَنِي نَوْنٍ » .
(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

قالوا : كان عليٌّ وهو ابن سبع سنين أرجحَ عقلاً من أبي بكر وهو ابن إحدى وأربعين سنة . فتركوا العيان وعارضوا الشَّاهد بالغائب .

وإنَّ قال قائل : إنَّ أبا بكر كان مع النبيِّ في الغار وقد نطقَ به القرآنُ وثبَّتَه الإجماع . قالوا : فإنَّ عليًّا أباته النبيُّ على فراشه .

وإن قلت : إنَّ النبيَّ سمَّى أبا بكر بالصديق تفضيلاً له ولم يجعل له اسماً يفضُّله به . قالوا : بلى ، قد كان النبيُّ سمَّاهُ الصَّدِّيقَ الأكبر ، ولكنَّ الناس منعوه ذلك وظلموه ، حين لم يُسيروهُ وبُشيعوه .

وإن قلت : إنَّ النبيَّ اشتكى أياماً وليالي ، كلَّ ذلك يأمر أبا بكر بالصلاة ، وهو حاضرٌ ولا يأمره . قالوا : لأنَّ عليًّا كان مشغولاً بتمريضه .

وإن قلت : إنَّ الناس لما افتتنوا بعد موت النبي وعظموا شأنه حتى دعاهم الإفراطُ إلى أن قالوا : لم يمت ، ولكنَّه يغيب مثل ما غاب موسى عن قومه . فكان أبو بكر هو المتكلمُ والمحتجُّ والمحامي حتى عرفَهم الحقَّ وتنبَّهوا من الوسنة . قالوا : لأنَّ عليًّا قد كان اشتدَّ حزنه حتى قطعه عن الاحتجاج والتعريف .

فإن قلت : حين أظهروا الفرقة والدَّارُ دارُهم ، لو تركهم أبو بكر ولم يعرفهم فضل المهاجرين عليهم ، لكان في ذلك أشدُّ الفتنَةِ وأكبرُ الفساد ، فمأجلهم وتجرد للاحتجاج عليهم ، حين كان كلُّ إنسانٍ همُّهم نفسه ، وعلىٌّ بمزلٍ حتى كأنَّه كان غائباً . قالوا : لأنَّ عليًّا قد كان عرفَ حسدَ قريش وبغيتها عليه ، وطاعتها وحبها لأبي بكر ، فلم يكن ليقدر في غير مقدَح ، أو ينفخ في غير فحم .

فإن قلنا : إنَّ إظهارَ عليٍّ الرضا بالشورى دليلٌ على طاعة عمر .
قالوا : إنما ذلك للتقية .

فإن قيل : فلم رضى بعبد الرحمن مختاراً وعبد الرحمن عنده من
عدوه ، وأدنى منازله أن يكون كان مخوفاً عنده ، وأدى من ذلك أن
يكون الغلط غير مأمونٍ عليه .

قلنا : وهلاً أظهر من الخلاف شيئاً يسيراً إلينا ، وهلاً نطق بحرفٍ
واحد بقدر ما يتخذُه الناسُ بعدُ حُجَّةً ، ولم يكن بلغ أقصى خلافهم
فُيرى وعيداً أو إيقاعاً .

فإن قلت : إن عليّاً قال لأسماء بنتِ عميس — وهى يومئذ امرأته —
حين تفاخر ولدها من أبى بكرٍ وجعفرٍ وعليٍّ عندها : اقضى بين ولدك .
فقالت : ما رأيتُ شاباً كان أطهرَ من جعفر ، ولا رأيتُ شيخاً كان
أفضلَ من أبى بكر ، وإن ثلاثةً أنتَ أحسنهم لفضلاء^(١) ! فلم يُنكر ولم
يحتج ، ولم يفرق^(٢) ولم يتمعّب ، والكلام يُؤثر والقضية تظهر .

قالوا : إن فضله أظهرُ فى الناس من أن يحتاج إلى الاحتجاج ،
وإنما قالت ذلك مازحةً ، كما تمزح المرأة مع زوجها وتخرشُ به^(٣) .

فإن قلت : إنَّ عليّاً قد بايع أباً بكر وأعطاه صفقته طائفاً غير مكره
والحكم السابق من الله ورسوله أنَّ المدعى عليه إذا أقرَّ ولم يُنكر ،
ولم ير الوالى أثرَ جنونٍ ولا إكراها ، أن إقراره جائزٌ عليه ، فكذلك

(١) انظر ما سبق فى ص ٩٥ .

(٢) الفرق : الجزع . فى الأصل : « ولم يعرف » .

(٣) التخرش : الإغراء . فى الأصل : « وتخرش به » .

على^٥ إذا كان قد بايع وليس على رأسه سيف ولا سوط ، فحكمه حكم
الراضى المسلم .

قالوا : قد كان هناك إكراه ظاهر ، ولكن الناس تكاثروه
وأخفوه فيما بيننا وبينهم ، إذ كان الجمهور الأكبر معهم .

٥ فإن قلت : قد صدقناكم في قولكم إنه قد كان في تقيّة من أبي بكر
وعمر وعثمان ، رأيتم أيّام سلطان نفسه ومعه مائة ألف سيف تطيعه
وأهل الأرض كلّهم رعيّته ما خلا الشّام ، لم كان يُظهر تركيّة أبي بكر
وعمر على منبره وفي مجلسه ؟

قالوا : للتقيّة من رعيّته ، إذ كان أكثرهم على هواهم وطاعتهم .

١٠ قلنا : قد عرفنا أن تركه لعنهم والبراءة منهم والإخبار عن
استبدادهم وظلمهم ، على التقيّة ، فما حمّله على تركيهم والإخبار عن
محاسنهم ، والرواية الحسنة فيهم ، وقد كان له في السكوت سعة ، وعن
الكلام مندوحة ؟ ولقد تعدّى في مديح أبي بكر وعمر حتى قال لابن
طلحة : إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله : « إخواناً
على سرر متقابلين » .

١٥

وإن قلنا : إن في تسميته بنيه بأسمائهم دليل على تعظيمه لهم .

قالوا : لأنه قد كان علم أن شيعة سيحتاجون في آخر الزمان إلى
الترحم على أبي بكر وعمر وعثمان ، تقيّة من شيعتهم ، فسمّى بنيه بأسمائهم ،
حتى يكون ذلك الترحم واقعاً عليهم ، ولأن ينصب لهم من إذا قصدوا
إليه بالترحم أصابوا الحق ولم يحتاجوا إلى الإلطاء^(١) .

٢٠

(١) الإلطاء : الدفاع ، والاشتداد في الخصومة .

وإن قلنا : إنه زوج عمرَ غير مُكره^(١) ، ولا شيء أدلُّ على الخاصّة والصفاء من المشاركة والمصاهرة .

قالوا : قد كان هناك توعّد وتخوّف ، وقد قال بعضهم : إنَّ هذا باطلٌ وإنَّ عليّاً لم يزوّج عمرَ قطُّ . ونبئت عن بعضهم أنّه قال : قد كان ذلك على التقيّة ، ولكن الله صانها فأخفاها ورفعها . ٥

ف قيل له : فخبّرنا عن التي رأوها في منزل عمر وعلى فراشه ، وولدت منه زيدا ، ما هي ؟ وأي شيء كانت ؟ قال : شيطانة في صورة امرأة .

وإن قلت لهم : كيف زعمتم أنّه كان أشدَّ أهل الأرض قلباً ، وأنتم تزعمون أنّه كان يتقى كلَّ شيء ، حتى ليسلم حرمة إلى كافر من غير أن يشهر عليه سيف أو يضرب بسوط . وقد رأينا من هو في دون حاله في التّجدة والشّجاعة ، والحميّة والبصيرة ، يمتنع حتى يُقتل في دون هذا . وقد تعلمون أنّه لم يُكلم ولم يُخدش ، فضلاً على أن يُجرّح ويُقتل ، في جميع المقامات التي زعمتم أنّه إنّما استجاز واستحل من التّقية .

وأنعجب من جميع هذا أنّنا رأيناكم تزعمون أنّ أبا بكرٍ وعثمان كانا من أجبن البريّة وأبعده من حميّة ، وقد رأينا صنيعَ أبي بكرٍ في الرّدة كيف نهض بالقليل في محاربة الكثير ، وكيف أشاروا عليه بأن يستعين بجيش أسامة حتى إذا ردّ الرّدة أعاد الجيش إلى حاله . وكيف قال لهم حين قالوا له : إنّنا قد أمانّا غزو الرّوم إيانا في يومنا هذا ، ولسنا نأمن مع ارتداد جميع العرب أن نُقرّ في عُقر دارنا ! قال : لو بقيتُ حتّى يأكلني ٢٠

(١) انظر ما مضى في ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

الكلابُ وحدي ما أخرتُ جيشاً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنفاذه .
ثم رأينا عثمان ، وهو عندكم أضعفُ من أبي بكرٍ وأجبن ، قد كان
محاصراً مُعطشاً مخدولاً قد قهره عدوه ، والسيوفُ تلمع على بابه ، وقد أفضوا
إلى داره ، وتسلفوا عليه من خوخته^(١) ، وهم يريدون نفسه أو خلع
الخلافة من عنقه ، فصبرَ حتى قُتل كريماً محتسباً وهو يقول : ٥
« لا أنزع قيصاً قمصنيه الله ! » ، وهو يرى الجِدَّ وليس معه أمانٌ
من قبله .

وقد يزعمون أنَّ علياً قد كان يعلم أنَّه لا يُقتل ولا يموت حتى
يقاتل الناكثين والفاستين والمارقين ، ومع ذا يزعمون أنَّ الله^(٢) قد
كان أسراً إليه علم كلِّ ما يحدث في هذه الأمة من الفتن والهَيَج . وهذا ١٠
لا يُشبهه اتخاذه أبا موسى حكماً عليه وله ، مع غباء^(٣) أبي موسى
وعداوته كانت له ، ولا سيما إذا قرنه بعمر بن العاص . وما ظفك برأى
عمرٍ وقد كان فيه معونه^(٤) .

ففي جميع ما قلنا دليلٌ على أنَّ القوم إما أن يكونوا^(٥) مالكين لأهوائهم .
فإن قالوا : ما الدليل على إسلام أبي بكر فضلاً على تقديمه وتفضيله ١٥
ومباينته ؟ ومن أين لكم أن تزعموا أنَّه قد كان مُسليماً وأنتم وخصومكم
تجمعون على أنَّه قد كان كافراً ، ثم ادَّعيتُم أنه قد أسلم بعد كفره وأنكر
ذلك خصومكم ، فليس لكم أن ترجعوا عمّا اجتمعتم عليه إلّا بإجماع منكم

(١) الخوخة : كوة في البيت تؤدي إليه الضوء .

(٢) في الأصل : « الذي » .

(٣) في الأصل : « عما » بالإهمال .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) كذا في الأصل . والوجه « لم يكونوا » .

يوازنه . وقد ينبغي أن تطرحوا موضعَ الفرقة وتقضوا بموضع الجماعة ، وقد جامعتمونا أن علينا لم يزل مؤمنا .

٥ قيل لهم : إننا لو كنّا عرفنا أنه قد كان مرةً كافراً من قبيل خبر أصحابنا وجماعة خصومهم لهم ، وكان علمُ ذلك لا يُصاب إلا بمجامعتهم لأصحابنا ، لقد كان الذي قلتم واجباً وقياساً صحيحاً . ولكنّا عرفنا أنه قد كان كافراً بقدرٍ من الخبر قد يكذب مثله ^(١) ، وبه ثبت عندنا أنه قد كان في الدنيا ، فضلاً على أن يكون كان له فعلٌ يسمّى كفراً وإيماناً . وإنما الحجة في المجيء الذي لا يكذب مثله ، ثم لا نلتفت بعد ذلك إلى موافق ولا إلى مخالف ، ولا إلى عقل ولا إلى نظر . ثم نظرنا فإذا الوجه الذي منه علمنا أنه قد كان في الدنيا ، منه علمنا أنه قد كان مرةً كافراً ، و [هو] الوجه الذي منه علمنا أنه قد أسلم بعد كفره . ولو أننا عرفنا كفره بنا وبخصومنا ، لما عرفنا إيمانه إلا بنا وبهم .

١٥ ووجه آخر من الجواب : أنكم قد جامعتمونا على أنه قد كان يشهد الشهادة ، وبأكل الذبيحة ، ويظهر الإسلام ، في حيث النفاق مستخفٍ وثوبُ الإسلام داجٍ ^(٢) ، والكفر ذليل والإسلام عزيز ؛ [ثم] ادّعيتم بعد أن أقررتم أنه قد كان يظهر الإسلام في دار الإسلام ، أنه كان مُستسيراً بالكفر ، وأنه كان من المؤلفة قلوبهم .

فالواجب بالقياس أن يُحكم له بالإسلام على ظاهر ما اجتمعنا عليه من جملته . ولا ندعُ موضعَ الإجماع إلى قولكم وحدكم : إنه قد كان إسلامه

(١) في الأصل : « لا يكذب مثله » .

(٢) دجا : الإسلام : قوى وألبس كل شيء ، كما يدجو الليل ، إذا تم وألبس كل شيء .

- على نفاق ، لأنَّ الجماعة لا تنزل إلى فِرقة ، ولأنَّ الحجَّة لا تُترك إلَّا بحُجَّة .
 ✓ فإن قالوا : فإنَّ أبا بكرٍ لم يشهد قطُّ الشَّهادة ، ولا صلى [إلى] القبلة .
 قلنا : ما تقولون في رجلٍ رأيناه كافراً في دار الكفر ، ثمَّ رأيناه
 ✓ بعد ذلك في دار الإسلام وفي زِيٍّ أهله ، وحكم الإسلام غالٍ ، ومعلومٌ
 أنَّ من عادة أهله قَتْل من كفر ، كيف يكون حكمُ ذلك الرجل ؟ ٥
 فإن قالوا : ولكننا نقف في مَنَعِيهِ .
 ✓ قلنا : اجعلوا أبا بكرٍ ذلك الرجل .
 ✓ فإن قالوا : فإنَّ أبا بكرٍ لم يزل يُظهر الكفر في دار الإسلام ، كما كان
 يظهر الكفر في دار الكفر .
 ✓ قلنا : لا بدَّ لكفره من وجهين : إمَّا أن يكون كان يظهره على
 عهدٍ وذمَّة فلذلك لم تقتلوه . أو يكون كان على غير عهدٍ وذمَّة .
 فإن ادَّعوا أنَّ كفره كان على عهدٍ وذمَّة كما جعل الله ورسوله للنَّصارى
 وللَّهود ، خرَّجوا إلى مالا يحتاج مع فُحْشه إلى الكلام فيه . وإنَّ زعموا
 أنَّهُ كان على غير عهدٍ وذمَّة وحكم الإسلام ظاهرٌ ، فما أشبهَ هذا
 القول بالقول الأوَّل . ١٥
 ويقال لهم : خبرُّونا عن أبي بكرٍ ، هل يخلو من أن يكون لم يقلِّ
 قطُّ في دار الإسلام : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أو يكون قد قال
 ذلك مرَّةً واحدة ؟
 ✓ فإنَّ زعموا أنَّه قد قالها مرَّةً واحدة ثمَّ تركها ، قيل لهم : فقد
 أقررتهم وجامعتهم خصُومكم على أنَّه قد شَهِد الشَّهادة ، فليس لكم أن ٢٠

تخرجوه إلى نفاقٍ أو إلى تركٍ ، إلا لجماعة خصومكم لكم ، إذ كانت الفرقة لا تنقض الجماعة .

فإن قالوا : فإنه لم يقل لا إله إلا الله محمد رسول الله مرةً قطُّ من دهره ، لأعلى نفاق ولا على غيره ، بل كان يظهر عبادة الأصنام ، ثم مع ذلك سلم على حكم الكتاب والسنة ، وعلى حكم الدّار . فليس عندنا في ذلك إلا إسقاطه وتحريمُ كلامه وإمضاء حكم مثله فيه .

بل قد ثبت إسلامه بعد الوجوه التي ذكرتها بوجوه :

منها أن الله أثنى على عباده الصالحين ، نخصّ بتفضيله السابقين والمهاجرين الأولين ، وقد اجتمعت الأمة أنه من المهاجرين الأولين مع فضيلة هجرته ، إذ كانت هجرته وهجرة رسول الله صلى الله عليه معاً . فهذا وجه .

ثم الذي رأينا من ذكر الله وثنائه على أهل بدرٍ . وقد أجمع المسلمون أنه كان ممن شهد بدرًا ، مع ما فضل به من الكون في العريش ، ولا موضع أدلُّ على الخاصّة من ذلك الموضع في ذلك الموقف ، مع ما شهد به من مُستجيبه وعُتقائه ومواليه . ولقد بلغ من قدر من شهد بدرًا أن عامة الفقهاء تحدّث أن الله « اطلع على أهل بدرٍ فقال اعملوا ما شئتم » فلذلك كان الحسنُ يقول : إن طلحة والزُّبير وعليًّا في الجنة معاً وإن لم يكونوا كانوا^(١) في الدنيا ، لأنهم عُتقوا الله من النّار ، ولم يكن الله ليعتق عبداً ثم يمیده في رِقّة . ولذلك كان الحسن ، وحوشبٌ ، وهاشمُ الأوقص ، وبكرُ ابن أختِ عبد الواحد ، يقولون إذا ذكروا يومَ الجَل : « هلكَت الأتباع ونجت القادة » . فهذا هذا .

(١) في الأصل : « نوا » بالإهمال .

ثم الذي كان من ذكر الله وحسن ثنائه على من بايع تحت الشجرة .
 وأى شيء أعجب من اجتماع السلف مهاجريها وأنصاريها خلا أربعة نفر
 على تقديم رجل في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقضى في أبشارهم
 وأشعارهم وفروجهم وأموالهم ، ويحمل أماناتهم ، ويدعونه خليفة
 رسول الله ، حتى تترك^(١) الشريف المطاع ذا السابقة والقدم وتولى مكانه
 الخامل القليل المقصر ، فلا يراؤ ولا يدافع ، ولا يرآجع ولا يستفهم ، وهو
 المعروف عندهم بجحد الرسول وعبادة الأوثان ، وليس بذي عشيرة منيعة .
 ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه قد كان واطأ المشائر ليصرفوا إليه
 عونهم على أن يؤثرهم^(٢) . ويفضّلهم . ولو كان ذلك لظهر علمه ولم يخف أثره .
 ومثل هذا لا يستطيع كتمان ستره وتزويله .

١٠

وكيف وقد سوى بين الرفيع والوضيع ، والدليل [و] المنيع ؟! فلم^(٣)
 يؤثر قريباً ولم يولّ نسياً .

ولو استعان بطلحة وولاه وفضّله لقد كان لذلك موضعاً ، وللولاية
 والتقديم أهلاً ، بل صنع ضداً ما يصنعه أصحاب الميل والأثرة ،
 والعصبية والمواطاة .

١٥

ولو كان قريب القربة لجاز^(٤) لقائل أن يقول : إنما قدم لقربته .
 ولو كان عصبيةً لقالوا : إنما استحق بوراثته .
 ولو كان منيع الرهط لقالوا : إنما قدم لكثرة قبيلته .

(١) في الأصل : « مول » بالإجمال .

(٢) في الأصل : « ورهم » بالإجمال .

(٣) في الأصل : « فن لم » .

(٤) في الأصل : « وجاز » .

ولو كان استعانة بقوم على مواطاةٍ وشريطةٍ ، كصنيع معاوية بنى الكَّلَاعَ وعمر بن العاص ، لقالوا : إنما قُدِّمَ رهبةً ممَّن واطأه ، ورغبةً فيمن أكَدَّ هواه .

[و] ولَّى بنى مخزومٍ أعناقَ العرب وقَتَلَ أهلَ الرِّدَّةِ ، وحرب مسيلمةَ ومحاربةَ طُليحةَ ، دون رهطِهِ . ولو ولَّى ذلك طليحةً لكان لذلك أهلاً ، ولكنَّ الطاعن قد كان يجد سبباً .

وكذلك عمرُ بن الخطاب لو كان أَدخَلَ في الشورى سَعِيدَ بن زيدٍ كما كَلَّم في ذلك ، وأدخَلَ في الرُّقَباء عبد الله بن عُمر كما كَلَّم في ذلك ، لكان لذلك أهلاً ، ولكنَّ الطاعن قد كان يجد متعلِّقاً .

١٠ وولى خالد بن الوليد حربَ مسيلمةَ وطُليحةَ وبنى تميم وأهل البادية ، وولى عِكْرمةَ رِدَّةِ عُثْمَانَ ، وولى المهاجرَ بنَ أَبِي أُمَيَّةَ رِدَّةَ أَهْلِ نُجَيْشٍ واليمن . وما زال عمر يعاتبُهُ في خالدٍ فيقول أبو بكر : « لَا أَشِيْمُ سِلْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ » . فهذا هذا .

والمعجب^(١) لهذه الأمة كيف اختلفت في رجلين أحدهما خير خلق الله ، والآخِر شرُّ خلق الله . وكيف اختلفت في رجلين أحدهما لم يزلْ مؤمناً والآخِر لم يزلْ كافراً ، ثمَّ كان المقدَّم الحُسييس الكافر ، على الرُفيع المسلم ! [وهم] أصحابُ القرآنِ وخاصَّةُ الرِّسُول من الصَّحابةِ والبَدْرِيِّينَ والأنصارِ والمهاجرين ، وهم الذين قالَ فيهم التَّابِعُونَ : خير هذه الأُمَّة أصحابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ! ابْتَلُوا فَصَبَرُوا ، وَأُنِمْ عَلَيْهِمْ فَشَكَرُوا .

٢٠ (١) في الأصل : « ولا معجب » في هذا الموضع والموضعين بعده .

والعجب كيف رأوا^(١) تفضيل عليّ على أبي بكرٍ وعمر مديحاً له .
 وإنما كان يكون عليٌّ عالياً رفيعاً متقدماً زاهداً عالماً سائساً أن لو كان
 أفضل من فضلاء ، وأعلم من علماء ، وأعقل من عقلاء ، وأزهد من
 زهاد ، وأسوس من ساسة . فأمّا أن يكون أفضل من أنقص الناس ،
 وأزهد من أرغب الناس ، وخيراً من شرّ الناس ، وأعلم من أجهل
 الناس ، فليس في هذا التفضيل دركٌ فيشكّله متكلفٌ ، ويقوم به قائم .
 والعجب من رجلين بينهما هذا التفاوت والتباين ثم شهد المتكلمين^(٢)
 من سمعهما يتنازعا فيهما ، فيحسب الحاضر أن شرّها خيرها ، وهو
 الأريب الأديب الذاهب مع التعارف عن التناكر . وكيف التبس الأمر
 وأشكل أن لم يكن الأمر مشكلاً ملتبساً .

١٠

وكيف يجوز أن يكون أبو بكر لم يزل كافراً ، أو يكون كفره بجده
 إمامة على وكفره معه المهاجرون والأنصار ، وقد أجمع أصحاب الأخبار
 ومُحَمَّل الآثار أن النبي صلى الله عليه قال : « إنَّ من أمتي سبعة ألفاً
 يدخلون الجنة بغير حساب » ، فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ،
 دع الله يجعلني منهم . قال : أنت منهم . فقتل مع خالد بن الوليد يوم بُرَآخَةَ
 في إمرة أبي بكرٍ وطاعته والإقرار بخلافته ، قتله طليحة بن خويلد
 الأسدي . فكيف يجوز أن تكون إمامة أبي بكرٍ معصيةً فضلاً على أن
 تكون كفراً والمقتول في طاعته والنقاد لأمره من أهل الجنة .

ثم تزعم الروافض أن الدليل على أن عليّاً كان المحقّ دون طلحة
 والزبير ، أن النبي صلى الله عليه [قال] وذكر زيد بن صوحان : « زيد

٢٠

(١) في الأصل : « واوا » .

(٢) كذا وردت هذه العبارة .

وما زيد ! يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة « . فقتل يومَ الجمل . فجمعوا الدليل على صواب عليٍّ في قتاله أنَّ زيدا قُتل في طاعته .

قيل لهم : ففي قول النبي « يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة » دليلٌ أنَّ ذلك العضو لم يسبق إلى الجنة إلاَّ وقد قُطِع في طاعة الله . وقد اجمعوا أن يده قُطِعَت يومَ نهاوند ، في طاعةِ عمر .

وهذا بابٌ كبيرٌ إنَّ تتبعه متبَّع ، ولكنَّا أردنا أن ندُلَّ على جميع الأبواب في تفضيل الشيخين ، ونفَى التنصُّع عنهما (١) .

وإن سألَ سائلٌ فقال : هل على الناس أن يتَّخذوا إماماً وأن يُقيموا خليفة ؟

قيل لهم : إن قولكم « الناس » يحتمل الخاصة والعامة . فإن كنتم قصدتم إليهما ، ولم تَفْصِلوا بين حالهما ، فإنَّا نَزعِمُ أنَّ العامة لا تعرف معنى الإمامة وتأويلَ الخلافة ، ولا تَفْصِلُ بين فضل وجودها ونقص عدمها (٢) ولأى شئٍ ارتدَّت ولأى أمرٍ أمَلت ، وكيف مأناها والسبيلُ إليها . بل هي مع كلِّ ريح تهب ، وناشئة تنجم (٣) ، ولعلها بالمبطلين أقرَّ عيناً [منها] (٤) بالحقين . وإِنَّمَا العامة أداة للخاصة ، تَبْتَذِلُهَا للمَهَن ، وتَرْجِيُّ بها الأمور ، وتطُول (٥) بها على العدو ، وتسُدُّ بها الثُّغُور . ومَقَامُ العامة من الخاصة مقامُ جَوَارِحِ الإنسان من الإنسان ؛ فإنَّ الإنسان إذا فَكَّرَ أبصر ، وإذا أبصرَ عَزَمَ ،

(١) بعد هذه الكلمة يبدأ اختيار جديد في نسخة المتحف البريطاني المرموز إليها بالرمز

(ب) وسأنبه على نهايته من بعد .

(٢) في الأصل : « عزمها » ، صوابه في ب .

(٣) في الأصل : « واسمه شخص » وأثبت ما في ب .

(٤) التكملة من ب .

(٥) ب : « تصول » .

وإذا عزم تحرّك أو سكن وهذا^(١) بالجوارح [دون القلب . وكما أن الجوارح^(٢)] لا تعرف قَصْدَ النَّفْسِ ولا تَرَوِّى فى الأمور ، ولم يُخْرِجْهَا ذاك من الطّاعة للعزم ، فكذلك العامّة لا تعرف قَصْدَ القادة^(٣) ولا تدبّر الخاصّة ، ولا تَرَوِّى معها ؛ وليس يخرجها ذلك من طاعة عزمها ، وما أبرمت من تدبيرها .

والمجوارح والعوام وإن كانت مسخرة ومدبرة فقد تمتنع لعلّ تدخلها ، وأمور تصرفها ، وأسباب تنقضها^(٤) ، كاليد يعرض لها الفالج ، واللسان يعتره الخرس ، فلا تقدّر النفس على تسديدها وتقويمها ، ولو اشتدّ عزمها وحسن تأنيها ورفقها . وكذلك العامّة عند نفورها وتهيجها^(٥) وغلبة الهوى والسُّخف عليها ، وإن حسن تدبير الخاصّة وتعهد السّاسة . ١٠ غير أن معصية الجارحة أيسر ضرراً وأهون أمراً ، لأنّ العامّة إذا انكفت^(٦) بالخاصّة وتنكّرت للقادة ، وتشزّنت على الرّاضة^(٧) كان التّبور الذى لا حيلة له ، والفناء الذى لا بقاء معه .

وصلاح الدُّنيا وتام النّعمة ، فى تدبير الخاصّة وطاعة العامّة ، كما أن كمال المنفعة وتام درك الحاجة^(٨) بصواب قَصْدِ النَّفْسِ وطاعة الجارحة ، ١٥

(١) فى النسختين : « ومما » .

(٢) التكملة من ب .

(٣) فى الأصل : « العادة » وب « العامّة » والوجه ما أثبت .

(٤) فى النسختين : « ينقضها » .

(٥) ١ : « ثبورها وتهيجها » .

(٦) كذا فى النسختين ، لعلها « نككت » .

(٧) الرّاضة : جمع راض . تشزّنت : أصعبت . والكلمة مهملة فى الأصل . وفى ب « تشربت » تحريف .

(٨) فى الأصل : « الخاصّة » صوابه فى ب .

لأنَّ النَّفس لو أدركت كلَّ بُغية ، وأوفت على كلِّ غاية ، وفتحت كلَّ مسمةً مَلِق ، واستثارت كلَّ دفين ، ثم لم يُطعمها اللسانُ بحسن العبارة ، واليدُ بحسن الكتابة ، كان وجود ذلك المستنبط — وإنَّ جلَّ قدره وعُظم خطره — [وعدمه ^(١)] سواء .

٥ ✓ فالخاصَّة تحتاج إلى العامة كحاجة العامة إلى الخاصة . وكذلك القلب والجراحة . وإِنَّمَا العامة جُنَّة للدَّفع ، وسلاحٌ للقطع ، وكالتُّرس للرَّامى ، والفأس للنجار . وليس مضى ^(٢) سيفٍ صارمٍ بكفِّ امرئٍ صارمٍ بأمضى من شجاعٍ أطاع أميره وقلَّد إمامه ! وما كُنْ أَشْلَاهُ رَبُّهُ وأحمشه كَلَّابُهُ ، بأفراطٍ نَزَقاً ^(٣) ولا أسرعَ تقدُّماً ، ولا أشدَّ تهوُّراً ، من جنديٍّ أغراه طمعه ، وصاح به قائده .

وليس في الأعمال أقلُّ من الاختيار ، ولا في الاختيار أقلُّ من الصَّواب ، فلُبَّابُ كلِّ عملٍ اختياره ، وصفوة كلِّ اختيار صوابه ، ومع كثرة الاختيار يكثر الصَّواب . فأكثر النَّاس اختياراً أكثرهم صواباً ، وأكثرهم أسباباً موجبة أقلَّهم اختياراً ، وأقلَّهم اختياراً أقلَّهم صواباً .

١٥ فإنَّ قالوا : فقد ينبغي للعوامِّ ألا يكونوا مأمورين ولا منهيين ، ولا عاصين ولا مطيعين .

قيل لهم : أمَّا فيما يعرفون فقد يطعمون ويمصُّون .
فإنَّ قالوا : فما الأمر الذي يعرفون من الأمر الذي يجهلون ؟

٢٠ (١) التَّكَلُّف من ب .

(٢) في الأصل : « يمضى » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « نزقا » .

قيل : أمّا الذى يعرفون فالتزويل المجرد بغير^(١) تأويله ، ومُجملة الشريعة بغير تفسيرها ، وما جلّ من الخبر واستفاد ، وكثُر تردّده على الأسماع ، وكُرُورُهُ على الأفهام . وأمّا الذى يجهلون فتأويل المُنزَل ، وتفسير المُجمل ، وغامض السُّنَنِ التى حملتها^(٢) الخواصّ عن الخواص من حملة الأثر ، وطُلاب الخبر ، مما يتكلّف معرفته ويتتبع فى مواضعه ، ولا يَهْجُم على طالبه^(٣) ٥ ولا يقهر سمع القاعد عنه . ليس

والخبر ، خبران : خبرٌ لِلْخاصة فيه فضلٌ على العامة ، كالصلوات الخمس ، وصوم رمضان ، وغُسل الجنابة ، وفى المائتين خمسة^(٤) . وخبرٌ تفضّل فيه الخاصة العامة ، وهو كما سنّ الرّسول فى الحلال والحرام ، وأبواب القضاء^(٥) والطلاق ، والمناسك ، والبُيُوع ، والأشربة ، ١٠ والكفّارات وأشباه ذلك .

وبابٌ آخر يجهله العوام ويخبط فيه الحشوّ ، ولا تشمر بمرّجها^(٦) و [لا] موضع دأبها^(٧) . ومتى جرى سببُه أو ظهر شيء منه تسنّمت أعلاه ، وركبت حوّمته^(٨) ؛ كالكلام فى القدر والتشبيه ، والوعد والوعيد ،

١٥

(١) فى الأصل : « بعد » ، صوابه فى ب .

(٢) فى الأصل : « جهلتها » ، صوابه فى ب .

(٣) أى يسهل فهمه . ب « يهجم » تحريف .

(٤) يشير إلى الزكاة .

(٥) هذا ما فى ب . وفى الأصل : « الفضل » .

٢٠

(٦) ب : « يسرها » .

(٧) التكملة السالفة من ب ودأبها فى الأصل : « ذاتها » وفى ب « دأبها »

والوجه ما أثبت .

(٨) فى الأصل : « حرمة » ووجهه من ب .

لأنّها قد تحجّم^(١) [عن] دعوى الفتيا ، ولا تنهات فيها ، [ولا] تتسكّع فيما لا يعرف منها^(٢) ، ولا تستوحش من الكلام في [التعديل والتجوير ، ولا تفرغ من الكلام في^(٣)] الاختيار والطّباع ، ومجىء الأخبار^(٤) وكلّ ما جرى سببه من دقيق الكلام وجليله في الله وفي غيره .

ولو برز^(٥) عالمٌ على جادةٍ منهجٍ وقارعةٍ طريق ، فنازع في النّحو واحتجّ في العروض ، وخاض في الفتيا ، وذكر النّجوم والحساب ، والطّب والهندسة ، وأبواب الصّناعات ، لم يعرض له ولم يُفاتحه إلّا أهل هذه الطبقات .

ولو نطق بحرفٍ في القدر حتّى يذكر العِلْمَ والمشية^(٦) ، والاستطاعة والتّكليف ، وهل خلق الله الكُفْرَ وقدره ؟ أو لم يخلقه ولم يقدره ١٠ لم يبقَ حَمَالٌ أغثر^(٧) ولا يطاق^(٨) غثٌ ، ولا خاملٌ غفلٌ ، ولا غبيٌّ كهائمٌ ، ولا جاهلٌ سفيهٌ ، إلّا وقفَ عليه ولاخاهُ ، وصوّبه وخطّاه ؛ ثمّ لم يرضَ حتّى يتولّى من أرضاه ، ويكفّر من يُخالف هواه . فإنّ جراه مُحِقٌّ ، أو أغلظَ له واعظٌ ، وانفق أن يكون بحضرته أشكاله ، استعوى أمثاله^(٩) فأشعلوها فتنّةً ، وأضرموها ناراً . ١٥

(١) ب : « عجّزت » . والتكلمة التالية من ب .

(٢) التسكّع : أن يمشى متعسفا لغير وجهة . ب : « ولا تنسج » .

(٣) التكلمة من ب .

(٤) ب : « الآثار » .

(٥) في الأصل : « ولم رد » ، صوابه من ب .

(٦) هذا ما في ب . وفي الأصل : « التشبيه » .

(٧) الأغثر . الأحق الجاهل .

(٨) كذا في ب ، والمعرف الأول مهمل في الأصل .

(٩) استعواهم : نعى بهم إلى الفتنه .

فليس لمن كانت هذه صفته أن يتَحَيَّرَ مع الخاصة . مع أنه لو حَسُنَتْ
نَيْتُهُ لم تحتمل فطرته معرفة الفُصول وتمييز الأمور .

فإن قالوا : ولعلهم لا يعرفون الله ورسوله كما لا يعرفون عدله من جوره ،
وتشبيهه بخلقه من نفى ذلك عنه ، وكما لا يعرفون [القرآن ^(١)]
تفسير ^(٢) مجمله ، وتأويل منزله .

- قيل لهم : إنَّ قلوب البالغين مسخرة لمعرفة ربِّ العالمين ، ومحمولة
على تصديق المرسلين ، بالتَّنبية على [مواضع ^(١)] الأدلة ، وقصر النفوس
على الروية ، ومنعها [عن ^(١)] الجولان والتصرُّف ، وكلُّ ماربث عن
التفكير ^(٣) ، وشغل عن التَّحصيل ، من وسوسة أو نزاع شهوة ؛ لأنَّ
الإنسان ما لم يكن معتوها أوطفلاً فحجوجٌ على السنة المرسلين عند جميع
المسلمين ، ولا يكون محجوجاً حتَّى يكون عالماً بما أمر به ، عارفاً بما
نهى عنه ، لأنَّ من لم يعلم في أى الضَّرين سُخط الله وفي أى النوعين
رضاه ، ثمَّ ركب السُّخط أو أتى الرضا ، لم يكن ذلك منه إلا على
الانفاق . وإنما الاستحقاق مع القصد ، والله يتعالى أن يعاقب من لم يُرد
خلافه ولم يعرف رضاه ، أو يحمده من لم يعتمد رضاه ولم يقصد إليه . ١٥
ولم يكن الله ليعدِّل صنعته ويسوَّى أداته ^(٤) ، ويفرق بينه وبين
المنقوص في بنيته وتركيبه ، إلا ليفرق بين حاله وحال الطفل والمعقوه .

(١) التكملة من ب .

(٢) هذا ما في ب . وفي الأصل « نفس » .

(٣) ربه عن الشيء : حبسه وصرفه في الشئتين : « على التفكير » ، تحريف .

(٤) ب : « آدابه » تحريفه .

وليس للمعرفة وجهٌ إلا لتبصيره^(١) وتخييره ، ولولا ذاك لم يكن للذي خُصَّ به من الإبانة ، وتعديل الصَّنعة ، وإحكام البنية^(٢) معنى . والله يتعالى عن فعل مالا معنى له .

وفي قول الله : « وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » دليلٌ

٥ على ما قلنا .

وليس لأحدٍ أن يُخْرِجَ بعضَ الجنِّ والإنسِ من أن يكون خُلِقَ للعبادة إِلَّا بحجة . ولا حجةٌ إِلَّا في عقلٍ ، أو كتابٍ ، أو خبرٍ .

فإن قالوا : فإن كان الله إنما أبانهم بالتعديل والتسوية للعبادة والاختيار مع الأمة فحكمهم^(٣) حكم المسلمين المتعبدين . وإنما الإمام ١٠ إمام المسلمين والمتعبدين .

قلنا : إنما يلزم الناس الأمر فيما عرفوا سبيله ، وليس للعوام خاصة معرفةٌ بسبيل إقامة الأئمة فيلزمها^(٤) أمرٌ ، أو يجرى عليها نهى .

والعامة وإن كانت تعرف مجل الدين بقدر ما معها من المقول فإنه لم يبلغ من قوة عقولها وكثرة خواطرها أن ترتفع إلى معرفة العلماء ، ولم تبلغ من ضعف عقولها أن تنحط إلى طبقة المجانين والأطفال . ١٥

وأقدار طبائع العوام والخواص ليست مجهولة فنحتاج إلى الإخبار عنها بأكثر من التنبيه عليها ، لأنكم تعلمون أن طبائع الرُّسل فوق طبائع

(١) في الأصل : « وليس المعرفة وجه إلا لتبصيره » صوابه في ب .

(٢) في الأصل : « وتحكيم البنية » ، صوابه في ب .

(٣) في النسختين : « وحكمهم » .

(٤) في الأصل : « الأمة فللزمها » ، صوابه في ب .

الخلفاء ، وطبائع الخلفاء فوق طبائع الوزراء ، وكذلك الناس على منازلهم من الفضل ، وطبقاتهم من التركيب في البخل والسخاء ، والبُلدة والذكاء ، والمُدر والوفاء ، والجُبْن^(٢) والنَجدة ، والجَزَع [والصبر^(٣)] والطَّيش والحِلْم ، والكِبَر والتَّيّه ، والحِفْظ والنَّسيان ، والعمى والبيان .

- لو كانت العامة تعرف من الدين والدُّنيا ما تعرف الخاصة كانت العامة خاصة ، وذهب التفاضل في المعرفة ، والتباين في البنية . ولو لم يُخالف بين طبائعهم لسقط الامتحان وبطل الاختبار ، ولم يكن^(٤) في الأرض اختيار . وإنما خولف بينهم في الفريضة ليصبر صابر ، ويشكر شاكر ، وليتفقوا على الطاعة . ولذلك كان الاختلاف هو سبب الائتلاف^(٥) .

- ويقال لهم عند ذلك : إنَّكم قد أكثرتم في أمر العوام ، وخطَّتم ١٠ في الحكم عليهم ، فمرة تزعمون أننا نكذب عليهم حين نزعهم عنهم غير مجبوجين ، لأنهم بزعمكم لا يفصلون بين الأمور ، ولا يفرقون بين الكاذب المحتال وبين الصادق المحق . وجعلتم الدليل على ذلك أنكم اعترضتموهم بزعمكم فسألتموهم عن الدليل والحجة ، والفرق والعلة ، فلم تجدوهم يشعرون بما^(٦) يلزم فيها ولا يعرفون بابها ، وكيف الكلام فيها . ١٥

(١) البلدة ، بفتح الباء وضمة الميم ، والبلادة أيضا : ضد النفاذ والذكاء والمضاء في الأمور .
ب : « البلادة » .

(٢) في الأصل : « والحر » مع الإجمال ، صوابه في ب .
(٣) التكملة من ب .

(٤) في الأصل : « ولو لم يكن » ، صوابه في ب .
(٥) إلى هنا ينتهي هذا الاختيار الأخير في نسخة (ب) . وتنفرد نسختنا هذه بالنص .
(٦) في الأصل : « لما » .

وإنّا معشر أصحاب المعرفة قد تعمّدنا الكذب عليهم ، حين زعمنا أنهم يعرفون ذلك ، ويفرّقون بين معانيه . ومرةً تزعمون أنهم يعرفون ما يعرفه الخواصّ والعلماء ، ويعلمون ما يعلمه المتكلمون والفقهاء ، من إقامة الأئمة وعقد الخلافة . فمرةً تخرجونهم من جميع المعرفة ، ومرةً تجمعونهم في غاية المعرفة . وأعدلُ الأمور في ذلك وأقسطها أن تزعموا أنهم يعرفون مُجمل الشرائع الظاهرة الجليلة^(١) ، ومُجمل السُنن الواضحة المستفيضة ، ويجهلون تفسير مُجملها وتأويل مُنزّلها ، وكل منصوص لم^(٢) يظهر كظهور الحجّ ، ولم يُشهر كشمرة^(٣) صوم رمضان ، وغسل الجنابة ، وتحريم الخمر والخنزير والميتة والدم . ولكنّ دَعَونا جانباً ، واضربوا عمّا نقولُ صَفْحاً ، وقرّبوا جميع القولين لنتعاون عليهما ، فأيهما كان أثبتَ على الامتحان ، وأنفى للقذى ، وأحسن مَعزًى ، وأجدّد على الأيّام ، وأصحّ على التقلب ، دِنّاً به ، وحامينا عليه ، وتقربنا به ، وآثرناه على ما سواه .

على أنّا لا نستملّي حقّ ذلك وصدقه إلّا منكم ، ولا نحتجّ عليكم إلّا بما تقرّون به على أنفسكم .

١٥ خبرونا عن العوامّ : هل يخلو أمرهم من أن يكونوا محجوجين أو غير محجوجين ؟ فإن كانوا غير محجوجين فقد دخلوا في أكثر ممّا عابوا . وإن كانوا محجوجين فهل تخلو الحجة الذي بها قطع الرسولُ عذرهم من ضربين : إمّا أن تكون المعرفة بصدق الرسول وفصل ما بينه وبين

(١) في الأصل : « الجليلة » .

(٢) في الأصل : « ولم » .

(٣) في الأصل : « كشمور » .

المتنبى كما نقول . وإما أن تكون الحجة في الدليل على المعرفة ،
وليست بالمعرفة .

فإن زعموا أن الحجة هي المعرفة فقد وافقوا وأصابوا . وإن زعموا
أنها الدليل على المعرفة فليخبرونا عن ذلك الدليل ما هو ؟

فإن قالوا : هو كلام الذئب^(١) وحنين المود^(٢) ، وإظلال الغمامة^(٣) ،
وقصة الميضأة^(٤) ، وخذ الشجرة^(٥) ، وكلام الذراع^(٦) ، وعجز الشعراء عن
تأليف القرآن ، والبشارات برسالته في الكتب .

قلنا : قد صدقتم فيما ذكرتم من هذه الآيات والأعاجيب ، ولكن

(١) هو ذئب أهبان بن أوس الصحابي . قالوا : كله الذئب وبشره بالرسول . انظر
حواشي الحيوان ٣ : ٥١٣ .

(٢) انظر لحنين الجذع سيرة ابن سيد الناس ١ : ٢٣٩ - ٢٤١ . وجاء في الحديث أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في أصل أسطوانة جذع في مسجده ، ثم تحول إلى أصل
أخرى ، فحنت إليه الأولى ومالت نحوه ، حتى رجع إليها فاحتضنها وسكنت .
وفي حديث آخر أنه كان يصلي إلى جذع في مسجده فلما عمل له المنبر صعد إليه ، فحن الجذع
إليه ، أي نزع واشتاق . انظر اللسان (حن) .

(٣) كان ذلك فيما يروون في رحلة إلى الشام . السيرة ١٢٠ جوتنجن .
(٤) الميضأة : الإناء يتوضأ منه . وهو إشارة إلى ماورد من أنه صلى الله عليه وسلم أتى
بقدر فيه ماء فوضع أصابعه في القدر فلم يسمع ، فوضع أربعة منها وقال : هلموا . فتوضؤوا أجمعين
وهم من السبعين إلى الثمانين . سيرة ابن سيد الناس ٢ : ٢٨٨ .

(٥) الحد : الشق . في الأصل : « وخذ البشرة » تحريف ، وفي سيرة ابن سيد الناس
٢ : ٢٨٦ : « ونام فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذكرت له فقال :
هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم على فأذن لها » .

(٦) هو ذراع الشاة التي أهدتها إليه زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم . وكانت
أكثر له من الدم في الذراع فتناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسفها ثم قال : « إن هذا
العظم ليخبرني أنه مسموم » . السيرة ٧٦٤ - ٧٦٥ .

[لا] تخلو عقولُ العوام من أن تكون قد عرفتَ هذا كله وأقرتَ به ،
أو لم تعرفه ولم تقرّ به ، ولم تُودع العلمَ بصحة مجيئه .
فإن زعموا أنها لم تعرف ذلك ولم تقرّ به ، قيل لهم : فمن أين
زعمتم أنّ الحجة لهم قاطعة ، والفريضة لهم لازمة ، ولم يعرفوا الحق
ولا الدليل عليه .

وإذا كانت المعرفة لا تُستطاع إلا بالدليل ، والدليل معدوم ، والتكليف
لازم ، فقد كُلفوا ما لا يستطاع ، ولم يَضَع الكلام بيننا وبين الجبرية .
وإن كان الله قد قرّر^(١) عقولهم بالآيات ، وعرفهم صدقها وصحة مجيئها ،
فإنما الفرق بيننا وبينهم أنّنا نزعم أنّ العاقل إذا كان قد جربَ بعضَ
التجربة أنّه لا يمتنع من تصديق مَنْ أحيا الموتى ، وأبرأ الأكْمَه ، وفلقَ
البحر ، وأطلق السباع . وأنتم تزعمون أنّه يمتنع ، ويجوز أن يعتقد أنّه
أكذبُ العالمين وأبطلُ المبطلين ، مع ما أراه^(٢) من عظيم البرهان وعجيب
الآيات . ولعلّ قومَ موسى كلما زادهم موسى آيةً وأردفها بعلامة ،
ازدادوا جهلاً بصدقه^(٣) ، واستبصاراً في تكذيبه .

وكيف يستطيع ذلك من صحّتِ فطرته ، وقد جربَ من أمور الدنيا
بعضَ التجربة ، وعرفَ ما يحدث في العادة وغير العادة .

وإن كانت العامة قد قرّرت بأعلام الأنبياء ، وعرفت الآيات كما
زعمتم ، فقد كان ينبغي لنا إذا سألناهم عن صدقها وصحة مجيئها وإن لم
نفصل بينها وبين جيلة المبطل ، أن يخبرونا عنها وينزّلوا لنا أمرها . فما بالناس

٢٠ (١) في الأصل : « قدر » . وانظر ص ٢٦١ س ٦ .

(٢) أى ما أراه إياه محي الموتى ومبرى الأكْمَه .

(٣) في الأصل : « فصدقه » .

إذا سألناهم لم نَرَهُم يعرفونها ، ولا يحصلون مجيئها ، ولا يخبرونا عن صدقها .
فإن كان لكم أن تقضوا على العامة بالجهل بين النبي والمتنبي ، لأنهم
لم تروهم يحسنون الفروق ، ويفصلون بين الأمور ، فقد ينبغي لنا أيضاً
أن نقضى عليهم بالجهل ، وأنهم لم يعرفوا الدلالة ، ولم يقرروا^(١) بشيء
من الآيات والأعاجيب .

فإذا كان القومُ عندكم محجوجين قد قرروا وعرفوا ، ونحن لا نجد
عندهم على المسألة من ذلك شيئاً ، وجاز لكم أن تزعموا ما زعتم ،
فلم لا يجوز لنا أن نزعهم أنهم [كانوا] عارفين وإن لم نجد ذلك عندهم
على المسألة .

ولولا أني قد ذكرت هذا الباب مفسراً في « كتاب المعرفة » لأخبرت ١٠
من أي وجهه جاز أن يكون بعض العارفين لا يخبر عن كل ما في نفسه
ومن أين امتنع ذلك عليه .

فإن قالوا : قد فهمنا قولكم في العامة فما تقولون في الخاصة ؟
فهل كلفها الله ذلك أم لم يكلفها كما لم يكلف العامة ؟ وفي ذلك سقوطُ
التكليف عن الجميع .

قلنا : بل نقول : إن على الناس إقامة الإمام ، نريد الخاصة .
ولا نقول أيضاً إن على الخاصة إقامة الإمام إلا على الإمكان .
فإن قالوا : وما سبب عجز الخاصة وإمكانها ؟

قلنا : من ذلك أن تكون العامة عليها مع جُند الباغي^(٢) المتغلب .

(١) في الأصل : « لم يعرفوا » . قرره بالشيء : حملة على الإقرار به والاعتراف .

(٢) في الأصل : « الساعي » : وانظر ما سبأني ص ٢٦٤ س ٣ .

فإن قالوا : فهل يلزمها فرض الإمامة إذا كانت العامة كافة عن العون عليها .

قلنا : قد يلزمها في ذلك ولا يلزمها في أخرى .

وإن قالوا : ففي أية الحالين يلزمها ؟

قلنا : إذا كان المستحق للإمامة والمستوجب للخلافة معروف الموضع ، مكشوف الأمر ، وكانت التقية عنها زائلة .

فإن قالوا : وكيف لا تكون التقية عنها زائلة ، وهي على حال أكثر عدداً من جند التغلب والباغى ، والعامة كافة ممسكة لها ولا عليها . قلنا : إنه ليس في حال أكثر عدداً . فإذا كانوا أكثر عدداً وكانت التقية زائلة ، فعليهم إقامته . ١٠

فإن قالوا : فلم جعلتم لهم التقية ، وأسقطتم عنهم الفرض في الحال التي هم فيها أكثر عدداً ؟

قلنا : لأسباب ، منها أن العدو إذا كان مُعِداً ، ذا سلاح وعتاد وكُراع ، وكانوا على هيئة وأمرهم جميع ، فقليل مجتمع أكثر من كثير نشر^(٢) . مع أن معهم أنفد السلاحين ، وأوفر المتادين : الضرا^(١) والدربة ، وحسن التدبير والمعرفة ، بطول الممارسة وكثرة الحاجة .

ومنها أن الخاصة وإن عرفت موضع المستحق ، وظهر لها المستوجب ، وكانوا أكثر جماعاً ، فكل واحد منهم على ثقة من محل صاحبه به^(٣) وخذلانه له . ولابد ، مادامت التقية ، من التواكل والتخاذل ، وإن

(١) ضرى بالشىء ضرا : لهج به وصار عادة له .

(٢) النشر : المتفرق .

(٣) المحل والمحال : المكر والكيد .

اتَّفَقَ رَأْيُ الْجَمِيعِ فِي الْمَغِيبِ عَلَى النُّصْرَةِ . وَلَيْسَ يُنْتَفَعُ بِاتِّفَاقِ أَهْوَائِهِمْ
مَالِمَ يَتَشَاعَرُوا ^(١) .

فَإِنْ قَالُوا : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ وَجَبَ أَلَّا يَقِيمُوا إِمَامًا أَبَدًا ؛
لأنَّهم كَمَا لَا يَنْفَكُونَ مِنَ التَّقِيَّةِ ، كَذَلِكَ لَا يَنْفَكُونَ مِنَ التَّخَاذُلِ .

- قلنا : لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ ، لِأَنَّ تَقِيَّةَ بَعْضِ الْخَاصَّةِ لِبَعْضٍ قَدْ
تَزُولُ بِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ : مِنْهَا أَنْ تَسْوَى سِيرَةَ الْمَتَسَلِّطِ الْبَاغِي فِيهِمْ وَيَفْحَشَ
جَوْرُهُ ، وَيَكْثُرَ تَعْضِيلُهُ ^(٢) وَاسْتِثْنَاؤُهُ وَقَهْرُهُ ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ إِحْرَاجًا
لَهُمْ ^(٣) وَسَبَبًا لِلْكَلامِ وَالشُّكَايَةِ وَالتَّلَاقِ ، لِأَنَّهُمْ قَدْ عُمِّمُوا بِالْإِحْرَاجِ مَعًا
لِيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَحْرَجِينَ يَتَّكِلُ عَلَى رَأْيِ صَاحِبِهِ ، لَعَلَّهُ بِالذِّى
لَقِيَ مِنَ الْمَكْرُوهِ الَّذِى هُوَ فِيهِ ، مِنْ ثَوْرَانِ النَّفْسِ وَتَهْيِيجِ الطَّبِيعَةِ . فَلَا
يَزَالُ بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يَتَّفَقُوا فِي الظَّاهِرِ كَاتِفًا قَهُمَ فِي الْبَاطِنِ ، إِذْ كَانَ
الْإِحْرَاجُ قَدْ شَمِلَهُمْ وَغَمَّهُمْ ، وَبَلَغَ أَقْصَاهُمْ بَعْدَ أَدْنَاهُمْ . وَعِنْدَ التَّلَاقِ
تَزْدَادُ النَّفُوسُ حَمِيَّةً وَغَضَبًا وَبَصِيرَةً . فَإِذَا تَبَاثُوثًا وَتَكَاشَفُوا وَشَاعَ ذَلِكَ
مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَشُهِرَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ لِعَدُوِّهِمْ ،
وَالْمَتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ عَلِمُوا أَنَّهُمْ قَدْ حُجِّجُوا فِي الْحَرْبِ ،
وَنَشِبُوا فِي الْمَنَاصِبِ . فَإِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ لَمْ يَجِدُوا بَدَأًا مِنْ بَذْلِ الْمَالِ ،
وَإِعْطَاءِ الْجَهْدِ . وَإِنَّمَا هِيَ أَسْبَابُ تَرَامِي ، وَعِلَلُ تَدَاعَى ، وَأُمُورٌ تَهْيِيجُ
أُمُورًا ، وَأَسْبَابُ تَوْجِبِ أَفْعَالًا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَمَكَّنَ الشَّدَّةُ ، وَيَجِبُ الْفَرَضُ .

(١) فِي أَحْصَاسِ الْبَلَاغَةِ مَادَّةُ (شَمَر) : « وَتَقُولُ : بَيْنَهُمَا مَعَاشِرَةٌ وَمَشَاعِرَةٌ » .

(٢) التَّعْضِيلُ : أَنْ يُضَيَّقَ عَلَيْهِ وَيَجُولَ بَيْنَهُ وَيَبِينُ مَا يَرِيدُ . وَفِي الْأَصْلِ « تَعْطِيلُهُ » ، تَحْرِيفٌ . ٢٠

(٣) فِي الْأَصْلِ : « إِخْرَاجُهُمْ » .

ومدار الأمر على الإمكان ، فمتى بطل بطل الفرض ، ومتى وُجد
وُجد الفرض .

وربما كان سببُ تكاشفهم ما يعرفون من ضعف جُند الباغي عليهم ،
والمستبدِّ عليهم بأمرهم^(١) .

٥ ولضعفهم أسبابٌ : فربما كان لاختلافٍ يقع بينهم ، وربما كان لعدوِّ
يدهم وينازعهم مُلكهم ، وربما كان للخلل^(٢) يدخل عليهم ، والرفقة تصيبهم ،
من موت أعلامهم ، أو قتل قوادهم ، وربما كان لضعف رأى مدبرهم
وسياسة سائسهم^(٣) ، أو موت قيمهم .

فهذا وأشباهه تكاشف النَّاس ، وتظهر على ألسنتهم ضمائرهم ، وتبدو
١٠ أسرارهم ، ونفوسهم من قبل ذلك حنقةٌ عليهم ، متديّنةٌ بخلعهم والاستبدال
بهم ، وإنما أمسكت عن الإنكار وأظهرت التسليمَ ريثما تجد فرصةً
وترى خلةً ، ويستجمعُ الأمرُ ، وتزولُ التقيّة . مع أننا نعلم أنَّ العامة
أسخفُ أحوالاً وأخفُ حركةً ، وأشدُّ طيشاً ، أن تؤثر الكفَّ والعزلة والتسليم
والمجانبة ، عند حرب المحقِّين والمتسلِّطين . ولو كانت تطبق ذلك ويجوز عليها
١٥ ما كانت العامةُ بعامةً ، ولكانت العامةُ خاصّةً . ولكنَّا أجبنَّا على قدر
مجرى المسألة .

وإنما البليّة العظمى والدّاهية الكبرى ، أن تناز العامة حتى يصير
بعضها مع الخاصّة ، وبعضها مع البُغاة والظّلمة .

(١) في الأصل : « أمرهم »

(٢) في الأصل : « وإنما كان للخل » ، تحريف .

(٣) في الأصل : « وصا » .

والجملة أنهم متى أقرنوا لعدوهم^(١) وأمكنهم منهم ، والرجل المستحق ظاهر لهم معروف عندهم ، فعليهم إقامته والدفع عنه .
فإن قالوا : ومن لهم بمعرفة الرجل الذي لا بعده^(٢) ؟

قيل : إنه ليس على الناس أن يصنعوا المعرفة ، وإنما عليهم إذا عرفوه واستطاعوا إقامته أن يقيموه . ولا بد للناس أن يقوم^(٣) فيهم — إذ فرض^٥ ذلك عليهم — رجل يصلح لجباية خراجهم ، وإقامة صلاتهم ، وسد ثغورهم وتنفيذ أحكامهم .

فإن قالوا : فكيف تعرفون فضله ولم تقابلوا بينه وبين غيره ، وأهل الفضل كثير ، والفضل ممنون^(٤) مستفيض ؟

قيل : كما بان عند المعتزلة عمرو بن عبّيد ، وكما بان الحسن بن حي^(٥) ١٠ عند الزيدية من بينها ، وكما بان مرداس بن أدية عند جميع الخوارج من بينهم ، وكما علمتم من حال غيلان بدمشق ، وحال عبد الله بن المبارك بخراسان . وليس أن المعتزلة اجتمعت من أقطار الأرض فقالت نعم جميعها^(٦) ، ولا وضعت فيه شورى ، ولا تساوى^(٧) منهم نفر فاحتاجوا إلى القرعة . وكذلك الزيدية في الحسن بن حي ، والخوارج في مرداس بن أدية . ولكن ١٥

(١) أقرن لشيء : أطافه وقدر عليه

(٢) الكلمة مهملة في الأصل .

(٣) في الأصل : « يقول » .

(٤) كذا في الأصل . ولعلها « منجنون » .

(٥) هو الحسن بن صالح بن حي الهمداني . ولد سنة ١٠٠ وتوفي سنة ١٦٩ . ٢٠

تهذيب التهذيب .

(٦) في الأصل : « جميعها » .

(٧) في الأصل : « تساود » .

الأمور تَرِدُ على القلوب ، وتهجُم على العقول على طول الأيام ، [إِذَا] بالخبر
الذى يَشْفَى من الشكِّ ويبرئُ السَّقم . وإِذَا بالعيان^(١) الذى يُثْلَج الصدور
ويَضطُرُّ العقول .

وقد علمنا نحن على حداثة أَسْفَاننا وتقادم النَّاس قبلنا ، أن جالينوس
٥ قد كان بائناً فى طبه ، وأنَّ الأرسطاطاليس كان البائن فى المنطق .

وكذلك علمنا أنَّ قيس بن زهير كان داهيةً قيس فى الجاهلية ، وأنَّ
الحارث بن ظالم كان فاتكها ، وأنَّ هَرَم بن سنان كان جوادها ، وأنَّ
النايفة كان شاعرها ، وأنَّ الحارث بن كَلْدَة كان أطبَّها ، وأنَّ عامر
ابن الطفيل كان أفرسها . ولم نَضَعْ قَطُّ فى هذا سُورى ، ولا وَضَعَه من
١٠ كان قبلنا ، ولا استجملت قيسُ ققابلتُ بين خصال هؤلاء^(٢) وبين جميع
قيس ، لتعرف الفضيلة بالموازنة^(٣) والمقابلة ، ولا احتاجوا فى ذلك إلى
الإقراع والمساهمة .

وإذا كُنَّا مع تقادم الأخبار نعرف البائن فى كل عصرٍ ، والمقدَّم
فى كل أمر ، فعلى شبيه ما وصفنا^(٤) يعرف الناس فضيلة المستوجب .
١٥ والخير لا يستطاع كتمانها ، والشرُّ لا بدَّ من ظهوره .

واعلم أنَّه لا يمكن أن يكون رجلٌ أعلم النَّاس بالدين والدُّنيا
ثم لا يُسمع به ، لأنَّه لا يصير كذلك إلَّا بالاختلاف إلى العلماء ، وبطول

(١) فى الأصل : « فأما العيان » .

(٢) فى الأصل : « خصالهم لا » .

(٣) فى الأصل : « الموارنه » بدون باء وبالإجمال .

(٤) فى الأصل : « ها وصفنا » .

مجاناة^(١) الفقهاء ، وكثرة درّس كتب الله وكتب الناس ، ومنازعة الخصم ومقابلة الأكفاء . وهذا كله مما يُظهر أمره ، ويشهر مكانه .

ثم الذي يدخل العالم^(٢) من خيلاء العلم وعزّ الحق ، وسرور الظفر بما أعياء الناس معرفته ، حتّى لا يستطيع أن يكتمه وإن اشتدّ عزمه ، وقلّ رجاؤه ونفجّه ؛ لأنّ للمسلم سورة ، ولانفتاحه بعد استغلاقه فرحة ، لا يضبطها بشرى وإن اشتدّت حنكته ، وقويت مُنته ، وفصلت قوّته . وإنّك لتجد كثيراً من العقلاء يُخاطرون بأعناقهم ، لبعض العظمة يجدونها^(٣) في أنفسهم على خصومهم وأكفائهم ، حتّى لا يمتنعون من إظهارها والفخر بها ، فما ظنّك بالمسلم إذا كان بائناً بنفسه ، وكان في دولته . وتعظيمُ الناس مُوكل بصاحبه كيف يستطيع كتمانها وإماتته ، مع ما أخذ الله على العالم من حُسن الإرشاد واحتمال المؤونة ، واستنقاذ الناس من الجهالة . ومن القيام بحقّ العلم بتعليم الجاهل . فهذا كله يغنى عن لقاء الكلّ للكلّ .

ولو أشكل أمره ولم يبين من أمثاله ، وهو للناس أصلح من غيره ، فقد أمكن البأس^(٤) ؛ إذ لو كان ظاهراً لهم إقامته لنبّه الله على مواضع فضله ، ولأذكر الناس ماسقط عنهم من تدبيره ، ولبعث الهمم على حُبّه وطلب محاسنه .

(١) مهملة في الأصل . جاناة : جعل ركبته إلى ركبته .

(٢) في الأصل : « العلما » .

(٣) في الأصل : « ويجدونها » .

(٤) البأس : الشدة . في الأصل : « وقد أمكن الناس أن لو كان ظاهراً » . وانظر ماسياتي

criteria

وكيف يجوز أن يكون أكلُ النَّاسِ خفيَّ العلمِ ومغيَّبَ العملِ ، وهو لا يكون كذلك حتَّى تكثر تجربته ويكثر صوابه ، ويشتدَّ حلمه ، ويحسن تدبيره . ولا بد من كثرة حجِّ وغزو ، وصلاةٍ وصومٍ وصدقة ، وذكر وقراءة قرآن ، وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر ، وحدبٍ على الأولياء وغلظةٍ على الأعداء . إن دام فقره دامت قناعته وقلَّ إسفاهه ، وإن دام غناه دام بذله وقلَّ طغيانه . وليس من هذا شيء إلا وهو يشهرُ صاحبه ويظهر للناس مكانه ، ويدعو إلى محبته وتعظيمه .

وإن زعموا أنَّه يجوز أن يكون خير النَّاسِ أو أعلم النَّاسِ ، وإن لم يُعرفُ بشيءٍ مما ذكرنا ، فقد صار خير النَّاسِ من لم يعمل خيراً قط .
فإن قالوا : فما تقولون إن وجدوا عشرةً سواء ؟

قلنا : قد يكون أن تجدوا عشرةً متقاربين ، فإذا صاروا إلى الموازنة بأنَّ الأفضل من الأنقص . وقليلاً^(١) ما يكون ذلك ، كما وجدنا الستة الشورى الذين اختارهم عمر والمهاجرون والأنصار معه ، فقد كانوا في طبقة واحدة . ولكنَّ أهل الطبقة قد يتفاضلون بأمرٍ بين لا خفاء به ، كما نظروا فاختاروا عثمان غير مكرهين ولا محمولين .

ولكنَّ لا يجوز بوجهٍ من الوجوه أن يتفق عشرةً سواء في الحقيقة ، وعند الموازنة الصحيحة ؛ لأنَّ في اتفاق ذلك بطلان الإمامة . ولو جاز أن يتفق عشرة سواء لجاز أن يكون الرُّقباء والشهود عليهم سواء . ولو جاز أن تستوى حالهم وأفعالهم جاز أن يقولوا لِمَا ينبغي أن يقولوا فيه نعم : « لا » معاً ، ولما ينبغي لهم أن يقولوا فيه لا : « نعم » معاً .

(١) في الأصل : « وقليل » .

وفي هذا فسادُ الاختيار والإقراع . فإذا فسَدَ الاختيار والإقراعُ ولم يكن الرجلُ بائناً فلا سبيلَ إلى إقامته . ولم يكن الله ليفرض أمراً ولا يحملَ إليه سيلاً ، ولم يكن الله ليكلفَ الناسَ أمراً إلاً وذلك الأمرُ مصلحةٌ لهم . فكيف يمنهم مصلحتهم ، بل كيف يُظهر لهم فرض الإمامة وقد أمكنتهم الشدة^(١) ، والمعلوم عنده أن العالم سيتهيأ فيه ويتفق^٥ ما لا يمكن معه أداء الفرض ، ولا بلوغُ المصلحة .

ولو جاز أن يتفق عشرةٌ سواء في الحقيقة وعند الموازنة في جميع الخصال ، ما كان إحياء الموتى وإبراء الأكمه أعجبَ منه ، ولا أخرج من العادة . وإنما جعلَ الله ذلك لرسله فقط .

ولو جاز أن يتفق في العالم شيء يكون جاعلاً^(٢) من الرسالة جاز ١٠ ذلك في أمور كثيرة . ولو جاز ذلك اختلطَ الكاذبُ بالصادق ، والحُجة بالشبهة . وهذا مالا يجوز على الله تبارك اسمه ، وتعالى جده .

ولو عرّفوا موضع الإمام بعينه ثم قال الشاميُّ : لا يكون إلاً منّا ، وقال العراقيُّ : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحِجَازِيُّ : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك التّهاميُّ والجزريُّ . وكذلك إذا قال القرشيُّ : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحُسَينيُّ : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحَسَنيُّ : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك الفلانيُّ والفلانيُّ . وكذلك أن لو قال الإباضيُّ : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك لو قال الصُّفَريُّ والأزرقِيُّ والنّجديُّ والزَّيْديُّ ،

(١) انظر ماضى في ص ٢٦٧ س ١٥ .

(٢) كذا في الأصل .

والفلاّنى والفلاّنى — لَمَّا وصل أهلُ الحقِّ إلى إقامته إلّا بأن يكونوا في عدد الجميع وفي عَتَادِهِمْ .

والإمام يقام من ثلاثة أوجه :

فوجه كالذى حكينا ووصفنا .

ووجه آخر مثل ما أقام المسلمون عثمان بن عفّان حين اختار عمر ستّةً متقاربين فاخْتاروا منهم رجلاً ، فلولا أنّ الستّة كانوا بائنين عند الجميع لم يطبقوا ذلك الإطباق ، لأنّه لم يُقَلْ واحدٌ : كان ينبغي أن يكون منّا^(١) ، ولم يقل واحدٌ من الرّقباء ولا من الفقهاء والخاصّة : فينا واحدٌ كان ينبغي أن يكون معهم ، ولا قالوا : فيهم واحدٌ كان ينبغي أن يكون معنا . فهذا دليل أن الستّة كما كانوا بائنين عند عمر كانوا بائنين عند الخاصّة .

ووجه آخر ، وهو مثل إقامة النّاس لأبى بكر ، ليس على أنّ النّبىّ صلى الله عليه وسلم جَمَلَ شورى كما وضّعها^(٢) عمر ، ولا على جهة ما حكينا من أمر الخاصّة والعامة بإقامة الإمام والنّصّ عليه ؛ لأنّ ذلك أسلم وأخفّ في المؤونة ، وأبعد من الغلط والفتنة . وقد وجدتم ما هو أغمضُ معنًى وأدقُّ مسلكاً ، وأغوصُ مُستخرجاً ، وأفحشُ مأثماً ، غير مفسّر ولا منصوصٍ عليه ، كالسّلام في التّعديل والتّجوير ، وفصل ما بين الطّباع والاختيار ، والسّلام في التّشبيه ونفيه ، وفي مجيء الأخبار وحُجَجِ العقول .

ونحن لم نَرِ أحداً قطُّ ألحد ولا تزندق من قبل الغلط في كلام

(١) في الأصل : « معنا » .

(٢) في الأصل : « وصفها » .

الإمامة والاختلاف فيها . وَمَنْ وجدناه قد ارتدَّ زنديقاً أو دُهريةً مِنْ قَبْلِ هذه الأبواب أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نُحْصِيَ لَهُمْ عِدداً ، أو نَقِفَ مِنْهُمْ عَلَى حَدٍّ .

فإِذْ جاز أَنْ يَتْرَكْنَا وَأَشَدَّ الْأَمْرَيْنِ لَنَكُونُ نَحْنُ الَّذِينَ نَسْتَنْبِطُهُ وَتَشْكَلُ مَعْرِفَتُهُ ، لِيَكُونَ عاجِلُ سروره وريثه^(١) وَأَجَلُ ثوابه وعظيم جزائه ، كان الذي هو^(٢) أَظْهَرُ للعقول ، وأَمْهَلُ على الطالب ، وَالْبَيْنُ كَنْفاً لِلوَاطِئِ ، وَأَقْرَبُ مَأْخِذاً للمسترشِدِ ، أُولَى بِذَلِكَ .

ولا بدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا أَحَدُ أَمْرَيْنِ : إمَّا أَنْ يَقُولُوا : إِنَّا إِذْ وَجَدْنَا نَصَبَ الْإِمَامِ وَالنَّصَّ عَلَيْهِ أَسْلَمَ لَنَا مِنَ الْخَطَا ، فالواجبُ عَلَيْنَا أَنْ نَزْعِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ نَجِدْ خَبِراً نُضْطَرُّ إِلَيْهِ ، ولا قَرَأْنَا يَنْصُ ١٠ عَلَيْهِ ، وَالْإِمَامَةُ مُخْتَلِفَةٌ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أَوْجِبْنَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْصِبْ إِمَاماً ، ولا فِي الْخَبَرِ .

وإِذَا أَنْ تَقُولُوا إِنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ وَقَعَ مِنْهُ^(٣) ، وَإِنَّمَا عَرَفْنَاهُ بِالْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ وَالْكِتَابِ .

١٥

فَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا حَكَمُوا عَلَى اللَّهِ بِفَعْلٍ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسْلَمَ لَهُمْ مِنَ الْخَطَا ؛ وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الْغَلَطِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ وَجَدُوا بِذَلِكَ خَبِراً قَائِماً ، وَكِتَاباً دَالاً ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَمْ أَوْجِبُوا عَلَى اللَّهِ فِعْلَ مَا هُوَ أَيْسَرُ

(١) الرِّث : البَطْن . وفي الْأَصْل « وَرِثَهُ » .

(٢) فِي الْأَصْل : « كَانَ هُوَ الَّذِي » .

(٣) فِي الْأَصْل : « وَقَعَ مِنْهُ » .

وأظهر ، وقد وجدوا الله لم يصنع ذلك فيما هو أغمض وأشكل . كالذي وصفنا قبل هذا من الكلام في التعديل والتجوير ، والتشويه ، ومجىء الأخبار . وقد علموا مع ذلك أن أكثر الناس لم يؤثروا في هلكتهم إلا من قبل مَرَف شهواتهم ، وغلبة طبائهم .

٥ وكيف لم يحكموا على الله بغير ما وجدوا من رفع مؤنتها ، وقمع دواعيها ، حتى لا يلحجج الناس طبائهم ، ولا تورطهم شهواتهم . وإنما يحكم بهذا وأشباهه على الله من لا علم له بالله وتدييره ؛ لأن الله لو أسقط عن الناس كل ما أثقل ظهورهم ، واستبشعته نفوسهم ، وخالف أهواءهم لسقط الامتحان ، وبطل الاختبار^(١) ، إذ لم يكن هناك حلاوة مُجْتَنَب ومرارة تُركب ، ولذيد يُؤخَّر ، وكره يقدم .

الاستدلال
باعتبار من النفس
اقتدار الله
استبعاد الناس

١٥ وإن ذهب السائل إلى غير هذا الوجه ، وزعم أنه إنما قال إن الله قد نصَّ على إمامة عليٍّ لأنَّ الخبر به جاء المجيء الذي لا يكذب مثله . ولولا أنَّ الخبر صحيح^(٢) جاز عنده أن يكون الله يطوِّقهم النَّظَر^(٣) ، ويضع لهم الدلالة ، ولا ينصِّهم^(٤) على شيء ولا يفسِّره لهم ، كفعله فيما هو أدق وأخفى ، وأعظم إثماً وأشدَّ خطراً .

قيل لهم : إنَّكم وإن سمعتم فلسستم بأعلم بالأخبار من غيركم . ولئن كنتم مجيبين بخبرٍ قد سمعناه معكم فلم يحجنا كما حجكم ، إنَّه لمعجب . وإن كان الخبر قد حجَّ جميع من خالفكم مع أكثرهم ، وأطبَّقوا على كتمانهم وججده وانفقوا عليه ، إن هذا لأعجب .

(١) في الأصل : « إن » .

(٢) في الأصل : « الصحيح » .

(٣) أى يكلفهم بالنظر .

(٤) في اللسان والقاموس : « النص : التعمين على شيء ما » .

وكيف تَحْجُونَ بخبر لا تستطيعون أن تقيموا حُجَّتَهُ على مَنْ خالفكم . فإن كنتم إنما حجَّكم سلفكم فحجُّوا أهل عصركم ومَنْ معكم ، كما حجَّكم من قبلكم من أسلافكم .

وقد نفَضْنَا القرآن من أوَّلِهِ إلى آخره فلم نجد فيه آيةً ^(١) تنصُّ على إمامة ، ولا أنها إذ لم تنصَّ كانت دالة عند النظر والتفكير ، ولا أنها إذ لم تدلَّ بالنظر والتفكير وكان ظاهرُ لفظها غير ذلك على ما قلتم كان أصحابُ التأويل والتفسير مطبقين على أن الله أراد بها إمامة فلان .

فهذا باب لا تقدرُونَ مِنْ قِبَلِهِ على حُجَّة ، وليس لكم في باب الخبر والإجماع متعلِّق ولا سبب ، مع قول الأنصار : مِقَّا أمير ومنكم أمير . وقول المهاجرين : بل مِنَّا الأمراء ومنكم الوزراء .

ثمَّ وجدنا أبا بكرٍ وهو متكلِّمٌ قريشٍ وصاحبُ أمرِ المهاجرين ، والمنازعُ عنهم يوم السَّقِيفَةِ ، يقول للناس بعد سُكُونِ الأنصار وارتداعهم : بايعُوا أَيَّ هَذَيْنِ شِئْتُمْ — يعني عمر وأبا عبيدة — فلم نجدَهُ ادَّعَاها لنفسه ، ولا أبى أن تكون لغيره . ولم يقل إنسانٌ من الأنصار ولا من المهاجرين ، ولا من أفناء الناس ^(٢) : إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد كان جعلها لفلانٍ ^{١٥} وحَصَّ عليها له . ولا أنهم إذا لم يدَّعُوا النَّصَّ ^(٣) قال قائل إنَّ النبي ^{صلى الله عليه وسلم} عليه قد كان قال قولاً يومَ كذا وكذا يدلُّ على أنها لفلان ، ولم ينطق بذلك أحدٌ بعد تلك الأيام كما لم ينطق أحدٌ فيها ^(٤) .

(١) في الأصل : « أنه » .

(٢) أفناء الناس : أخلاطهم .

(٣) في الأصل : « النصر » .

(٤) في الأصل : « منها » .

ثم وجدنا أبا بكر حين أراد أن يجعلها إلى عمر من بعده كيف يمشي إليه رجال المهاجرين وعليه السَّابِقين ، ليصرفها إلى من هو ألين جانباً وأخفضُ جناحاً ، وأقلُّ هيبة ، ويقولون : يا خليفة رسول الله ، إنَّ الحاجة للأرمل والأرملة ، والضعيف والضعيفة ، وعمر رجلٌ مهيب في صدور الناس والله ما يزيد صرفها عنه ألاَّ يكونَ سبقَ إلى كلِّ يوم خير ! قال أبو بكر : أربُّي تهتدُّ دوني ، أمَّا إذا لقيته فقال لي : من ^(١) استخلفتَ على عبادي ؟ قلت : استخلفتُ عليهم خيرَ أهلِكَ عندي ^(٢) .

فلم يجر بينهم ممَّا يقولون حرفٌ واحد .
ثم أنَّ عمر بعد ذلك جعلها شورى بين سبعة وجعل إليهم الخيار ،
١٠ وسلم ذلك جميعُ المسلمين ، فيهم الزُّهري والتميمي والمهاشمي والأموي والأسدي ، على أنَّها إن وقعت للأسدي لم يكن منكراً عند الجميع ، وكذلك الزُّهري والأموي .

وأعجبُ من هذا أجمع وأدَلُّ على الاختلاف ، وأبعد من النصِّ والإجماع ، قولُ عمر في شكاته وهو مؤوٍ على قبره وعنده المهاجرون
١٥ الأولون : « لو أدركت سالماً مولى أبي حذيفة ما تخالجتني فيه الشك » حين ذكر دُعابة على ، وبخل ^(٣) الزُّبير ، وبأو طلحة ، وحُبَّ عثمان لرهطه .

(١) في الأصل : « لمن » ، تحريف .

(٢) في الطبري ٤ : ٥٤ : « عن أسماء بنت عميس قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم ! ؟ وأنت لاني ربك فسألك عن رعيتك ؟ فقال أبو بكر — وكان مضطجعاً — أجلسوني . فأجلسوه فقال لطلحة : أبا لله تفرقتي — أو أبا لله تخوفني — إذا لقيت الله ربي فسألتني قلت : استخلفت على أهلِكَ خيرَ أهلِكَ » .

(٣) انظر أنساب الأشراف للبلاذري ٥ : ١٧ حيث يقول عمر فيه إنه : « لفس ، =

ثم الذي كان من مُنازعة سمير بن أبي وقَّاص لعلّ ، وتركه بيعة
ودعائه له إلى وضع الشورى ، والتخاير بالأعمال والجزء^(١) ، فلم تجدوا أحداً
من الناس يقول من وراء سمير أو في وجهه : ولم تخايرك وقد اختاره
الرَّسولُ دونك .

- وقد كان ينبغي لأصحاب عليٍّ ومن معه من المهاجرين والبدرين وسائر
الصَّحابة والتَّابعين ، ألاَّ يُمسكوا عن ذكر هذه الحجة وإن أمسك عنها
الناسُ وأضاعوها ، وعاندوا أو غلطوا فيها . ولم نعلم هذا وأشباهه إلاَّ دليلاً
قاطعاً لمن لم يمنع قلبه معرفة الحقِّ ولسانه الإقرار به ، في محاربة طلحة والزبير
وعائشة وعليٍّ ، وما أراقوا من الدماء . ولم يقلُّ واحدٌ من الناس : ولم
تقاتلون رجلاً^(٢) أو تطلبون خايرته وقد نصبه النبي صلى الله عليه وفسر ١٠
أمره ، وبين شأنه . [وهذا] دليل على ما قلنا ، وبرهان لما ادَّعينا .

ولقد قال رجلٌ لعمر بن عليٍّ : خبرني عن وصية رسول الله صلى الله
عليه إلى أبيك . قال : والله إنَّ هذا الكلام ما سمعتُ به قطُّ إلاَّ الساعة
وقد تعلمون أن الأمة كلها مع اختلاف أهوائها ونحلها ، لا تعرف ممَّا
تدَّعون من أمر النصِّ والوصية قليلاً ولا كثيراً ، وإنما هذه دَعْوَى ١٥
مقصورةٌ فيكم ، لا يعرفها سواكم . وإنَّ أشدَّ الناسِ عليكم في الوصية

== مؤمن الرضا كافر الغضب ، شحيح . لكن في الإصابة ٢٧٨٣ أنه « كان له أنف مملوك
يؤدون إليه الخراج فكان لا يدخل بيته منها شيئاً ، يتصدق به كله » . وانظر أيضاً الرياض
الفضرة ٢ : ٢٧١ — ٢٧٢ حيث التنويه بجوده وكرمه .

(١) الجزء : الإجزاء والكفاية . في الأصل : « الحر » .

٢٠

(٢) في الأصل : « ملا » ، وإذا التصقت الراء مائلة إلى أعلى بالجيم صارت على هذا
الشكل المحرف .

والنصّ للزَّيدية مع تشييعها وإفراطها وشدة إقدامها على عثمان ، وسوء قولها وشدة عداوتها للزبير وطلحة .

فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم نصَّبه للنَّاس وبَيَّن أمره واحتجَّ له ، لم يكن هناك اختلاف ولا ارتياب ، ولا تحيُّر ، ولا احتجَّ بذلك المحجوجون على شاذٍّ إن شذَّ ومُفارق . [وفي] هذا وأقلُّ منه ما يردع ذا اللبِّ ، ويكفُّ ذا الحجَّا .

وزعمت الرَّافضة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى رجلٍ بعينه ، وأمر أمته بالوصية في تركاتهم ، لأنَّ ذلك أجمعُ للشَّمْل ، وأدعى إلى الألفة ، وأمنعُ للفَساد ، وأقطعُ للشَّغْب ، وأذهبُ للضَّغائن ، وأبعدُ من الغلط .
١٠ إلا أنَّ الله قد كان يعلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم متى أوصى إلى ذلك المستحق تكفرُ أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة أنفس ، وأن الوصيَّ سيضعُف عن القيام بالحقِّ ، وسبزل مع العام^(١) بيديه^(٢) إظهاره بلسانه ، وأنَّه لا يرضى بالكفِّ عن شتمه الكافرين حتى يزكيهم على منبره . فسبحان الله ما أعجب هذا القول !

١٥ وإن تركوا الكتاب وأضربوا عن الإجماع واحتجُّوا بالرواية ، فما أحدٌ أجحد لها ولا أَرَدَ لمعرفتها منهم . مع أنَّ روايةَ غيرهم أكثر ، وعلى ألسنة أصحاب الحديث أظهر .

ولو كانت روايتهم وروايةُ خصومهم سواءً ما كان تأويلُهم بأقطع لتأويل خصومهم من تأويل خصومهم لتأويلهم . مع أنَّ الحديث إن كان يحتمل ضربَ التأويل فغلط في حقِّ ذلك من باطله رجلٌ فليس بكافر .

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل « يده » .

ولا مكابر ، لأن ذلك الحديث لو كان صحيحاً لم يكن بأبين من القرآن ولا أوضح .

وقد يختلف الناس في تأويله ولا يكفرون ولا يكابرون ، فكيف يكفّر من غلط في تأويل حديث لو كان ردّه لم يكن عاصياً .

وإن كانت إمامة عليّ لا تثبت عندهم إلا من قبل الرواية فقد أفلح خصم الرافضة ، واستراح من كد المنازعة .

وقد زعم ناس من (الثمانية) أن الله قد اختار للناس إماماً ، ونصب لهم قيماً ، على معنى الدلالة والإيضاح عنه بالعلامة ، لا على النص والتسمية ، لأن الله إذا قال : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » .

— وقد عرفنا صفة العدالة — فمتى رأيناها في إنسان علمنا أنه الذي كان عني الله بالآية وإن لم يسمه فيها . وكذلك قول الرسول : « ليؤمكم خياركم » فقد عرفنا الله الخيار من الشرار ، والفصل من النقص ، فمتى وجدنا الفضيلة في رجل فهو الذي عناه النبي صلى الله عليه وإن لم يذكره باسمه .

(١) ولا يهمل الناس ويتركمهم سدى من وضع لهم الأدلة ، ونههم ١٥ على موضع البرهان ، وعرفهم أبواب الصلاة .

ولو قلنا إن النبي صلى الله عليه قد اختار (٢) للناس إماماً على معنى أنه إذ أمر أبا بكر بأن يتقدم المسلمين في مُصَلَّاه ومقامه ومقبره فقد استخلفه ، جاز ذلك في الكلام . وباب الجواب في هذه المسائل كثير (٣) .

(١) في الأصل : « ومن لا » .

(٢) في الأصل : « اجاز » .

(٣) الكلام بعد إلى « وحكمتم عليه » س ٢٧٩ س ٤ موضعه في نسخة الأصل بعد كلمة « التقية » س ١٨٨ س ٢ . وقد أثبتته في موضعه الصحيح هنا .

لأنَّه لا يجوز أن يكونوا لم يعلموا ذلك وقد علموا ما هو أخفى وأدقُّ وأيسر خطباً وأقلُّ نفعا، وهم القوم الذين لا يُؤْتَوْنَ من نصيحة وحُسن معرفة . وكيف يُؤْتَوْنَ منهما وبهم عرفنا النصيحة والمعرفة .

فإن قالوا : فإنما كان خيراً للناس أن يختاروا لأنفسهم أو يختار النبيُّ لهم .

قلنا : لو كان النبيُّ قد اختاره لهم لقد كان ذلك خيراً لهم من اختيارهم لأنفسهم . فإذا لم يختره ^(١) لهم فترك اختياره خيراً لهم ، لأنَّه إذا كان أن لو كان اختاره لهم ^(٢) ، فقد دلَّ تركه الاختيار أنَّ تركه الاختيار لهم خيرٌ لهم ، إذ كان قد كان اختار الترك دون الاختيار ، وترك الاختيار رُبَّمَا ^(٣) كان اختياراً . وهو في هذه المواضع اختيار ، لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يكن ليختار لهم ترك النصِّ والتَّسمية إلا وترك النصِّ والتَّسمية خير من النصِّ والتَّسمية .

وإنما هذا مثل قائل لو قال لنا : رأيتم التَّأويل الذي قد ضلَّ من أجله عالمٌ ، والتَّشبيه ، والوعد والوعيد ، والقدر ، والأسماء ، والأحكام التي قد كفر من أجلها بشرٌ ، وبسببها تناحر النَّاس . وإنما كان خيراً لهم أن يعرفوه بأسره ، ويُنبِّصُوا على حقيقته ، ويُكفُوا المَوَونَةَ فيه ، حتى كان لا يقع خلافٌ ، ولا يوجد خطأ ، ولا يَشيعُ فسادٌ ، ولا يتفانى الناس أو يُترَكُوا ونظرهم ، ويُخلَّوْا واختيارهم .

قلنا : الخيرةُ فيما صنع الله . فلو كان الله بيِّن ذلك بالنصِّ والتفسير

(١) في الأصل : « لم يختاره » .

(٢) كذا وردت هذه العبارة ، وأراها مقجمة .

(٣) في الأصل : « بما » .

دون الدلالة ووضع العلامة ، كان ذلك خيرة ؛ لأننا نعلم أن الله لا يصنع إلا ما هو خير .

فلو لم يفعل ذلك^(١) ولم ينص عليه فتركه الأمر على ما نحن عليه خير لنا وأفضل . فكيف أوجبتم على الله وحكمتم عليه .

هذا مجلّ جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية . ولولا أن فيما قدّمنا غنيّ عمّا أخرنا لقد فسّرنا كما أجمّلنا . وإنما ملاك وضع الكتاب إحكام أصله ، وألاّ يشدّ عنه شيء من أركانه . فأما استقصاؤه حتى لا يجرى بين الخصمين منه إلاّ شيء قد وُضع بعينه ، فهذا مالا يمكن الواضع ولا يحتمل الكتاب . ولو أمكن الواضع واحتمله الكتاب لكان طوله ١٠ قاطعاً للنشاط القارئ ، وجلبيةً لنعاس المستمع ، إلاّ لمن صحّت إرادته ، وأفرطت شهوته وقوى طبعه ، وحسن احتسابه .

وقد أعيّنا هذه الصّفة في الملمّين ، فكيف [في] المتعلمين . وعلى أنّ للنّحل صوراً كصور الناس ، فكما أن بعض الصّور أشدّ مشاكلة لطبعك ، وآنف في عينك ، وأخفّ على نفسك ، فكذلك النّحل ١٥ في مقابلة الأهواء ، ومشاكلة الشهوات ، والخفّة على النفوس . فاحذر حوادث الشهوات ، واتصال المشاكلة ؛ فإنّه أخفى من الدقيق ، وأدقّ من الخفيّ .

هذا إذا كان المعنى مجرداً والمذهب عارياً ، فكيف إذا موّاه صاحبه ، وزخرفه واضعه ، بأعذب الألفاظ وأشهاها ، وأحسن الخارج وأعفاها^(٢) ٢٠

(١) في الأصل : « قالوا فلم لم » .

(٢) كذا في الأصل .

فشقي كل واحدٍ منهما صاحبه ، وحبّبه إلى سامعه . فإن وافق ذلك منه
تعظيمٌ لسكّفه ، وهوى في قائله ، فقد أسمحت نفسه بالتقليد ،
واستسامت للاعتقاد .

فاحذر في ^(١) هذه الصّفة ، ولا تستخفّن بهذه الوصيّة .

واعلم أنّ واضع الكتاب لا يكون بين الخصوم عدلا ، ولأهل النظر
مألّفا حتّى يبلغ من شدة الاستقصاء لخصمه مثل الذي يبلغ لنفسه ، حتّى
لو لم يقرأ القارئ من كتابه إلّا مقالة خصمه لحيلّ له أنّه الذي اجتباه
لنفسه ، واختاره لدينه .

ولولا اتّكالي على انقطاع الباطل عن مدّى الحقّ وإن استقصيته وبلغت
١٠ غايته ، ما استجزت حكايته ، ومُت ^(٢) مقام صاحبه .

ونحن مبتدئون في كتاب المسائل وبالله ذى المنّ والطول نستعين ،
وعليه نقوكل .

هذه جل أفعال ^(٣) العثمانية ، والحمد لله كثيراً دائماً ،
وصلى الله على سيّدنا محمد نبيه ، وآله الطّاهرين
ومحبّبه ، وسلم تسليما .

١٥

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل : « وأقت » .

(٣) في الأصل : « قول » .

مناقضات

أبي جعفر الإسكافي

لبعض ما أورده الجاحظ في العثمانية

من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

قال أبو جعفر الإسكافي :

لولا ما غلب على الناس من الجهل وحب التقليد لم نحتج إلى نقض ما احتجّت به العثمانية ، فقد علم الناس كافة أن الدولة والسلطان لأرباب مقاتلهم ، وعرف كل أحد [ألو^(١)] أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم ، وظهور كلمتهم ، وقهر سلطانهم ، وارتفاع التقيّة عنهم ، والكرامة والجائزة لمن روى الأخبار والحديث في فضل أبي بكر ، وما كان من تأكيد بني أمية لذلك ، وما ولده المحدثون من الأحاديث طلباً لما في أيديهم ، فكانوا لا يألون جهداً في طول ماملكوا أن يُخملوا ذكر على عليه السلام وولده ، ويطفئوا نورهم ويكتُموا فضائلهم ، ومناقبهم وسوابقهم ، ويحملوا على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر ، فلم يزل السيف يقطر من دماءهم مع قلة عددهم وكثرة عدوّهم ، فكانوا بين قتيل وأسير ، وشريد وهارب ؛ ومستخفّ ذليل ، وخائف مترقب ، حتى إنّ الفقيه والمحدث والقاضي والمتكلم ليَتقدّم إليه ويتوعّد بغاية الإيعاد وأشدّ العقوبة أن لا يذكر شيئاً من فضائلهم ولا يرخصوا لأحد أن يطيف بهم ؛ وحتى بلغ من تقيّة المحدث إذا ذكر حديثاً عن علي عليه السلام كنى عن ذكره فقال : قال رجل من قریش ، وفعل رجل من قریش ولا يذكر علياً عليه السلام ولا يتفوه باسمه . ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها ، من خارجي مارق ، وناصب حنق ، ونابت مستبهم ، وناشئ معاند ، ومنافق مكذب ، وعثماني حسود ، يعترض فيها ويظمن ، ومعتزلي قد نفذ في الكلام وأبصر علم الاختلاف ، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل ، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه ، وتآول مشهور فضائله ، فمرة يتأولها بما لا يحتمل ، ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض ، ولا يزداد مع ذلك إلا قوة ورفعة ، ووضوحاً واستنارة .

(١) هذه من ط . أى من النسخة المطبوعة من شرح نهج البلاغة .

وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم — وذلك نحو ثمانين سنة — لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعننه وإخفاء فضائله ، وستر مناقبه وسوابقه .

روى خالد بن عبد الله الواسطي عن حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال : لما بويع لمعاوية أقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون علياً عليه السلام ، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : ألا ترون إلى هذا الرجل الظالم ، يأمر بلعن رجل من أهل الجنة ؟ !

روى سليمان بن داود عن شعبة عن الحر بن الصباح قال : سمعت عبد الرحمن ابن الأحنس يقول : شهدت المغيرة بن شعبة خطب فذكر علياً عليه السلام فنال منه . روى أبو كريب قال : حدثنا أبو أسامة قال حدثنا صدقة بن المثنى النخعي عن رباح بن الحارث قال : بينما المغيرة بن شعبة بالمسجد الأكبر وعنده ناس إذ جاءه رجل يقال له قيس بن علقمة ، فاستقبل المغيرة فسب علياً عليه السلام .

روى محمد بن سعيد الأصفهاني عن شريك عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن علي ابن الحسين عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال : قال لي مروان : ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم . قلت : فما بالكم تسبونني على المنابر ؟ قال : إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك .

روى مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي عن ابن أبي سيف قال : خطب مروان والحسن عليه السلام جالس ، فنال من علي عليه السلام ، فقال الحسن : ويلك يا مروان ، أهدأ الذي تشتم أمراً الناس^(١) ؟ قال : لا ، ولكنه خير الناس .

روى أبو غسان أيضاً قال : قال عمر بن عبد العزيز : كان أبي يخطب فلا يزال مستمراً في خطبته حتى إذا صار إلى ذكر علي وسبه تقطع لسانه واصفر وجهه وتغيرت حاله ، فقلت له في ذلك فقال : أو قد فطنت لذلك ؟ إن هؤلاء لو يعلمون من علي ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل .

(١) هو كما في قراءة أبي قلابة : « سيعلمون غداً من الكذاب الأشمر » .

روى أبو غسان قال : حدثنا أبو اليقظان قال : قام رجل من ولد عثمان إلى هشام ابن عبد الملك يوم عرفة ، فقال : إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب .

روى عمرو بن القنَاد عن محمد بن فضيل عن أشعث^(١) بن سوار قال : سب عدى ابن أرملة علياً عليه السلام على المنبر فسبى الحسن البصرى وقال : لقد سبَّ هذا اليوم رجلاً إنه لأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة .

روى عدى بن ثابت عن إسماعيل بن إبراهيم قال : كنت أنا وإبراهيم بن يزيد جالسين في الجمعة مما يلي أبواب كندة ، فخرج المغيرة فخطب ، فحمد الله ثم ذكر ماشاء الله أن يذكر ، ثم وقع في علي عليه السلام ، فضرب إبراهيم على فخذي أو ركبتى ثم قال : أقبل على فخذى فإنا لسنا في جمعة ، ألا تسمع ما يقول هذا ؟

روى عبد الله بن عثمان الثقفي قال : حدثنا ابن أبي سيف قال : قال ابن عامر بن عبد الله بن الزبير لولده : لا تذكر يا بني علياً إلا بخير ، فإن بني أمية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة فلم يزد الله بذلك إلا رفعة ، وإن الدين لم يبن شيئاً قط فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئاً قط إلا رجعت على ما بنت فهدمته .

وروى عثمان بن سعيد قال : حدثنا مطلب بن زياد عن أبي بكر بن عبد الله الأصبهاني قال : كان دعى لبني أمية ، يقال له خالد بن عبد الله ، لا يزال يشتم علياً عليه السلام ، فلما كان يوم جمعة وهو يخطب الناس قال : والله إن كان رسول الله ليستعمله وإنه ليعلم ما هو ، ولكنه كان ختنه . وقد نعى سعيد بن المسيب ، ففتح عينيه ثم قال : ويحكم ما قال هذا الخبيث ؟ رأيت القبر انصدع ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كذبت يا عدو الله !

وروى القنَاد قال حدثنا أسباط بن نصر الهمداني عن السدي قال : بينما أنا بالمدينة عند أحجار الزيت إذ أقبل راكب على بعير فوقف فسب علياً عليه السلام ، فحَفَّ به الناس ينظرون إليه . فبينما هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فقال :

(١) في الأصل : «أشعث» صوابه في ط .

اللهم إن كان سب عبداً لك صالحاً فأر المسلمين خزيه ! فما لبث أن نفر به بعيره فسقط فاندقت عنقه .

وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن موسى عن فطر بن خليفة عن أبي عبد الله الجدلي قال : دخلت على أم سلمة رحمها الله فقالت — له — : أيسب رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم وأنتم أحياء ؟ قلت : وأنى يكون هذا ؟ قالت : أليس يُسبُّ على عليه السلام ومن يحبه .

وروى العباس بن بكار الضبي قال : حدثني أبو بكر الهذلي عن الزهري قال : قال ابن عباس لمعاوية : ألا تكف عن شتم هذا الرجل ؟ قال : ما كنت لأفعل حتى يروى عليه الصغير ويهرم فيه الكبير . فلما ولي عمر بن عبد العزيز كف عن شتمه فقال الناس : ترك السنة . قال : وقد روى عن ابن مسعود إمامو قوا عليه أو صرفوا : كيف أنتم إذا شملتكم فتنة يروى عليها الصغير ويهرم فيها الكبير ، يجرى عليها الناس فيتخذونها سنة ، فإذا غير منها شيء قيل : غيرت السنة .

قال أبو جعفر : وقد تعلمون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولاً أو ديناً لهوى ، فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفون غيره ، كنعجو ما أخذ الناس الحجاج ابن يوسف بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ، وتوعد على ذلك بدون ما صنع هو وجبابرة بني أمية وطغاة بني مروان بولد على عليه السلام وشيعته . وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان ، ونشأ أبناءهم ولا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها ، وكف المعلم عن تعليمها ، حتى لو قرئت عليهم قراءة عبد الله وأبي ما عرفوها ، ولفظوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان ، لإلف العادة وطول الجهالة ، لأنه إذا استولت على الرعية العلية وطالت عليهم أيام التسلط ، وشاعت فيهم المخافة ، وشملتهم التقية ، اتفقوا على التخاذل والتسكت ، فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم ، وتنقص من ضمائرهم ، وتنقص من مرائرهم ، حتى تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنن التي كانوا يعرفونها .

ولقد كان الحجاج ومن ولاءه ، كعبد الملك والوليد ، ومن كان قبلهما وبعدهما من

فراعنة بنى أمية على إخفاء محاسن على عليه السلام وفضائله ، وفضائل ولده وشيعته وإسقاط أقدارهم ، أحرصَ منهم على إسقاط قراء عبد الله وأبي ، لأن تلك القراءات لا تكون سبباً لزوال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حالهم . وفي إشهار فضل على عليه السلام وولده وإظهار محاسنهم بوارثهم ، وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم ، فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله ، وحملوا الناس على كتمانها وسترها ، وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلا استنارة وإشراقاً ، وجههم إلا شفهاً وشدة ، وذكرهم إلا انتشاراً وكثرة ، وحببتهم إلا وضوحاً وقوة ، وفضلهم إلا ظهوراً ، وشأنهم إلا علواً ، وأقدارهم إلا إعظاماً ، حتى أصبحوا بإهانتهم إياهم أعزاء ، وبإيائتهم ذكرهم أحياء ، وما أرادوا به وبهم من الشر تحوّل خيراً . فانهى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ، ومزايده وسوابقه ، ما لم يتقدمه السابقون ، ولا ساواه فيه القاصدون ، ولا يلحقه الطالبون . ولولا أنها كانت كالقابلة المنصوبة في الشهرة ، وكالسنن المحفوظة في الكثرة ، لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد ، إذ كان الأمر كما وصفناه .

فأما ما احتج به الجاحظ بإمامة أبي بكر بكونه أول الناس إسلاماً فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لا احتج به أبو بكر يوم السقيفة . وما رأيناه صنع ذلك ؛ لأنه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح وقال للناس : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا منهما من شئتم . ولو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لما قال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ! ولو كان احتجاجاً صحيحاً لادعى واحد من الناس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام . وما عرفنا أحداً ادعى له ذلك . على أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدة من الرجال ، منهم علي بن أبي طالب ، وجعفر أخوه ، وزيد بن حارثة ، وأبوذر الغفاري ، وعمر بن عبسة^(١) السلمي ، وخالد بن سميد بن العاص ، وخباب بن الأرت . وإذا تأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية الوثيقة وجدناها كلها ناطقة بأن علياً

(١) ط : « عبسة » صوابه في الأصل وتهذيب التهذيب .

عليه السلام أول من أسلم . فأما الرواية عن ابن عباس أن أبا بكر أولهم إسلاماً فقد روى عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما رووا وأشهر .

فمن ذلك ما رواه يحيى بن حماد عن أبي عوانة وسعيد بن عيسى عن أبي داود الطيالسي ، عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال : أول من صلى من الرجال على عليه السلام .

وروى الحسن البصري قال : حدثنا عيسى بن راشد عن أبي بصير عن عكرمة عن ابن عباس قال : فرض الله تعالى الاستغفار لعل عليه السلام في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » . فكل من أسلم بعد على فهو يستغفر لعل عليه السلام .

وروى سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : « السباق ثلاثة : سبق يوشع بن نون إلى موسى ، وسبق صاحب يس إلى عيسى ، وسبق على عليه السلام بن أبي طالب إلى محمد عليه وعليهم السلام . فهذا قول ابن عباس في سبق عليه السلام إلى الإسلام . وهو أثبت من حديث الشعبي وأشهر . على أنه قد روى عن الشعبي خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذلي وداود بن أبي هند عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعل عليه السلام : « هذا أول من آمن بي وصدقني وصلى معي » .

قال : فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام ، المذكورة في الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها ، فمنها ما روى شريك بن عبد الله عن سليمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال : أول شيء علمته من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أنني قدمت مكة مع عمومة لي وناس من قومي ، وكان من أنفسنا شراء عطر ، فأرشدنا إلى العباس بن عبد المطلب ، فأنهينا إليه وهو جالس إلى زمزم ، فبينما نحن عنده جلوساً إذ أقبل رجل من باب الصفا وعليه ثوبان أبيضان وله وفرة إلى أنصاف أذنيه جمدة ، أشم أفنى ، أدعج العينين ، كث اللحية ، براق الثنايا ، أبيض تعلوه حمرة ، كأنه القمر ليلة البدر ، وعلى عيینه غلام مراهق أو محتلم

حسن الوجه ، تقفون امرأة قد سترت محاسنها ، حتى قصدوا نحو الحجر ، فاستلمه واستلمه الغلام ثم استلمته المرأة ، ثم طاف بالبيت سبعا والغلام والمرأة يطوفان معه ، ثم استقبل الحجر فقام ورفع يديه وكبر ، وقام الغلام إلى جانبه وقامت المرأة خلفهما فرفعت يديها وكبرت ، فأطال القنوت ، ثم ركع وركع الغلام والمرأة ثم رفع رأسه فأطال ورفع الغلام والمرأة معه ثم سجدوا وسجد الغلام معه يصنعان مثل ما يصنع ، فلما رأينا شيئا ننكره لا نعرفه بمكة أقبلنا على العباس فقلنا : يا أبا الفضل ، إن هذا الدين ما كنا نعرفه فيكم ! قال : أجل والله . قلنا : فمن هذا ؟ قال : هذا ابن أخي ، هذا محمد بن عبد الله ، وهذا الغلام ابن أخي أيضاً ، هذا علي بن أبي طالب وهذه المرأة زوجة محمد ، هذه خديجة بنت خويلد ، والله ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة .

ومن حديث موسى بن داود عن خالد بن نافع عن عفيف بن قيس الكندي — وقد رواه عن عفيف أيضاً مالك بن إسماعيل النهدي والحسن بن عنبسة الوراق وإبراهيم بن محمد بن ميمونة — قالوا جميعاً : حدثنا سعيد بن جشم عن أسد بن عبد الله^(١) البجلي عن يحيى بن عفيف بن قيس عن أبيه قال :

كنت في الجاهلية عطاراً ، فقدمت مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فبينما أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة وقد تحلقت الشمس في السماء أقبل شاب كأن في وجهه القمر ، حتى رمى ببصره إلى السماء ، فنظر إلى الشمس ساعة ثم أقبل حتى دنا من الكعبة فصف قدميه يصلي ، فخرج على إثره فتى كأن وجهه صحيفة يمانية ، فقام عن يمينه ، فجاءت امرأة متلففة في ثيابها فقامت خلفهما ، فأهوى الشاب راكعاً فركما معه ، ثم أهوى إلى الأرض ساجداً فسجداً معه ، فقلت للعباس : يا أبا الفضل ، أمر عظيم . فقال : أمر والله عظيم ، أتدري من هذا الشاب ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، أتدري من هذا الفتى ؟ قلت :

(١) في الأصل : « ابن عبد » صوابه في ط .

لا . قال : هذا ابن أخى أبى طالب بن عبد المطلب ، أتدرى من المرأة ؟ قلت : لا . قال : ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى ، هذه خديجة زوج محمد . هذا وإن محمدا هذا يذكر أن إلهه إله السماء ، وأمره بهذا الدين ، فهو عليه كما ترى . ويزعم أنه نبي ، وقد صدقه على قوله على ابن عمه هذا الفتى ، وزوجته خديجة هذه المرأة ، والله ما أعلم على وجه الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . قال عفيف : فقلت له : فما تقولون أنتم ؟ قال : ننتظر الشيخ ما يصنع ، يعنى أبا طالب أخاه .

وروى عبيد الله بن موسى والفضل بن دكين والحسن بن عطية قالوا : حدثنا خالد بن طهمان عن نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار قال : كنت أوصى^(١) النبي صلى الله عليه وآله فقال لى : هل لك أن نعود فاطمة ؟ قلت : نعم يا رسول الله . فقام يمشى متوكئاً على وقال : أما إنه سيجعل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك . قال : فوالله كأنه لم يكن على من ثقل النبي صلى الله عليه وآله شيئاً . فدخلنا على فاطمة عليها السلام فقال لها صلى الله عليه وسلم : كيف تجدينك ؟ قالت : لقد طال أسفى واشتد حزنى وقال لى النساء : زوجك أبوك فقيرا لا مال له ! فقال لها : أما ترضين أنى زوجتك أقدم أمتى سلما ، وأكثرهم علما ، وأفضلهم حلما ؟ قالت : بلى ، رضيت يا رسول الله .

وقد روى هذا الخبر يحيى بن عبد الحميد ، وعبد السلام بن صالح ، عن قيس بن الربيع عن أبى أيوب الأنصارى بألفاظه أو نحوه^(٢) .

وروى عبد السلام بن صالح عن إسحاق الأزرق عن جعفر بن محمد عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوج فاطمة — دخل النساء عليها فقلن : يا بنت رسول الله ، خطبك فلان وفلان فردهم عنك وزوجك فقيرا لا مال له ! فلما دخل عليها أبوها عليه السلام رأى ذلك فى وجهها ، فسألها فذكرت له ذلك ، فقال :

(١) ط : « أوصل » .

(٢) الكلام بعده لى نهاية الفقرة التالية ساقط من ط .

يا فاطمة ، إن الله أمرني فأنكحتك أقدمهم سلما ، وأكثرهم علما ، وأعظمهم حملا ، وما زوجتك إلا بأمر من السماء . أما علمت أنه أخى فى الدنيا والآخرة ؟ !

وروى عثمان بن سميد عن الحكم بن ظهير عن السدى ، أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة عليها السلام فردها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : لم أؤمر بذلك . فخطبها على عليه السلام فزوجه إياها وقال لها : زوجتك أقدم الأمة إسلاما . وذكر تمام الحديث .

قال : وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة منهم أسماء بنت عميس ، وأم أيمن وابن عباس ، وجابر بن عبد الله .

قال : وقد روى محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع قال : أتيت أبا ذر بالربذة أودعه ، فلما أردت الانصراف قال لى ولا ناس معى : ستكون فتنة فاتقوا الله ، وعليكم بالشيخ على بن أبى طالب فاتبعوه ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له : أنت أول من آمن بى ، وأول من يصافحنى يوم القيامة ، وأنت الصديق الأكبر ، وأنت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل ، وأنت يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكافرين ، وأنت أخى ووزيرى وخير من أترك بعدى ، تقضى دينى وتنجز موعودى .

قال : وقد روى ابن أبى شيبه عن عبد الله بن نمر عن العلاء بن صالح عن المنهال ابن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدى قال :

سمعت على بن أبى طالب يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها غيرى إلا كذاب . ولقد صليت قبل الناس سبع سنين .

وروت معاذة بنت عبد الله العدوية قالت : سمعت عليا عليه السلام يخطب على منبر البصرة ويقول : أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم .

وروى حبة بن جوين العرنى أنه سمع عليا عليه السلام يقول : أنا أول رجل

أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله . رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن
سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن حبة بن جوين .

وروى عثمان بن سعيد الحرار عن علي بن حرار عن علي بن عامر عن أبي الجحاف
عن حكيم مولى زاذان قال : سمعت عليا عليه السلام يقول : صليت قبل الناس
سبع سنين ، وكنا نسجد ولا نركع ، وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر فقلت :
يا رسول ما هذا ؟ قال : أمرت به .

وروى إسماعيل بن عمرو عن قيس بن الربيع عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن
جابر بن عبد الله قال :

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء بعده .
وفي الرواية الأخرى عن أنس بن مالك : استنبيء النبي صلى الله عليه وآله يوم
الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء بعده .

وروى أبو رافع أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى أول صلاة صلاها غداة
الاثنين ، وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك ، وصلى على عليه السلام يوم الثلاثاء
غداة ذلك اليوم .

قال : وقد روى بروايات مختلفة كثيرة متعددة عن زيد بن أرقم وسلمان
الفارسي وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، أن عليا عليه السلام أول من أسلم .
وذكر الروايات والرجال بأسمائهم .

وروى سلمة بن كهيل عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب ، أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « أولسكم ورودًا على الحوض أولسكم إسلاما : علي
ابن أبي طالب » .

وروى يس بن محمد بن أيمن ، عن أبي حازم مولى ابن عباس ، عن ابن عباس
قال : سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول : كفوا عن علي بن أبي طالب ؛ فإنني سمعت من

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خصالاً لو أنَّ خصلةً منها في جميع آل الخطّاب كان أحبَّ إلىَّ ممّا طلعت عليه الشمس .

كنت ذات يوم وأبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ، مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نطلبه ، فانتهينا إلى باب أم سلمة فوجدنا عليّاً متكئاً على نِجاف الباب^(١) ، فقلنا : أرؤنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هو في البيت ، رويدكم . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فثرنا حوله ، فانكأ على عليّ عليه السلام وضرب بيده على منكبه فقال : أبشر يا علي بن أبي طالب ، إنك خاصم وإنك تخصم الناس بسبع لا يجاريك أحد في واحدة منهم : أنت أول الناس إسلاماً وأعلمهم بأيام الله . وذكر الحديث

قال : وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الحديث . قال : وروى أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لقد صلت الملائكة علىَّ وعلى علي عليه السلام سبع سنين . وذلك أنه لم يصل معي رجل فيها غيره . قال أبو جعفر : فأما ما رواه الجاحظ من قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما تبعني حرٌّ وعبد » . فإنه لم يسم في هذا الحديث أبا بكر وبلالا . وكيف وأبو بكر لم يشتر بلالاً إلا بعد ظهور الإسلام بمكة ، فلما أظهر بلال إسلامه عذبه أمية بن خلف ، ولم يكن ذلك حال إخفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة ولا في أمر الإسلام . وقد قيل إنه عليه السلام إنما عني بالحرّ علي بن أبي طالب ، وبالعبد زيد بن حارثة .

وروى ذلك محمد بن إسحاق .

قال : وقد روى إسماعيل بن نصر الصفار عن محمد بن ذكوان عن الشعبي قال : قال الحجاج للحسن وعنده جماعة من التابعين وذكر علي بن أبي طالب : ما تقول

(١) النِجاف : العتبة ، وهي أسكفة الباب .

أنت يا حسن ؟ فقال : ما أقول ؟ هو أول من صلى إلى القبلة ، وأجاب دعوة الرسول ، وإنه لعلى منزلة من ربه ، وقرابة من رسوله ، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها أحد . فغضب الحجاج غضباً شديداً وقام عن سريره فدخل بعض البيوت ، وأمر بصرفنا .

قال الشعبي : وكنا جماعة ما منا إلا من نال من علي عليه السلام ، مقاربة للحجاج ، غير الحسن بن أبي الحسن رحمه الله .

وروى محرز بن هشام عن إبراهيم بن سلمة عن محمد بن عبيد الله قال : قال رجل للحسن ما لنا لا نراك تثني على علي وتقر منه ؟ قال : كيف وسيف الحجاج يقطر دماً ، إنه لأول من أسلم ، وحسبكم بذلك .

قال : فهذه الأخبار ، وأما الأشعار المروية فمعروفة كثيرة منتشرة .
فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيباً للوليد بن عقبة بن أبي معيط :

وإن ولي الله بعد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه
وصى رسول الله حقاً وصنوه وأول من صلى ومن لان جانبه
وقال خزيمه بن ثابت في هذا :

وصى رسول الله من دون أهله وفارسه قد كان في سالف الزمن
وأول من صلى الله من الناس كلهم سوى خيرة النسوان والله ذو منن
وقال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس حين بويع أبو بكر :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتهم وأعلم الناس بالأحكام والسنن
وقال أبو الأسود الدؤلي يهدد طلحة والزبير :

وإن علياً لكم مُصْحَرٌ يماثله الأسود الأسود
إما إنه أول العابدين من بمكة والله لا يعبد

وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفيين :

هذا على وابن عم المصطفى أول من أجابه فيما روى
هو الإمام لا يبالي من غوى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي :

فخطوا علياً وانصروه فإنه وصى وفي الإسلام أول أول
ولن تخذلوه والحوادث حجة فليس لكم عن أرضكم متحول
قال : والأشعار كالأخبار إذا امتنع في مجيء القبيلين ^(١) التواطؤ والاتفاق كان
ورودهما حجة .

فأما قول الجاحظ : « فأوسط الأمور أن نجعل إسلامهم معا » فقد أبطل بهذا
ما احتج به لإمامة أبي بكر ، لأنه احتج بالسبق وقد عدل الآن عنه .

قال أبو جعفر : ويقال لهم : لسنا نحتاج من ذكر سبق على عليه السلام إلا
مجامعتكم إيانا على أنه أسلم قبل الناس . ودعواكم أنه أسلم وهو طفل دعوى غير
مقبولة إلا للحجة . قلنا : قد ثبت إسلامه بحكم إقراركم . ولو كان طفلاً لكان في
الحقيقة غير مسلم ، لأن اسم الإيمان والإسلام والكفر ، والطاعة والمعصية ، إنما يقع
على البالغين دون الأطفال والمجانين .

وإذا أطلقتم وأطلقنا عليه اسم الإسلام فالأصل في الإطلاق الحقيقة . كيف وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت أول من آمن بي وأول من صدقني . وقال
لفاطمة : « زوجتك أقدمهم سلماً » أو قال « إسلاماً » .

فإن قالوا : إنما دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام على جهة العرض
لا التكليف ؟

قلنا : قد وافقتمونا على الدعاء — وحكم الدعاء حكم الأمر والتكليف — ثم

(١) في الأصل : « القبيلتين » ، صوابه في ط .

ادعيتم أن ذلك كان على وجه العرض . وليس لكم أن تقبلوا معنى الدعاء إلا لحجة .
فإن قالوا : لعله كان على وجه التأديب والتعليم ، كما يعتمد مثل ذلك مع الأطفال .
قلنا : إن ذلك إنما يكون إذا تمكن الإسلام بأهله ، أو عند النشو عليه والولادة
فيه . فأما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك ، لاسيما إذا كان الإسلام غير معروف
ولا معتاد بينهم . على أنه ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أطفال المشركين
إلى الإسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم . وأيضاً فمن شأن الطفل
اتباع أهله وتقليد أبيه والمضى على منشئه ومولده . وقد كانت منزلة النبي صلى الله عليه
وسلم حينئذ منزلة ضيق وشدة ووحدة ، وهذه منازل لا ينتقل إليها إلا من ثبت
الإسلام عنده بحجة ، ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة .
فإن قالوا : إن علياً عليه السلام كان يألف النبي صلى الله عليه وسلم ، فواقفه
على طريق المساعدة له .

قلنا : إنه وإن كان يألفه فلم يكن يألفه أكثر من أبويه وإخوته وعمومته وأهل
بيته ، ولم يكن الإلف ليخرجه عما نشأ عليه ، ولم يكن الإسلام مما غُذِيَ به وكرر
على سمعه ، لأن الإسلام هو خُلِعَ الأنداد ، والبراءة ممن أشرك بالله ، وهذا لا يجتمع
في اعتقاد طفل .

ومن العجب قول العباس لعفيف بن قيس : « ننتظر الشيخ وما يصنع » فإذا كان
العباس وحمزة ينتظران أبا طالب ويصدران عن رأيه ، فكيف يخالف ابنه ويؤثر
الثقة على الكثرة ، ويفارق المحبوب إلى المكروه ، والعز إلى الذل ، والأمن إلى
الخوف ، من غير معرفة ولا علم بما فيه .

فإما قوله : « إن المقلل يزعم أنه أسلم وهو ابن خمس سنين ، والمكثر يزعم أنه
أسلم وهو ابن تسع سنين » فأول ما يقال في ذلك أن الأخبار جاءت في سنه عليه
السلام يوم أسلم على خمسة أقسام :

القسم (الأول) : الذين قالوا : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، حدثنا بذلك أحمد بن سعيد الأسدي عن إسحاق بن بشر القرشي عن الأوزاعي ، عن حمزة بن حبيب ، عن شداد بن أوس قال : سألت خباب بن الأرت عن إسلام علي فقال : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولقد رأيته يصلي قبل الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بالغ مستحکم البلوغ .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أن أول من أسلم على بن أبي طالب وهو ابن خمس عشرة سنة

القسم (الثاني) : الذين قالوا : إنه أسلم وهو ابن أربع عشرة سنة . رواه أبو قتادة الحراني عن أبي حازم الأعرج عن حذيفة بن اليمان قال : كنا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعلى من أبناء أربع عشرة سنة قائم يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا ، وقريش يومئذ تسافه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يذب عنه إلا على عليه السلام .

وروى ابن أبي شيبة عن جرير بن عبد الحميد قال : أسلم على وهو ابن أربع عشرة سنة .

القسم (الثالث) : الذين قالوا أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة . رواه إسماعيل ابن عبد الله الرقي عن محمد بن عمر عن عبد الله بن سيمان عن جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن محمد بن علي عليهما السلام : أن عليا حين أسلم كان ابن إحدى عشرة سنة . وروى عبد الله بن زياد المدني عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال : أول من آمن بالله علي بن أبي طالب وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وهاجر إلى المدينة وهو ابن أربع وعشرين سنة .

القسم (الرابع) : الذين قالوا : إنه أسلم وهو ابن عشر سنين . رواه نوح بن دراج عن محمد بن إسحاق قال : أول من آمن وصدق بالنبوة علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ، ثم أسلم زيد بن حارثة ، ثم أسلم أبو بكر وهو ابن ست وثلاثين سنة فيما بلغنا .

القسم (الخامس) : الذين قالوا إنه أسلم وهو ابن تسع سنين . رواه الحسن بن عنبسة الوراق عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال : أول من أسلم من الرجال على بن أبي طالب وهو ابن تسع سنين ، وكان له يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وعشرون سنة .

قال شيخنا أبو جعفر : فهذه الأخبار كما تراها . فإما أن يكون الجاحظ جهلها أو قصد العناد .

فأما قوله « فالقياس أن نأخذ بأوسط الأمرين من الروايتين فنقول : إنه أسلم وهو ابن سبع سنين » فإن هذا تحكم منه ، ويلزمه مثله في رجل ادعى قبل رجل عشرة دراهم فأنكر ذلك وقال : إنما يستحق قبلي أربعة دراهم ، فينبغي أن نأخذ الأمر المتوسط ويلزمه سبعة دراهم ، ويلزمه في أبي بكر حيث قال قوم : كان كافرا وقال قوم : كان إماماً عادلاً ، أن نقول : أعدل الأقاويل أوسطها ، وهو منزلة بين المنزلتين ، فنقول : كان فاسقاً ظالماً . وكذلك في جميع الأمور المختلف فيها .

فأما قوله : « وإنما يعرف حق ذلك من باطله بأن نحصى سني ولاية عثمان وعمر وأبي بكر وسني الهجرة ومقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الرسالة إلى أن هاجر » ، فيقال له : لو كانت الرواية متفقة على هذه التواريخ لكان لهذا القول مساع ، لكن الناس قد اختلفوا في ذلك ، فقليل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بعد الرسالة خمس عشرة ، رواه ابن عباس . وقيل ثلاث عشرة ، وروى [عن ^(١)] ابن عباس أيضاً . وأكثر الناس يردونه . وقيل عشر سنين ، رواه عروة بن الزبير ، وهو قول الحسن البصري وسعيد بن المسيب .

واختلفوا في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم : كان ابن خمس وستين ، وقيل : كان ابن ثلاث وستين ، وقيل : كان ابن ستين . واختلفوا في سن علي عليه السلام ، فقليل كان ابن سبع وستين ، وقيل : كان ابن خمس وستين ،

(١) التكملة من ط .

وقيل : ابن ثلاث وستين ، وقيل ابن ستين ، وقيل : ابن تسع وخمسين . فكيف يمكن مع هذه الاختلافات تحقيق هذا الحال .

وإنما الواجب أن يرجع إلى إطلاق قولهم أسلم على ، فإن هذا الاسم لا يكون مطلقاً إلا على البالغ . على أن ابن إحدى عشرة سنة يكون بالغاً ويولد الأولاد . فقد روت^(١) الرواة أن عمرو بن العاص لم يكن أسنَّ من ابنه عبد الله إلا باثنتي عشرة سنة . وهذا يوجب أنه احتمل وبلغ في أقل من إحدى عشرة سنة .

وروا أيضاً أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان أصغر من أبيه علي بن عبد الله بن العباس بإحدى عشرة سنة .

فيأزم الجاحظ أن يكون عبد الله بن العباس حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مسلم على الحقيقة ، ولا مثاب ، ولا مطيع بالإسلام ، لأنه كان يومئذ ابن عشر سنين . رواه هشيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين .

(٢)

لصفحة ٦ — ٩ من العثمانية

هذا كله مبني على أنه أسلم وهو ابن سبع أو ثمان ، ونحن قد بينا أنه أسلم بالغاً ابن خمس عشرة سنة أو ابن أربع عشرة سنة . على أننا لو نزلنا على حكم الخصوم وقلنا ما هو الأشهر والأكثر من الرواية ، وهو أنه أسلم وهو ابن عشر ، لم يلزم ما قاله الجاحظ ، لأن ابن عشر قد يستجمع عقله ويعلم من مبادئ المعارف ما يستخرج به كثيراً من الأمور المعقولة . ومتى كان الصبي عاقلاً مميزاً كان مكلفاً بالعقليات وإن كان تكليفه بالشرعيات موقوفاً على حد آخر وغاية أخرى ، فليس بمنكر أن يكون عليّ عليه السلام وهو ابن عشر قد عقل المعجزة فلزمه الإقرار بالنبوة ، وأسلم إسلام عارف ، لا إسلام مقلد تابع .

(١) في الأصل : « ردت » ، صوابه في ط .

وإن كان ما نسقه الجاحظ وعدده من معرفة السحر والنجوم ، والفصل بينهما وبين النبوة ، ومعرفة ما يجوز في الحكمة مما لا يجوز وما لا يحدثه إلا الخالق ، والفرق بينه وبين ما يقدر عليه القادرون بالقدر ، ومعرفة التمويه والخديعة والتلبيس والمأكرة ، شرطاً في صحة الإسلام لما صح إسلام أبي بكر ولا عمر ولا غيرها من العرب ، وإنما التكليف لهؤلاء بالجهل^(١) ومبادئ المعارف ، لا بدقائقتها والغامض منها . وليس يقتصر الإسلام إلى أن يكون المسلم قد فاتح الرجال وجرب الأمور ونازع الخصوم ، وإنما يقتصر إلى صحة الغريزة وكمال العقل وسلامة الفطرة . ألا ترى أن طفلاً لو نشأ في دار لم يعاشر الناس بها ولا فاتح الرجال ولا نازع الخصوم ثم كمل عقله وحصلت العلوم البديهيّة عنده لكان مكلفاً بالمعقليات .

فأما توهمه أن علياً عليه السلام أسلم عن تربية الحاضن وتلقين القيم ورياضة السائس ، فلعمرى إن محمداً صلى الله عليه وآله كان حاضنه وقيمه وسائسه ، ولكن لم يكن منقطعاً عن أبيه أبي طالب ، ولا عن إخوته طالب وعقيل وجعفر ، ولا عن عمومته وأهل بيته ، وما زال مخالطاً لهم متمزجاً بهم ، مع خدمته لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فما باله لم يمل إلى الشرك وعبادة الأصنام لمخالطته إخوته وأباه وعمومته وأهله ، وهم كثير ومحمد صلى الله عليه وآله واحد ، وأنت تعلم أن الصبي إذا كان له أهل ذوو كثرة وفيهم واحد يذهب إلى رأى مفرد لا يوافقه عليه غيره منهم فإنه إلى ذوى الكثرة أميل ، وعن ذى الرأى الشاذ المنفرد أبعد .

وعلى أن علياً عليه السلام لم يولد في دار الإسلام وإنما ولد في دار الشرك ، وربى بين المشركين وشاهد الأصنام ، وعان بعينيه أهله ورهطه يعبدونها ، فلو كان في دار الإسلام لكان في القول مجال ، ولقليل إنه ولد بين المسلمين فإسلامه عن تلقين الظئر ، وعن سماع كلمة الإسلام ، ومشاهدة شعاره ؛ لأنه لم يسمع غيره ولا خطر بباله سواه ، فلما لم يكن ولد كذلك [ثبت أن إسلامه إسلام المميز العارف بما دخل عليه . ولولا

(١) في الأصل : « بالجهل » ، صوابه في ط .

أنه كذلك^(١)] لما قدمه^(٢) رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، ولا أرضى ابنته فاطمة لما وجدت من تزويجه بقوله لها : « زوجتك أقدمهم سلما » . ولا قرن إلى ذلك قوله « وأكثروهم علما وأعظمهم حلما » والحلم : العقل . وهذان الأمران غاية الفضل . فلو لا أنه أسلم إسلام عارف عالم مميز لما ضم إسلامه إلى العلم والحلم اللذين وصفه بهما . وكيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مثابا عليه ولا معاقبا عليه لو تركه .

ولو كان إسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو عليه السلام على رءوس الأشهاد ولا خطب على المنبر ، وهو بين عدو محارب وخاذل منافق ، فقال : « أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ، صليت قبل الناس سبع سنين ، وأسلمت قبل إسلام أبي بكر وآمنت قبل إيمانه » . فهل بلغكم أن أحداً من أهل ذلك العصر أنكر ذلك أو عابه أو ادعاه لغيره أو قال له : إنما كنت طفلاً أسلمت على تربية محمد صلى الله عليه وآله لك وتلقينه إياك ، كما تعلم الطفل الفارسية والتركية منذ يكون رضيعاً ، فلا نخزله في تعلم ذلك ، وخصوصاً في عصر قد حارب فيه أهل البصرة والشام والنهروان ، وقد اعتورته الأعداء وهجته الشعراء . فقال فيه النعمان بن بشير :

لقد طلب الخلافة من بعيد وسارع في الضلال أبو تراب
معاوية الإمام وأنت منها على وتيح بمنقطع السراب^(٣)
وقال فيه أيضاً بعض الخوارج :

دس سفا له تحت الظلام ابن ملجم جزاء إذا ما جاء نفسا كتابها
وقال عمران بن حطان يمدح قاتله :

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليلبلغ من ذى العرش رضوانا
إني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

(٢) ط : « مدحه » .

(١) التكملة من ط .

(٣) الوتح : القليل التافه .

فلو وجد هؤلاء سبيلا إلى دحض حجة فيما كان يفخر به من تقدم إسلامه لبدءوا بذلك وتركوا مالا معنى له .

وقد أوردنا ما مدحه الشعراء به من سبقه إلى الإسلام فكيف لم يرد على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه . ولقد قال في أمهات الأولاد قولاً خالف فيه عمر فذكروه بذلك وعابوه ، فكيف تركوا أن يعيبوه بما كان يفتخر به مما لا فخر فيه عندهم وعابوه بقوله في أمهات الأولاد .

ثم يقال له ^(١) خبرنا عن عبد الله بن عمر ، وقد أجازته النبي صلى الله عليه وآله يوم الخندق ولم يحزه يوم أحد : هل [كان] يميز ما ذكرته ، وهل كان يعلم فرق ما بين النبي المتنبئ وبفصل بين السحر والمعجزة إلى غيره مما عدت وفصلت . فإن قال نعم وتجاسر على ذلك قيل له : فعلى عليه السلام بذلك أولى من ابن عمر ، لأنه أذكي وأظن بلا خلاف بين العقلاء . وأنى يشك في ذلك وقد رويتم أنه لم يميز بين الميزان والعود بمد طول السن وكثرة التجارب ، ولم يميز أيضا بين إمام الرشد وإمام الغي ، فإنه امتنع من بيعة على عليه السلام ، وطرق على الحجاج بابه ليلا ليباع لعبد الملك ، كي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام ، زعم . لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية » ، وحتى بلغ من احتقار الحجاج له واستزداله حاله أن أخرج رجله من الفراش فقال : أصفق بيدك عليها . فذلك تمييزه بين الميزان والعود ، وهذا اختياره في الأئمة ، وحال على عليه السلام في ذكائه وفطنته وتوقد حسه وصدق حدسه معلومة مشهورة . فإذا جاز أن يصح إسلام ابن عمر ويقال عنه إنه عرف تلك الأمور التي سردها الجاحظ ونسقها ، وأظهر فصاحته وتشادقه فيها . فعلى بمعرفة ذلك أحق ، وبصحة إسلامه أولى .

وإن قال : لم يكن ابن عمر يعلم ويعرف ذلك ، أبطل إسلامه وطعن في رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث حكم بصحة إسلامه وأجازته يوم الخندق ، لأنه عليه السلام كان قال : لا أجبر إلا البالغ العاقل ، ولذلك لم يحزه يوم أحد . ثم يقال : إن ما نقوله

(١) كذا في ط . وفي الأصل : « قلنا له » .

في بلوغ على عليه السلام الحد الذي يحسن فيه التكليف العقلي بل يجب ، وهو ابن عشر سنين ، ليس بأعجب من مجيء الولد لستة أشهر . وقد صحح ذلك أهل العلم واستنبطوه من الكتاب وإن كان خارجاً من التعارف والتجارب والعادة . وكذلك مجيء الولد لستين خارج أيضاً عن التعارف والعادة ، وقد صححه الفقهاء والناس . ويرى أن معاذاً لما نهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلاماً قد نبقت ثمنيتاه فقال أبوه : ابني ورب الكعبة ! فثبت ذلك سنة يعمل بها الفقهاء . وقد وجدنا العادة تقضي بأن الجارية تحيض لاثنتي عشرة سنة ، وأنه أقل سن تحيض فيه المرأة ، وقد يكون في الأقل نساء يحضن لعشر وتسع ، وقد ذكر ذلك الفقهاء ، وقد قال الشافعي في اللعان : لو جاءت المرأة بحمل وزوجها صبي له دون عشر سنين لم يكن ولداً له ، لأن من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد له ، وإن كان له عشر سنين جاز أن يكون الولد له ، وكان بينهما لعان إذا لم يقر به ، وقال الفقهاء أيضاً : إن نساء تهامة يحضن لتسع سنين ، لشدة الحر ببلادهن .



لصفحة ٩ — ١٢ من العثمانية

إن مثل الجاحظ ، مع فضله وعلمه ، لا يخفى عليه كذب هذه الدعوى وفسادها ، ولكنه يقول ما يقول تعصباً وعناداً . وقد روى الناس كافة افتخار على عليه السلام بالسبق إلى الإسلام ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم استنبيء يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء ، وأنه كان يقول : صليت قبل الناس سبع سنين ، وأنه مازال يقول : أنا أول من أسلم ، ويفتخر بذلك ويفتخره به أولياؤه ومادحوه وشيعته في عصره وبعد وفاته . والأمر في ذلك أشهر من كل شهير ، وقد قدمنا طرفاً منه . وما علمنا أحداً من الناس فيما خلا استخف بإسلام على عليه السلام ولا تهاون به ، ولا زعم أنه أسلم إسلام حدث غرير ، وطفل صغير . ومن العجب أن يكون مثل العباس وحمة ينتظران أباً طالب [وفعله ^(١)] ليصدرا عن رأيه ، ثم يخالفاه على ابنه لغير رغبة ولا رهبة ، يؤثر القلة على

(١) هذه التكملة من ط .

الكثرة ، والذل على العزة ، من غير علم ولا معرفة بالعاقبة . وكيف يفكر الجاحظ
والعمانية أن رسول الله صلى عليه وآله دعاه إلى الإسلام وكلفه التصديق ، وروى في
الخبر الصحيح أنه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكة أن
يصنع له طعاماً ، وأن يدعو له بنى عبد المطلب ، فصنع له الطعام ودعاهم له ، فخرجوا ذلك
اليوم ، ولم ينذروهم صلى الله عليه وآله لكلمة قالها عمه أبو لهب ، فكلفه اليوم الثاني
أن يصنع مثل ذلك الطعام وأن يدعوهم ثانية ، فصنعهم ودعاهم فأكلوا ، ثم كلمهم صلى
الله عليه وآله فدعاهم إلى الدين ودعاه معهم لأنه من بنى عبد المطلب ، ثم ضمن لمن
بوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيه بعد موته ، وخليفته من
بعده ، فأمسكوا كلهم وأجابوه هو وحده وقال : أنا أنصرك على ما جئت به ، وأوأزرك
وأبايعك ! فقال لهم لما رأى منهم الخذلان ومنه النصر ، وشاهد منهم المعصية ومنه
الطاعة ، وعان منهم الإباء ومنه الإجابة : هذا أخي ووصي وخليفتي من بعدى !
فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب : أطع ابنك فقد أمره عليك ! فهل
يكلف عمل الطعام ودعاء القوم صغير غير مميز ، وغر غير عاقل ؟ ! وهل يؤتمن على سر
النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع ؟ ! وهل يدعى في جملة الشيوخ والكهول
إلا عاقل لبيب ؟ ! وهل يضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده في يده ويمطيه صفقة
يمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلا وهو أهل لذلك ، بالغ حد التكليف ، محتمل
لولاية الله ، وعداوة أعدائه ؟ !

وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ولم يلصق بأشكاله ، ولم يُرَ مع الصبيان
في ملاعبهم بعد إسلامه ، وهو كأحدهم في طبقة كعصمهم في معرفته . وكيف لم ينزع
إلهم في ساعة من ساعاته فيقال : دعاه نقص الصبا وخاطر من خواطر الدنيا ، وحملته
الغرة والحدائنة على حضور لهوهم والدخول في حالهم ، بل مارأيتاه إلا ماضيا على
إسلامه ، مصمما في أمره ، محققا لقوله بفعله ، وقد صدق إسلامه بعقابه وزهده ، ولصق
برسول الله صلى الله عليه وآله من بين جميع من بحضرته ، فهو أمينه وأليفه في دنياه

وآخرته . وقد قهر شهوته ، وجاذب خواطره ، صابرا على ذلك نفسه ؛ لما يرجوه من فوز العاقبة وثواب الآخرة .

وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بدء حاله وافتتاح أمره حيث أسلم لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الشجرة فأقبلت تحبُّ الأرض ، فقالت قريش : ساحر خفيف السحر ! فقال على عليه السلام : يا رسول الله ، أنا أول من يؤمن بك ، آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جئت به ، وأنا أشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقا لنبوتك ، وبرهاننا على صحة دعوتك . فهل يكون إيمان قط أصح من هذا الإيمان وأوثق عقدة وأحكم مرّة ؟ ! ولكن حنق العمانية وغيظهم وعصبية الجاحظ وانحرافه ، مما لاحيلة فيه .

ثم ليفطر النصف وليدع الهوى جانباً ليعلم نعمة الله على عليه السلام بالإسلام ، حيث أسلم على الوضع الذي أسلم عليه ، فإنه لولا الألفاظ التي خص بها ، والهداية التي منحها له ، لما كان إلا كبعض أقارب محمد صلى الله عليه وآله وأهله . فقد كان ممازجاً له كهمازجته ، ومخالطاً له كمخالطة كثير من أهله ورهطه ، ولم يستجب منهم أحد له إلا بعد حين ، ومنهم من لم يستجب له أصلاً ، فإن جمعوا عليه السلام كان ملتصقاً به ولم يسلم حينئذ . وكان عتبة بن أبي لهب ابن عمه وصهره زوج ابنته ولم يصدقه ، بل كان شديداً عليه ، وكان لخديجة بنون من غيره ولم يسلموا حينئذ وهم ربائبه ومعه في دار واحدة ، وكان أبو طالب أباه في الحقيقة ، وكافله وناصره ، والمحامي عنه ، ومن لولاه لم تقم له قائمة ، ومع ذلك لم يسلم في أغلب الروايات . وكان العباس عمه وصنو أبيه ، وكالقرين له في الولادة والمنشأ والتربية ، ولم يستجب له إلا بعد حين طويل . وكان أبو لهب عمه وكدمه ولحمه ، ولم يسلم ، وكان شديداً عليه ، فكيف ينسب إسلام على عليه السلام إلى الإلف والتربية والقربة واللحمة ، والتلقين والحضانة والدار الجامعة وطول العشرة ، والأنس والخلوة . وقد كان كل ذلك حاصلًا لهؤلاء أو لكثير منهم ، ولم يهتد أحد منهم إذ ذاك ، بل كانوا بين من جحد وكفر ومات على كفره ، ومن أبطأ وتأخر وسبق بالإسلام وجاء سُكَيْتًا وقد فاز بالمنزلة غيره .

وهل يدل تأمل حال على عليه السلام مع الإنصاف إلا على أنه أسلم ، لأنه شاهد
الأعلام ورأى المعجزات وشم ريح النبوة ، ورأى نور الرسالة ، وثبت اليقين في قلبه
بمعرفة وعلم ونظر صحيح ، لا بتقليد ولا حمية ، ولا رغبة ولا رهبة إلا فيما يتعلق
بأمور الآخرة .

(٤)

ص ٢٢ من العثمانية

ينبغي أن ينظر أهل الإنصاف هذا الفصل ويقفوا على قول الجاحظ^(١) والأصم
في نصرة العثمانية ، واجتهادها في القصد إلى فضائل هذا الرجل وتهجينها ، فرة
يبطالان معناها ، ومرة يتوصلان إلى حط قدرها . فليُنظر في كل باب اعتراض فيه أين
بلغت حيلتهما ؟ وما صنعا في احتيالهما في قصصهما وسجعهما ؟ أليس إذا تأملتها
علمت أنها ألفاظ ملفقة بلا معنى ، وأنها عليها شجى وبلاء ، وإلا فاعسى أن تبلغ
حيلة الحاسد ويعنى كيد الكائد الشائى لمن قد جل قدره عن النقص ، وأضاءت
فضائله بإضاءة الشمس .

وأين قول الجاحظ من دلائل السماء ، وبراهين الأنبياء وقد علم الصغير والكبير ،
والعالم والجاهل ممن بلغه ذكر على عليه السلام ، وعلم مبعث النبي صلى الله عليه وآله
أن عليا عليه السلام لم يولد في دار الإسلام ، ولا غذى في حجر الإيمان ، وإنما
استضافه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى نفسه سنة القحط والمجاعة . وعمره يومئذ
ثمانى سنين ، فكث معه سبع سنين حتى أتاه جبرئيل بالرسالة ، فدعاه وهو بالغ
كامل العقل إلى الإسلام ، فأسلم بعد مشاهدة المعجزة ، وبعد إعمال النظر والفكرة .
وإن كان قد ورد في كلامه أنه صلى سبع سنين قبل الناس كلهم فإنما معنى ما بين
الثمان والخمس عشرة ، ولم يكن حينئذ دعوة ولا رسالة ولا ادعاء نبوة ، وإنما كان
رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبد على ملة إبراهيم ودين الحنيفية ، ويتحدث ويحاجب

(١) هذا ما في ط . وفي الأصل : « الأخرى » .

الناس ويمتزل ويطلب الخلوة وينقطع في جبل حراء ، وكان على عليه السلام معه كالتابع والتلميذ ، فلما بلغ الحلم وجاءت النبي صلى الله عليه وآله الملائكة وبشرته بالرسالة ، دعاه فأجابه عن نظر ومعرفة بالأعلام في المعجزة ، فكيف يقول الجاحظ إن إسلامه لم يكن مقتضبا ؟ !

وإن كان إسلامه ينقص عن إسلام غيره في الفضيلة لما كان يمرن عليه من التعبد مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الدعوة ، ليكون طاعة كثير من المكلفين أفضل من طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمثاله من المعصومين ، لأن العصمة عند أهل العدل لطف يمنع من اختص به من ارتكاب القبيح ، فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعة عليه أسهل ، فوجب أن يكون ثوابه أنقص من ثواب من أطاع مع تلك الألفاظ .

وكيف يقول الجاحظ إن إسلامه ناقص عن إسلام غيره وقد جاء في الخبر أنه أسلم يوم الثلاثاء واستنبي النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، فمن هذه حاله لم تسكر حجج الرسالة على سمعه ، ولا تواترت أعلام النبوة على مشاهدته ، ولا تطاول الوقت عليه لتخف محنته ويسقط ثقل تكليفه ، بل بان فضله وظهر حسن اختياره لنفسه ، إذ أسلم حال بلوغه ، وعانى نوازع طبعه ، ولم يؤخر ذلك بعد سماعه .

وقد غمر الجاحظ في كتابه هذا أن أبا بكر كان قبل إسلامه مذكورا ، ورئيسا معروفا ، يجتمع إليه كثير من أهل مكة فينشدون الأشعار ويتذاكرون الأخبار ويشربون الخمر ، وقد كان سمع دلائل النبوة ، وحجج الرسل ، وسافر إلى البلدان ووصلت إليه الأخبار ، وعرف دعوى الكهنة وحيل السحرة ، ومن كان كذلك كان انكشاف الأمور له أظهر ، والإسلام عليه أسهل ، والخواطر على قلبه أقل اعتلاجا ، وكل ذلك عون لأبي بكر على الإسلام ، ومسهل إليه سبيله ، ولذلك لما قال النبي صلى الله عليه وآله : « أتيت بيت المقدس » سأله أبو بكر عن المسجد ومواضعه ، فصدقه وبان له أمره ، وخفت مؤنته لما تقدم من معرفته بالبيت . فخرج إذاً إسلام أبي بكر على قول الجاحظ من معنى المقتضب .

وفي ذلك رويتم عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا وكان له تردد ونبوة إلا ما كان من أبي بكر فإنه لم يتلعثم حتى هجم به اليقين إلى المعرفة والإسلام . فأين إسلام هذا وإسلام من خُلِّي وعقله ، وأُلجئ إلى نظره مع صغر سنه واعتلاج الخواطر على قلبه ، ونشأته في ضد ما دخل فيه ، والغالب على أمثاله وأقرانه حب اللعب واللهو . فلجأ إلى ما ظهر له من دلائل الدعوة ، ولم يتأخر إسلامه فيلزمه التقصير بالمعصية ، فقهر شهوته ، وغالب خواطره ، وخرج من عادته وما كان غُذِيَ به ، لصحة نظره ، ولطافة فكره ، وغامض فهمه ؛ فعظم استنباطه ، ورجح فضله ، وشرف قدر إسلامه ، ولم يأخذ من الدنيا بنصيب ولا تنعم فيها بنعيم ، حدثاً ولا كبيراً ، [وحى نفسه عن الهوى ^(١)] ، وكسر شريرة حدائقه بالتقوى ، واشتغل بهمم الدين عن نعيم الدنيا ، وأشغل ^(٢) هم الآخرة قلبه ، ووجه إليه رغبته ، فأسلامه هو السبيل الذي لم يسلم عليه أحد غيره ، وما سبيله في ذلك إلا كسبيل الأنبياء ، ليعلم أن منزلته من النبي صلى الله عليه وآله كمنزلة هارون من موسى ، وأنه وإن لم يكن نبياً فقد كان في سبيل الأنبياء سالكا ، ولمناهجهم متبعا ، وكانت حاله كحال إبراهيم عليه السلام ، فإن أهل العلم ذكروا أنه لما كان صغيراً جعلته أمه في سرب لم يطلع عليه أحد ، فلما نشأ ودرج وعقل قال لأمه : من ربى ؟ قالت : أبوك . قال : فمن رب أبى ؟ فزبرته ونهرته ، إلى أن اطلع من شق السرب فرأى كوكبا فقال : هذا ربى . فلما أفل قال : لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى . فلما أفل قال : لئن لم يهدينى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر . فلما أفلت قال : يا قوم إني برى مما تشركون ، إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » . وعلى هذا كان إسلام الصديق الأكبر

(١) التكملة من ط .

(٢) كذا في النسختين ، ولعلها « أشعر » .

عليه السلام . لسنا نقول إنه كان مساويا له في الفضيلة ، ولكن كان مقتديا بطريقه ، على ما قال الله تعالى : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » .

وأما اعتلال الجاحظ^(١) بأن له ظهراً كأبي طالب ، وردءاً كبني هاشم ، فإنه يوجب عليه أن يكون محنة أبي بكر وبلال وثوابهما وفضل إسلامهما أعظم مما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لأن أبا طالب ظهره ، وبني هاشم رداؤه . وحسبك جهلا من معاند لم يستطع حط قدر على عليه السلام إلا بحطه من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله .

ولم يكن أحد أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من قراباته الأدنى منهم فالأدنى كأبي لهب عمه ، وامرأة أبي لهب ، وهي أم جميل بنت حرب بن أمية وإحدى أولاد عبد مناف . ثم ما كان من عقبة بن أبي معيط وهو ابن عمه ، وما كان من النضر بن الحارث وهو من بني عبد الدار بن قصي وهو ابن عمه أيضا ، وغير هؤلاء ممن يطول تعداده ، وكلهم كان يطرح الأذى في طريقه وينقل أخباره ، ويرميه بالحجارة ، ويرمي الكرش والفرث^(٢) عليه . وكانوا يؤذون عليا عليه السلام كأذاه ، ويجهلون في غمه ويستهزئون به ، وما كان لأبي بكر قرابة تؤذيه كقرابة علي . ولما كان بين علي وبين النبي صلى الله عليه وآله من الاتحاد والإلف والاتفاق ، أحجم المنافقون بالمدينة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وآله خوفا من سيفه وأنه صاحب الدار والجيش ، وأمره مطاع وقوله نافذ ، يخافوا على دمائهم منه فاتقوه ، وأمسكوا عن إظهار بغضه وأظهروا بنض على عليه السلام وشأنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه الخبر الذي روى في جميع الصحاح : « لا يجهل إلا مؤمن ، ولا يبغيضك إلا منافق » . وقال كثير من أعلام الصحابة كما روى في الخبر المشهور بين المحدثين : « ما كنا نعرف المنافقين إلا يبغيض على بن أبي طالب » . وأين كان ظهر

(١) هذا ما في ط . وبدلها في الأصل : « وقوله » فقط .

(٢) في الأصل : « والضرب » صوابه في ط .

أبي طالب من جعفر وقد أزعجه الأذى عن وطنه حتى هاجر إلى بلاد الحبشة ^٢ البحر . أيتوهم الجاحظ أن أبا طالب نصر عليا وخذل جعفراً ؟!

(٥)

ص ٢٥ — ٢٧ من العثمانية

أما ما ذكره من كثرة المال والصدق ، واستفاضة الذكر وبعد الصيت ، وكبر السن ، فكلُّه عليه لاله . وذلك لأنه قد علم أن من سيرة العرب وأخلاقها حفظ الصديق ، والوفاء بالذمام ، والتهيب لدى الثروة ، واحترام ذى السن العالية ، وفي كل هذا ظهر شديد وسند ، وثقة يعتمد عليها عند المحن ، ولذلك كان المرء منهم إذا تمكّن من صديقه أبقى عليه واستحيا منه ، وكان ذلك سبباً لنجاته والعفو عنه .

على أن علي بن أبي طالب عليه السلام إن لم يكن شهره سغه فقد شهره نسبه وموضعه من بني هاشم ، وإن لم يستفيض ذكره ببقاء الرجال وكثرة الأسفار استفاد بأبي طالب . فأنتم تعلمون أنه ليس تيم في بعد الصيت كهاشم ، ولا أبو قحافة كأي طالب . وعلى حسب ذلك يعلو ذكر الفتى علي ذى السن ، ويعد صيت الحدث على الشيخ .

ومعلوم أيضاً أن علياً على أعناق المشركين أثقل ، إذ كان هاشمياً وإن كان أبوه حامى رسول الله صلى الله عليه وآله والمسانع لحوزته . وعلى هو الذى فتح على العرب باب الخلاف واستهان بهم بما أظهر من الإسلام والصلاة ، وخالف رهطه وعشيرته وأطاع ابن عمه فيما لم يعرف من قبل ، ولا عهد له نظير ، كما قال تعالى : « لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » .

ثم كان بعد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ومشتكى حزنه ، وأنيسه في خلوته وجليسه ، وأليفه في أيامه كلها . وكل هذا يوجب التحريض عليه ومعاداة العرب له .

ثم أنتم معاشر^(١) العثمانية تثبتون لأبي بكر فضيلة بصحبة الرسول صلى الله عليه

(١) ط : « معشر »

وآله من مكة إلى يثرب ، ودخوله معه في الفار ، فقلتم : مرتبة شريفة ، وحالة جليلة ، إذ كان شريكه في الهجرة ، وأنيسه في الوحشة ، فأين هذه من محبة علي عليه السلام له في خلوته ، وحيث لا يجد أنيساً غيره ليلته ونهاره ، أيام مقامه بمكة يعبد الله معه سرا ، ويتكلف له الحاجة جهرا ، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه ، ويشفق عليه ويحوطه ، وكالولد يبر والده ويمطف عليه .

ولما سئلت عائشة : من كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت : أما من الرجال فعلي ، وأما من النساء ففاطمة .

(٦)

ص ٢٧ — ٣١ من المئانية

أما القول فممكن والدعوى سهلة ، سيما على مثل الجاحظ ، فإنه ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب ، وهو من دعوى الباطل غير بعيد ، فمعناه نزر ، وقوله لغو ، ومطلبه سجع ، وكلامه لعب وهو ، يقول الشيء وخلافه ويحسن القول وضده ، ليس له من نفسه واعظ ، ولا لدعواه حد قائم . وإلا فكيف تجاسر على القول بأن عليا حينئذ لم يكن مطلوباً ولا طالباً ؟ ! وقد بينا بالأخبار الصحيحة والحديث المرفوع المسند أنه كان يوم أسلم بالغا كاملا ، منابذا بلسانه وقلبه لمشركي قريش ، ثقيلا على قلوبهم ، وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار في الشعب ، وصاحب الخلوات برسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الظلمات ، المتجرع لغصص المرار من أبي لهب وأبي جهل وغيرهما ، والمصطلي لكل مكروه ، والشريك لنبيه في كل أذى ، قد نهض بالحمل الثقيل ، وبأن بالأمر الجليل . ومن الذي كان يخرج ليلا من الشعب على هيئة السارق ، ويخفي نفسه وبضائل شخصه ، حتى يأتي إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش ، كطعم بن عدى وغيره ، فيجمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح ، وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره ، لو ظفروا به لأراقوا دمه . أعلى كان يفعل ذلك أيام الحصار في الشعب أم أبو بكر ؟

وقد ذكر هو عليه السلام حاله يومئذ ، فقال في خطبة له مشهورة : « فتماقدوا
ألا يماملونا ولا يماكلونا ، وأوقدت الحرب علينا نيرانها ، واضطرونا إلى جبل وعمر ،
مؤمننا يرجو الثواب ، وكافرنا يحامى عن الأصل » . ولقد كانت القبائل كلها
اجتمعت عليهم ، وقطعوا عنهم المسادة والميرة ، فكانوا يتوقعون الموت جوعاً صباحاً
ومساءً ، لا يرون وجهاً ولا فرجاً ، قد اضمحل عزمهم وانقطع رجاؤهم ، فن الذي
خلص إليه مكرهه تلك المحن بعد محمد صلى الله عليه وآله إلا على عليه السلام وحده .
وما عسى أن يقول الواصف والمطنب في هذه الفضيلة من تقصى معانيها وبلوغ غاية
كنهها وفضيلة الصابر عندها . ودامت هذه المحنة ثلاث سنين حتى ^(١) انفرجت عنهم
بقصة الصحيفة . والقصة مشهورة .

وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول في علي عليه السلام : إنه قبل الهجرة
كان وادعاً رافهاً ، لم يكن مطلوباً ولا طالباً ، وهو صاحب الفراش ، الذي فدى
رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ، ووقاه بمهجته ، واحتمل السيوف ، ورضخ
الحجارة دونه . وهل ينتهي الواصف وإن أطنب ، والمادح وإن أسهب ، إلى الإبانة
عن مقدار هذه الفضيلة ، والإيضاح لمزية هذه الخصيصة .

فأما قوله : « إن أبا بكر عذب بمكة » فإننا لا نعلم أن العذاب كان واقعاً إلا بعبد
أو عسيف ، أو لمن لا عشيرة له تتمعه . فأنتم في أبي بكر بين أمرين : تارة تجملونه
دخيلاً ساقطاً وهيناً ، رذيلاً مستضعفاً [ذليلاً] ، وتارة تجملونه رئيساً متبماً وكبيراً
مطاعاً ، فاعتمدوا على أحد القولين لنسلككم بحسب ما تختارونه لأنفسكم .

ولو كان الفضل في الفتنة والعذاب لكان عمار وخباب وبلال وكل معذب بمكة
أفضل من أبي بكر ، لأنهم كانوا من العذاب في أكثر مما كان فيه ، ونزل فيهم
من القرآن ما لم ينزل فيه ، كقوله تعالى : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا »
قالوا : نزلت في خباب وبلال . ونزل في عمار قوله : « إلا من أكره وقلبه

(١) في الأصل : « لو » ، صوابه في ط .

(٢) في الأصل : « لو » ، صوابه في ط .

مُطْمَئِنِّ بِالْإِيمَانِ ». وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر على عمار وأبيه وأمه وهم يمدبون ، يمدبهم بنو مخزوم لأنهم كانوا حلفاءهم ، فيقول : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة ! ». وكان بلال يقلب على الرمضاء وهو يقول : أحد أحد !! وما سمعنا لأبي بكر في شيء من ذلك ذكرأ .

ولقد كان لملي عليه السلام عنده يد غراء — إن صح ما رويتموه في تعذيبه — لأنه قتل نوفل بن خويلد ، وعمير^(١) بن عثمان يوم بدر . ضرب نوفلا فقطع ساقه فقال : أذكرك الله والرحم ! فقال : قد قطع الله كل رحم وصهر ، إلا من كان تاباً لمحمد !! ثم ضربه أخرى ففاضت نفسه . وصمد لعمر^(٢) بن عثمان التيمي فوجده يروم الحرب وقد ارتج عليه المسلك ، فضربه على شراسيف^(٣) صدره ، فصار نصفه الأعلى بين رجله . وليس أن أبا بكر لم يطلب بثأره منهما ويجهده ، [لكنه] لم يقدر على أن يفعل فعل علي عليه السلام ، فبان على عليه السلام بفعله دونه .

(٧)

ص ٢٨ — ٢٩ من العمانية

كيف كانت بنو جمح تؤذى عثمان بن مظعون وتضربه وهو فيهم ذو سطوة وقدر ، وترك أبا بكر يبنى مسجداً يفعل فيه ما ذكرتم . وأنتم الذين رويت عن ابن مسعود أنه قال : « ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب » . والذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل عمر ، فكيف هذا ؟

وأما ما ذكرتم من رقة صوته وعَتَاق^(٤) وجهه فكيف يكون ذلك وقد روى الواقدي وغيره ، أن عائشة رأت رجلاً من العرب خفيف العارضين ، معروق الخدين ،

(١) هذه من ط .

(٢) في الأصل : « عمر » ، صوابه في ط والسيرة ٥٠٨ .

(٣) كذا في ط . وفي الأصل : « شر سوف » .

(٤) العتاق : العتق .

غائر العينين ، أجباً^(١) لا يمسك إزاره ، فقالت : ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا .
فلا . اها دلت على شيء من الجمال في صفته .

(٨)

ص ٣١ - من العثمانية

هذا الكلام ومجر السكران سواء في تقارب المخرج واضطراب المعنى ، وذلك أن
قريشاً لم تقدر على أذى النبي صلى الله عليه وآله وأبو طالب حتى يمنعه ، فلما مات طلبته
لقتله ، فخرج تارة إلى بني عامر ، وتارة إلى ثقيف ، وتارة إلى بني شيبان ، ولم يكن
يتجاسر على المقام بمكة إلا مستتراً حتى أجاره مطعم بن عدي ، ثم خرج إلى المدينة
فبذلت فيه مائة بعير لشدة حنقها عليه ، حين فاتها فلم تقدر عليه . فما بالها بذلت في
أبي بكر مائة بعير أخرى وقد كان ردّ الجوار وبقي بينهم فرداً لا ناصر له ، ولا دافع
عنده ، يصنعون به ما يريدون . إما أن يكونوا أجهل البرية كلها ، أو يكون العثمانية
أكذب جيل في الأرض وأوقحه وجهاً . وهذا مما لم يذكر في سيرة ، ولا روى في
أثر ، ولا سمع به بشر ، ولا سبق الجاحظ به أحد .

(٩)

ص ٣١ - من العثمانية

ما أعجب هذا القول ، إذ تدعى العثمانية لأبي بكر الرفق في الدعاء وحسن الاحتجاج
وقد أسلم ومعه في منزله ابنه عبد الرحمن فما قدر أن يدخله الإسلام طوعاً برفقه ولطف
احتجاجة ، ولا كرهاً بقطع النفقة عنه وإدخال المكروه عليه ، ولا كان لأبي بكر
عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطيعه فيما يأمره به ويدعوه إليه ، كما روى أن
أبا طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله يوماً وكان يخاف عليه من قريش أن يقتلوه فخرج
ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي صلى الله عليه وآله ، فوجده قائماً في بعض شعاب

(١) الأجنباً من الجنأ ، وهو ميل الظهر .

مكة يصلي وعلى عليه السلام معه عن يمينه ، فلما رآها أبو طالب قال لجعفر : تقدم
وصِلْ جناح ابن عمك ! فقام جعفر عن يسار محمد صلى الله عليه وسلم فلما صاروا ثلاثة
تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وتأخر الأخوان ، فبكى أبو طالب وقال :

إن عليا وجعفرًا ثقتي عند ملء الخطوب والنوب
لا تأخذلا وانصرا ابن عمكما أخى لأنى من بينهم وأبى
والله لا أخذل النبي ولا يأخذله من بنيّ ذو حسب

فتذكر الرواة أن جعفرًا أسلم منذ ذلك اليوم لأن أباه أمره بذلك وأطاع أمره .
وأبو بكر لم يقدر على إدخال ابنه عبد الرحمن في الإسلام ، حتى أقام بمكة على كفره ثلاث
عشرة سنة . وخرج يوم أحد في عسكر المشركين ينادى : أنا عبد الرحمن بن عتيق
هل من مبارز ! ! ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى أسلم عام الفتح ، وهو اليوم الذي
دخلت فيه قريش في الإسلام طوعا وكرها ، ولم يجد أحد منها إلى ترك ذلك سييلا .
وأن كان رفيق أبي بكر وحسن احتجاجه عند أبيه أبي قحافة وهما في دار
واحدة ؟ هلا رفيق به ودعاه إلى الإسلام فأسلم . وقد علمتم أنه بقي على الكفر إلى يوم
الفتح فأحضره ابنه عند النبي صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير رأسه كالشغامة ^(١) فنفر
رسول الله صلى الله عليه وآله منه وقال : غيروا هذا . فحضبوه ثم جاءوا به مرة أخرى
فأسلم . وكان أبو قحافة فقيرا مدقعا سيي الحال وأبو بكر عندهم كان مثريا فأنض
المال ، فلم يمكنه استمالاته إلى الإسلام بالنفقة والإحسان . وقد كانت امرأة أبي بكر
أم عبد الله ابنة — واسمها ثملة بنت عبد العزى بن أسعد بن عبد ود العامرية — لم تسلم
وأقامت على شركها بمكة ، وهاجر أبو بكر وهي كافرة ، فلما نزل قوله تعالى : « ولا
تمسكوا بعصم الكوافر » فطلقها أبو بكر . فمن عجز عن ابنه وأبيه وامراته فهو عن
غيرهم من الغرباء أعجز ، ومن لم يقبل منه أبوه وابنُه وامراته لا يرفق واحتجاج ،
ولا خوفاً من قطع النفقة عنهم وإدخال المكروه عليهم فغيرهم أقل قبولا منه ، وأقل
خلاقاً عليه .

(١) الثغام ، كسحاب : ضرب من النبات أبيض .

(١٠)

ص ٣١ — ٣٢ من العثمانية

أخبرونا من هذا الذي أسلم ذلك اليوم من أهل بيت أبي بكر ، إذا كانت امرأته لم تسلم وابنه عبد الرحمن لم يسلم وأبو قحافة لم يسلم ، وأخته أم فروة لم تسلم ، وعائشة لم تسكن قد ولدت في ذلك الوقت ، لأنها ولدت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنين ، ومحمد بن أبي بكر ولد بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاث وعشرين سنة ، لأنه ولد في حجة الوداع . وأسماء بنت أبي بكر التي قد روى الجاحظ هذا الخبر عنها كانت يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بنت أربع سنين ، وفي رواية من يقول : بنت سنتين . فمن الذي أسلم من أهل بيته يوم أسلم . نعوذ بالله من الجهل والكذب والمكابرة . وكيف أسلم سعد والزبير وعبد الرحمن بدعاء أبي بكر وليسوا من رهطه ولا من أترابه ولا من جلسائه ولا كانت بينهم قبل ذلك صداقة متقدمة ولا أنس وكيد . وكيف ترك أبو بكر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة لم يدخلهما في الإسلام برفقه وحسن دعائه ، وقد زعمتم أنهما كانا يجلسان إليه لعلهما وطريف حديثه . وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الإسلام وقد ذكرتم أنه أدبه وخرجه ، ومنه أخذ جبير العلم بأنساب قريش وماثرها . فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم — وهم منه بالحال التي وصفنا — ودعا من لم يكن بينه وبينه أنس ولا معرفة إلا معرفة عيان . وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب وقد كان شكله وأقرب الناس شباها به في أغلب أخلاقه . ولئن رجعتم إلى الإنصاف لتعلمن أن هؤلاء لم يكن إسلامهم إلا بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله لهم ، وعلى يديه أسلموا .

ولو فكرتم في حسن التآقي في الدعاء ليصحين لأبي طالب في ذلك — على شركه — أضعاف ما ذكرتموه لأبي بكر ، لأنكم رويتم أن أبا طالب قال لعل عليه السلام : يا بني الزمه فإنه لن يدعوك إلا إلى خير . وقال لجعفر : صل جناح ابن عمك . فأسلم بقوله ، ولأجله أصفق بنو عبد مناف على نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله

بمكة من بني غزوم وبني سهم وبني جمح . ولأجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب ، وبدعائه وإقباله على محمد صلى الله عليه وآله أسلمت امرأته فاطمة بنت أسد . فهو أحسن رفقا وأمين نقيية من أبي بكر وغيره . وما منعه عن الإسلام إن ثبت أنه لم يسلم إلا نقيية . وأبو بكر لم يكن له إلا ابن واحد ، وهو عبد الرحمن ، فلم يمكنه أن يدخله في الإسلام ولا أمكنه إذ لم يقبل منه الإسلام أن يجعله كبعض مشركي قريش في قلة الأذى لرسول الله صلى الله عليه وآله وفيه أنزل : « والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ، وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين » .

وإنما يعرف حسن رفق الرجل وتأتيه بأن يصلح أولا أمر بيته وأهله ثم يدعو الأقرب فالأقرب ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بعث كان أول من دعا زوجته خديجة ثم مكفولة وابن عمه عليا عليه السلام ، ثم مولاه زيدا ، ثم أم أيمن خادمته . فهل رأيتم أحدا ممن كان يأوي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسارع ؟ وهل الثالث عليه أحد من هؤلاء ؟ فهكذا يكون حسن التأني والرفق في الدعاء . هذا ورسول الله مقل ، وهو من جملة عيال خديجة حين بعثه الله تعالى ، وأبو بكر عندكم كان موسرا وكان أبوه مقترا^(١) ، وكذلك ابنه وامرأته أم عبد الله . والموسر في فطرة العقول أولى أن يتبع من المقتر . وإنما حسن التأني والرفق في الدعاء ما صنعه مصعب بن عمير لسعد بن معاذ لما دعاه ، وما صنع سعد بن معاذ ببني عبد الأشهل لما دعاهم وما صنع بريدة بن الحصيب بأسلم لما دعاهم ، قالوا : أسلم بدعائه ثمانون بيتا من قومه . وأسلم بنو عبد الأشهل بدعاء سعد في يوم واحد . وأما من لم يسلم ابنه ولا امرأته ولا أبوه ولا أخته بدعائه فهيئات أن يوصف ويذكر بالرفق في الدعاء ، وحسن التأني والأناة .

(١) المقتر : القليل المال .

(١١)

ص ٣٣ - ٣٥ من العثمانية

أما بلال وعاصم بن فهيرة فإنما أعتقهما رسول الله صلى الله عليه وآله .
روى ذلك الواقدي وابن إسحاق وغيرهما . وأما باقى مواليتهم الأربعة فإن
سأحنكم فى دعواكم لم يبلغ ثمنهم فى تلك الحال لشدة بغض مواليتهم لهم إلا مائة درهم
أو نحوها ، فأى فخر فى هذا ؟

وأما الآية فإن ابن عباس قال فى تفسيرها : « وأما من من أعطى واتقى . وصدق
بالحسنى . فسيسره لليسرى » أى لأن يعود . وقال غيره : نزلت فى مصعب بن عمير .

(١٢)

ص ٣٥ - ٣٦ من العثمانية

أخبرونا على أى نواب الإسلام أنفق هذا المال ، وفى أى وجه وضعه ، فإنه ليس
بجائز أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه ، وينسى ذكره .
وأنتم فلم تتقفوا على شىء أكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لعلها يبلغ ثمنها فى
ذلك العصر مائة درهم . وكيف يدعى له الإنفاق الجليل وقد باع من رسول الله صلى
الله عليه وآله بعيرين عند خروجه إلى يثرب وأخذ منه الثمن فى تلك الحال ، روى
ذلك جميع المحدثين .

وقد رويتم أيضا أنه كان حيث كان بالمدينة موسرا . ورويتم عن عائشة أنها
قالت : هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم . وقلتم إن الله تعالى أنزل فيه :
« ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى » .
قلتم : هى فى أبى بكر ومسطح بن أثانة . فأين الفقر الذى زعمتم أنه أنفق حتى
تخلل بالعباءة ^(١) .

(١) فى الأصل : « بالعباءة » ، وأثبت ما فى ط .

ورويتم أن الله تعالى في سمائه ملائكة تخلّلوا بالعباء وأن النبي صلى الله عليه وآله
 رآهم ليلة الإسراء فسأل جبريل عنهم فقال : هؤلاء ملائكة تأسّوا بأبي بكر بن أبي
 قحافة صديقك في الأرض ، فإنه سينفق عليك ماله حتى يخل عباة في عنقه .
 وأنتم رويتم أيضا أن الله تعالى لما أنزل آية النجوى فقال : « يا أيها الذين آمنوا إذا
 ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلكم خير لكم » ، الآية . لم
 يعمل بها إلا علي بن أبي طالب وحده ، مع إقراركم بفقره وقلة ذات يده ، وأبو بكر في
 الذي ذكرنا من السعة أمسك عن مناجاته ، فعاتب الله المؤمنين في ذلك فقال :
 « أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم » ،
 فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه ، وهو إمساكهم عن تقديم الصدقة . فكيف
 سخط نفسه بإنفاق أربعين ألفا وأمسك عن مناجاة الرسول ، وإنما كان يحتاج إلى
 إخراج درهمين .

وأما ما ذكرتم من كثرة عياله ونفقته عليهم فليس في ذلك دليل على تفضيله ، لأن
 نفقته على عياله واجبة . مع أن أرباب السير ذكروا أنه لم يكن ينفق على أبيه شيئا ،
 وأنه كان أجيرا لابن جُدعان على مائدته يطرد عنها الذباب .

(١٣)

ص ٣٧ - ٣٩ من العثمانية

إننا لاننكر فضل الصحابة وسوابقهم . ولسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوى على
 جحد الأمور المألومة ، ولسنا ننكر تفضيل أحد الصحابة على علي بن أبي طالب
 ولسنا ننكر غير ذلك - وننكر تعصب الجاحظ للعثمانية وقصده إلى فضائل هذا
 الرجل ومناقبه بالرد والإبطال . وأما حمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم ، ومقام جليل ،
 وهوسيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله .
 وأما فضل عمر فغير منكر ، وكذلك الزبير وسعد ، وليس فيما ذكرنا ما يقتضي
 كون علي عليه السلام مفضولا لهم أولغيرهم إلا قوله « وكل هذه الفضائل لم يكن لعل
 عليه السلام فيها ناقة ولا جمل » فإن هذا من التعصب البارد والحيف ، الفاحش .

وقد قدمنا من آثار على عليه السلام قبل الهجرة وماله إذ ذاك من المناقب والخصائص ما هو أفضل وأعظم وأشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء . على أن أرباب السيرة يقولون : إن الشجرة التي شجها سعد ، وأن السيف الذي سله الزبير هو الذي جلب الحصار في الشعب على النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم ، وهو الذي سير جعفر وأصحابه إلى الحبشة . وسل السيف في الوقت الذي لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جائز . قال تعالى . « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله » فتبين أن التكليف له أوقات ، فمنها وقت لا يصلح فيه سل السيف ، ومنها وقت يصلح فيه ويجب .

فأما قوله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق » فقد ذكرنا ما عندنا من دعواهم لأبي بكر إنفاق المال . وأيضاً فإن الله تعالى لم يذكر إنفاق المال مفرداً ، وإنما قرن به القتال . ولم يكن أبو بكر صاحب قتال وحرب ، فلا تشمل الآية . وكان على عليه السلام صاحب قتال وإنفاق قبل الفتح . أما قتاله فمعلوم بالضرورة ، وأما إنفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره . وهو الذي أطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . وأنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن^(١) ، وهو الذي ملك أربعة دراهم فأخرج منها درهما سراً ودرهما علانية ليلاً ، ثم أخرج منها في النهار درهماً سراً ودرهما علانية ، فأنزل فيه قوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » .

وهو الذي قدم بين يدي نجواه صدقة دون المسلمين كافة .

وهو الذي تصدق بخاتمه وهو راكم ، فأنزل الله فيه : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

(١) هذا من عظيم الافتراء . زعم ذلك بعض غلاة الشيعة . انظر فصل الخطاب ، لحسين ابن محمد تقي النوري الطبرسي ص ١٥٦ ، فقد أورد سورة مختلفة أولها « بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ومحمدانكم عذاب يوم عظيم » !

(١٤)

ص ٣٩ — ٤٠ من العثمانية

لا أشك أن الباطل خان أبا عثمان ، والخطأ أقعده ، والخذلان أصاره إلى الحيرة ، فما علم وعرف حتى قال ما قال . فزعم أن عليا عليه السلام قبل الهجرة لم يمتحن ولم يكابد المشاق ، وأنه إنما قامى مشاق التكليف ومحن الابتلاء منذ يوم بدر ، ونسى الحصار في الشعب ومأمنى به ، وأبو بكر وادع رافقه يأكل ما يريد ويجلس مع من يحب مخلياً سره طيبة نفسه ، ساكناً قلبه ، وعلى يقاسى الغمرات ويكابد الأهوال ، ويجوع ويظمأ ، ويتوقع القتل صباحا ومساء ؛ لأنه كان هو المتوصل المحتال في إحضار قوت زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سرا ، ليقم به رمق رسول الله صلى الله عليه وآله وبني هاشم وهم في الحصار ، ولا يأمن في كل وقت مفاجأة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله له بالقتل ، كأبي جهل بن هشام ، وعقبة بن أبي معيط ، والوليد ابن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة ، وغيرهم من فراعنة قريش وجبايرتها . ولقد كان يجيع نفسه ويظم رسول الله صلى الله عليه وآله زاده ، ويظمى نفسه ويسقيه ماء ، وهو كان المعلل له إذا مرض ، والمؤنس له إذا استوحش ، وأبو بكر بنجوة عن ذلك لا يمسهم مما يمسهم ألم ، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقة ، ولا يعلم بشيء من أخبارهم وأحوالهم إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل ، ثلاث سنين محرمة معاملتهم ومناحتهم ومجالستهم ، محبوسين محصورين ، ممنوعين من الخروج ، والتصرف في أنفسهم . فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة ونسى هذه الخصيصة ولا نظير لهما . ولكن لا يبالى الجاحظ بعد أن يسوغ له لفظه وتنسق^(١) له خطابته ماضيع من المعنى ورجع عليه من الخطأ .

فأما قوله « وعلموا أن العاقبة للمتقين » ففيه إشارة إلى معنى غامض قصده الجاحظ ، يعنى أن لا فضيلة لملى عليه السلام في الجهاد ؛ لأن الرسول كان أعلمه أنه

(١) كذا في ط . وفي الأصل : « وتنسق » .

منصور ، وأن العاقبة له . وهذا من وساوس الجاحظ وهمزاته ولزاته ، وليس بحق ما قاله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم أصحابه جملة أن العاقبة لهم ، ولم يعلم واحداً منهم بعينه أنه لا يقتل لا علياً ولا غيره . وإن صح أنه كان أعلمه أنه لا يقتل فلم يعلمه أنه لا يقطع عضو من أعضائه ، ولم يعلمه أنه لا يمسه ألم الجراح في جسده ، ولم يعلمه أنه لا يفاله الضرب الشديد .

وعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعلم أصحابه قبل يوم بدر ، وهو يومئذ بمكة ، أن العاقبة لهم ، كما أعلم أصحابه بعد الهجرة ذلك . فإن لم يكن لعلى والمجاهدين فضيلة في الجهاد بعد الهجرة لإعلامه إياهم بذلك فلا فضيلة لأبي بكر وغيره في احتمال المشاق قبل الهجرة ؛ لإعلامه إياهم بذلك . فقد جاء في الخبر : أنه وعد أبا بكر قبل الهجرة بالنصر ، وأنه قال له : أرسلت إلى هؤلاء بالذبح وأن الله سيفنمنا أموالهم ويمسكنا ديارهم . فالقول في الموضعين متساو ومتفق ^(١) .

(١٥)

ص ٤١ — ٤٢ من العثمانية

ما نرى الجاحظ احتج ليكون أبي بكر أغلظهم وأشدهم محنة إلا بقوله : لأنه أقام بمكة مدة مقام الرسول صلى الله عليه وآله بها . وهذه الحجة لا تختص أبا بكر وحده ، لأن علياً عليه السلام أقام معه هذه المدة ، وكذلك طلحة وزيد وعبد الرحمن وبلال وخباب وغيرهم . وقد كان الواجب عليه أن يخص أبا بكر وحده بحجة تدل على أنه كان أغلظ الجماعة وأشدهم محنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله . فلاحتجاج في نفسه فاسد .

ثم يقال له : ما بالك أهملت أمر مبيت علي عليه السلام على الفراش بمكة ليلة الهجرة ، هل نسيته أم تناسيته ؟ فإنها المحنة العظيمة والفضيلة الشريفة ، التي متى امتحنها الناظر وأجال فكره فيها ، رأى تحتها فضائل متفرقة ، ومناقب متغايرة . وذلك

(١) في ط : « ومتفق » .

أنه لما استقر الخبر عند المشركين أن رسول الله صلى الله عليه وآله يُجمع على الخروج من بينهم للهجرة إلى غيرهم قصدوا إلى معاجلته ، وتعاهدوا على أن يبيتوه في فراشه وأن يضربوه بأسياف كثيرة ، بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيفٌ منها ؛ ليضيع دمه بين الشموب ، ويتفرق بين القبائل ، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلة واحدة بعينها من بطون قريش ، وتحالفوا على ذلك تلك الليلة واجتمعوا عليها ، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وآله من أمرهم دعا أوثق الناس عنده وأمثلهم في نفسه ، وأبذلهم في ذات الإله لمهجته ، وأسرعهم إجابة إلى طاعته ، فقال له : إن قريشاً قد تحالفت على أن تبيتني هذه الليلة ، فامض إلى فراشي ونم في مضجعي والتف في بردى الحضرمي ، ليروا أنني لم أخرج ، وإنني خارج إن شاء الله . فنعته أولاً من التحرز وإعمال الحيلة ، وصدده عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المسكيد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم ، وألجأه إلى أن يعرض نفسه لظلمات السيوف الشحيذة من أرباب الحفق والغيظة ، فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً ، طيبة بها نفسه ، ونام على فراشه صابراً محتسباً ، واقياً له بمهجته ينتظر القتل . ولا نعلم فوق بذل النفس درجة يلتبسها صابر ، ولا يبلغها طالب ، « والجود بالنفس أقصى غاية الجود ^(١) » . ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم أنه أهل لذلك لما أهله ، ولو كان عنده نقص في صبره أوفى شجاعته أوفى مناصحته لابن عمه واختير لذلك ، لكان من اختاره منقوضاً في رأيه ، مضرأ في اختياره . ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام ، وكلهم مجمعون على أن الرسول صلى الله عليه وآله عمل الصواب ، وأحسن في الاختيار . ثم في ذلك إذا تأمله المتأمل وجوه من الفضل : منها أنه وإن كان عنده في موضع الثقة فإنه غير مأمون عليه ألا يضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يلقيه إلى الأعداء . ومنها أنه وإن كان ضابطاً للسر وثقة عند من اختاره فغير مأمون عليه الجبن عند مفاجأة المكروه ومباشرة الأهوال ، فيفر من الفراش ، فيفطن

(١) عجز بيت لمسلم بن الوليد وصدره :

* يجود بالنفس إن ضن الجواد بها *

لموضع الحيلة ويطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظفر به ومنها أنه وإن كان ثقة ضابطاً للسر شجاعاً نجداً فلمعله غير محتمل للمبيت على الفراش ؛ لأن هذا أمر خارج عن الشجاعة إن كان قد قامه مقام المكتوف الممنوع ، بل هو أشد مشقة من المكتوف الممنوع ، لأن المكتوف الممنوع يعلم من نفسه أنه لا سبيل إلى الهرب وهذا يجد السبيل إلى الهرب وإلى الدفع عن نفسه ، ولا يهرب ولا يدافع . ومنها أنه وإن كان ثقة عنده ضابطاً للسر شجاعاً محتملاً للمبيت على الفراش فإنه غير مأمون أن يذهب صبره عند العقوبة الواقعة ، والعذاب النازل بساحته ، حتى يبوح بما عنده ويصير إلى الإقرار بما يعلمه ، وهو أنه أخذ طريق كذا ، فيطلب فيؤخذ . فلهذا قال علماء المسلمين : إن فضيلة على عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها ، إلا ما كان من إسحاق وإبراهيم عند استسلامه للذبح . ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن محنة على أعظم ، لأنه قد روى أن إسحاق تلک لما أمره أن يضطجع ، وبكى على نفسه ، وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفة ، ولذلك قال له : « فانظر ماذا ترى » ، وحال على عليه السلام بخلاف ذلك ، لأنه ما تلکاً ولا تمتنع ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه . ولقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يشيرون عليه بالرأى المخالف لما كان أمر به وتقدم فيه فيتركه ويعمل بما أشاروا به ، كما جرى يوم الخندق في مصانعة الأحزاب بثلاث تمر المدينة ، فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه . وهذه كانت قاعدته معهم وعادته بينهم . وقد كان لعل عليه السلام أن يقتل بعملة وأن يقف ويقول : يا رسول الله ، أكون معك أحميك من العدو ، وأذب بسيفي عنك ، فلست مستغنياً في خروجك عن مثلي ، ونجعل عبداً من عبيدنا في فراشك قائماً مقامك ، يتوهم القوم برؤيته نائماً في بردك أنك لم تخرج ولم تفارق مركزك . فلم يقل ذلك ولا تحبّس ، ولا توقف ولا تلثم ، وذلك لعل كل واحد منهما صلى الله عليه وآله أن أحداً لا يصبر على ثقل هذه المحنة ، ولا يتورط في هذه الهلكة ، إلا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها ، والفوز بفضيلتها . وله من جنس ذلك أفعال كثيرة ، كيوم دعا عمرو بن عبد ود المسلمين

إلى المبارزة ، فأحجم الناس كلهم عنه لما علموا من بأسه وشدة . ثم كرر الفداء فقام على عليه السلام فقال : أنا أبرز إليه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنه عمرو . قال : نعم وأنا على . فأمره بالخروج إليه ، فلما خرج قال صلى الله عليه وآله : برز الإيمان كله إلى الشرك كله . وكيوم أحد حيث همى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبطال قريش وهم يقصدون قتله ، فقتلهم دونه حتى قال جبريل عليه السلام : يا محمد ، إن هذه هي المواساة . فقال : « إنه منى وأنا منه » . فقال جبريل : وأنا منكما . ولو عددنا أيامه ومقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لأطلنا وأسهبنا .

(١٦)

ص ٤٢ — ٤٣ من العثمانية

أما كثرة المستجيبين فالفضل فيها راجع إلى الحبيب لا إلى الجاب . على أنا قد علمنا أن من استجاب لموسى عليه السلام أكثر ممن استجاب لنوح عليه السلام ، وثواب نوح أكثر ، لصبره على الأعداء ومقاساة خلافهم وعنهم .

وأما إنفاق المال فأين محنة الغنى من محنة الفقر ، وأين يعدل إسلام من أسلم وهو غنى إن جاع أكل وإن أعيا ركب ، وإن عرى لبس ، قد وثق بيساره واستغنى بماله ، واستعان على نوائب الدنيا بثروته — بمن لا يجد قوت يومه ، وإن وجد لم يستأثر به ، فكان الفقر شعاره ، وفي ذلك قيل : « الفقر شعار المؤمن » ، وقال الله تعالى لموسى : إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين . وفي الحديث « إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام » . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم احشرنى فى زمرة الفقراء » . ولذلك أرسل الله محمداً صلى الله عليه وآله فقيراً وكان بالفقر سعيدياً ، فقامى محنة الفقر ومكابدة الجوع ، حتى شد الحاجر على بطنه . وحسبك بالفقر فضيلة فى دين الله لمن صبر عليه ، فإنك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه ، لأنه مناف لحال الدنيا وأهلها ، وإنما هو شعار أهل الآخرة .

وأما طاعة على عليه السلام وكون الجاحظ زعم أنها كانت لأن في عز محمد عزه وعز رهطه ، بخلاف طاعة أبي بكر ، فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك ، وجهاد عبيدة بن الحارث ، وهجرة جعفر إلى الحبشة ، بل لعل محاماة المهاجرين من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لأن في دولته دولتهم ، وفي نصرته استجداد ملك لهم . وهذا يجر إلى الإلحاد ويفتح باب الزندقة ، ويفضي إلى الطعن في الإسلام والنبوة .

(١٧)

ص ٤٤ من العثمانية

هذا فرق غير مؤثر ؛ لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش ، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب ، ولا يجحده إلا مجنون أو غير مخالط لأهل الملة . أرايت كون الصلوات خمسا ، وكون زكاة الذهب ربع العشر ، وكون خروج الريح ناقضا للطهارة ، وأمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه ، هل هو مخالف لما نص في الكتاب عليه من الأحكام . هذا ما لا يقوله رشيد ولا عاقل . على أن الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب ، وإنما قال : « إذ يقول لصاحبه » ، وإنما علمنا أنه أبو بكر بالخبر وما ورد في السيرة . وقد قال أهل التفسير إن قوله تعالى : « ويمكر الله والله خير الماكرين » كناية عن على عليه السلام ، لأنه مكر بهم . وأول الآية « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » . أنزلت في ليلة الهجرة ، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش ، ومكر الله تعالى هو منام على عليه السلام على الفراش . فلا فرق بين الموضعين في أنهما مذكوران كناية لا تصريحاً . وقد روى المفسرون كلهم أن قول الله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » أنزلت في على عليه السلام ليلة المبيت على الفراش . فهذه مثل قوله تعالى : « إذ يقول لصاحبه » ، لا فرق بينهما .

هذا هو الكذب الصراح والتحريف ، والإدخال في الرواية ما ليس منها .
والمعروف المنقول أنه صلى الله عليه وآله قال له : « اذهب فاضطجع في مضجعي
وتغش ببردى الحضرمي فإن القوم سيفقدونني ولا يشهدون مضجعي ، فلعلهم إذا
رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا . فإذا أصبحت فاغد في أمانتي » . ولم ينقل
ما ذكره الجاحظ ، وإنما ولده أبو بكر الأصم وأخذه الجاحظ ولا أصل له . ولو كان
هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه .

وقد وقع الاتفاق على أنه ضرب ورمي بالحجارة قبل أن يعلموا من هو حتى
تضور ، وأنهم قالوا له : رأينا تضورك ، فإننا كنا نرى محمداً ولا يتضور . ولأن
لفظة « المسكروه » إن كان قائلها إنما يراد بها القتل ، فهو أنه أمن من القتل كيف
يأمن من الضرب والهوان ، أو من أن ينقطع بعض أعضائه ، وبأن سالت نفسه .
أليس الله تعالى قال لنبيه : « بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
والله يعصمك من الناس » . ومع ذلك فقد كسرت رباعيته وشج وجهه وأدميت
ساقه ، وذلك لأنها عصمة من القتل خاصة . وكذلك المسكروه الذي أومن على عليه
السلام منه — إن كان صح ذلك الحديث — إنما هو مكروه القتل .

ثم يقال له : وأبو بكر لا فضيلة له أيضاً في كونه في الغار ؛ لأن النبي صلى الله عليه
وآله قال له : « لا تحزن إن الله معنا » ، ومن يكن الله معه فهو آمن لا محالة من
كل سوء ، فكيف قلت « ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في الغار مثل ذلك »
فكل ما يجب به عن هذا فهو جواب عما أورده . فنقول له : هذا ينقلب عليك
في النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأن الله تعالى وعده بظهور دينه وعاقبة أمره ، فيجب على
قولك ألا يكون مثاباً عند الله تعالى على ما يحتمله من المسكروه ولا ما يصيبه من
الأذى ، إذ كان أيقن بالسلامة والفتح في غده ^(١) .

(١) ط : « عدته » أى وعده ، وأثبت ما في الأصل .

(١٩)

ص ٤٥ - ٤٧ من العثمانية

لقد أعطى أبو عثمان مقولا وحرّم معقولا ، إن كان يقول هذا على اعتقاد وجدّ ، ولم يذهب به مذهب اللعب والهزل ، أو على طريق التفاسيح والتشادق ، وإظهار القوة والسلطة ، وذلاقة اللسان ، وحدة الخاطر ، والقوة على جدال الخصوم .

ألم يعلم أبو عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أشجع البشر ، وأنه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الأبواب وبلغت القلوب الحناجر . فمنها يوم أحد ووقوفه بعد أن فر المسلمون بأجمعهم ولم يبق معه إلا أربعة : علي والزبير وطلحة وأبو دجانة ، فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيت نبلة ، وانكسرت سية قوسه ، وانقطع وتره ، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال : يارسول الله لا يبلغ الوتر . قال : أوتر ما بلغ . قال عكاشة : فوالذي بعثه بالحق لقد أوترت حتى بلغ وطويت منه شبرا على سية القوس ، ثم أخذها فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت . وبارز أبي بن خلف فقال له أصحابه : إن شئت عطف عليه بعضنا ! فأبى وتناول الحربة من الحارث بن الصمة ثم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير . قالوا : فتطيرنا عنه تطير الشعارير^(١) ! فطعمته بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور . ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله تعالى : « إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ » . فكونه عليه السلام في أخراهم وهم يصعدون ولا يلوون هاربين دليل على أنه ثبت ولم يفر .

وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأذنين ، وقد فر المسلمون كلهم ، والنفر التسعة محدقون به : العباس آخذ بحكمة بقلته ، وعلي بين يديه مصلى سيفه ، والباقون حول بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله يئمة ويسرة ، وقد انهزم المهاجرون

(١) جمع شعور ، وهو ما يجتمع على دبرة البعير من الذبان .

والأنصار ، وكلما فروا أقدم هو صلى الله عليه وآله ، وصمهم مستقديما يلقى السيوف والنبل بنجره وصدره ، ثم أخذ كفا من البطحاء وحصب المشركين وقال :
شاهت الوجوه !!

والخبر المشهور عن علي عليه السلام وهو أشجع البشر : « كنا إذا اشتد البأس وحى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ولذنا به » . فكيف يقول الجاحظ : إنه ماخض الحرب ولا خالط السيوف . وأى فرية أعظم من فرية من نسب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإحجام واعتزال الحرب ؟ ! ثم أى مناسبة بين أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى ليقسسه الجاحظ به ^(١) وينسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الجيش والدعوة ، ورئيس الإسلام والملة والملاحظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادة ، وإليه الإيحاء والإشارة ، وهو الذى أحقق قريشاً والعرب ، وورى أكبادهم بالبراءة من آلهتهم وعيب دينهم وتضليل أسلافهم ، ثم وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم . وحق لمثله إذا تفتحى عن الحرب واعتزلها أن يفتحى ويمتزل ، لأن ذلك شأن الملوك والرؤساء ، إذ كان الجيش منوطاً بهم وبيقاتهم ، فمتى هلك الملك هلك الجيش ، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه وإن عطب جيشه بأن يستجد جيشاً آخر ، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه ، وخطبوا الإسكندر لما بارز فوراً ^(٢) ملك الهند ، ونسبوه إلى مجانبه الحكمة ، ومفارقة الصواب والحزم . فليقل لنا الجاحظ : أى مدخل لأبي بكر في هذا المعنى ؟ ومن الذى كان يعرفه من أعداء المسلمين ^(٣) ليقصده بالقتل ، وهل هو إلا واحد من عرض المهاجرين حكمه حكم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرها ، بل كان عثمان أنبه صيتاً ^(٤) وأشرف منه مركبا ، والعيون إليه أطمح ، والعدو عليه أحفق

(١) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من المطبوعة .

(٢) ط : « قوسرا » صوابه في الأصل . وفي معجم استيخاس ٩٤١ أن « فوراً » راجا قنوج قتلته الإسكندر .

(٣) ط : « الإسلام » .

(٤) ط : « أكثر منه صيتاً » .

وأكلب . ولو قتل أبو بكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثر قتله في الإسلام ضعفا أو يحدث فيه وهنا ، أو يخاف على الملة لو قتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تندرس وتعنى آثارها وتنطمس منارها ، ليقول الجاحظ إن أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وآله في مجانبة الحروب واعتزالها . نعوذ بالله من الخذلان !

وقد علم العقلاء كلهم ممن له بالسير معرفة ، وبالأثار والأخبار ممارسة ، حال حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كيف كانت ، وحاله عليه السلام فيها كيف كانت ، ووقوفه حيث وقف ، وحره حيث حارب ، وجلوسه في العريش يوم جلس ، وأن وقوفه صلى الله عليه وآله وقوف رياسة وتدير ، ووقوف ظهر وسند ، يتعرف أمور أصحابه ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم ، وتحلفه عن التقدم في أوائلهم ، ولأنهم متى علموا أنه في أخراهم اطمأنت قلوبهم ، ولم يتعلق بأمره نفوسهم فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوهم ، ولا يكون لهم فيئة يلجئون إليها ، وظهر يرجعون إليه ، ويعلمون أنه متى كان خلفهم تفقد أمورهم وعلم مواقفهم ، وآوى كل إنسان مكانه في الحماية والنكاية ، وعند المنازلة في الكرّ والحلة ، فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم ، وأحمى وأحرس لبيضتهم ، ولأنه المطلوب من بينهم ، إذ هو مدبر أمورهم ووالى جماعتهم . ألا ترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف ، وأن صلاح الحرب في وقوفه ، وأن فضيلته في ترك التقدم في أكثر حالاته . فللرئيس حالات :

الأولى حالة يتخلف ويقف آخر ليكون سندا وقوة ، وردءاً وعدة ، وليتولى تدير الحرب ، ويعرف مواضع الخلل .

والحالة الثانية يتقدم فيها في وسط الصف ليقوى الضعيف ويشجع الناكس^(١) . وحالة ثالثة وهي إذا اصطدم الفيلقان ، وتكافح السيفان ، اعتمد ما يقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح ، أو من مباشرة الحرب بنفسه ، فإنها آخر المنازل ، وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد ، وفشالة الجبان الموه .

(١) ط : « الناكس » بالسين .

فأين مقام الرياسة العظمى لرسول الله صلى الله عليه وآله وأين منزلة أبي بكر ليسوى بين المنزلتين ، ويناسب بين الحالتين ؟ !

ولو كان أبو بكر شريكا لرسول الله صلى الله عليه وآله في الرسالة ، ومنحوا من الله بفضيلة النبوة ، وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمداً صلى الله عليه وآله وكان يدبر من أمر الإسلام وتسريب العساكر وتجهيز السرايا وقتل الأعداء ما يدبره محمد صلى الله عليه وسلم لكان للجاحظ أن يقول ذلك . فأما وحاله حاله وهو أضعف المسلمين جناناً ، وأقلهم عند العرب ترة ، لم يرم قط بسهم ولا سل سيفاً ، ولا أراق دماً ، وهو أحد الأتباع غير مشهور ولا معروف ، ولا طالب ولا مطلوب ، فكيف يجوز أن يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزلته . ولقد خرج ابنه عبد الرحمن مع المشركين يوم أحد فرآه أبو بكر فقام مغيطاً عليه فسل من السيف مقدار إصبع يروم البروز إليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أبا بكر ، شم سيفك وأمتعنا بنفسك ! ولم يقل له « وأمتعنا بنفسك » إلا لأنه ليس أهلاً للحرب وملاقة الرجال ، وأنه لو بارز لقتل .

وكيف يقول الجاحظ : لا فضيلة لمباشرة الحرب ولقاء الأقران وقتل أبطال الشرك . وهل قامت عند الإسلام إلا على ذلك ؟؟ وهل ثبت الدين واستقر إلا بذلك ؟! أترأه لم يسمع قول الله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » . والمحبة من الله تعالى هي إرادة الثواب . فكل من كان أشد ثبوتاً في هذا الصف وأعظم قتالاً ، كان أحب إلى الله ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً . فعلى عليه السلام إذن هو أحب المسلمين إلى الله ، لأنه أثبتهم قدماً في الصف المرصوص لم يفر قط بإجماع الأمة ، ولا بارزه قرن إلا قتله .

وأترأه لم يسمع قول الله تعالى : « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً » وقوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن » ، ثم قال سبحانه

مؤكداً لهذا البيع والشراء : « وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » . وقال الله تعالى : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح » .

فمواقف الناس في الجهاد على أحوال ، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض . فمن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنة كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدة نكايته فيهم ، ممن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم ، وكذلك من وقف في المعركة وأعان ولم يقدم إلا أنه بحيث تناله السهام والنبل ، أعظم غناء وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك . ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقله بسط الكف وترك الحرب ، وأن ذلك يشاكل فعل النبي صلى الله عليه وآله ، لكان أوفر الناس حظاً في الرياسة وأشدهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت . وإن بطل فضل علي عليه السلام في الجهاد لأن النبي صلى الله عليه وآله كان أقلهم قتالاً — كما زعم الجاحظ — لبيطلن على هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أقلهم مالا .

وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش ، ونظرت السير وقرأت الأخبار ، عرفت أنها كانت تطلب محمداً صلى الله عليه وآله وتقصد قصده ، وتروم قتله ، فإن أعجزها وفاتها طلبت علياً عليه السلام وأرادت قتله ، لأنه كان أشبههم بالرسول حالاً ، وأقربهم منه قرباً ، وأشدهم عنه دفعا ، وأنهم متى قصدوا علياً فقتلوه أضعفوا أمر محمد صلى الله عليه وآله وكسروا شوكتهم ، إذ كان أعلى^(١) من ينصره في البأس والقوة والشجاعة ، والنجدة والإقدام والبسالة . ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر وقد خرج هو وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ، فأخرج إليهم الرسول نفرأ من الأنصار فاستنصبوهم فانتصبوا لهم ، فقالوا : ارجعوا إلى قومكم ثم نادوا : يا محمد ،

(١) هذا ما في ط . وفي الأصل : « علي » .

أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَهْلِهِ الْأَدْنَيْنِ : قَوْمُوا يَا بَنِي هَاشِمٍ فَانصَرُوا حَقِّكُمْ الَّذِي آتَاكُمْ اللَّهُ عَلَى بَاطِلٍ هَؤُلَاءِ ، قُمْ يَا عَلِيُّ ، قُمْ يَا حَمْزَةُ ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ . أَلَا تَرَى مَا جَمَلَتْ هَنْدٌ لِمَنْ قَتَلَهُ يَوْمَ أُحُدٍ لِأَنَّهُ اشْتَرَكَ هُوَ وَحَمْزَةُ فِي قَتْلِ أَبِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ ؟ ! أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ هَنْدٍ تَرْتِي أَهْلَهَا :

مَا كَانَ لِي عَنْ عَتَبَةٍ مِنْ صَبْرٍ أَبْنَى وَعَمِي وَشَقِيقِي صَدْرِي
أَخِي الَّذِي كَانَ كَضْوَاءِ الْبَدْرِ بِهِمْ كَسَرَتْ يَا عَلِيُّ ظَهْرِي
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَتَلَ أَخَاهَا الْوَلِيدَ بْنَ عَتَبَةٍ ، وَشَرِكَ فِي قَتْلِ أَبِيهَا عَتَبَةَ . وَأَمَّا عَمُّهَا
شَبِيبَةُ فَإِنَّ حَمْزَةَ تَفَرَّدَ بِقَتْلِهِ .

وَقَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ لَوْحَشِيٍّ مَوْلَاهُ يَوْمَ أُحُدٍ : إِنْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا فَأَنْتَ حَرٌّ ،
وَإِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ فَأَنْتَ حَرٌّ ! فَقَالَ : أَمَّا مُحَمَّدٌ فَسَيَمْنَعُهُ أَصْحَابُهُ . وَأَمَّا عَلِيُّ فَرَجُلٌ حَذَرُ
كَثِيرِ الْإِلْتِفَاتِ فِي الْحَرْبِ ، وَلَكِنِّي سَأَقْتُلُ حَمْزَةَ . فَقَعْدَ لَهُ وَزَرْقَهُ بِالْحَرْبَةِ فَقَتَلَهُ .

وَلَمَّا قَلْنَاهُ مِنْ مِقَارِبَةِ حَالٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْبَابِ لِحَالِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمُنَاسِبَتِهَا إِيَّاهُ ، وَمَا وَجَدْنَاهُ فِي السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ مِنْ إِشْفَاقِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَذَرِهِ عَلَيْهِ ، وَدَعَائِهِ لَهُ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَقَدْ بَرَزَ عَلَى إِلَى عَمْرٍو وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ بِمَحْضَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : « اللَّهُمَّ
إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي حَمْزَةَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَعَبِيدَةَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَاحْفَظِ الْيَوْمَ [عَلِيٌّ^(١)] عَلِيًّا ،
رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ » . وَلِذَلِكَ ضَنَّ بِهِ عَنْ مِبَارَزَةِ عَمْرٍو حِينَ
دَعَا عَمْرٍو النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ مَرَارًا ، فِي كُلِّهَا يُحْجِمُونَ وَيَقْدُمُ عَلِيٌّ ، فَيَسْأَلُ الْإِذْنَ فِي الْبَرَازِ
حَتَّى قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّهُ عَمْرٍو ! فَقَالَ : وَأَنَا عَلِيٌّ ! فَأُدْنَاهُ وَقَبَّلَهُ
وَعَمَّمَهُ بِعِمَامَتِهِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ خُطُوَاتٍ كَالْمُودَعِّ لَهُ الْقَلْقُ لِحَالِهِ ، الْمُنْتَظَرُ لِمَا يَكُونُ مِنْهُ .
ثُمَّ لَمْ يَزَلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَافِعًا يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ مُسْتَقْبِلًا لَهَا بِوَجْهِهِ ، وَالْمَسْلُومُونَ
صَمُوتٌ حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، حَتَّى ثَارَتِ الْغُبَرَةُ وَصَمِعُوا التَّكْبِيرَ مِنْ تَحْتِهَا

(١) التَّكْمِلَةُ مِنْ ط .

فعلّموا أن علياً قتل عمرا ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين . ولذلك قال حذيفة بن اليمان : « لو قسمت فضيلة على عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعهم » . وقال ابن عباس في قوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال » قال : بعلى بن أبي طالب .

(٢٠)

ص ٤٧ من العثمانية

فيقال للجاحظ : فعلى أيها كان مَشَى على بن أبي طالب إلى الأقران بالسيف ؟ فأبما قلتَ من ذلك بانت عداوتك لله تعالى ولرسوله . وإن كان مشيه ليس على وجه مما ذكرت وإنما كان على وجه الفصرة والقصد إلى المسابقة إلى ثواب الآخرة ، والجهاد في سبيل الله وإعزاز الدين ، كنت بجميع ما قلتَ معاندا ، وعن سبيل الإنصاف خارجا ، وفي إمام المسلمين طاعنا . وإن تطرق مثل هذا بوهم على عليه السلام ليطرقن مثله على أعيان المهاجرين والأنصار أرباب الجهاد والقتال ، الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وآله بأنفسهم ، ووقّوه بمهجهم ، وفدّوه بأبنائهم وآبائهم . فلعلّ ذلك كان لعلّة من العلل المذكورة ، وفي ذلك الطمئنُ في الدين ، وفي جماعة المسلمين .

ولو جاز أن يُتوهم هذا في على عليه السلام وفي غيره لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حكاية عن الله تعالى لأهل بدر : « اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم » ، ولا قال لعلى عليه السلام : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » ، ولا قال : « أوجب طلحة^(١) » .

وقد علمنا ضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وآله تعظيمه لعلى عليه السلام تعظيما دينيا لأجل جهاده ونصرته ، فالطاعن فيه طاعن في رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) أى عمل عملا أوجب له الجنة .

وآله ؛ إذ زعم أنه قد يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى ، بل لأمر آخر من الأمور التي عدّها وبعثه على التفوه بها إغواء الشيطان وكيد ، والإفراط في عداوة مَنْ أمر الله بحبته ، ونهى عن بغضه وعداوته . أترى رسول الله صلى الله عليه وآله خفي عليه من أمر على عليه السلام ملاح للجاحظ والعمانية ، فمدحه وهو غير مستحق للمدح .

(٢١)

ص ٤٧ و ٤٨ من العثمانية

فيقال له : فلعل إنفاق أبي بكر كما تزعم أربعين ألف درهم لا ثواب له ، لأن نفسه ربما تكون غير معتدلة ، لأنه يكون مطبوعاً على الجود والسخاء ، ولعل خروجه مع النبي صلى الله عليه وآله يوم الهجرة إلى الفار^(١) لا ثواب له فيه ، لأن أسبابه كانت له مهيجة ، ودواعيه غالبية ؛ لحبة — كان — الخروج ، وبغضه — كان — المقام^(٢) . ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه إلى الإسلام ، وإكبابه على الصلوات الخمس في جوف الليل ، وتدييره أمر الأمة ، لا ثواب له فيه ، لأنه تكون نفسه غير معتدلة ، بل يكون في طباعه الرياسة وحبها ، والعبادة والالتذاذ بها .

ولقد كننا نعجب من مذهب أبي عثمان أن المعارف ضرورة ، وأنها تقع طباعاً . وفي قوله بالتولد ، وحركة الحجر بالطبع ، حتى رأينا من قوله ما هو أعجب منه ، فزعم أنه ربما يكون جهاد على عليه السلام وقتله المشركين لا ثواب له فيه ، لأنه فعله طباعاً . وهذا أطرف من قوله في المعرفة وفي التولد^(٣) .

(١) إلى الفار ، ساقطة من ط .

(٢) في ط : « غالبية محبة الخروج وبغض المقام » .

(٣) انظر ما كتبت في حواشي الحيوان ٤ : ٢٠٨ .

(٢٢)

ص ٤٩ - ٥٠ من العثمانية

هذا راجع على الجاحظ في النبي صلى الله عليه وآله ، لأن الله تعالى قال له : « والله يعصمك من الناس » فلم يكن له في جهاده كبير طاعة وكثير طاعة وكثير من الناس يروى عنه صلى الله عليه وآله : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » . فوجب أن يبطل جهادهما . وقد قال للزبير : « ستقاتل عليا وأنت ظالم له » فأشعره بذلك أنه لا يموت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال في الكتاب العزيز لطلحة : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده » قالوا : نزلت في طلحة . فأعلمه بذلك أنه يبقى بعده . فوجب أن لا يكون لها كبير ثواب في الجهاد .

والذي صح عندنا من الخبر ، وهو قوله « ستقاتل بعدي الناكثين » أنه قاله لما وضعت الحرب أوزارها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ووُضعت الجزية ودان العرب قاطبة .

(٢٣)

ص ٥٨ - ٥٩ من العثمانية

أمر عمرو بن عبد ود أشهر وأكثر من أن يحتج له ، فليتلحج كتب المغازي والسير ، ولينظر ما رثمه به شعراء قريش لما قتل .

فمن ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في مغازيه قال : وقال مسافع بن عبد مناف ابن زهرة بن حذافة بن ججم ، يبيح عمرو بن عبد الله بن عبد ود ، حين قتله علي بن أبي طالب عليه السلام مبارزة ، لما جَزَعَ المذاد^(١) - أي قطع الخندق .

(١) ط : « لمحبة الخروج وبفض المقام » وصواب النص من الأصل . و « كان » تزد بين المتلازمين .

(١) المذاد ، بالذال المعجمة : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق . ط : « المزار » صوابه في الأصل .

عمرو بن عبد كان أول فارس
 سمح الخلائق ماجد ذو مرة
 ولقد علمتم حين ولوا عنكم
 حتى تكفنه الحكمة وكلهم
 ولقد تكفنت الفوارس فارساً
 سال النزال هناك فارس غالب
 فاذهب على ما ظفرت بمثلها
 نفسى الفداء لفارس من غالب
 أعنى الذى جزع المذاذ ولم يكن
 وقال هُبيرة بن أبى وهب الخزوى ، يعتذر من فراره عن على بن أبى طالب
 وتركه عمراً يوم الخندق ويكيه :

لعمرك ما وليت ظهري محمداً
 ولكننى قلبت أمري فلم أجد
 وقفت فلما لم أجد لى مقبدا
 ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد
 فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا
 ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا
 فمن لطراد الخيل تُدع بالقفا
 هنالك لو كان ابن عمرو لزاها
 كفتك على لن ترى مثل موقف
 فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها
 وأصحابه جيناً ولا خيفة القتل
 لسيفي غناء إن وقفت ولا نبلى
 صدرت كضرغام هزبر أبى شبل
 مجالا وكان الحزم والرأى من فعلى
 فقد مُتَّ محمود الثنا ماجد الفعل
 فقد كنت فى حرب العدى مرهف النصل
 وللبذل يوماً عند قرقرة البزل
 لفرجها عنهم فتى غير ما وغل
 وقفت على شلو المقدم كالفحل
 أمنت بها ما عشت من زلة النعل

(١) بليل هو وادى الصفراء ، دوين بدر .

(٢) ط : « فيهم لم يعجل » .

وقال هبيرة بن أبي وهب أيضاً يرثي عمرا ويكيه :

لقد علمت علياً لؤى بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب
وفارسها عمرو إذا ما يسوقه على وأن الموت لا شك طالب
عشية يدعوهُ عليٌّ وإنه لفارسها إذْ خام عنه الكتائب
فيا لهف نفسي إنَّ عمرا لكائن بيثرب لا زالت هناك المصائب
لقد أحرز العليا على بقتله وللخير يوماً لا محالة جالب
وقال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر عمرا :

أمسى الفتى عمرو بن عبد ناظراً كيف العبورُ وليته لم ينظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جيادنا لم تُقصر
ولقد لقيت غداة بدر عصبة ضربوك ضرباً غير ضرب الحسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم أمر منكسر
وقال حسان أيضاً :

لقد شقيت بنو جمح بن عمرو وغزومٌ وتيم ما نُقيل^(١)
وعمره كالحسام فتى قريش كأن جبينه سيف صقيل^(٢)
فتى من نسل عامر أريحي تطاوله الأسنة والنصول
دعاه الفارس المقدام لما تكشفت المقاب والخيول
أبو حسن فقتله حساما جُرازا لا أفلٌ ولا نَكول
فغادره مكيباً مُسلحجياً على عفراء لا بَعْدَ القتلِ
فهذه الأشعار فيه ، بل بعض ما قيل فيه .

وأما الآثار والأخبار فوجودة في كتب السير وأيام الفرسان ووقائعهم . وليس
أحد من أرباب هذا العلم يذكر عمرا إلا قال : كان فارس قريش وشجاعها . وإنما قال
له حسان :

(١) في الأصل : « لقد شقيت » و « ما ثقيل » .

(٢) هذا البيت ساقط من ط .

* ولقد لقيت غداة بدر عصابة *

لأنه شهد مع المشركين بدرًا وقتل قومًا من المسلمين ، ثم فر مع من فر ولحق بمكة . وهو الذي كان قال وعاهد الله عند الكعبة ألا يدعوه أحد إلى واحدة من ثلاث إلا أجابه . وآثاره في أيام الفجار مشهورة تنطق بها كتب الأيام والوقائع ، ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتيبة وبسطام وعامر ؛ لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب وأهل بادية ، وقريش أهل مدينة وساكنو مدر وحجر ، لا يرون الغارات ولا يهيمون غيرهم من العرب ، وهم مقتصرون على المقام ببلدتهم وحماية حرمهم ، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء .

ويقال له : إذا كان عمرو كما تذكر ليس هناك ، فما باله لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم فصار مع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله على أرض واحدة ، وهم ثلاثة آلاف ، ودعاهم إلى البراز مرارًا ، لم ينتدب أحد منهم للخروج إليه ، ولا سمح منهم أحد بنفسه ، حتى ونحهم وقرعهم وناداهم : ألستم ترعمون أنه من قتل منا فإلى النار ومن قتل منكم فإلى الجنة ؟ أفلا يشتاق أحدكم أن يذهب إلى الجنة أو يقدم عدوه إلى النار ؟ فجبوا كلهم ونكلوا ، وملكهم الرعب والوهل . فيما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه ، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفسلهم . وقد روى الناس كلهم الشعر الذي أنشده لما نكل القوم بجمعهم عنه ، وأنه جال بفرسه واستدار ، وذهب يمينا ثم ذهب يسرة ، ثم وقف تجاه القوم فقال :

ولقد بحجت من الفدا ، بجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جُبِن المشي مع وقفة القِبَل المناجز
وكذاك أني لم أزل متسرعا نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغراز

فلما برز إليه على أجابه فقال له :

لا تمجلن فقد أتاك بحبيب صوتك غير عاجز

دو نية وبصيرة يرجو الغداة نجاة فاز
إني لأرجو أن أقيـم عليك نائمة الجنائز
من ضربة تفنى ويبـقى ذكرها عند الهزائز

ولعمري لقد سبق الجاحظ بما قاله بعضُ جهال الأنصار لما رجع رسول الله
من بدر وقال فتى من الأنصار شهد معه بدرا : « إن قتلنا إلا عجايز صلما ! » فقال له
النبي صلى الله عليه وآله : « لا تقل ذلك يا ابن أخ ، أولئك الملائكة ! » .

(٢٤)

ص ٥٩ من العثمانية

كل من دون أخبار قريش وآثار رجالها وصف الوليد بالشجاعة والبسالة ،
وكان مع شجاعته أيداً يصارع الفتیان فيصرعهم ، وليس لأنه لم يشهد حرباً قبلها
ما يجب أن يكون بطلا شجاعا ، فإن علياً عليه السلام لم يشهد قبل بدر حرباً ،
وقد رأى الناس آثاره فيها .

(٢٥)

ص ٦٢ من العثمانية

أما ثباته يوم أحد فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه ، وجمهورهم يروى
أنه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا عليّ وطلحة والزبير وأبو دُجانة .
وقد روى عن ابن عباس أنه قال : ولهم خامس ، وهو عبد الله بن عباس . ومنهم
من أثبت سادساً وهو المقداد بن عمرو .

وروى يحيى بن سلمة بن كهيل قال : قلت لأبي : كم ثبت مع رسول الله
صلى الله عليه وآله يوم أحد ؟ فقال : اثنان . قلت : من هما ؟ قال : علي وأبو دُجانة .
وهبُ أبا بكر ثبت يوم أحد كما يدعيه الجاحظ ، أيجوز له أن يقول : ثبت
عليّ ، فلا فخر لأحدهما على الآخر ، وهو يعلم آثار عليّ عليه السلام ذلك اليوم وأنه

قتل أصحاب الألوية من بنى عبد الدار ، منهم طلحة بن أبي طلحة الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فى منامه أنه مردف كبشاً فأوله وقال : كبش الكتبية نقتله^(١) . فلما قتله على عليه السلام مبارزة — وهو أول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم — كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : هذا كبش الكتبية !

وما كان منه من المحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد فر الناس وأسلموه ، فتصمد له كتبية من قريش فيقول : « يا على » ، ا كفى هذه . فيحمل عليها فيهمزها ويقتل عميدها ، حتى سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السماء : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على

وحتى قال النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل ما قال .

أتكون هذه آثاره وأفعاله ثم يقول الجاحظ : لا نخر لأحدهما على صاحبه ! ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

(٢٦)

ص ٦٢ من العثمانية

ما كان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبى بكر ؛ فإنه لو تسمعه الإمامية لأضافته إلى ما عندها من المثالب ، لأن قول النبي صلى الله عليه وآله له : ارجع ، دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد ، لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه ، وأنت تعلم حنو الابن على الأب وتبجيله له وإشفاقه عليه وكفه عنه ، لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبي . وقوله له « ومتعنا بنفسك » إيدان له بأنه كان يقتل لو خرج . ورسول الله كان أعرف به من الجاحظ . فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذى صلى بالحرب ، ومشى إلى السيف بالسيف ، فقتل السادة والقادة ، والفرسان والرجالة .

(١) ط : « فقتلته » .

(٢٧)

ص ٦٢ من العثمانية

أما قوله « إنه بذل الجهد » فقد صدق . وأما قوله « لا حال أشرف من حاله » خطأ ، لأن حال من بلغت قوته أضعاف قوته فأعملها في قتل المشركين ، أشرف من حال من نقصت قوته عن بلوغ الغاية . ألا ترى أن حال الرجل أشرف في الجهاد من حال المرأة ، وحال البالغ الأيد أشرف من حال الصبي الضعيف .

قال ابن أبي الحديد :

فهذه جملة ما ذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي رحمه الله في نقض العثمانية ، اقتصرنا عليها هنا . وسنعود فيما بعد إلى ذكر جملة أخرى من كلامه إذا اقتضت الحال ذكره .

وأنا أقول : قد تبينت ما تلا هذا القول مما ورد في أثناء الشرح من نصوص ، فوجدت أن ابن الحديد قد وقف عند هذا الحد ولم يورد في كتابه نصاً آخر من نصوص رد الإسكافي يزيد عما نقله في هذه المواضع التي حرصت على أن أقرنها هنا بالمواضع التي استدعت الرد .

(٢٨)

ص ١٠٧ — ١٠٨ من العثمانية

إن أبا عثمان يجرُّ على نفسه مالا طاقة له به من مطاعن الشيعة . ولقد كان في غنية عن التعلُّق بما تعلَّق به ، لأن الشيعة تزعم إن هذه الآية بأن تكون طعناً وعبثاً على أبي بكر أولى من أن تكون فضيلة ومنقبة له ، لأنَّه لما قال له « لا تحزن » دلَّ على أنه قد كان حزيناً وقنط ، وأشفق على نفسه ، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين .

ولا يجوز أن يكون حزنه طاعة ، لأن الله تعالى لا ينهى عن الطاعة ، فلو لم يكن ذنباً لم ينه عنه . وقوله « إن الله معنا » أى إن الله عالم بحالنا وما نضمه من اليقين أو الشك ، كما يقول الرجل لصاحبه : لا تضمرنّ سوءاً ولا تموينّ قبيحاً ، فإن الله تعالى يعلم ما نُسره وما نعلمه وهذا مثل قوله تعالى : « ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلهو معهم أينما كانوا » . أى عالم بهم . وأما السكينة فكيف يقول إنها ليست راجعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبعدها قوله : « وأيده بجنود لم تروها » . أتري المؤيد بالجنود كان أبا بكر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وقوله « إنه مستغن عنها » ليس بصحيح . ولا يستغنى أحد عن ألطاف الله تعالى وتوفيقه وتأيدته وتثبيت قلبه . وقد قال الله تعالى فى قصّة حُذَيْفٍ : « وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم ولّيتهم مدبرين » . ثم أنزل الله سكينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الصحبة فلا تدلّ إلا على المرافقة والاصطحاب . وقد تكون حيث لا إيمان ، كما قال تعالى : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك » . ونحن وإن كنّا نعتقد إخلاص أبى بكر وإيمانه الصحيح السليم ، وفضيلته التامة ، إلا أننا لا نحتجّ له بمثل ما احتجّ به الجاحظ من الحجج الواهية ، ولا نتعلق بما يجرّ علينا دواهي الشيعة ومطاعنها .

(٢٩)

وهي مناقضة لم أعثر على النص الذي سبقت له من العثمانية

وقد جاءت في شرح ابن الحديد عقب المناقضة رقم ١٨

قال الجاحظ :

وعلى أنا لو نزلنا إلى ما يريدونه جعلنا الفراش كالغار وخلصت فضائل أبي بكر
في غير ذلك عن معارض .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله :

قد بينّا فضيلة المبيت على الفراش على فضيلة الصحبة في الغار بما هو واضح
لن أنصف . وزيد هنا تأكيذاً بما لم نذكره فيما تقدم . فنقول :

إن فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة لوجهين :

أحدهما أن علياً عليه السلام قد كان أنس بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وحصل
له بمصاحبته قديماً أنس عظيم ، وإلف شديد ، فلما فارقه عديم ذلك الأنس وحصل
به أبو بكر ، فكان ما يجده عليه السلام من الوحشة وألم الفرقة موجباً لزيادة ثوابه ،
لأن الثواب على قدر المشقة .

وثانياً : أن أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكة ، وقد كان خرج من قبل فرد ،
فازداد كراهية للمقام ، فلما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وافق ذلك
هوى قلبه ومحبوب نفسه ، فلم يكن له من الفضيلة ما يوازي فضيلة من احتمل
المشقة العظيمة ، وعرض نفسه لوقع السيوف ، ورأسه لرضخ الحجارة ، لأن على
قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب .

تمت المناقضات

الفهارس

- ١ - فهرس القرآن الكريم ٣٤٦
- ٢ - » الحديث ٣٤٨
- ٣ - » الأمثال ٣٤٩
- ٤ - » الشعر ٣٤٩
- ٥ - » الأعلام ٣٥٠
- ٦ - » القبائل والجماعات ٣٥٦
- ٧ - » البلدان والمواضع ٣٥٨
- ٨ - » الأنجاء المتعلقة بالأعلام والطوائف ٣٦٠
- ٩ - » » » بالمعارف العامة ٣٦٣

١ - فهرس القرآن الكريم

صفحة

الآية	السورة
٢٠٨	٢ - البقرة ٤٨
٢١٠	١٢٤
٨١	١٤٣
٢٩	١٩١
١١٧	٢٠٨
٨٠	٣ - آل عمران ١٨٥
٢٣٠	٤ - النساء ٢٠
١١٦ ، ١١٥	٥٩
٢٠٩	٥ - المائدة ٢٧
٢٠٨	٢٩
٥٧	٣٤
١١٥	٥٤
١١٩ ، ١١٨	٥٥
١١٨	٥٦
١٢٩	٧٥
٦٩	١١٨
١٥٦	٧ - الأعراف ١٤٢
٩٢	٨ - الأنفال ٦٨
٨١ ، ٧٩	٩ - التوبة ٣٣
١٠١ ، ١٠٠ ، ٤٤ ، ٥١	٤٠
١٠٩ ، ١٠٨ - ١٠٧ ، ١٠٣	٤٠
١١٠	٥٨
١٩٤	١١٩
١١٤	١٠ - يونس ٨٨
٦٩	١١ - هود ٤١
٤١	٤٢
٢١٠	٤٦
٢٠٩	١٣ - الرعد ٤٣
١٢٠ - ١٢١	١٤ - إبراهيم ٣٦
٦٩	١٥ - الحجر ٤٧
٢٤١	١٦ - النحل ٤٣
١٦١	١٠٦
١٠٤	١٧ - الإسراء ٧٤
٩٢	١٩ - مريم ٥٤
١٢٨	

صفحة

الآية	السورة
٥٦	واذكر في الكتاب ادريس
١١٥	٢٠ - طه
٣٥	٢١ - الانبياء
٦٧	٦٨ - ٦٩
٧٩	٩١
٨٧	٩١
٢٢	٢٤ - النور
٨٨ ، ٨٩	٢٦ - الشعراء
٢٦	٢٨ - القصص
٨٨	٢٩ - العنكبوت
٣٣	٣١ - لقمان
٤٥	٣٥ - فاطر
١٤٢	٣٧ - الصافات
٢٠	٣٨ - ص
٢١	٣٩ - الزمر
٤١	٤٤ - الدخان
١٧	٤٦ - الاحقاف
٣٥	٤٧ - محمد
٢	٤٨ - الفتح
١٦	١١٤
٢٧	٧٨
٤	٤٩ - الحجرات
١٣	٢٠٢
١٩	٨٧
٥٦	٢٥٦
٣٧	٢٠٦
٣٩	٢٠٧ ، ٢٠٦
٢٦	٢١١
٢٨	١٠
٩	٨١ ، ٧٩
٢	٢٧٧
١٠	٢١٠
٢٢	١١٣ - ١١٤
٢٦	٦٩
١	٩٢
٥ - ٢١	١١٤ ، ٣٥

٢ - فهرس الحديث

- ٢١٧ ، ٢٣ بلال سابق الحبش
٤٤ نقش بيردى الحضرمى
١٤٠ خير أهل الله عمر بن الخطاب
رضيت لامتى ماضى لها ابن أم عبد ٨٦
٢٣٤ ، ١٤١
١٦٤ الرفيق الأعلى
١٢٣ ، ١٢٢ الزبير حوارى
زيد وما زيد ! يسبقه عضو منه الى
٢٥٠ - ٢٤٩ الجنة
١٧٣ ستكون فتنة هذا فيها يومئذ على الحق
٦٢ شم سيفك
٢٣٣ الشيطان يفرق من حسه
٣٠ صبرا آل ياسر
٢٣٣ ضرب بالحق على لسانه
١٢٢ عثمان ذو النورين
٤١ عجبت من أخى لوط
٦٣ عليكم صاحبكم
٥١ فان ربى قد أذن لى فى الهجرة
٧٧ قوموا فانحروا
١٤١ كم من ذى طمرين
٦٤ كيف ترون يامعشر المسلمين
كيف لاستحى ممن تستحى منه
١٤١ الملائكة
١٤٢ لاتؤذوا عمارا
٣٩ لاهجرة بعد الفتح
١٣٠ ، ١٢٩ لا يبلغ عنى الا رجل منى
١٠٥ لعل الله أن يجعل لك صاحباً
٢٣٣ ، ١٤١ لكل أمة أمين
١٨٣ لن تزالوا بخير
١٤١ لو قال باسم الله رفعته الملائكة
١٤٨ ، ١٤٣ لو كنت متخذاً خليلاً
١٣٥ ليس أحد أمن علينا بصحبته
٢٧٧ ليؤمكم خياركم
١٤٨ ، ١٣٥ ، ٥١ ما أحد أمن علينا بصحبته
١٢٨ ما أقلت الفبراء
١٣٧ مادعوت أحدا الى الاسلام الا . . .
- ٥٣
١٤٨ أبو بكر وعمر سيديا كهول أهل الجنة
١٤٠ أبو سفيان خير أهلى
أبى الله ورسوله الا أن يصلى
١٦٦ ، ١٦٥ أبو بكر
٦٣ ارجع الى مكانك
١٦٠ ، ٥٦ ارم فداك أبى وأمى
٧٥ أرني مكانها
٢٠٧ أشرف الناس يوسف بن يعقوب
٩٤ أفرضكم زيد
١٤٣ ، ١٣٥ اقتنوا بالذين من بعدى
٩٤ أقرؤكم أبى
١٥٠ ، ١٢٤ اللهم آتني بأحب الناس اليك
٢٣٣ اللهم أعز الاسلام بعمر
١٥٠ ، ١٤٦ ، ١٤٥ اللهم عاد من عاداه
١٢١ اللهم فقهه فى الدين
١٦٤ ، ١٢١ اليكن عنى صواحب يوسف
٢٨ أما والله لقد جئتكم بالنبيح
٧٨ امحها يا على
٨١ أمرت أن أقاتل الناس
١٣٧ ان أبا بكر لم يسؤنى قط
١٠٤ ان عادوا فعد
١٦٤ ، ٨٥ ان عبدا من عباد الله
ان من أمتى سبعين ألفا يدخلون الجنة
٢٤٩ بغير حساب
٢٤٩ أنت منهم
١٤٣ ، ١٣٤ أنت منى بمنزلة هارون
١٥٣ - ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٢٨
١٦٩ ، ١٦٣ ، ٦٥ أنفذوا جيش أسامة
٤٩ انك ستقاتل بعدى الناكثين
١٣٥ انه لم يكن نبى قبلى فيموت
٢٣٦ انه ليس سبب ولا نسب
١٤١ اهتز العرش لموت سعد
٢٤ اهجمهم ومعك روح القدس
٧٤ الأيمن فالأيمن
١٣٧ أيها الناس ان الله بعثنى

١١٣ ، ٧٢	هلا تركت الشيخ في رحله	٨٤	مامات نبي قط الا دفن حيث يقبض
١٣٦	هم الامر الخلافة	١٤٧	مامقالة بلفتني
٢٤	هيج الفطاريف على بنى عبد مناف	٢٣٦ ، ٨٤	مامن رجل يذنب ذنبا
	والذى نفسى بيده انى لقائم على	١٣٧ ، ٦٨	مثل أبى بكر في الملائكة
٨٥	الحوض	١٧٠ ، ١٦٤	مروا أبى بكر فليصل بالناس
	والذى نفسى بيده ما أنا بهذا أحق	٢٠٧	المسلمون تنكافأ دماؤهم
٢٠٧	من رجل من المسلمين	٦١	من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله
٧٠	وانت الصديق	٨٣	من قبل الكلمة
١٣٧	وضع رجل حجره حيث أحب	✓ من كنت مولاه فعلى مولاه ١٣٤ ، ١٤٣ ،	
	ياأبى بكر ضع حجرا الى جنب حجرى	١٤٤ ، ١٤٥	
	١٣٦ - ١٣٧	١٣٩	منا خير فارس في العرب
٢٢٠	ياسلمان لاتقبض العرب	٢٠٧	الناس كلهم سواء
٢٠٧	يعباس بن عبد المطلب		نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٣٧	يعثمان خذ حجرا	٧١	الجمل عن سبعة
١٨١	يعلى قم فانظر	٤٣	نم على فراشى
١٣٩	ياتيكم خير ذى يمن	٢١٦ ، ١٦٠ ، ٥٦	هذا خالى أباهى فيه
١٤٢	يبعث يوم القيامة أمة واحدة	٥ ، ١٣٦ ، ١٥٩	هذان سيدا كهول أهل الجنة
١٨١	يفسل ذكره وأنثيه	٢٣٥	

٣ - فهرس الأمثال

٢٣٠	لست منها في غير ولا نغير	٢٣٠	ألفيت حبلك على غاربك
٢٣٠	مالى في هذا الأمر ناقة ولا جمل	٧١	الحرب سجال
		٣٦	قلة العيال أحد اليسارين

٤ - فهرس الشعر

١٢٥ ، ١١١	منكر أبو محجن	٧٣	النساء حسان
٢٢٢	المفارض الفقعى	١١١	صاحبا كعب بن مالك
١٩٤	والأقرع عباس بن مرداس	٢٢٠	واب -
١٢٥	الصدىق الحارث بن هشام	١١٢	مطر (جنى)
١٢٥	العيوق الحارث بن هشام	١٢٦	محمد طريف بن عدى
١٢٧	الصدىق البارقى	١٢٧	معبد طليحة الأسدى
١١١	فعلا حسان	١٢٦	الصيد حسان
٣٠	جهل عمار بن ياسر	١٢٥	دثر العجاج
١٦٢	عفانا حسان	١٢٤	الكبرا شريح بن هانىء
١١٣	ومكان الحارث بن هشام	١١١	موازرا النجاشى

٥ - فهرس الأعلام

أنس بن مالك	١٥٢ - ١٥٠ ، ١٣٤ ، ٧٥	آدم عليه السلام	٨٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩
(أهبان بن أوس) مكرم الذئب	١٦٣ ، ١٤٠	إبراهيم عليه السلام	٦٨ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١
أوس بن ثابت	١٦١	إبراهيم التيمي	١٨٧
أيمن بن عبيد	٦٦	إبراهيم (بن يزيد النخعي)	٨٨
أيوب عليه السلام	١٥٢	(أبي بن خلف)	٤٦
أبو أيوب الأنصاري	١٨٢	» » كعب	٨٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٢١
البارقي ، الشاعر	١٢٧	أحمد (محمد صلى الله عليه وسلم)	١١١
ابن السحرخان	٢١٢	الأحنف بن قيس	٩٦
بديل بن ورقاء الخزاعي	١٠٢ ، ٦٤	أبو أحيحة	٧٣ ، ١٠٣
البراء بن مالك	١٤١ ، ٤٥	ابن أبي أحيحة	١٩٢
أبو برزة الأسلمي	٩٦	الأحنس بن شريق	١٠٢
ابن بريدة	١٤٤	أدريس عليه السلام	١٢٨
بسطام بن قيس	٥٩	الأرسطاطاليس	٢٦٦
بسطام بن نرسی دهقان بابل	٢١٣	أبو أزيهر	٢٤
أبو بكر الصديق ، عبد الله ، عتيق ،		أسامة بن زيد	١٤٦ ، ٨٣ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ١٤٧ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ٢٤٢ ، ٢١٦
ابن أبي فحافة ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٢٤ -		إسحاق عليه السلام	٢١٨ ، ٢١٩
٣٥ ، ٣٩ - ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ -		ابن إسحاق	٢٧
٥٧ ، ٦٠ - ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ -		أسد قريش = نوفل بن خويلد	
١٠٠ ، ١٠٣ - ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ،		أسد الله = حمزة	
١٣٥ - ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ،		أسماء بنت أبي بكر ، ذات النطاقين	٣١ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٨٧ ، ٢٢٤
١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ - ١٧٢ ، ١٧٧ -		أسماء بنت عميس	٩٥ ، ٢٤٠
١٨٥ ، ١٨٧ - ١٩٠ ، ١٩٢ - ٢٠٤ ،		إسماعيل عليه السلام	١٢٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩
٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٤ ، ٢٢٦ -		أسيد بن حضير	٦٣ ، ٧٢
٢٣٠ ، ٢٣٢ - ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ،		ابن الأشج	١٢٧
٢٤٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ -		الأشعث	٩٥
٢٤٦		الأعمش	٩١ ، ١٤٤
أبو بكر عروة بن الزبير	٢٢٤	الأقرع بن حابس	١٩٤ ، ٢١٧
أبو بكر بن علي أبي طالب	٢٣٧	أبو أمامة بن سهل	١٦١
أبو بكر الهذلي	١٠٦	أمقلاس	٢١٣
بلال (بن رباح) ٣٠ ، ٣٢ ، ٥٤ ، ١٠٣ ،		الأمين ، أبو عبيدة الجراح	٢٣٣
١١٨ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ،		أمية بن خلف	٣٢
٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٥			
البوسختان ؟	٢١٣		
تمام	١٤٥		
ثابت	١٢٧		
جابر بن عبد الله	٩٣ ، ١٢١		

٢٧	أبو الحكم ، أبو جهل	٢٤	جارية بنى مؤمل
١٢٦ ، ١٠٣	الحكم بن أبي العاص	٢٢٦	جالينوس
٢٢٣ ، ٢١٧ ، ٢١١	حكيم بن حزام		جبريل عليه السلام ، روح القدس
١٢٣ ، ٧٢ ، ٣٧ ، ٩	حمزة ، أسد الله	٢٤ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٧	
١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٦٢		١٦٤ ، ١٣٧	
١٦٣ ، ١٣٩ (ثابت بن عاصم)	حمى الدبر	٢٥	جبر بن مطعم
٣٧	حننمة بنت هاشم ذى الرمحين	١٨٢ ، ١٤٠ ، ١٣٩	جرير بن عبد الله
٧١ ، ٦٠	حنظلة بن أبي سفيان	١٦٠	جعدة بن هيرة
١٦٣ ، ١٤٠	حنظلة بن أبي عامر ، غسيل الملائكة	١٠٦ ، ٩٥ ، ٩	جعفر بن أبي طالب ، الطيار
٢٤٦	حوشب	٢٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٢٤	
٧٠	حويطب بن عبد العزى	٤٢	جعفر بن محمد
٨٨ — ٨٧	بنت خازجة ، (وهى حبيبة)	٢١٣	جفينة العبادة
٢١٢	خالد بن بصبرى	٢١٢	جميل بن بصبرى
١٧٢ ، ١٦٧	خالد بن سعيد بن العاص	٣٧ ، ٣١ ، ٣٠	أبو جهل ، أبو الحكم
١٩٦ ، ١٩٣ — ١٨٩ ، ١٧٩		١١٥ ، ١١٤ ، ١١٠	
٢٣٨		١١٤	جوير
٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ١١٦ ، ٨٦	خالد بن الوليد	١٩٤	حابس
٢٩ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٤ ، ٣	خباب بن الارت	٦٣	الحارث بن الصمة
١٧٨ ، ١٠٣ ، ٣٠		٢٦٦	الحارث بن ظالم
٢٢٤	أبو خبيب ، عبد الله بن الزبير	٢٢٦	الحارث بن كلدة
٩١	داود عليه السلام	١٢٥ ، ١١٢	الحارث بن هشام بن الميرة
٨٩	داود بن أبي هند	١٢٨ ، ١٢٧	
٦٣ ، ٥٠ ، ٤٨ ، ٤٥	أبو دجانة	٦٣	الحباب بن المنذر بن الجموح
١٦٢ ، ٨٨	أبو الدرداء	١٠٨	حبيب بن أبي ثابت
٢١٣	هقان بابل	١٧٤ ، ٩٤	حبيب بن مسلمة القهرى
٢١٣	هقان الفلوجة	١٥٢ ، ١٥٠	الحجاج بن يوسف
٢١٢	هقان نهر الملك	١٩٤ ، ٦١ ، ٦٠	أبو حذيفة بن عتبة
	ات النطاقين = أسماء بنت أبي بكر	٢١٧	
٢٢٤ ، ٣١		٢٢٦ ، ١٨٠ ، ١٦٢ ، ١٣٦	حذيفة بن اليمان
١٨٠ ، ١٤٠ — ١٣٨ ، ٢٩	أبو ذر الففارى	١٧٤	حرقوص بن زهير
٢٢٥ ، ١٨٣		١١٠ ، ٧٣ ، ٥٥ ، ٢٤	حسان بن ثابت
٢٤٨ ، ١٧٤	ذو الكلاع	١٦٢ ، ١٢٨ — ١٢٦	
٩١	ذوالنون = يونس بن متى	٩٦	أبو الحسن = على بن أبي طالب
١٣٦	ربيع بن حراش	١٢١ ، ١١٥ ، ٩٣ ، ٧٥	الحسن البصرى
١٦٥	الربيع بن صبيح	٢٤٦ ، ٢٢٧ ، ١٦٥ ، ١٢٣	
٦٦	ربيعة بن الحارث	٢٦٥	الحسن بن حى
١٢٨	رشيد الهجرى	٩٦	الحسن بن على بن أبي طالب
٢١٣	رفيل ؟	١٩٤	حصن
		١٦٤ ، ١٣٠	حفصة أم المؤمنين

٢٤٨ ، ١٧٥
سعيد بن العاص ١٩٢
أبو سفيان بن الحارث ١٤٠٦٦ ، ٢٤
أبو سفيان بن حرب ٧٢ ، ٧١ ، ٦٠
١٠٣ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ،
١٧٩ ، ١٩٦ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٣٨
سلمان الفارسي ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ،
١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ،
٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧
أم سلمة أم المؤمنين ٧٧
سلمة بن سلامة بن وقش ١٧٥
أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ١٠٥٢٣
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ١٥٩
سلمة بن كهيل ١٣٦
سليمان عليه السلام ٩١
سهل بن حنيف ١٨٢ ، ١٦١ ، ٦٣
سهيل بن عمرو ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٧٨ ،
١٧٩ ، ٢١٧
سياه وخش ٢١٣
السيد الحميري ١٢٨
ابن سيرين ١٧٥ ، ٧٥
شرحبيل بن السمط ١٧٤
شريح بن هانيء الحارثي ١٢٧ ، ١٢٥ ، ١٢٤
الشعبي ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٢١ ، ١٧٥ ،
١٧٦ ، ٢٣٥
شعيب عليه السلام ١٥٢
شيبه بن ربيعة ١٠٣ ، ٢٥
أبو صالح (بازام) ١١٧
الصدّيق = أبو بكر
الصدّيق الأكبر = علي ٢٣٩
صفية بنت عبد المطلب ٢٠٧
صهيب الرومي ٩٧ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢١٦ ،
٢٢١ ، ١٨١ ، ٢٢١
الضحاك ١٢١ ، ١١٤ ، ١٠٦
ضراب ؟ ٢٢٥
أبو طالب ٢٣ ، ١٠٢ ، ٢٠٥
ابن أبي طالب = علي
طريف بن عدي بن حاتم ١٢٦ ، ١٢٧
ابن طلحة ٢٤١

روح القدس = جبريل
ابن الزبير = عبد الله
الزبير بن العوام ، أبو عبد الله ١١ ، ١٢ ،
٣١ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٤ ،
٥٨ ، ٥٩ مع كنيته أبي عبد الله ، ٦٣ ،
٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
١٣٩ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ،
١٧٦ ، ١٨٠ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،
٢٧٤ ، ٢٧٦
أبو الزعراء ١٣٦
أبو زفر ٢٢٥
زنية ٣٣
الزهري ٣٣
زياد بن أبيه ٩٥
أبو زيد (جامع القرآن) ٩٣
زيد بن ثابت ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ،
١٢١ ، ١٧٥
زيد بن حارثة ٣ ، ٤ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ١٠٠ ،
١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ،
١٧٤
زيد بن حصن الطائي ١٧٤
زيد بن صوحان ٢٤٩ ، ٢٥٠
زيد بن عمر بن الخطاب ٢٣٧ ، ٢٤٢
زيد بن عمرو بن نفيل ١٤٢
سالم مولى أبي حذيفة ٦١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ،
٢٧٤
سراقة بن مالك بن جعشم ٢١٥
سعد بن الربيع ١٦٢
سعد بن عبادة ١٩٩
سعد بن عبيدة ١٤٤
سعد بن معاذ ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ١٣٩ ،
١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٦٣
سعد بن أبي وقاص ٣١ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٥٦ ،
٦٥ ، ٩٧ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،
١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
٢٧٥
سعد بن وهيب = سعد بن أبي وقاص
سعيد بن جبير ٣٠
سعيد بن زيد بن عمرو نفيل ٦٥ ، ١٤٦ ،

٩٠. عبد الله بن جعفر
١١٧ عبد الله بن حذافة السهمي
عبد الله بن الزبير، أبو بكر، أبو خبيب
٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ١٧٥ ، ١٥٩ ، ٧٥
٩٥ عبد الله بن سعد بن أبي سرح
١١٨ عبد الله بن سلام
٩١ عبد الله بن سلمة
٩٥ عبد الله بن سمرة
عبد الله بن عباس ٣٠ ، ٩٣ ، ١١٤ ،
١١٧ — ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٩
عبد الله بن عمر ٧٥ ، ٩٣ ، ١٢١ ، ١٤٧ ،
١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٨
عبد الله بن عمرو ٧٥ ، ٩٣
عبد الله بن المبارك ٢٦٥
عبد الله بن مسعود ٣٧ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٣ ،
١٢١ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ٢٢٣ ،
٢٣٤
عبد الله بن وهب الراسبي ١٢ ، ١٣ ، ٤٩٦ ،
١٧٤
عبد المطلب بن هاشم ٢٢٠
عبد الملك بن أبي سليمان ١١٦
عبد الملك بن عمير ١٣٦
عبد مناف ٢٢٠
العبدية ٣٣
العبيد (فرس عباس بن مرداس) ١٩٤
أبو عبيد الثقفي ٢١٤
عبيد الله بن علي بن أبي طالب ٩٦
أبو عبيدة بن الجراح ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ١٤١ ،
١٤٦ ، ١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ،
٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ — ٢٣٤ ، ٢٧٣
أم عبيس ٣٤
عتاب بن أسيد ١١٦
عتبة بن ربيعة ١٠٣ ، ٢٦ ، ٢٥
عتيبة بن الحارث ٥٩
عتيق = أبو بكر ٣٠
عثمان بن حنيف ١٨٢ ، ١٦١
عثمان بن عفان ، ذو النورين ٦ ، ٣١ ، ٤٢ ،
٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٢ ،
- طلحة بن عبيد الله ١١ ، ١٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
٣١ ، ٤٩ — ٥١ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٩٥ ،
٩٧ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٦١ ،
١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ،
١٨٩ ، ٢١٢ ، ٢٤٦ — ٢٤٩ ، ٢٧٤ —
٢٧٦
طليحة بن خويلد الأسدي ٨٦ ، ١٢٧ ، ٩٤ ،
١٨٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩
(عاصم بن ثابت) = حمى الدبر
عامر بن سعد بن أبي وقاص ١٥٨ ، ١٦٠ ،
عامر الشعبي ١٠
عامر بن الطفيل ٢٦٦ ، ٥٩
عامر بن فهيرة ٣٣ ، ٥٢ ، ٥٤
عائشة ، أم المؤمنين ، أم عبد الله
١٢ ، ٢٥ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٣ ،
١٠٠ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،
١٤٧ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ٢٢٤ ،
٢٧٥
ابن عباس = عبد الله
العباس بن عبد المطلب ٩ ، ٦٦ ، ٧٢ ،
٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٩٠ ،
١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦
عباس بن مرداس ١٩٤
ابن أم عبد = عبد الله بن مسعود ٨٦ ،
١٤١ ، ٢٣٤
عبد الرحمن بن أبي بكر ٦٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ،
٢٢٠
عبد الرحمن بن عتاب
عبد الرحمن بن عتيق = عبد الرحمن
ابن أبي بكر
عبد الرحمن بن عوف ٣١ ، ٥٤ ، ٦٣ ،
٩٧ ، ١٦٢ ، ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢١٢ ،
٢٢٣ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠
عبد شمس ٢٢٠
عبد العزيز بن سياه ١٠٨
عبد الله = أبو بكر الصديق ٢٢٤
أم عبد الله = عائشة أم المؤمنين ٢٢٤
عبد الله بن أبي بكر ، قتيل الطائف ٥١ ، ١١٣ ،
عبد الله بن جدعان ٢١٧

عمر بن الخطاب ٦ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٢	٧٤ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤
٥١ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨١	٩٥ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨
٨٤ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧	١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٨
٩٩ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٢	١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٣
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٣٧	١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٨	٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠
١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨	٢٧٤ ، ٢٧٥
١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢	عثمان بن علي بن أبي طالب ٢٣٧
١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١	المعراج بن روبة ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨
٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦	ابن العدوية = نوفل بن خويلد
٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢	عروة بن الزبير ٢٢٤
٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣	عروة بن مسعود ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٢
٢٧٤	العزيز ، عزيز مصر ٨٦
عمر بن عبد العزيز ١٨٤	ابن عفراء ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠
عمر بن علي أبي طالب ٢٣٧ ، ٢٧٥	عقبة بن أبي معيط ١٠٣
عمرو بن العاص ١٢ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ٢٢٣	عقيل بن أبي طالب ٩
٢٢٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨	عكاشة الفهمي ١٢٧
عمرو بن عبد ود ٥٩	عكاشة بن محصن ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٤٩
عمرو بن عبيد ٢٦٥	عكرمة ١٢١ ، ٢٤٨
عمرو بن واقد القامدي ١٧٤	العلاء بن الحضرمي ١١٦
العوام بن حوشب ١٨٧	علي بن أبي طالب ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٤
عياش بن أبي ربيعة ١٤٦	١٨ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٨
عيسى بن مريم، المسيح بن مريم عليه	٣٩ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٤
السلام ٩ ، ١٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٩	٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦
١٠٠ ، ١٢٩ ، ١٥٣	٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٢
عيسى بن يونس السبيعي ١١٦	٩٩ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٠
عينه بن حصن ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٧	١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٥٠
غسيل الملائكة = حنظلة بن أبي عامر	١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١
١٤٠ ، ١٦٣	١٦٣ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧
ابن الفيطة ٣٣	١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٣
غيلان ٢٦٥	١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢١٨
الفاروق ، عمر ٢٣٣	٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤
فاطمة بنت أسد بن هاشم ٢٠٥	٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
فاطمة بنت عتبة بن عبد شمس ٦١	٢٧٧
فاطمة بنت محمد رسول الله ٧٢ ، ٢٣٦	عمار بن ياسر ، أبو اليقظان ١١ ، ٢٩
فاكه ٣٠	٣٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٤٢ ، ١٦٢
فرعون ١٠٠	١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣
فروة بن نوفل الأشجعي ١٧٤ ، ١٣	٢١٧ ، ٢٢٦
الفصل بن دلهم ١١٥	ابن عمر = عبد الله

٥٨	مرحب اليهودى	١٤٥ ، ٦٦	الفضل بن عباس
٢٦٥	مرداس بن ادية	٢١٢	فيروز بن يزدجرد ، دهقان نهر الملك
١٩٤	مرداس والد عباس	٩٥	قبيصة بن جابر الأسدى
٢٣٧ ، ١٢٦	مروان بن الحكم	٢٢٧ ، ١٠٦	قتادة
٨٨	مسروق	١٤٥	قثم
١١٥ ، ١١٢ ، ٥٥ ، ٥٤	مسطح بن اثانة	١١٢ ، ٧٣ ، ٤٤	أبو قحافة والد أبى بكر
١١٦		١٦٧	
١٨٢	أبو مسعود البدرى		ابن أبى قحافة = أبو بكر
١٧٤	أبو مسلم الخولانى	٢٨	القرينان : طلحة وأبو بكر
١٧٤	مسلمة بن مخلد	٢٦٦	قيس بن زهير
	المسيح بن مريم = عيسى	٢١٤	قيس بن مكشوح
١٩٨ ، ١٨٥ ، ١٠٤ ، ٩٤ ، ٨٦	مسيلمه		ابن أبى كبشة (من سفاهة أبى
٢٤٨		٧١	سفيان)
١١٦ ، ٩٤ ، ٨٨	معاذ بن جبل	٢١٤ ، ١٨٦ ، ١٧٩ ، ١١٤ ، ٥٦	كنرى
١٧٤	معاوية بن حديج	٢١٥	
٤٩ ، ١٢ ، ١٠	معاوية بن أبى سفيان	١١١	كعب بن مالك
٢٤٨ ، ٢٣٤ ، ٩٨ ، ٩٥		١٧٣	كعب بن مرة البهزى
١٠٨	أبو معاوية الضير		الكلبى = محمد بن السائب
١٤٥	معبد	٨٨	أم كلثوم بنت أبى بكر
١٤٧	أم معبد	٢٣٧ ، ٢٣٦	أم كلثوم بنت على
٢١٤ ، ١٨٣ ، ٩٥ ، ٩٤	المقرة بن شعبة	٢٩ ، ٢٨	الكنانى (مالك بن الدغنة)
٢٢١ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ٥٧	المقداد بن عمرو	١٤٨ ، ١٠٠	لقمان
١٥٣	ابن أم مكتوم	١٠٢ ، ١٠٠	أبو لهب
١٧٤	مكحول	٢٠٩ ، ٤١	لوط
٧٠	مكرز بن حفص بن الأخيف	٢٨	(مالك بن الدغنة)
١٦٣ ، ١٤٠	مكلم الذئب ، أهبان بن أوس	١٢١ ، ١١٨	مجاهد
١٢٨	منصور النمرى	١٢٥ ، ١١١ ، ٨٥	أبو محجن
٢٤٨	المهاجر بن أمية		محمد صلى الله عليه وسلم ٣٢ ، ٣٣ ،
٢٣٧	مهران بن باذان	٧٧ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٦٧ ، ٦٤ ، ٣٨ ، ٣٧	
٨٦ ، ٨٠ ، ٦٩ ، ٥٧	موسى عليه السلام	١١٣ ، ١١٢ ، ١٠٤ ، ١٠٠ ، ٨٠ ، ٧٨	
١٤٣ ، ١٣٧ ، ١٣٤ ، ١٠٠ ، ٩١		٢٢١ ، ١٩٤ ، ١٦٤ ، ١٢٦ ، ١١٦	
٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ١٦٠ ، ١٥٨	١٥٣ -	٢٧٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥	
٢٦٠		١١٧	محمد بن السائب الكلبى
١٥٣ ، ١١٦ ، ٨٨	أبو موسى الأشعرى	٢٢٥	محمد بن عائشة
٢٤٣		١١٦	محمد بن على بن أبى طالب
١٣٧ ، ١٠٨ ، ٦٨	ميكائيل	٧٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٥	محمد بن مسلمة
٢٦٦	النايفة	١٧٤ ، ١٥٣	
١١١	النجاشى (الشاعر)	٩٦	المختار بن أبى عبيد
١٠٦	النجاشى (ملك الحبشة)	٩٦	ابن مخربة العبدى

١٨١	هشام بن عروة	٢١٢	ابن النخرجان
١٨٧	هشيم	١٧٤	النعمان بن بشير
١٧٤	وائل بن الاسقع	٥٢	النفاثي (عبد الله بن أريقط)
٢٧	الواقدي	٣٣	النهدي
٣٢	ورقة بن نوفل	٢١١ - ٢٠٩ ، ٦٩	نوح عليه السلام
١١٥	وكيع	٢٧	نوفل بن خويلد ، أسد قريش
١٠٣ ، ٥٩	الوليد بن عتبة	١٥٣ ، ١٤٣ ، ١٣٤	هارون عليه السلام
٥٩ ، ٥٨	ياسر اليهودي	٢٣٨ ، ١٦٠ ، ١٥٨ - ١٥٦	١٥٤
١٢ ، ٩	يحيى بن زكريا ، عليه السلام	٢٤٦	هاشم الأوقص
١٨٢	أبو اليقظان ، عمار بن ياسر	٣٧	هاشم ذو الرمحين
١٢١ ، ١٢٠	يوسف بن يعقوب عليه السلام	٢٢٠	هاشم بن عبد مناف
٢٠٧ ، ١٦٤		٢٦٦	هرم بن سنان
١٥٦ ، ١٥٥	يوشع بن نون	٢١٣ ، ١٢٦	الهرمزان
٩١	يونس بن متى عليه السلام	٩٤ ، ٧٥	أبو هريرة

٦ - فهرس القبائل والجماعات

٩٤	البصريون	٢٦٩	الاباضية
٨٢	بكر بن وائل	٨٢ ، ٦٤ ، ٢٨	الاحابيش
٢١٢	بلى	٥٩	الأحلاف
٢٤٨ ، ٨٣	تميم	٢٦٩	الأزرقية
٢٦٩	التهاميون	٢١٤	الأساورة
٢٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١١ ، ٢٢٨ ، ٢٠٠ ، ١٩١ ، ١٦٧ ، ٢٣٨	تيم	٢١٩ ، ٢١٨	بنو اسحاق
١٠٢	ثقيف	١٢٦ ، ٦٣	أسد
٢٦٩	الجزرية	١٥٥ ، ١٥٤ ، ٥٧	اسرائيل
٢٢١ ، ١٢٦ ، ٣٢ ، ٢٨	بنو جمح	٢١٩ ، ٢١٨	بنو اسماعيل
١٠٥ ، ١٠٤ ، ٣٢	الحبش ، الحبشة	١٣	أصحاب البرانس
٢١٧ ، ١٩٢		٢١١	بنو الأصفر
٢٦٩	الحجازيون	١٩٦ ، ١٠٣ ، ٦٠	بنو أمية
٢٦٩	الحسنيون	٥٢ - ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨١ -	الأنصار
٢٦٩	الحسينيون	٨٣ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢٥ ،	
١٢٣	الحشوية	١٦١ ، ١٦٠ ، ١٤٩ ، ١٤٦ ، ١٣١	
١١٤	بنو حنيفة	١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،	
١٠٢ ، ٥٩	خزاعة	١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ، ١٩٧ - ٢٠٤ ،	
١٩٧	الخزرج	٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ،	
١٢٨	بنو خلف الخزاعي	٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ - ٢٤٩ ،	
٢٦٥ ، ١٨٥	الخوارج	٢٦٨ ، ٢٧٣	
		١٩٧ ، ١٧٣ ، ٣٨	الأوس
		٢٧٥ ، ٢٤٨ ، ٢١٤ ، ٦١	البديريون

٢٦٩	العراقيون	٥٩	دوس
١٥٩ ، ١١٣	العشرة	٥٨٢ ، ٤٢ ، ٢٠ ، ٩	الرافضة ، الروافض
١٨٧ ، ١٩	العلوية	١٢٠ ، ١١٧ ، ١١٥ ، ١٠٩ ، ٨٤	٨٤
٢٢٣ ، ٩٤ ، ٩٢	العمرية	١٤٨ ، ١٤٦ ، ١٤٢ ، ١٢٩ ، ١٢٨	١٢٨
٢١٧ ، ٢١٤ ، ١٢٩ ، ١١٤	فارس ، الفرس	٢٢٤ ، ٢١٥ ، ١٨٨ ، ١٧٧ ، ١٤٩	١٤٩
٢١٩	قحطان	٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧	٢٢٦
٢٦٩	القرشيون	٢٧٩	٢٧٩
٢٩ ، ٢٧ ، ٢٥ ، ٢٣ ، ١٤ ، ٩	قريش	٢١٩ ، ٢١٢	ربيعه
٢١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤		٢٣٢ ، ٢١٧ ، ٢١٤ ، ١١٤ ، ٦٥	الروم
٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٦ ، ٩٧		٢٤٢	٢٤٢
١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١٢٥		٦٣	بنو زهرة
١٢٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٨		١٨٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٦	الزبدية
١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢		٢٧٩	٢٧٩
٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٣		٩٤	بنو ساسان
٢٢٦ ، ٢١٩	قصي	١٥٩	السبعة
٢٦٦ ، ٨٣	قيس	٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ١٥٩	الستة
٥٢	بنو قبيلة	٢٣٧	سودان مروان
٢١٩ ، ١١٢ ، ٦٤	كعب	٢٦٩	الشاميون
١٩١	كلاب	٤٩ ، ٤٤ ، ١٨ ، ١٣	الشيعة ، الشيعة
٢١٢	كلب	٨٢ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ٢٢٣	٨٢
٨٣	كنانة	٢٣٥	٢٣٥
١٢٧	كندة	٢٦٩	الصفريه
٧	الكهنة	٢١٢	طبيء
٢٤٨ ، ٢٩ ، ٢٣	بنو مخزوم	٦٤ ، ٦٣	بنو عامر
١٤٩ ، ٨٢	المرجئة	١٨٧	العباسية
٢١٩ ، ٢١٢	مضر	٣٣	بنو عبد الدار
٢١٩	بنو المطلب بن عبد مناف	٢١٩ ، ١٢٦	بنو عبد شمس
٥٩	المطيون	٢١٩ ، ٢٠٥ ، ١٩١ ، ٢٣	بنو عبد المطلب
٢٦٥	المعتزلة	١٦٧ ، ١٠٣ ، ٦٠ ، ٢٤	بنو عبد مناف
٢٧٩	المعلمون	١٦٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦	١٦٨
١٦٧	بنو المغيرة	٢٢٨ ، ٢٣٨	٢٢٨
١٣٧ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ٦٨ ، ٥٦	الملائكة	٣ ، ٧ ، ١٣ ، ١٩ ، ٧٤ ، ٩٢	العثمانية
١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٢٥		٩٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٠	٩٤
٦٦ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦١ ، ٥٥	المهاجرون	١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٨٧ ، ٢٠٤	١٤٦
٨١ ، ٨٣ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥		٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٧٧	٢٠٦
١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٤٦		٢٧٩	٢٧٩
١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٦		١٨٦ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩	المعجم
١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٩٣		٢٢١	٢٢١
٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨		٣٤	عدى بن كعب

على
من
لا أثر له

١٩٧ — ١٩٩ ، ٢٠١ — ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢١٩	٦٠ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٣	بنو هاشم
٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ —	١٢٦ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٩	
٢٤٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ — ٢٧٥	٢٢٤ ، ٢٣٥	
بنو مؤمل	٣٤	آل ياسر
النجدات	٢٦٩	اليمن
النصارى	١٤٥ ، ١٩٩ ، ١٥٥	يهود

٧- فهرس البلدان والمواضع ونحوها

أحد ، ٤٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٨٥ ، ١٤١	حنين	٢٠٧ ، ٦٦
١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٦٩ ، ١٧٨	الحوض	٨٥
أخشيما مكة	حسى جمع	٣٢
أذربيجان	الحيرة	١٨٥
أرمينية	خراسان	٢٦٥ ، ٩٤
أفريقية	الخنديق	٤٥
بابل	الخدمة	٧٣
باجميراوات	خيبر	١٤٣ ، ٤٥
بدر ، ١١ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٣ —	دار أبى بكر	٥١ ، ٣٢
٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٨٠ ، ١٠٨	دار خالد بن سعيد	١٩٠
١١١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ، ١٩٤	دار بنى خلف الخزاعى	١٢٨
٢١١ ، ٢٤٦	دار عثمان	٢٤٣ ، ١٦١
برك ذات الغماد	دمشق	٢٦٥ ، ١٨٠
بزاحة	ذات السلاسل	١٦٩
البصرة	ذو طوى	٧٣
بطحاء مكة	سجستان	٩٥
البقيع	السنج	٨٠
بلدح	الشام	٦٩ ، ٧٠ ، ٩٦ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ٢٤١ ، ١٨٥
البيت الحرام	شجر عمان	
بيت المقدس	صفين	١١ ، ١٢٥ ، ١٥٣ ، ١٧٥
بئر معونة	الطائف	٥١ ، ٨٥ ، ١١٣
تبوك	العالية	٨٧
تستر	العراق	٩٦
الجبل ، (أبو قبيس)	عريش بدر	٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ١١١ ، ١٤٣
جلولاء	١٤٦	
الحجاز	العزى (صنم)	٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٧١
الحجون	عمان	٢٤٨
الحديبية	الفار ، غار حراء	٣١ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٤٤
١٣٧ ، ١٩٤		

١٩٩ ، ١٦١	مسجد الرسول	١٠٩ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٥٤ ، ٥٢ ، ٥١	
١٣٦	مسجد قباء	١٤٣ ، ١٢٠ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١١	
١٣٦	مسجد المدينة		٢٣٩
١٢٥	المشقر	١٧٦ ، ١٣٤	غدير خم
٢٣٤ ، ٧٠	مصر	٢١٣	الفلوجة
٢٣ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٣ ، ٦	مكة	٢١٥ ، ٢١٤	القادسية
٦٥ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٤٥ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٣٧		١٣٦	قباء
١٠٣ ، ١٠١ ، ٧٨ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٦٩		٧٢	قبر حمزة
١٢٥ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١٠ ، ١٠٥		١١٢	أبو قبيس
٢٢٤ ، ٢١٧ ، ٢٠٣ ، ١٩٢ ، ١٦٧		٢٣٧	قس الناطف
٧٩	منزل عائشة	٩٤	كرمان
١٢٥	مهران	٧٨ ، ٢٩	الكعبة
١٤٦	مؤتة	١٨٢	الكوفة
٢٤٨	نجير	٦٤ ، ٣٧ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣٠	اللات (صنم)
٢٥٠	نهاوند	١٧٨	المدائن
١٢٥ ، ١١	النهر	٤٢ ، ٣٣ ، ٣٠ ، ٢٨ ، ١٠ ، ٦	المدينة
٢١٢	نهر الملك	١٠٥ ، ١٠٣ ، ٧٢ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٥٢	
٧١	هيل (صنم)	١٧٥ ، ١٦١ ، ١٥٣ ، ١٤٧ ، ١٣٦	
٤١	يثرب	١٩٧ ، ١٩٠ ، ١٨٧ ، ١٨٥ ، ١٨٤	
١٩٨ ، ١٨٥ ، ٦٠	اليمامة		٢٣٧ ، ١٩٨
٢٤٨ ، ١٩٠ ، ١٨٥	اليمن	٣٢ ، ٢٩ ، ٢٨	مسجد أبي بكر
٩٨	ينبع	٧٨ ، ٦٤	المسجد الحرام

٨ - فهرس الأبحاث المتعلقة بالأعلام والطوائف

أسامة بن زيد :

فضله ١٤٦ تسميته بالحج ١٤٧ تفضيل عمر له على ابنه عبد الله ١٤٧ ، ٢١٦

أنس بن مالك :

اتهام الرافضة له بالكفر والكذب ١٥٠ - ١٥٢

أبو بكر الصديق :

قول العثمانية انه أفضل الأمة وأولها بالامامة ٣ أول الناس اسلاما ٣ فضل اسلامه على اسلام زيد وخباب ٢٢ القول في منزلته ٢٤ كان جبير بن مطعم تلميذه في النسب ٢٥ مالقيه بمكة ٢٧ جوار الكنانى له ٢٧ عتقه للمعذيين ٣٠ ٣٣٠ طلب قريش له ٣١ دعاؤه العرب الى الاسلام ٣١ من أسلم على يده ٣٢ استجاب له سعد ٥٦ مجاهرته باسلامه ٢٧ انفاقه ماله ٩٧،٣٥٠ كلف بنى تيم برد عاملته في بيت المال ولم يفعل ذلك على ٩٨ استمراره في التجارة بعد الخلافة وفرض المسلمين نفقة ضرورية له ٩٩ بين زهده وزهد على ٩٧ موازنة بين مالقيه هو ومالقيه على ٣٩ موازنة بين صحة الفار وميت على على الفراش ٤٢ صحبته للرسول ٥٠ تعزية الرسول له في الفار ١٠٧ تلقيبه بالصدیق ٥١ ، ١٢٢ عظم لقب الصديق ١٢٨ اختصاصه بتسميتين ١٢٣ وبقولهم يا خليفة رسول الله ١٣ أشعار في تلقيبه بالصدیق لشعراء الشيعة وغيرهم ١٢٤ ما قيل من الشعر فيه ١١٠ محتاجته قريشا في أمر الاسراء ٦٩ انفراده بالرسول في العريش ٥٣ كان له الفضل على زعماء من شهدوا بدر ٥٤ شفاعته لأسرى بدر ٦٧ كان أول من حث على قتال المشركين ٥٦ ، ٦٤،٦٣ توليته ميمنة حنين ٦٦ ثباته فيها ٦٦ معارضته لبديل بن ورقاء وعروة ابن مسعود في التخاذل ٦٤ تقديم النبي له في الحديدية ٧٠ صواب رأيه في صلح الحديدية ٧٦ قضاؤه على الفتنة فيها ٧٨ نحر الرسول جملا عن سبعة أولهم أبو بكر ٧١ موازنة النبي بينه وبين عمر ١٧٢،٦٨ اجلال النبي لأبيه ٧٣ مسامرة الرسول له وحده يوم فتح مكة ٧٢ لمواخاة بينه وبين حمزة ١٤٧ نزوله قبر حمزة أول نازل ٧٢ علو منزلته عند أبي سفيان ٧٢،٧١ تزكية عبد الله بن مسعود له ٨٦ ، ٢٢٤ تزكية على له ٨٤ ، ١٣٦ ، ٢٣٥ اقتراح عمر تقديمه في الشرب ٧٣ وثاقفة علاقة الزبير به ٢٢٣ ، ٢٢٤ أنزل فيه من القرآن مالم ينزل في أحد ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ليس في العشرة رجل مؤمن الأبوين غيره ١١٣ ليس في المسلمين صاحب ابن صاحب ابن صاحب غير ولده عبد الله ١١٣ أحاديث في أنه خليل الرسول ١٣٥ وفي فضله ١٣٧ وضعه حجر المسجد بعد الرسول ١٣٦ تأميره على الحج ١٢٩ تفضيله بامامة الناس في مرض النبي ١٣٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ صلى بالناس سبع عشرة صلاة ١٧٠ امامته لعلى ١٢٩ سعة فقهه ٨٢ تبطنه لأمر الرسول ٨٥ حسن فهمه لكلامه وإشارته ١٦٤،٨٥ تماسكه حين علم بموت الرسول ٧٩،٦٦ تحكيمة في موضع دفن الرسول ٨٣ حزمه بعد وفاة الرسول ١٩٩ انفاذه جيش أسامة ٨٣ فضله في منع انتكاس الدعوة ١٨٤ تصميمه في الردة ٦٥ شدته في أخذ الزكاة وفقهه في المطالبة بها ٨١ ، ٨٣ تقديم عمر له ٢٣٢ وكذلك أبو عبيدة ٢٣٢ توليته خالدا ٨٦ استخلافه لعمر وإصراره على ذلك ٨٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ صدق ظنه وقوة حسه في مرض موته ٨٧ لم يتزوج في خلافته ولا اتخذ سرية ٩٨ وثاقفة بيعته ٢٣٣ تثبیت على بيعته ٢٣٥ المعارضة في استخلافه ١٦٧ طعن الرافضة في تخلفه عن جيش أسامة ١٦٦ طعنهم في شجاعته ٢٤٢ دعواهم في نفاقه ٢٤٣ تكفيرهم له بجحده امامة على ٢٤٩ زعمهم أن خالدا ترك بيعته ثلاثة أشهر ١٩٠ اثبات اسلامه ٢٤٦ تحقيق قوله في احساب

قريش وأنسابها وقوله « ان هذا الأمر ليس بخلمة » ٢٠. مذهبه في الأحساب تعيينه خطبة له ٢٠٢.
مناقشة قوله « وليت عليكم ولست بخيركم » ٢٢٧ نظير كلمته هذه من كلام العرب ٢٢١

بلال بن رباح :

تعذيبه وعنته ٣٢ ادعاء الرافضة طعنه على أبي بكر وعمر ١٨٠

حمزة بن عبد المطلب :

مواخاة أبي بكر له ١٤٧

خالد بن الوليد :

زعم الرافضة تركه بيعة أبي بكر ثلاثة أشهر ١٩٠

الرافضة :

قولهم في اسلام على ١٨ ، ٢٠ ، تفخيمهم لقتلى على : مرحب ، وعمرو بن عبد ود ، والوليد
ابن عتبة ٥٨ قولهم ان قريشا تعصبت على على لتقتيله أقاربها ٦٠ وأن بني أمية صرفوا الامامة
عنه لحقدهم ١٩٦ قولهم ان عليا كان أفقه من أبي بكر ٧٤ رد على دعواهم في نزول القرآن
في علي ١١٦ استشهاد بحديث راو مرضى عندهم ١١٦ قولهم ان عليا كان يتصدق وهو
في الصلاة ١١٩ تكفيرهم للأنصار والمهاجرين ١٤٩ قولهم بالنص على امامة علي ١٤٩ ، ٢٧٦
اتهمهم لأنس بالكفر والكذب ١٥٠ اكفارهم له لأنه كان يعمل للحجاج ١٥٠ احتجاجهم بأنس
حين يؤيد مذهبهم واكفارهم له حين لا يرضيهم ١٥٢ طعنهم عليه بما أصابه من سوء في جسده ١٢
مدحهم عليا بما لا يليق به ١٥٣ احتجاجهم بحديث « أنت منى كهaron من موسى » ١٥٣ ، ١٥٨
الرد على زعمهم مواخاة الرسول لعل ١٦١ طعنهم في صلاة أبي بكر بالناس ١٧٠ زعمهم أن خلافته
كانت بغير اجماع ١٧٢ احتجاجهم بقول الأنصار « منا أمير ومنكم أمير » ويقول سلمان الفارسي
« كرداد ونكرداد » ١٧٧ ، ١٨٦ ، ١٨٣ ، ٢٢٧ قولهم « ان بيعة أبي بكر كانت فلتة » ١٩٦ قولهم
ان أبا بكر وعمر كانا لا يقولان بالتسوية ٢١١ رميهم عمر بالعصبية ٢٢٠ تحقيق قولهم ان الزبير
خرج شادا بسيفه ٢٢١ تكفيرهم لمن أنكر امامة علي ٢٢٥ توليهم حذيفة وعمارا بعد اكفارهما ٢٢٦
طعنهم على أبي بكر في قوله « وليتكم ولست بخيركم » ٢٢٧ طعن الجاحظ فيهم ٨٢ ، ٨٤ وفي
زعمهم في الامام ٢١٥ جورهم في الحكم ١٤٢ مطالبة الجاحظ لهم أن يستشهدوا أهل الكتاب ١٥٥
الثغور من الانتماء اليهم ١٧٦ يحتجون بأشعار شعرائهم ويرفضون أشعار سواهم ١٢٨ ادعاؤهم
طعن بلال على أبي بكر وعمر ١٨٠ وطعن المقداد ١٨٠ وطعن عمار على أبي بكر وعمر ١٨٢ وطعن
أبي ذر على عمر ١٨٣ قولهم ان خالد ترك بيعة أبي بكر ثلاثة أشهر ١٩٠ رميهم بأبكر وعثمان
بالجبن ٢٤٢ دعواهم نفاق أبي بكر ٢٤٣ تكفيرهم اياه بجحده امامة علي ٢٤٩ زعمهم أن الله أسر
الى على علم ما كان وما يكون ٢٤٣ قولهم ان عليا كان المحق دون طلحة والزبير ٢٤٩ جملة دعاوهم
٢٣٨ جملة مناقضاتهم لكل مفاخر أبي بكر ٢٣٨ جملة ردودهم على مطاعن العثمانية ٢٣٩

الرسول الكريم :

تكرمه بزيارة أبي بكر ٥٨ عتاب الرسول له ٩٢ لم يسلم من معارضة بعض أمته له ١٩٤ طبقات
الناس بعد وفاته ١٩٦ رياسته الكبرى لم ينلها بالنسب ٢٠٥

الزبير بن العوام

تحقيق قول الشيعة أن الزبير خرج شادا بسيفه ٢٢١ طاعته لعمر ٢٢٣ انبثاته في هوى

أبى بكر ٢٢٣ وصية عثمان وعبد الرحمن بن عوف له ٢٢٣ وثيقة علاقته بأبى بكر ٢٢٤ معاداته
لعلى ومفاخرته له ٢٢٤

زيد بن حارثة :

فضله ١٤٦ ذكره باسمه في القرآن ١٤٨

الزيدية :

تكفيرهم من أنكر امامة على ١٨٠ تمسكهم بأمر الوصية ٢٧٦

سعد بن أبى وقاص :

كان من المستجيبين لأبى بكر ٥٦ مطالبته بالامامة ١٥٩ ٢٧٥ فضله ١٥٩ أحاديث في فضله ١٦٠

سلمان الفارسي :

تقديره ١٧٩ احتجاج الرافضة بكلمته ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٢٢٧

سهل بن حنيف :

مواخاة على له وثقته به ١٦١

أبو طالب :

حمانيته للرسول ٢٣

عبد الله بن مسعود :

تركيبه لأبى بكر ٨٦ ولعثمان ٢٣٤

عثمان بن عفان :

أنكر لأول وهلة موت الرسول ٧٩ - ٨٠ افتتح الشفور كلها ٩٤ تركية على له ١٣٦ أثر عمر
في تجسيم أخطائه ١٨٤ تقديم ابن مسعود له ٣٢٤ طعن الرافضة في شجاعته ٢٤٢

العثمانية :

قولهم : أفضل الأمة وأولها بالامامة أبو بكر ٣ قولهم في اسلام على ١٩ ، ٢١ كثرة الفقهاء
والمحدثين فيهم ١٧٦ مذهبهم في التسوية ٢٠٦ قولهم بأن الله اختار للناس اماما لأعلى النص
والتسمية ٢٧٧ وسائر أقوالهم وردودهم على مطاعن الرافضة . انظر (الرافضة) .

على بن أبى طالب :

القول في اسلامه ١١ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ تحكيم التاريخ في اثبات وقت اسلامه ١٩ موازنة
اسلامه باسلام زيد وخباب ٢٢ أثر حماية أبى طالب في اسلامه ٢٣ لم يكن له صنيع ظاهر
في أول الاسلام في خلال ثلاث عشرة سنة ٣٨ اقراره بفضل أبى بكر ١٠ ، ٨٤ ، ١٣٦ ، ٢٣٥
وبفضله هو وعمر وعثمان ١٣٦ ، ٢٣٥ تشييته ببيعة أبى بكر ٢٣٥ تزويجه أم كلثوم لعمر ٢٣٦
تسميته أولاده باسماء أبى بكر وعمر وعثمان ٢٣٧ قبوله تولية عمر اياه ٢٣٧ موازنة بين صحبة
الفار ومبيته على الفراش ٤٢ موازنة بين مالمقيه هو ومالمقيه أبو بكر ٣٩ هو ورجل من عرض
المسلمين سواء ٨٧ كان من فقهاء الصحابة ٨٨ خطؤه في الفقه ٨٩ - ٩١ اعتذار من خطئه
بخطأ الصحابة والأنبياء ٨٩-٩١ رجوعه في فتاويه ٨٩ لاحجة في اشارته على عمر ٨٧ لم يذكر
في الحفاظ ٩٢ ولا القراءة ولا أصحاب التفسير والحديث ولا من يتبعه الفقهاء ٩٣ ولا أصحاب
قوة السلطان ولا أصحاب الفتوح ولا البارعين في السياسة ٩٤ ولا الدهاة ٩٥ ولم يكن مشتهرا

يعلم الكتاب ولا الفرائض والتأويل والقراءات ١٢١ القول في حروبه ٤٥ كان يقاتل وهو على ثقة من النصر ٤٩ سجلت خطبة له أن القوم كانوا يشكون في علمه بالحرب ٩٦ دليل آخر على عدم معرفته بالحرب ٩٦ حديث العباس معه في ذلك ٩٧ شدته يوم الحديبية ٧٨ تقدس الرافضة له ٩٢ قولهم بأن الله أسر إليه علم ما كان وما سيكون ٢٤٣ منازل فيه من القرآن فيما يزعمون ١١٥ قولهم أنه كان يتصدق وهو في الصلاة ١١٩ فخرهم بأن الرسول بعثه ليقرأ صدر سورة براءة على الناس سنة تسع ١٢٩ ، ١٣٠ وبحديث «من كنت مولاة فعلى مولاة» ١٣٤ ، ١٤٣ — ١٤٦ ، ١٤٨ وبإزاء الرسول له ١٣٤ ، ١٦١ مؤاخاته لسهل بن حنيف ١٦١ كان مقلا ثم أثرى ٩٨ نضحه بيت المال ٩٩ تكفير الرافضة لمن أنكر امامته ٢٢٥ النص على امامته ١٤٩ الطعن في خلافته ١٧٣ معاداة الزبير له ومفاخرته ٢٢٤ تسميته حربه لطلحة والزبير «فتنة» ١٧٥ نفور الصحابة والبدرين من الدخول في حروبه ١٧٥ كثرة الفتن في عهده ١٨٥ انتفاض المسلمين عليه ١٩٥ خلاف أصحابه عليه ١٩٥ مناقشة مذهبه في التسوية ٢١٨ زعم الرافضة أن قريشا تعصبت عليه لتقتيله أقاربها ٦٠ وأن بنى أمية صرفت الامامة عنه لحقدتها عليه ١٩٦ منازعة سعد بن أبي وقاص له ٢٧٥ الوصية له وانكار ابنه عمر لها ٢٧٥

عمر بن الخطاب :

تزكية على له ١٣٦ ، ٢٣٥ قبوله توليته ٢٣٧ تسمية على ولده باسمه ٢٣٧ تزويجه اياه أم كلثوم ٢٣٦ لاحجة في اشارة على عليه ٨٧ تعظيم ابن مسعود له ٢٣٤ استخلاف أبي بكر له ٨٦ ، ٢٧٤ تقديمه لأبي بكر ٢٣٢ ، ٧٣ تفصيله أسامة على ابنه عبد الله ١٤٧ ، ٢١٦ أحاديث في الموازنة بينه وبين أبي بكر ٦٨ ، ١٣٧ شدته في الحديبية ٧٨ انكاره موت الرسول ٧٩ — ٨٠ أثره في تجسيم أخطاء عثمان ١٨٤ تحليل تهجينه لأمر العجم ٢١٤ قوله في التسوية ٢١٥ تعظيمه لصهيب الرومي ٢١٦ ، ٢١٧ ولسالم مولى أبي حذيفة ٢١٧ ، ٢٧٤ وصيته لسالم ٢٧٤ جعله الخلافة بعده شورى بين ستة ٢٧٤ رمى الرافضة له بالعصية ٢٢٠ السر في ذلك ٢٢١

مسطح بن أثانة :

خبره ١١٧ ، ٥٥

هارون عليه السلام :

وزارته لموسى ١٥٦

٩ — فهرس الأبحاث المتعلقة بالمعارف العامة

آية :

آيات في التسوية ٢٠٨

اجماع :

كلمة فيه ١١٦ اجماع الأمة أمر لاينال ١٩٥

أحاديث :

في التسوية ٢٠٧ في فضل البراء ١٤١ وأبي بكر ١٣٥ ، ١٣٧ وأبي ذر ١٣٨ وزيد بن عمرو ١٤٢ وسعد بن معاذ ١٤١ وسعد بن أبي وقاص ١٦٠ وأبي سفيان ١٤٠ وطلحة ١٤١ وأبي عبيدة ١٤١ وعثمان ١٤١ وعكاشة ١٣٩ وعمار ١٤٢ وعمر ١٣٧ ، ١٤٠ وابن مسعود ١٤١ في الموازنة بين أبي بكر وعمر ٦٨ ، ١٣٧

اخ:

تحقيق معناها والتفرقة بينها وبين الخليل ١٣٥

اختيار:

كلمة فيه ٢٥٢ ترك الاختيار ربما كان اختيارا ٢٧٨

أسباب:

الأسباب المشجعة على القتال ليس الدين أولها ٤٧

استثناء:

تركه حين يكون معروفا مشهورا ١٣٨

اسراء:

محااجة أبى بكر قريشا فى أمر الاسراء ٦٩

امامة:

تحقيق فيها ١٥٤ هل على الناس أن يتخذوا اماما ٢٥٠ ليس للامامة أن تختار الامام ١٥٦ يجب

على الخاصة اقامته ٢٦١ متى يكون ذلك ؟ ٢٦٢ وكيف يكون ٢٦٥ طرق اقامته ٢٧٠ النص

على الامام ٢٧١ ليس فى القرآن آية تنص على امامة ٢٧٣ وكذلك الحديث ٢٧٣

أنبياء:

بعض ما أصابهم من السوء فى جسدهم ١٥٢

تاريخ:

تحكيمه فى اثبات وقت اسلام على ١٩

تحقيق:

كلمة الاخ والخليل ١٣٥ المولى ٢٠٨

تخصيص:

تركه حين يكون مفهوما مشهورا ١٣٨

تسوية:

مذهب العثمانية فيها ٢٦٠ احاديث فيها ٢٠٨ آيات فيها ٢٠٨ زعم الرافضة أن أبابكر وعمر

كانا لا يقولان بالتسوية ٢١١ قول عمر فيها ٢١٥ مناقشة مذهب على فيها ٢١٨ .

تعذيب:

تعذيب المسلمين ٢٩

توقيت:

توقيت زمن الدنيا الى عمر الجاحظ بسبعين قرنا ٢٠٩

حديث:

الحديث الضعيف والشاذ ١١ الاعتماد على قوة السند ١٣٦ . وانظر (احاديث) .

خاصة:

احتياج العامة اليهم ٢٥٢ وجوب اقامة الامام عليهم ٢٦١ متى يلزمهم ذلك ٢٦٢ وكيف يحون:

٢٦٥ كيف يختارون واحدا من عشرة ٢٦٨

خبر :

خبر مسطح ٥٥ ، ١١٧

خلافة :

انظر (امامة)

خليل :

التفرقة بينه وبين الأخ ١٣٥

دفاع :

دفاع عن البدرين والمهاجرين ٦١

دنيا :

صلاحها بتدبير الخاصة وطاعة العامة ٢٥١

دين :

ليس الدين أول الأسباب المشجعة على القتال ٤٧ صعوبة علم الدين ١٧

رياسة :

فضل رئيس الجيش على المقاتلين ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٧ لاستحقاق في الدين بغير الدين ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

شبهه :

شبهه صاحب الوزير برئيس الجيش ٥٠

شعر :

في أبي بكر ١١٠ في تلقب أبي بكر الصديق ١٢٤

صبي :

حكم اسلام الصبي ٢١

طاعة :

متى تتحقق الطاعة والمعصية في العامة ٢٥٢

عامة :

جهل العامة بالدقائق ٢٥٠ تشبيههم بجوارح البدن ٢٥٠ صلاح الدنيا بتدبير الخاصة وطاعة العامة

٢٥١ احتياجهم الى الخاصة ٢٥٢ متى تتحقق الطاعة والمعصية فيهم ٢٥٢ ماذا يعلمون وماذا

يجهلون ٢٥٢ باب آخر تجهل العوام ولا يشعرون بمعجزهم عنه ٢٥٣ معرفتهم بالله ورسوله ٢٥٥

ليس لهم أن يختاروا الامام ٢٥٦ هل العامة محجوجون ٢٥٨

عتاب :

عتاب الله لرسوله ٩٢

عداوة :

عداوة خزاعة وثقيف وأبى لهب للمسلمين ١٠٢

علم :

علم الدين والكلام ، صعوبتهما ١٧

قتال :

فضل الرئاسة فيه على مباشرته ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٧ تهوين أمر المقاتلة ٤٦ ، ٤٧ الأسباب المشجعة
عليه ليس الدين أولها ٤٧

قرآن :

اعجازه ١٦ نطقه بأمر الفار ٤٤ كيف نعلم قصده لبعض الناس ١٠٠ منازل منه في أبي بكر
١٠٠ دعوى الرافضة نزول القرآن في على ١١٦ ليس فيه آية تنص على امامة ٢٧٣

كلام :

صعوبة علم الكلام ١٧

مسلمون :

تعذيبهم ٢٩ عداوة خزاعة وثقيف وأبى لهب لهم ١٠٢

مصاحف :

رفعها ١٢

ملائكة :

التأييد باللائكة ١٠٨ الملكان الكاتبان ١٠٩

مؤاخاة :

المؤاخاة بين الصحابة ١٦١

مولى :

تحقيق معناها ٢٠٨

ناس :

طبقاتهم بعد وفاة الرسول ١٩٦ العامة والخاصة ٢٥٠ . اختلاف طبائع الطوائف ٢٥٦

نبوغ :

لا يحتاج في معرفته الى اجتهاد ٢٦٦

هجرة :

الهجرة وسريتها ٥١ فضل هجرة المدينة على هجرة الحبشة ١٠٦

وزارة :

وزارة هارون لموسى ١٥٦ شبه الصاحب والوزير برئيس الجيش ٥٠

وصية :

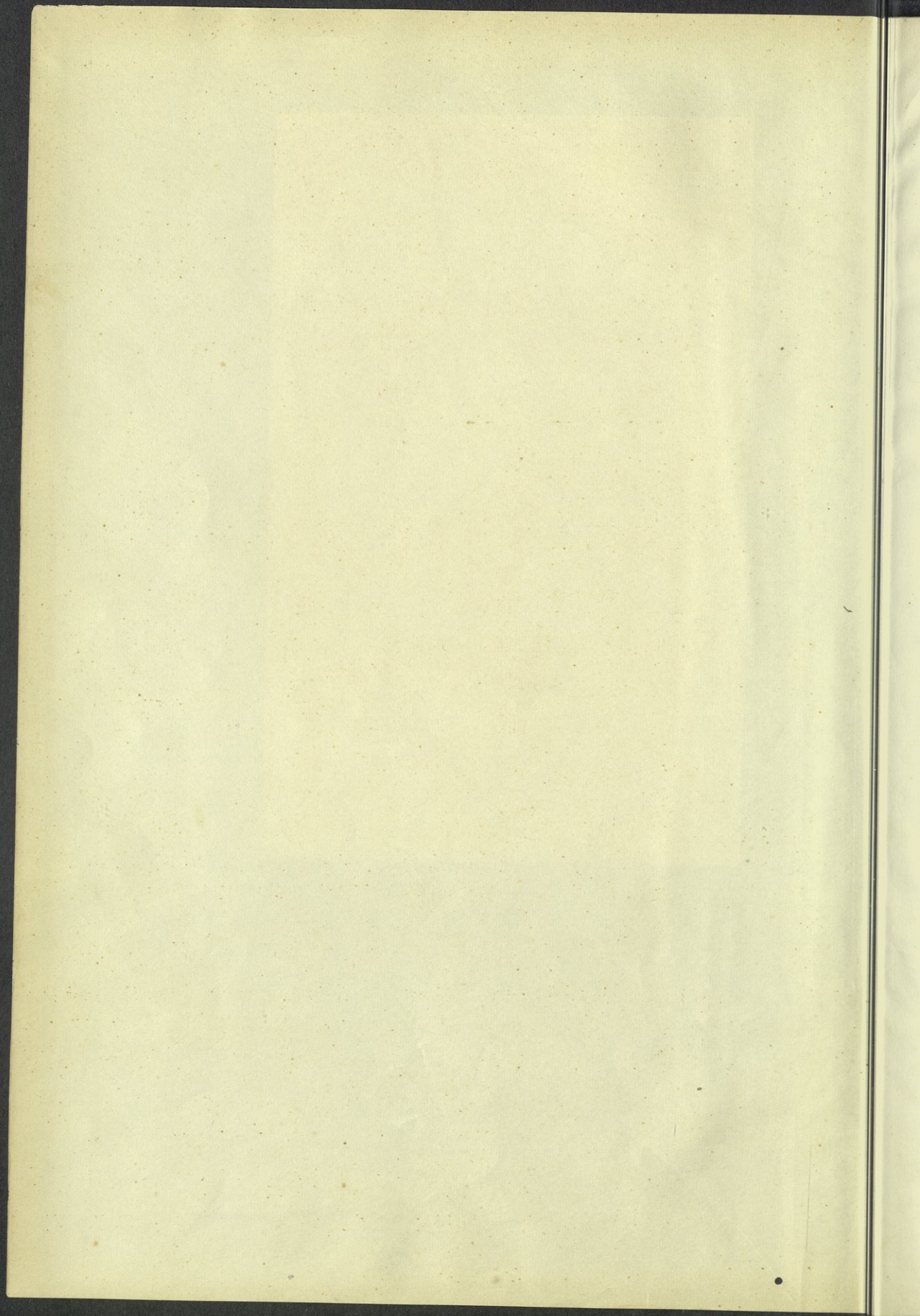
الوصية بالامامة ٢٧٥ - ٢٧٩ قول الرافضة أنها كانت بالسنة لبالكتاب ٢٧٦

استدراك وتذييل

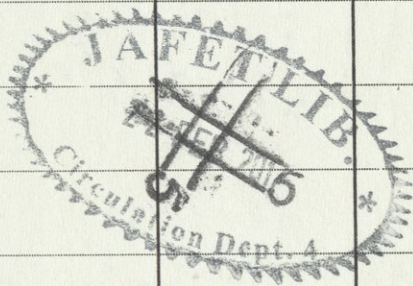
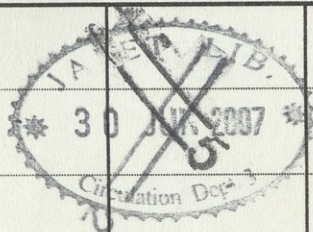
س	ص	
١٦	٦	يحذف رقم (٥ -) من مبدأ السطر .
١٣	٢٤	« هيَّج الغطاريف » . يراد بالغطاريف القصائد الجياد البارة ، وهو تحريض على هجوم . وأصل معنى الغطريف السيد الشريف ، كما ورد في الحواشي س ١٦ .
٢ ، ١	١١٨	كذا في الأصل ، والظن أن في الكلام بعده سقطا .
٥	١٣٤	هكذا وردت العبارة في الأصل . ولعل الكلام : « فإن قالت الرافضة : مما يدل على تفضيل . . » الخ .
١٤	١٤٩	« عدد الفضل » كذا في الأصل . ويصح أن تقرأ « الفضل » جمع فاضل . أو لعلها « عدد ذوى الفضل » .
١٦	١٧٢	« بأن يكون له في الإمامة » . هكذا وردت في الأصل ، والوجه « بأن لا يكون له في الإمامة » .

صواب أخطاء الطبع

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٣٠	١٢	من المحدثين المفتونين	١٧٤	٢	مَسَلَمَة
٣٣	١٧	الفتح ٤٦٣	١٧٦	٩	انتقاضاً
٤٩	١٥	إلا أن يزعموا أن النبي	١٩٨	١	والطَّام
٩١	١٤	ففهمناها سليمان	٢٢٦	٨	وإنه لِحَيْفَةٌ
٩٧	٧	تمصر عينيك	٢٣٢	١٠	إِلَّا سَمَقْنَا
٩٨	١٤	ومِنَّهُ	٢٥٠	٧	ونفى التنقص
١٠٠	٢٢	أى ولو لم يذكر	٢٥٣	٧	خبر ليس للخاصة فيه
١٧٢	١	ولا حق			



DATE DUE



297.8:J25uA:c.1

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر
العثمانية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010195



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

